الأستاذ الدكتور

محمد عيد

النحو المصفى

عالم الكتب

النحو المصفى

الأستاذ الدكتور
محمد عيد

الناشر
عالم الكتب

عالم الكتب
نشر . توزيع . طباعة

❖ الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 3924626
فاكس : 002023939027

❖ المكتبة :
38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : 3926401 - 3959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدى : 11518

❖ الطبعة الأولى لعالم الكتب
رجب ١٤٢٦هـ = أغسطس ٢٠٠٥م

❖ رقم الإيداع 2005/13780

❖ الترقيم الدولى I.S.B.N
977 -232 -466 -0

❖ الموقع على الإنترنت : WWW.alamalkotob.com

❖ البريد الإلكترونى : info@alamalkotob.com

الشركة الدولية للطباعة
المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
☎ : ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤
e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

« إني رأيت النحويين - رحمة الله عليهم - قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير ، فبلغوا من ذلك إلى الغاية التى أمّوا ، وانتهوا إلى المطلوب الذى ابتغَوا ، إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم ، وتجاوزوا فيها القدر الكافى فيما أرادوه منها فتوعرت مسالكها ، ووهنت مبانيها ، وانحطت عن رتبة الإقناع حججها .

على أنها إذا أخذت المأخذ المبرأ من الفضول ، المجرد عن المماحكات والتخييل كانت من أوضح العلوم برهانا ، وأرجح المعارف عند الامتحان ميزانا »

(من كتاب : الردّ على النحاة)
لابن مضاء القرطبى

هذا الكتاب

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى أوائل السبعينيات ، وقد قوبل منذ صدوره بالترحيب به والثناء عليه فى الأوساط الأدبية والعلمية والتعليمية ، فأشاد به الأستاذ « أنيس منصور » فى جريدة « الأخبار » ، وقدمه الصديق الأستاذ « محمد فهمى عبد اللطيف » للقراء فى « يوميات الأخبار » ، وكتب عنه الدكتور « عبد العزيز الدسوقى » فى مجلة « الهلال » ، ونوقش فى ندوات متعددة على موجات الإذاعة المختلفة ، واشترك فى هذه المناقشة أساتذة فضلاء متخصصون منهم الدكتور تمام حسان والدكتور كمال بشر والدكتور حسين نصار .

هذا بالإضافة إلى تزايد الإقبال عليه فى كل أنحاء العالم العربى من الدارسين فى الجامعات ومن المشتغلين بالكلمة فى أجهزة الإعلام والقانون وغيرهما ومن المعلمين فى المدارس بمراحلها المختلفة .

وإنى لأقدم شكرى الصادق والعميق لكل الكُتّاب والعلماء الذين تفضلوا بالدعوة للإفادة من هذا الكتاب ، وكذلك لكل الذين وجدوا فيه ما يفيدهم من الدارسين والطلاب ... لهم جميعًا كل حبى واحترامى .

ومع أن لى كتبًا كثيرة غير هذا الكتاب ، فقد اشتُهِرتُ به ، حتى اقترن باسمى ، وصرتُ أُعرَف به ، فيقال « مؤلف النحو المصفى » إذا ما ذُكِرتُ فى ملأ من أهل العلم أو الأدب .

وقد دعانى كل ذلك إلى موالاة إصداره ، مع معاودة النظر فى مادته العلمية ، مما لا يخرجه عن هدفه فى (خدمة نطق اللغة) ولا عن اسمه (النحو المصفى)
﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

[سورة الرعد الآية : ١٧] .

محمد عيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

عاشت صورة هذا الكتاب فى عقلى ووجدانى زمنا طويلا ، وكانت هناك مجموعة أسباب تعاونت جميعا على هذه المعايشة الطويلة ، ثم دفعتْ أخيرا إلى تنفيذه بعد أن هيّأتُ نفسى لأهلية تأليفه ، ورسمت خطته التى التزمتها فى كل أبوابه وأفكاره - وهذه المقدمة ينبغى أن توضح للقارئ - بإيجاز - الجانبين السابقين من دوافع التأليف والنهج الذى التزمته فى تنفيذ هذا المؤلف .

من هذه الأسباب أن طول الصحبة لكتب مسائل النحو القديمة - مطولة ومختصرة ، نثرا ونظما - تؤكد لدى كل منصف أن هذه الكتب صعبة الفهم على الشّادين فى النحو ، بل إن بعضها يتعذر استيعابه على الدارسين المتخصصين أنفسهم ، وذلك لامتلائها بالحشو والفضول ، أو كما يقول ابن مضاء : « بالمماحكات والتخييل ، ففيها حشود من المجادلات الذهنية العقيمة ، وألوان من العلل والعوامل التى يسوغها منطق العقل لا منطق اللغة ، يضاف لذلك كله تخرجات مجهدة واستطرادات شتى وفروع من المسائل متفرقة وغير ذلك ، مما ينطمس معه وجه النحو الأصيل تحت ركام المزيف الدخيل » .

لذلك أحسست - بعد طول الصحبة مع هذه المؤلفات - أن هذا الجهد المشكور للنحاة - رحمهم الله - بعضه مفيد للغة ، وبعضه طفيلى معوق عن الوصول لما هو مفيد ، بل إن هذا الأخير هو الغالب على مطولات النحو من مؤلفات المتأخرين . ورأيت أن الواجب بذل جهد مخلص لتخليص المفيد من الطفيلى المعوق والإبقاء على « نحو اللغة » لا « نحو الصنعة »

ومن هذه الأسباب أن تخصصى فى الدراسات العليا هيأ لى - بكل ظروفه - أن أعايش القضية السابقة فى وجهيها الأصيل والدخيل درسًا وتقويمًا وموازنة ، وكان مجال ذلك كله « منهج النحو العربى » أو بعبارة أخرى : الأسس التى أحكمته وتحكمت فيه ، مما كشف لى بطريقة علمية محددة ما كنت أحس به من قبل غائمًا غير محدد ، فتعرفت - على قدر جهدى واجتهادى - على مسار

التفكير فى النحو ، وكيف نما وتعقد . ثم كان لى من ذلك كله موقف علمى يستند إلى الدراسات اللغوية الحديثة أعاننى على فهمه أستاذى العالم الجليل الدكتور « تمام حسان » ولم يكن قوام هذا الموقف النقد فقط ، بل النقد والتصحيح ، لم يكن قوامه تشخيص الداء وحده ، بل تشخيص الداء والدواء جميعًا ، هذا مع التعاطف التام مع كل ما فى كتاب النحو العربى من أصيل صحيح ورفض ما هو طفيلى مزيف .

صار الإحساس الغائم إذن حقيقة محددة ، وأصبحت الشكوى الممرورة منهجًا مدروسًا « وانتهت مرحلة الرفض الانفعالى المهوّش ، وبدأت مرحلة الفهم المتزن المدروس ، وخرجت من دخان الظنون والتخمين إلى مناخ أقرب ما يكون إلى التحديد واليقين ، فازددت اقتناعا بضرورة تصفية النحو من أوشابه وعلاجه من أوصابه والكشف عن وجهه الصحيح المشرق » .

وفى أثناء ذلك كنت أعيش التجربة فى صورة أخرى غير صورة الكتب القديمة والمنهج ، كنت أعيشها مع الدارسين المتخصصين من طلاب اللغة الذين يجأرون بالشكوى كل حين من النحو وصعوباته التى تتمثل فى تشتت أفكاره وكزازة عرضه ، وتجمد أمثلته ، وغرابة شواهده ، وتهافت الكثير منها ، مما يترتب عليه تلقائيًا التمزق والتململ والكراهية والشكوى المستمرة ، مع أن هؤلاء الحانقين الشاكين هم الذين سيحملون – فيما بعد – أمانة تعليم اللغة للصغار والكبار فى العالم العربى ومسئولية الكلمة المكتوبة والمنطوقة فى حياتنا الأدبية والعلمية .

وفى هذا التصوير السابق للشكوى والتذمر كثير من الحق مع الأسف !! وهو أحد الأسباب التى دفعتنى للخروج من الاقتناع الفكرى المجرد إلى التصميم العملى على تأليف هذا المكتوب « النحو المصفى » ملتزمًا فى تأليفه النهج التالى :

١ – قبل كتابة أى موضوع « كالحال مثلا » أراجع كثيرًا من كتب مسائل النحو القديمة كشروح الألفية ومؤلفات ابن هشام وغيرهما للإحاطة التامة بكل أفكار الباب كما عرضته هذه المصادر الأصيلة .

٢ – أقوم – بعد ذلك – بتصفية ما لا فائدة فيه وما لا ضرر فى تركه كالمجادلات الذهنية والاستطرادات الجانبية والتمارين غير العملية والمسائل

المقحمة فى غير موضعها وفلسفات العوامل والخلافات حولها والعلل والتعللات والتخريجات الظنية وغير ذلك مما لا يفيد نطقًا وأساء إلى كتاب النحو العربى ، وعوق فهمه وأطال نصه ، ليبقى بعد ذلك جوهر الموضوع وخطه الواضح الأصيل .

ولا حاجة بى إلى القول بأن هذه التصفية تتم فى إطار منهج مدروس - وإن كان غير منظور - هو ما أفدته فى دراستى العليا للماجستير والدكتوراه ، فهى تصفية مضبوطة لا مندفعة ، واعية لا عشوائية .

وسيجد القارئ فى بعض الأحيان هزًا لبعض المسائل التقليدية ونقضا لها مع ذكر الرأى فيها بعد عرضها فى إيجاز شديد كما قررها النحاة - رحمهم الله - وهذا عمل متعمد وراءه منهج علمى مدروس ، وهو فى الوقت نفسه جانب من جوانب التصفية التى استهدفها هذا الكتاب ومؤلفه .

٣ - نظمت الأفكار المصفاه للموضوع - كل موضوع - بطريقة تصل إلى الذهن متكاملة ، ومن أقرب طريق ، وقدمت هذه الأفكار المنظمة ملخصة فى سطور قليلة عند بدايته لتقدم للقارئ بنظرة واحدة سريعة ما هو قادم عليه من دراسة الباب كله .

٤ - عرضت الأفكار - بترتيبها فى مقدمة الباب - بأسلوب سهل مساو لا كزازة فيه ولا غموض ولا تزيد ، أسلوب مفهوم معاصر واضح لا يقف أبدًا حاجزا بين القارئ وفهم الأفكار ، فلا يضيع منه أىّ جهد فى غير الفهم نفسه .

٥ - استخدمت أمثلة حديثة « بدل زيد وعمرو » تنمى عقل الدارس وتصقل وجدانه وتزيد خبرته ، وتقربه من لغة الحياة المعاصرة وما تعبر عنه من ثقافة وتجارب ، بالإضافة إلى مهمتها الأساسية فى إفهام القواعد دون تكلف أو صنعة ، وكثيرًا ما بدأت بتلك الأمثلة بين يدى الأفكار ، لتكون وسيلة الاستقراء والاستنتاج ، للتخفيف من منهج عرض النحو المعيارىّ الجاف .

ومع ذلك التزمت - أثناء عرض الأفكار - ذكر ثروة النحو من الشواهد نثرًا وشعرًا إلا ما تهافت نصه أو أدى إلى مجادلات لا طائل وراءها ، وفى بعض الأحيان لا أقتصر على تقديم الشاهد يتيمًا ضائع المعنى ، بل أقدمه ضمن مقطوعته التى توضح معناه ، وتعطف الدارس إليه .

٦ - وضعت بعد كل قسم مجموعة من النصوص للتدريب ، اخترتها من الأدب العربي القديم نثرًا وشعرًا ، ووراء هذا الاختيار مضمونها الراقي إنسانيا واجتماعيا ، ووضعت بعد كل منها أسئلة لم أقدم حلها ، وهذه الأسئلة لتطبيق قواعد القسم الذى جاءت بعده على النص ، ليكون حلها وسيلة الفهم والمراجعة والتطبيق .

وبعد : فقد يكون الكلام السابق أهون الأشياء إذا مر عليه القارئ مرًا سريعًا وهو يتجشأ أو يتثاءب ، ولكنه - فى حقيقة الأمر - أصعب الأشياء إذا ما تصورنا أن خطاه تنقلت عبر أكثر من سبعمائة صفحة هى بحجم هذا الكتاب ، وأنه جشمنى من الجهد والإجهاد ما أهبه خالصًا لوجه الله تعالى ثم العلم .

وإنى لأدعو الله أن ينتفع به القارئ قدر ما تعبت فيه !! وأن يتحقق المرجوّ منه بقدر نبل الهدف من تأليفه ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [سورة هود الآية : ٨٨] .

القاهرة فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٧١

محمد عيد

النحو المصفى

المحتوى :

القسم الأول : تمهيد لدراسة الجملتين الاسمية والفعلية .

القسم الثاني : الجملة الاسمية .

القسم الثالث : الجملة الفعلية .

القسم الرابع : ما يتعلق بالجملتين الاسمية والفعلية .

القسم الخامس : دراسة لأبواب خاصة فى النحو .

القسم الأول

تمهيد لدراسة الجملتين الاسمية والفعلية

يشمل ذلك ما يلى :

أولا : الكلمة والكلام .

ثانيا : الإعراب والبناء .

ثالثا : النكرة والمعرفة .

الكلمة والكلام

(١) المقصود بالكلمة لدى النحاة - وإطلاقها أحيانًا على الكلام .
(٢) صور الكلمة العربية (الاسم - الفعل - الحرف) معناها - علاماتها .
(٣) المقصود بالكلام لدى النحاة - والفرق بينه وبين الكَلِم .
(٤) صور الكلام العربى وحصرها فى الجملتين الاسمية والفعلية .

• • •

معنى الكلمة :

البُشْرى - اليُسْر - السُّهولة - العذْب - بَشَّر - يَسَّر - سَهُل - عَذُب - نَعَمْ - أجَلْ - مِنْ - لَيْتَ - لَعَلَّ .

كل من الألفاظ السابقة يطلق عليها « كلمة » سواء أكانت اسما أم فعلا أم حرفًا .

لكن ينبغى قبل الفهم النظرى للمقصود بالكلمة لدى النحاة التعرف على ما يقصد بالكلمات (اللفظ - القول - المفرد) .

فاللفظ : هو النطق المشتمل على بعض الحروف سواء أكان هذا المنطوق له معنى أم لم يكن .

فالكلمات (نبيه - رائع - المقْتَجِف - التُّرَان) كلها ألفاظ ، ومن البين أن للأولين معنى ، أما الأخيرتان فلا معنى لهما .

والقول : هو النطق الدال على معنى فقط ، فالكلمتان (نبيه - رائع) قول - أما الكلمتان (المقْتجفّ - التُّرَان) فليستا من القول فى شىء .

والمفرد : يقصد به هنا ما لا يدل جزؤه على جزء معناه ، فمثلا كلمة (عَذْب) مكونة من حروف ثلاث هى (ع . ذ . ب) فلو أخذ كل منها مستقلا ما دل على شىء من العذوبة التى تفيدها الكلمة مجتمعة الحروف .

وعلى هذا : يمكن فهم التعريفين التاليين للكلمة ، وهما يمثلان تحديد الكلمة لدى معظم النحاة .

جاء فى ابن عقيل : « الكلمة هى اللفظ الموضوع لمعنى مفرد » . ا . هـ .

وجاء فى قطر الندى : « الكلمة قول مفرد » . ا.هـ .

وهذان التحديدان متساويان تمامًا ؛ لأن (اللفظ الموضوع لمعنى) تساوى تمامًا (القول) .

والمهم من ذلك كله أن الكلمة - وستتردد كثيرا فى دراستنا - تطلق على ما له الصفات التالية مجتمعة :

(أ) النطق ، فدراسة النحو كلها تقوم على النطق فعلا لا على الخط أو غيره من الأمور الدالة .

(ب) أن يكون هذا النطق دالا على معنى ، فلا علاقة لنا إذن بما لا معنى له من الهراء أو الألفاظ المشوهة .

(جـ) المفرد - كما حدد فيما سبق - فإن النطق المركب له موقف آخر سيأتى فى الحديث عن الكلام .

هذا التحديد السابق هو المعنى المشهور « للكلمة » لغة ونحوا ، لكنها قد تستخدم عن طريق المجاز البلاغى دالة على كلام كثير جملة أو عبارة أو قصيدة أو خطبة - فلنتأمل ما يلى :

• قول الله تعالى فى حديث عن الكافر : ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ [الآية ٩٩ من سورة المؤمنون] .

• قول القرآن : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [الآية ١١٩ من سورة هود] .

• ما روى عن الرسول ﷺ من قوله : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ   وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ » . (١)

---

(١) صحيح مسلم - الجزء الرابع - كتاب الشعر .

ومن البين أن حديث الرسول ﷺ قد أطلق على هذا البيت أنه « كلمة صادقة » لما تضمنته من معنى دينى حكيم خلاصته : أن الله هو الحقيقة الباقية ، وكل شىء غيره باطل ، وكل نعيم فى الحياة زائل .

والاستشهاد بالحديث كله - نثرا وشعرا - هو إطلاق (الكلمة) على بيت شعرى كامل .

• ويتردد بيننا كثيرًا قولنا : (بدأ الحفلُ وتَوالى الخطباءُ يلقون كلماتِهم) .

صور الكلمة العربية :

الإحْسَان - الجميل - الشُكر - خيرٌ - محبةٌ - جمالٌ	**أسماء**
أحسَنَ - شكَرَ - يُجَامِل - يُواسِى - اصْنَعْ المعروف	**أفعال**
مِنْ - إلَى - فى - ليت - لَمْ - هلْ	**حروف**

الكلمة العربية تأتى فى صور ثلاث : (اسم - فعل - حرف) .

جاء في قطر الندى : « الدليل على انحصار أنواع الكلمة فى هذه الثلاثة « الاستقراء » فإن علماء هذا الفنّ تتبعوا كلام العرب ، فلم يجدوا إلا ثلاثة أنواع ، ولو كان ثمّ نوع رابع لعثروا على شىء منه ا. هـ .

فالنظر فى الكلام العربى وملاحظته وتصنيفه هو ما يطلق عليه « الاستقراء » والاستقراء هو الأساس الذى أدّى إلى معرفة أن الكلمة العربية أنواع ثلاثة : اسم وفعل وحرف ، وينبغى التعرف على كل من هذه الأنواع الثلاثة تعرفا كاملا من ناحيتين :

(أ) تحديد معناه .

(ب) علاماته التى يعرف بها .

الاسم :

يقصد به : ما دلَّ على معنى فى نفسه ، وليس الزمن جزءًا منه ، مثل : (محمد - خالد - النّدى - الزرع - البهجة) .

والعلامات التى يتميز بها الاسم عن كل من الفعل والحرف خمس هى :

(١) الجر : مثل قولنا (عَلَى الباغِى تدورُ الدَّوائر) .

(٢) التنوين : مثل (قوةٌ خيرٌ من ضعفٍ ، وصراحةٌ خيرٌ من نفاق) .

(٣) النداء : مثل (يا محمـــد - يا خالد) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [الآية ١ من ســورة التحريم] وقوله : ﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ ﴾ [الآيــة ٤٨ من سورة هود] .

(٤) ال : كما جاء فى قول المتنبى :

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني   والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ(١)

(٥) الإسناد للاسم : بمعنى أن يكون الاسم متحدثًا عنه ، بأن يكون مثلا مبتدأ وله خبر يتحدث عنه به ، أو أن يكون فاعلا أو نائب فاعل ويتحدث عنه بالفعل ، كقولنا : (أخذتُ موضعى بين شَبابِ الوطنِ فنحن جميعًا مسئولون عن مستقبله) فالتاء فى (أخذتُ) اسم ، دلّ على ذلك إسناد الفعل (أخذ) إليها ، والضمير (نحن) اسم ، دل على ذلك أيضًا الإسناد إليه ، حيث أكمله الخبر (مسئولون) .

يقول ابن هشام : « وهذه العلامة هى أنفع علامات الاسم ، وبها تعرف اسمية (ما) فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ﴾ [الآية ١١ من سورة الجمعة] ، ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [الآية ٩٦ من سورة النحل] ، ألا ترى أنها قد أسند إليها « الأخيرية » فى الآية الأولى ، و « النفاد » فى الآية الثانية ، و « البقاء » فى الآية الثانية ، فلهذا حكم بأنها فيهن اسم موصول » . ا . هـ .

تلك علامات الأسماء ، وينبغى التنبه للملاحظتين الآتيتين :

الأولى : أنه ليس من اللازم أن تكون هذه العلامات أو واحدة منها موجودة فعلا فى الاسم ، بل المقصود أنه بالإمكان قبولها وإن لم توجد فيه ، بمعنى أن الاسم يمكن أن يقبلها أو واحدة منها وإن لم توجد فيه .

الثانية : لا يعنى ذكر هذه العلامات الخمس أنه لا بد لكل اسم أن يقبلها جميعًا ، ولكن يكفى أن يقبل واحدة منها فقط ، ليعلم أنه اسم ، فبعض الأسماء يقبل العلامات الخمس ، مثل كلمة (رجل) وبعضها الآخر يقبل أربعا منها مثل (محمد) فإنه لا تدخل عليه « ال » - وبعضها الآخر يقبل واحدة فقط مثل بعض (الضمائر) فإنها لا تقبل إلا الإسناد ، تقول : (ظُلِمْتُ وأنتَ شاهِدٌ) .

وخلاصة الأمر فى ذلك أنه يكفى فى تمييز الاسم مجرد قبول علامة من العلامات ، كما أنه يكفى من ذلك علامة واحدة فأكثر .

---

(١) هذا البيت لأبى الطيب المتنبى ، وليس شاهدا من شواهد النحو ، لأن المتنبى - فيما يراه النحاة - لا يستشهد بشعره ، وإنما ذكر التمثيل به فقط حيث ضم البيت سبع كلمات بها علامة الاسم (ال) وهى (الخيل - الليل - البيداء - السيف - الرمح - القرطاس - القلم) .

الفعل :

يقصد به : ما دلّ على معنى فى نفسه والزمن جزء منه ، مثل (ثَابَرَ - تَفَوَّقَ - يُثَابِرُ - يَتَفَوَّقُ - ثَابِرْ - تَفَوَّقْ) .

والفعل يأتى فى ثلاث صور هى : (الماضى - المضارع - الأمر) ولكل منها علامة تميزه .

فالماضى : علامته أحد أمرين :

(١) قبول تاء التأنيث الساكنة - وهى حرف - مثل : (من حقّ الأمّ التكريمُ والاحترامُ ، فقد حملتْ ابنَها وغَذَّتْه ومنحتْه العطفَ والرعاية) .

(٢) تاء الفاعل - وهى اسم ضمير - سواء أكانت للمتكلم أم للمخاطب تقول : (أخلصتُ إليك فرَعيتَ إخلاصى ووفيتُ لك فاحترمتَ وفائى) .

المضارع : علامته مجموع أمرين :

(١) قبول الحرف (لمْ) فى أوله ، كقول الله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الآية ٣،٤ من سورة الإخلاص] .

(٢) أن يكون مبدوءًا بحرف من أربعة : (الهمزة - النون - الياء - التاء) وهى ما يطلق عليها حروف (أَنَيْتُ) ، وتسمى أيضًا (أحرف المضارعة) وهذه الحروف يبدأ بها المضارع ، فتجىء مضمومة إذا كان عدد أحرف الماضى أربعة أحرف ، مثل : (أُجاهد - أُقْدم - نُحرِّر) وتكون مفتوحة فيما عدا ذلك مثل : (تَهدِى - يَنْصَح - يَرْتَقِى - يَنْتَصِر - يَستمع) .

والأمر : علامته مجموع أمرين :

(١) أن يدل على الطلب : بأن يكون معناه موجها للمخاطب يطالبه بفعل شىء ما ، مثل : (عامِلْ النّاسَ بما تُحِبُّ أنْ يُعاملوك به) ومثل : (استفْتِ قلبَك ولو أفتاك المُفْتُون) .

(٢) أن يقبل ياء المخاطبة : فالفعلان السابقان (عامِلْ - استفْتِ) يمكن إسنادهما إلى ياء المخاطبة ، كقول الطبيب مخاطبا إحدى الممرضات : (عامِلِى المرضى برِفْقٍ ، وخذى رأيى قبل تنفيذِ العلاج) .

الحرف :

هو ما لا يظهر معناه فى نفسه ، بل مع غيره .

فالحروف (الواو - الفاء - لا - بلْ - ليت - لعلَّ) لا يظهر معناها ولا يتضح إلا إذا انضم إليها غيرها من الأسماء والأفعال فى الجمل ، كأن نقول مثلا : (ظهر الحقّ والباطلُ فاتَّبعتُ الأوّل لا الأخيرَ) .

وعلامة الحرف التى يتميز بها عن الاسم والفعل أنه لا يقبل شيئا من علامات الأسماء ولا الأفعال ، فالحرف (بلْ) مثلا - من حروف العطف - لا يتصور معه تنوين أو جر أو غيرهما من علامات الأسماء ، كذلك لا يتصور معه تاء التأنيث أو تاء الفاعل أو « لمْ » أو ياء المخاطبة من علامات الأفعال .

• • •

هذا ... وفى نهاية هذا الموضوع ينبغى معرفة عدة أمور جانبية تتفرع على ما سبق من معرفة الأسماء والأفعال والحروف وهى :

أولا : من شعر الفرزدق يهجو أعرابيًا من « بنى عذرة » قدَّم إليه عبد الملك ابن مروان الشعراء الثلاثة « جريرًا والفرزدق والأخطل » ففضل جريرًا على صاحبيه ، قال :

يا أرْغَمَ اللهُ أنفًا أنت حامِلُه ... يا ذا الخنَى ومقال الزُّورِ والخَطَلِ
ما أنتَ بالحكَم التُّرضَى حكومَتُه ... ولا الأصيلِ ولا ذى الرّأيِ والجدلِ[1]

ففى البيت الأول دخل حرف النداء على الفعل فى (يا أرغم) وهى من علامات الأسماء - والرأى أن المنادى اسم محذوف ، والتقدير : (يا هذا أرغم الله) أو أن (يا) حرف للتنبيه لا للنداء ، ومثل ذلك أيضًا قول الله تعالى : ﴿ يَلَيْتَ

---

(١) أرغم الله أنفا : الرغام هو التراب ، ومعنى العبارة : عفر أنفه بالتراب والمقصود : الإذلال والإهانة - الخنى : الفحش - الخطل : سوء الرأى - الجدل : قوة الحجة فى المناقشة .

ومعنى البيتين : إنك ذليل مهان فاحش ، كلامك زور ورأيك فاسد ، فلست كفئا للحكم بين الناس ، فلا أنت شريف ، ولا ذو رأى سليم أو حجة مقبولة .

والشاهد فى البيتين : دخول بعض علامات الأسماء على الأفعال ، إذ دخل حرف النداء (يا) على الفعل (أرغم) ودخلت (ال) على (ترضى) .

والرد على ذلك : أن (يا) لم تدخل على الفعل ، بل دخلت على منادى محذوف وهو اسم ، أو هى للتنبيه لا للنداء ، وأما دخول (ال) على الفعل فهو - كما قال ابن هشام - ضرورة قبيحة .

قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ [الآية ٢٦ من سورة يس] ، وقول الرسول ﷺ : « يا رُبَّ كاسية فى الدُّنيا عاريةٌ يوم القيامة » . حيث دخلت (يا) فى الآية على الحرف (ليت) وفى الحديث على الحرف (رُبَّ) .

وفى البيت الثانى دخلت « ال » على الفعل فى (التُرضَى) - وهى من علامات الأسماء .

وقد علق ابن هشام على هذا البيت الثانى بقوله : « ذلك ضرورة قبيحة ، وإن استعمال مثل ذلك فى النثر خطأ بإجماع » . أ . هـ .

ثانيا : دخلت تاء التأنيث على حروف ثلاثة هى (رُبَّ - ثُمَّ - لا) فجاء فى نصوص فصيحة قولهم : (رُبَّتَ - ثُمَّتَ - لاتَ) والتاء علامة للفعل الماضى .

والرأى أن هذه التاء - كما ترى - محركة ، بخلاف ما إذا جاءت مع الفعل فإنها تكون ساكنة ، وهذه التاء - مع هذه الحروف - لا تفيد التأنيث الحقيقى ، بل هى لتأنيث اللفظ فقط . بمعنى أنها تدل على أن لفظ هذه الحروف مؤنث دون أن تفيد معنى للتأنيث بوجود شىء مؤنث .

ثالثا : الكلمات (لَيْسَ - عَسَى - نِعْمَ - بِئْسَ) أفعال ماضية - فى أحسن الآراء - إذ تقبل علامة الماضى وهى تاء التأنيث ، تقول : (ليستْ الآمالُ قريبةً ، لكن عستْ أن تتحقق) وتقول : (نعمتْ الأخلاقُ الفضائل ، وبئست الانحرافاتُ الرذائلُ) ومن ذلك قول الشاعر :

نعمتْ جزاءُ المتّقين الجنّة دار الأمانِيّ والمُنَى والمِنّة (١)

رابعا : الكلمتان (هات - تعالَ) من أفعال الأمر - فى أحسن الآراء - إذ تقبلان علامة فعل الأمر وهى الدلالة على الطلب مع قبول ياء المخاطبة ، تقول الطالبة لزميلتها : (تَعَالَى إلىّ اليومَ وهاتِى معكِ المحاضراتِ والمراجع) .

ومن ذلك قول امرئ القيس :

إذا قلتُ هاتِى نَوّلينى تمايَلَتْ علىّ هَضِيمَ الكَشْحِ ريّا المخلخل (٢)

---

(١) الأمانى : جمع أمنية - بتشديد الياء فيهما - والأمنية والمنى بمعنى واحد هو الرغبة الشديدة - المنة : العطية والهبة ، فالجنة موضع الرغبة من الناس ، وهى هبة من الله للناس .

وفى البيت دليل على أن كلمة (نعم) فعل ماضى لقبولها تاء التأنيث الساكنة فى (نعمت) .

(٢) هضيم الكشح : نحيلة الخصر - ريا المخلخل : ممتلئة الساقين . =

قال ابن هشام :

« والعامة تقول : (تعالِى) بكسر اللام – وعليه قول بعض المحْدَثين (أبو فِرَاس يخاطب حمامة) :

أيا جارتًا ما أنصفَ الدَّهرُ بيننا تعالِى أقاسِمْكِ الهمومَ تعالِى (١)

والصواب الفتح ، كما يقال : (اخْشَىْ واسعَىْ) » . أ.هـ

معنى الكلام :

لاحظ الأمثلة الآتية :

الغنى عفَّةُ النَّفس عما فى أيدى النَّاس	كلام
إذا استغنيتَ عما فى أيدى الناسِ فأنت أغْنَى الناس	كلام
إذا تطلَّعْتَ لما فى أيْدِى الناس	كلم

• • •

ينبغى أن نتذكر مرة أخرى هنا ما قلناه تمهيدًا لمعرفة « الكلمة » عن (اللفظ – القول) من أن (اللفظ) هو النطق المشتمل على بعض الحروف سواء أكان له معنى أم لم يكن – وأن (القول) هو النطق الدال على معنى فقط . فلنصطحب مفهوم هاتين الكلمتين ابتداء قبل تحديد المقصود من الكلام .

جاء فى ابن عقيل : « الكلام المصطلح عليه عند النحاة عبارة عن « اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها » . أ . هـ .

= الشاهد فى البيت : أن كلمة (هات) فعل أمر ، إذ دلت على الطلب وقبلت ياء المخاطبة ، فاستخدمها الشاعر (هاتى) .

(١) ورد هذا البيت ضمن مقطوعة شعرية لأبى فراس الحمدانى ، أولها قوله :

أقول وقد ناحت بقربى حمامة أيا جارتا لو تعلمين بحالى

وأبو فراس – فى رأىَ النحاة – لا يحتج بشعره ، وإنما جاء البيت للتمثيل به فقط .

وموضع التمثيل : أن ابن هشام يرى أن أبا فراس قد استخدم نطق العامة إذ جاء بالفعل (تعالى) مكسور اللام حين إسناده لياء المخاطبة .

والذى أراه أن أبا فراس لم يستخدم لغة العامة ، وإنما كسرت اللام فى الكلمة الأولى بتحريف الرواية ، وفى الكلمة الأخيرة من أجل القافية ، إذ أن اللام فيها مكسورة .

هذا . وقد نقل عن أهل الحجاز أنهم ينطقون اللام مكسورة فى هذا الفعل حين إسناده لياء المخاطبة .

وجاء في شذور الذهب : « الكلام : قول مفيد » . أ . هـ .

ومن البين أن هذين التعريفين متساويان تماما ، فإن (اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها) في الأول تساوى تمامًا (القول المفيد) في الثاني .

وتوضيح الأمر في ذلك : أن (الكلام) في عرف النحاة : هو ما توافرت له الصفات الآتية مجتمعة :

(أ) النطق : لأن النطق هو أساس دراسة النحو ، فلا شأن للنحو إذن بالكلام النفسي الذي يدور في خواطر الإنسان دون أن تنطقه الشفاه فعلا كما قال الأخطل :

إن الكلامَ لَفِي الفؤادِ وإنّما جُعِلَ اللِّسان على الفؤادِ دليلا (١)

فالنحو لا شأن له بكلام الفؤاد ، وإنما يوجه همَّه لما نطقه اللسان فقط .

كما أنه لا شأن للنحو بالكلام الذي يفهم من الخط وحده دون أن ينطق وهو ما يفهم من النظر بالعين دون نطق اللسان ، كقول العرب : (القلمُ أحدُ اللِّسانين) وتسميتنا ما في المصحف (كلام الله) .

كما أنه لا شأن للنحو أيضًا بالكلام الذي يفهم من الإشارة ، أي بحركات العين أو اليدين أو الرأس أو غيرهما من أجزاء الجسم ، وكذلك إضاءة علامات المرور باللون الأحمر أو الأخضر ، فكل ذلك وإن كان يشير إلى كلام يفهم منه ، كما قال عمر بن أبي ربيعة :

أشارتْ بطرْفِ العينِ خيفةَ أهلها إشارةَ محزونٍ ولم تَتَكَلَّمِ (٢)
فأيقنتُ أن الطَّرْفَ قد قال مرحبا وأهلًا وسهلًا بالحبيبِ المُتَيَّمِ

لكنه كلام غير منطوق ، ولذلك لا يدخل في الكلام الذي يعترف به النحو .

---

(١) تضمن بيت الأخطل إطلاق الكلام على ما يتصوره الإنسان في نفسه من المعاني ، وأن اللسان ترجمان النفس .

ولا شأن للنحو بكلام النفس ، وإنما شأنه بما نطق به اللسان .

(٢) تضمن البيتان إشارة بطرف العين دون نطق ، وقد فهم من هذه الإشارة - كما قال ابن أبي ربيعة - مرحبا وأهلا وسهلا .

لكن هذا الفهم من الإشارة لا يعتد به في الكلام المصطلح عليه لدى النحاة لأنه ليس نطقا .

كما أنه لا شأن للنحو بالكلام الذى تدل عليه الحال ، وفى الدلالة التى تفهم من المشهد دون نطق ، كأن تنظر إلى مستشفى فتعرف أن (هنا مرضى) أو أن تمر على الجامعة ، فتدلك على أن (حضارة الأمة تصنع هنا) وكما قال نصيب بن رباح يمدح سليمان بن عبد الملك :

فعاجُوا فأثْنَوا بالذى أنت أهلُه ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائب [1]

« فثناء الحقائب » دلالة حال ، لكنه ليس نطقا ، فهو خارج عن مصطلح النحو فى الكلام .

(ب) أن يكون لهذا المنطوق معنى يفهم منه ، فلا شأن بالهراء اللغوى الذى لا معنى له .

(جـ) أن يكون هذا المنطوق مفيدًا فائدة يحسن السكوت عليها ، وذلك أن يتم بها معنى متكامل يتكون منه ومن أمثاله الفكرة أو الموضوع الذى يريد المتكلم نقله إلى السامع .

وبهذه الصفة الأخيرة يفرق بين الكلام وما يسمى (الكَلِم) - بفتح الكاف وكسر اللام - فإن هذا الأخير يطلق على ما تكون من ثلاث كلمات فأكثر ، أفاد أم لم يفد - فلنتأمل الآتى :

- قولنا : (الصحافةُ لسانُ الأمّة) كلام - وهو فى الوقت نفسه كلم .
- قولنا : (الصحافةُ رسالةٌ) كلام - لكن ليس كلمًا ، لنقصه عن ثلاث كلمات .
- قولنا : (إذا تحررتِ الصحافة) كلم - لكنه غير كلام لأنه غير مفيد -

ولا شأن للنحو بدراسة (الكَلِم) وإنما شأنه أن يدرس (الكلام) سواء صح أن يطلق عليه أنه (كلم) أم لا .

صور الكلام :

ورد فى بعض كتب النحو تقسيم الكلام إلى (خبر - إنشاء) فالأول مثل قولنا : (صدرتْ الصحفُ اليوم وهى تحَملُ أنباء مثيرة) والثانى مثل : (هل نشرت الصحفُ الخبرَ اليوم ؟!) .

---

(١) عاجوا : انعطفوا ومالوا - أثنوا : الثناء : ذكر الخير .

والحق أن هذا التقسيم بلاغي لا شأن للنحو به ، وإنما هو من اهتمام دارسى الأدب ، أما الصور التى يتكون منها الكلام - كما فهم فيما سبق - فإنها تنحصر فى أمرين :

الجملة الاسمية : وهى ما تكونت من اسمين أسند أحدهما للآخر لإفادة المعنى ، مثل : (العلمُ حضارةٌ ، والجهلُ تَخلّفٌ) .

الجملة الفعلية : وهى ما تكونت من فعل واسم بحيث يتم بهما المعنى مثل : (يصنعُ العلماءُ حضارة الأمة ويُعَوّقُ الجُهّالُ تقدمها) .

هذا ، ويتفرع على هذين الركنين الأساسيين للكلام صور كثيرة بدخول الحروف معهما ، وكذلك فى اختلاف الأسماء بين الجامدة والمشتقة ، وأيضًا فى اختلاف صور الأفعال بين الماضى والمضارع والأمر ، وأيضًا فى - وجود الفضلات - كالمفعول به وأمثاله - مع هذه الجمل ، وأيضا دخول حروف الشرط - الجازمة وغير الجازمة - عليهما .

ومن أجل ذلك كله يمكن أن يتصور أن صور الكلام الذى تنطق به العربية لا يكاد يحيط به الحصر ، وإن كان الأمر كله يرجع إلى الجملتين الاسمية والفعلية .

وخلاصة هذا الموضوع كله ونتيجته تتلخصان فى الآتى :

(أ) وحدة الجملة العربية هى « الكلمة » بمفهومها السابق تحديده .

(ب) وحدة اللغة العربية هى « الكلام » بمفهومه السابق تحديده أو بعبارة أقرب : الجملتان الاسمية والفعلية .

(جـ) موضوع دراسة النحو العربى هو الجملتان الاسمية والفعلية وما يتعلق بكلتا الجملتين .

• • •

الإعراب والبناء
أولا : الإعراب

تمهيد :

يحدّد معنى الإعراب عبارة واحدة هى (أثر ظاهر أو مقدّر يجلبه العامل فى آخر الكلمة) أ . هـ قطر الندى .

يقول شوقى :

وللحرّيّةِ الحمراءِ بابٌ   بكلِّ يدٍ مضرّجةٍ يُدقُّ

فكلمات هذا البيت جميعًا (الحرّية - الحمراء - كل - يد - مضرجة - يُدق) معربة ، والإعراب فى آخر الكلمات (الحرّية - الحمراءِ - كلِّ يدٍ - مضرجةٍ) - كما وردت فى البيت - هو الكسرة التى هى شكل آخرها ، أما الإعراب فى آخر الكلمتين (بابٌ - يُدقُّ) - كما وردتا فى البيت أيضًا - فهو الضّمة ، والأولى اسم ، والثانية فعل مضارع .

وينبغى قبل دراسة ما يتعلق بهذا الباب عرض التعليقات الآتية حول التعريف السابق :

أولا : أن الإعراب يقصد به شكل أواخر الكلمات فقط ، فهو فى قول « شوقى » السابق ضمة الباء فى (بابٌ) وضمة القاف فى (يدقُّ) وكسر التاء فى كلمة (الحرّيةِ) والهمزة فى (الحمراءِ) واللام فى (كلٍّ) والدال فى (يدٍ) والتاء فى (مضرّجةٍ) . أما بقية حروف الكلمة - غير الآخر - مما يطلق عليه علميًا اسم (بقية الكلمة) فلا شأن للنحو بالبحث فيه ، وإنما هو من اختصاص علم آخر هو (علم الصرف) .

ثانيا : الإعراب لا يتحقق إلا فى جملة كاملة ، فشكل أواخر الكلمات - الإعراب - لا يتحدد إلا بدخولها ضمن (الكلام) كما سبق تحديده - فالكلمات المفردة وحدها لا يعرف إن كانت معربة أو مبنية إلا بتصور دخولها فى جملة

مفيدة ، وحينئذ تأخذ وظيفة نحوية (مبتدأ - خبر - فاعل - مفعول .. إلخ) فيظهر عليها الشكل الذى هو الإعراب معبّرا عن هذه الوظيفة .

وهذا يفسر لنا جانبا من اهتمام النحو بدراسة كيفية تأليف الجملة العربية اسمية أم فعلية .

ثالثًا : يترتب على الأمر السابق مباشرة أن نعرف أن الكلمة المعربة هى الكلمة التى تدخل جملا مختلفة ، وحين تتغير وظيفتها النحوية من جملة لأخرى يتغير شكل آخرها أيضًا ، ومثال ذلك كلمة (الحرية) فهى كلمة معربة يدل على ذلك وضعها فى الجمل الثلاث الآتية :

الحريّةُ أثمنُ شيءٍ فى الحياة .

تعشقُ النفوسُ العاليةُ الحريّةَ وتموتُ من أجلها راضيةً .

فَقْدُ الحريةِ يُساوى فُقدَانَ الحياةِ .

فالكلمة فى الجملة الأولى مبتدأ ، وهى مُشَكَّلَةٌ بالضمة ، وحين تغيرت وظيفتها فى الجملة الثانية فصارت « مفعولا به » شكلت بالفتحة ، وحين تغيرت وظيفتها فى الجملة الثالثة فصارت « مضافة إليه » شكلت بالكسرة ، هذه الكلمة (الحرية) معربة بتغير وظيفتها فى الجمل المختلفة .

رابعًا : إن الإعراب - فيما يرى النحاة - أثر لعامل يجلبه فى آخر الكلمة من فعل أو غيره ، والحق أن العامل موضوع ذهنى شائك لا داعى مطلقا للإكثار فيه ، وينبغى الاقتصار على القدر الضرورى منه وفى أضيق الحدود ، ويجب الانصراف عما دار حوله من مناقشات مجهدة لا طائل وراءها .

خامسا : الدراسة للإعراب تتكون من جوانب ثلاثة هى :
(١) ألقاب الإعراب وتوزيعها بين المعرب من الأسماء والأفعال .
(٢) الإعراب الأصلى والفرعى .
(٣) الإعراب الظاهر والمقدر .

وسنتناول كل واحد من هذه الثلاثة بالشرح المفصل .

أنواع الإعراب

لاحظ الأمثلة الآتية :

يستفيد الذكيُّ من أخطائه يُكرِّرُ الغبيُّ الأخطاء نفسَها	رفع	للاسمين (الذكى - الغبى) وللفعلين المضارعين (يستفيد - يكرر)
وإن الحياةَ لن تُخيِّبَ الأذكياء ولكنّ الفرصة لن تنتظرَ الأغبياء	نصب	للاسمين (الحياة - الفرصة) وللفعلين المضارعين (تخيب - تنتظر)
فليس من العيبِ أنْ تخطئَ لكن إن تخطئْ فاستفدْ من خطئك	جر جزم	للاسم (العيب) للفعل المضارع (تخطئ)

• • •

أنواع الإعراب أربعة هى :

(١) **الرفع** : ويوصف به الاسم المعرب والفعل المضارع المعرب ، وذلك إذا أخذ كل منهما فى الجملة وظيفة نحوية من وظائف الرفع كالمبتدأ أو الخبر أو الفاعل أو اسم كان للاسم - وكذلك تجرد الفعل من الناصب والجازم ، تقول : (يعرفُ العقلاءُ وهم صامتون ويتحدثُ الحمقى وهم جاهلون) .

(٢) **النصب** : ويوصف به أيضًا الاسم المعرب والفعل المضارع المعرب وذلك أيضًا إذا أخذ كل منهما فى الجملة وظائف النصب كالمفعول به أو الظرف أو الحال بالنسبة للاسم - وكذلك إذا وقع الفعل المضارع بعد أداة من أدوات النصب ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ ﴾ [الآية ١١٥ من سورة التوبة] فكلمة (يُضلَّ) فعل مضارع منصوب بعد لام الجحود ، وكلمة (قوما) اسم منصوب مفعول به ، وكلمة (بعد) اسم منصوب ظرف مكان .

(٣) **الجر** : ويوصف به الاسم المعرب فقط ، فالجر من خصائص الأسماء وإنما يكون الاسم مجرورا إذ جاء فى جملته فى إحدى وظائف الجر ، وذلك بعد حرف من حروف الجر ، أو وقع « مضافا إليه » بعد اسم آخر ، كقول الرسول ﷺ : « مِنْ حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعنيه » . فكلمة (حُسْن) مجرورة

بالحرف (من) وكلمة (إسلام) مجرورة (مضاف إليه) لكلمة (حُسن) وكلمة (المرء) مجرورة أيضا (مضاف إليه) لكلمة (إسلام) .

(٤) الجزم : ويوصف به الفعل المضارع المعرب فقط ، إذا جاء فى موضع للجزم بعد حروفه أو بعد أدوات الشرط التى تجزمه ، كقول الله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [1] [الآية ٣ من سورة الإخلاص] .

والخلاصة : أن ألقاب الإعراب أربعة : رفع ونصب ويوصف بهما الاسم المعرب والفعل المضارع المعرب ، وجر ويكون فى الاسم المعرب فقط ، وجزم ويكون فى الفعل المضارع المعرب فقط .

• • •

---

(١) **إعراب الآية** : « لم يلد » لم : حرف نفى وجزم وقلب - يلد : فعل مضارع مجزوم بالحرف « لم » وعلامة جزمه السكون ، والفاعل ضمير مستتر تقديره « هو » يعود على « الله » السابق ذكره فى السورة « ولم يولد » الواو : حرف عطف . « لم » حرف نفى وجزم وقلب - « يولد » : فعل مضارع مجزوم بالحرف « لم » وعلامة جزمه السكون ، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره « هو » يعود على « الله » ، والجملة « لم يولد » معطوفة على جملة « لم يلد » بالواو . « ولم يكن له كفوا أحد » الواو حرف عطف « لم » حرف نفى وجزم وقلب - « يكن » فعل مضارع ناسخ يرفع المبتدأ وينصب الخبر مجزوم بالحرف « لم » وعلامة جزمه السكون « له » جار ومجرور متعلق بكلمة « كفوًا » الآتى بعده « كفوًا » خبر « يكن » مقدم منصوب بالفتحة « أحد » اسم « يكن » مؤخر مرفوع بالضمة ، وجملة « لم يكن له كفوا أحد » معطوفة بالواو على الجملة السابقة عليها .

الإعراب الأصلى والفرعى

كان الرسولُ عظيمًا فى رِضاهُ وغضبه .
يتسامحُ فى أذاه ، لكن من أخلاقِهِ أن يغضبَ لمحارمِ الله .
ولم يؤثرْ غيرُ ذلك من حياتِه الشّريفة .
فسلوكُه قدوةٌ للمهتدين يستمدون منه الهُدَى .

سبق أن الإعراب هو الشكل الذى يكون فى آخر الكلمات المعربة من الأسماء والأفعال ، إذ تأتى فى مواضع الإعراب الأربعة : الرفع والنصب والجر والجزم .

هذا الشكل يكون أصليًا كما يكون فرعيًا ، وكل من الأصلى والفرعى - فيما أرى - مجرد مصطلحين دراسيين فى النحو لحصر الشكل الذى يرد فى آخر الكلمات المعربة دون أن يعنى ما يتبادر إلى الذهن من هذه التسمية ، فلم يكن أحدهما أصلا للآخر فى استعمال اللغة على الإطلاق .

فالإعراب الأصلى مظاهره أربعة هى :

(١) **الضمة للرفع** - فى الأسماء والأفعال - كما هو واضح فى الأمثلة السابقة فى الكلمات (الرسول - يتسامح - غير - سلوك - قدوة) .

(٢) **الفتحة للنصب** - فى الأسماء والأفعال - كما هو واضح فى الأمثلة السابقة فى الكلمات (عظيما - يغضب - الهدَى) والكلمة الأخيرة منصوبة بفتحة مقدرة على آخرها كما سيأتى شرح الإعراب المقدر فيما بعد .

(٣) **الكسرة للجر** - فى الأسماء فقط - كما وردت فى الأمثلة فى الكلمات (رِضَى - غضَب - أخلاق - محارم - الله - حياة - الشريفة) والكلمة الأولى مجرورة بكسرة مقدرة .

(٤) **السكون للجزم** - فى الأفعال فقط - كما هو واضح فى الأمثلة فى جزم الفعل (يؤثر) بعد الحرف (لم) .

وخلاصة الأمر : أن علامات الإعراب الأصيلة هى : الضمة للرفع ، والفتحة للنصب ، والكسرة للجر ، والسكون للجزم !

الإعراب الفرعي : يقصد به ما لم يكن واحدا من الأربعة السابقة فهو ما جاء شكلا فى آخر الكلمات المعربة فى حالة الرفع غير الضمة ، وفى حالة النصب غير الفتحة ، وفى حالة الجر غير الكسرة ، وفى حالة الجزم غير السكون ، فكلمة (المهتدين) - فى الأمثلة السابقة - مجرورة بالياء لا بالكسرة ، أو بعبارة أخرى مجرورة بالياء نيابة عن الكسرة ، وكلمة (يستمدون) فى الأمثلة - مرفوعة بثبوت النون ، أو بعبارة أخرى مرفوعة بثبوت النون نيابة عن الضمة ، وهكذا .

هذا ، والأبواب التى يأتى فيها الإعراب الفرعى سبعة ، إجمالها فى الجدول الآتى :

اسم الباب	كيفية إعرابه ، والتمثيل له
(١) الأسماء الستة	ترفع بالواو : من كلام الرسول ﷺ : « المسلمُ **أخو المسلم** لا يظلمُه ولا يحقِرُه » .
	تنصب بالألف : من كلام الرسول ﷺ : « انصُرْ **أخاك** ظالما أو مظلوما » .
	تجر بالياء : من كلام الرسول ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب **لأخيه** ما يحبُّ لنفسه » .
(٢) ما لا ينصرف	يرفع بالضمة : كانت **فاطمةُ** بنت الرسول ﷺ « أحبَّ الناس إليه » .
	ينصب بالفتحة : « وظل يذكر **خديجة** بعد وفاتها وفاء وحبًّا » .
	يجر بالفتحة : « وذكر **لعائشة** من الأحاديث ما لم يروه عنه غيرها » .
(٣) المثنى	يرفع بالألف : يتنازع العالمَ الآن **قوتان هائلتان**.
	ينصب بالياء : ومن حسن حظ الإنسانية أن تبقيا **متعادلتين** .
	يجر بالياء : فذلك ضمان لمنع الحرب بعد مأساة **الحربين الماضيتين** .

(٤) جمع المذكر السالم	يرفع بالواو : لا يستوى فى الحياة **العاملون** **والعاطلون** . ينصب بالياء : فإن **العاملين** يمنحون الأمة الخير والازدهار . يجر بالياء : ولكن مظهرَ **العاطلين** فى الأمةِ ذلّ وعارٌ .
(٥) جمع المؤنث السالم « ما جمع بألف وتاء »	يرفع بالضمة : من كلام الرسول ﷺ : « الظلمُ **ظلماتٌ** يوم القيامة » . ينصب بالكسرة : من كلام الرسول ﷺ : « لعن الله **المتشبهاتِ** من النساء بالرجال » . يجر بالكسرة : جاء فى الحديث : نهى رسول الله ﷺ عن الجلوس فى **الطرقاتِ** .
(٦) الأفعال الخمسة	ترفع بثبوت النون : المنافقون **يقولون** ما لا **يفعلون** . تنصب بحذف النون : قال الله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . تجزم بحذف النون : من توجيهات الإسلامِ للمسلمين : **لا تكذِبُوا** ولا تُنافقوا .
(٧) المضارع المعتل الآخر « بالألف أو الياء أو الواو »	يرفع بالضمة المقدرة : **يسمو** كبيرُ النفسِ فوق المظاهرِ الخادعة . ينصب بفتحة مقدرة على الألف فقط وتظهر على الواو والياء : ولن **يغرّيه** بريقها عن جوهرها . يجزم بحذف حرف العلة : فلا تعدُ وراء الزائفِ وتنسَ الأصيل .

هذه هى الأبواب السبعة إجمالا ، وإليك الحديث عن كل واحد منها تفصيلا .

الأسماء الستة

(١) الأسماء الستة وإعرابها .

(٢) عددها - خمسة أو ستة - من استعمال العرب لها .

(٣) الصفات العامة لإعرابها بالحروف .

(٤) الصفات الخاصة بكل من الكلمتين « ذو - فم » .

* * *

الأسماء الستة وإعرابها :

هذه الأسماء هي : « أب - أخ - حم - فم - ذو - هن » ، ويقصد بكلمة « حم » كما جاء فى قطر الندى : « أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وابن عمه ، على أنه ربما أطلق على أقارب الزوجة » . أ . هـ .

وعلى هذا فالأكثر فى اللغة أن يقال : « حموها » والقليل في اللغة أن يقال : « حموه » وأما كلمة « هن » فهى كناية عما يستقبح ذكره ، أو هى كناية عن العورة فى الرجل والمرأة .

هذه الأسماء السابقة ترفع بالواو نيابة عن الضمة ، وتنصب بالألف نيابة عن الفتحة ، وتجر بالياء نيابة عن الكسرة ، نقول : (أخوك رِحمُكَ وقوتُك فهو جديرٌ بعطفِك ونُصرتك) وتقول : (فقد الرّسول أباه وهو فى بطن أُمّه فاستقبل الحياة يتيما) وتقول : (لا تسخرْ مِنْ ذى الحاجة فربُما احتجْت يوما مثلَه) . فكلمة « أخوك » فى المثال الأول مبتدأ مرفوع بالواو ، وكلمة « أباك » فى المثال الثانى مفعول به منصوب بالألف ، وكلمة « ذى الحاجة » فى المثال الثالث مجرورة بحرف الجر « مِنْ » وعلامة الجر الياء .

عددها من استعمال العرب لها :

يصف بعض المعربين هذه الأسماء بأنها « ستة » ويصفها آخرون بأنها « خمسة » ، وكلا الفريقين مصيب فى وصفه ، فما حقيقة الأمر فى هذا الموضوع وما أساسه العلمى ؟

ينبغي أن يعلم - باختصار شديد - أن العرب الفصحاء الذين اعتمد عليهم النحاة فى وضع القواعد لم يكونوا قبيلة واحدة متحدة النطق دائما وإنما كانوا مجموعة من القبائل المختلفة النطق أحيانا فى المسلك اللغوى الواحد - مما يترتب عليه فى دراسة النحو وجود آراء مختلفة - حول المسألة الواحدة - وكل رأى يعتمد على نطق عربى فصيح لإحدى القبائل الموثّقة .

وخير مثال للفكرة السابقة هذه الأسماء التى معنا ، فقد ورد فيها عن العرب الفصحاء الاستعمالات الثلاثة الآتية :

الأول : الاستعمال المشهور « لغة التّمام » :

وهو إعرابها بالحروف ، حيث تستعمل فى حالة الرفع بالواو ، وفى حالة النصب بالألف ، وفى حالة الجر بالياء ، وإنما سميت « لغة التمام » لأن كلمة (أب) على حرفين فقط ، والأسماء المعربة فى اللغة تبدأ بثلاثة أحرف ، فإذا انضم إلي هذين الحرفين الواو أو الألف أو الياء فى الإعراب فقد تمت الكلمة وكملت بهذه الحروف ، ويستعمل هذا الاستعمال ستة أسماء هى التى سبقت معرفتها فى أول هذا الموضوع .

الثانى : لغة القصْر :

ويكون بإلزامها الألف دائما رفعًا ونصبًا وجرًا ، فهى اسم مقصور تقدر عليه الحركات الثلاث - كما سيعلم فى إعراب المقصور - مثلها فى ذلك مثل الكلمات (هُدًى - مصطفًى - مَرْمًى) ومن ذلك قول الراجز مما هو منسوب لرؤبة ابن العجاج :

إن أبـاهـا وأبـا أبـاهـا   قد بلغا فى المجد غايتاها [١]

ومن أمثال العرب : (مُكْره أخاك لا بطل) . [٢]

---

(١) الشاهد فى هذا البيت فى الشطر الأول (إن أباها وأبا أباها) بتكرار كلمة (أبا) ثلاث مرات ملتزمة الألف ، وهى أولا فى وظيفة النصب ، لأنها اسم (إن) ، والثانية فى وظيفة نصب أيضا ، لأنها معطوفة عليها ، والثالثة فى وظيفة الجر ، لأنها مضاف إليه ، وقد التزمت جميعا الألف ، وهذه لغة بعض العرب فى استعمال بعض الأسماء الستة .

(٢) مثل يضرب لمن يقوم بعمل عظيم حتمت عليه الظروف القيام به دون بطولة حقيقية .

ويستدل به على إلزام بعض الأسماء الستة الألف ، فكلمة (أخاك) فى المثل فى وظيفة الرفع إذ هى مبتدأ ، ومع ذلك ألتزمت الألف .

=

والذى يستعمل هذا الاستعمال كلمات ثلاث هى (أب - أخ - حم) .

الثالث : لغة النقص :

ويكون باستعمالها على حرفين فقط . فهى ناقصة عن ثلاثة أحرف ، وهذا أقل عدد للكلمات العربية المعربة - وحينئذ تعرب بالعلامات الأصلية ، فتشكل بالضمة رفعا والفتحة نصبا والكسرة جرا ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ [الآية ٧٨ من سورة يوسف] وقول الرسول ﷺ : « من تعزى بعزاء الجاهلية فأعِضّوه بِهَنِ أبيه ولا تكنوا » . (١) وقول رؤبة يمدح عدىّ بن حاتم الطائى :

بأَبِه اقتدى عَدِىّ فى الكَرَمْ ومن يُشَابِهْ أَبَهُ فما ظلم (٢)

والذى يستعمل هذا الاستعمال أربع كلمات هى (أب - أخ - حم - هن) فما علاقة ذلك كله بعدد هذه الأسماء وكونها خمسة أو ستة ؟

إن بعض النحاة يرى أن كلمة (هن) لم يستعملها العرب الاستعمال الأول (التمام) ولا الاستعمال الثانى (القصر) ولم تستعمل إلا الاستعمال الأخير فقط (لغة

= إعراب المثل : مكره : خبر مقدم مرفوع بالضمة - أخاك : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذر ، و(أخا) مضاف والكاف مضاف إليه - لا بطل : لا : حرف عطف - « بطل » معطوف على « مكره » والمعطوف على المرفوع مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

(١) جاء فى حاشية الصبان (ج ١ ص ٦٩) نسبة الحديث إلى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ، وقد ورد فى الجامع الصغير للسيوطى بلفظ : « إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ..» . وكلتا الروايتين دليل لما نحن فيه .

(٢) الشاهد فى البيت مجىء كلمة (أب) ناقصة عن ثلاثة أحرف ، فتعرب بالحركات الأصلية ، وهى فى الشطر الأول من البيت مجرورة فى (بأبه) وعلامة جرها الكسرة على الباء ، وفى الشطر الثانى فى (يشابه أبه) مفعول به منصوب بالفتحة على الباء .

إعراب البيت « بأبه » الباء حرف الجر - أب : مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة و« أب » مضاف وضمير الغائب مضاف إليه مبنى على الكسر فى محل جر ، والجار والمجرور متعلق بالفعل « اقتدى » . اقتدى : فعل ماض مبنى على الفتح المقدر على الألف للتعذر - عدى : فاعل مرفوع بالضمة - فى الكرم : جار ومجرور متعلق بالفعل « اقتدى » - من : أداة شرط جازمة تجزم فعلين ، وهما فعل الشرط والجواب - يشابه : فعل مضارع فعل الشرط مجزوم بالسكون ، والفاعل ضمير مستتر « أبه » أب : مفعول به منصوب بالفتحة ، وضمير الغائب مضاف إليه مبنى على الضم فى محل جر ، « فما ظلم » : الفاء واقعة فى جواب الشرط - ما : حرف نفى - ظلم : فعل ماضى مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب والفاعل ضمير مستتر ، والجملة فى محل جزم جواب الشرط .

النقص) ورتب على ذلك أن الأسماء التى تعرب بالحروف خمسة لا ستة .

وهناك رأى مقابل لهذا الرأى ، وهو أن العرب الفصحاء استعملوا كلمة (هن) على لغة (التّمام) وسمع عنهم مثل (هَنُوكَ ممَّا يَعِيبُك) وقولهم أيضًا (استُرْ هَنَا أهْلِك) فهو أيضًا يعرب بالحروف ، فالأسماء التى تعرب بالحروف إذن ستة لا خمسة .

جاء فى ابن عقيل : « وأما (هن) فالفصيح فيه أن يعرب بالحركات الظاهرة على النون ولا يكون فى آخره حرف علة ، والإتمام جائز ، لكنه قليل جدًا وأنكر الفراء جواز إتمامه ، وهو محجوج بحكاية سيبويه الإتمام عن العرب ، ومن حفظ حجّةٌ على من لم يحفظ » . أ . هـ .

الصفات العامة لإعرابها بالحروف :

المقصود بأنها « عامة » أنه يجب أن تتوافر فى كل هذه الأسماء السابقة فليست خاصة باسم منها دون الآخر .

وهذه الصفات تلخصها عبارة واحدة هى : (أن تكون هذه الأسماء مفردة مكبرة مضافة لغير ياء المتكلّم) .

وهذه العبارة المجملة تحمل الصفات الآتية تفصيلا :

(أ) أن تكون هذه الأسماء مفردة لا مثناة ولا مجموعة .
(ب) أن تكون هذه الأسماء مكبرة لا مصغرة ، مثل (أُبَىّ - أُخَىّ) .
(جـ) أن تكون مضافة لاسم ظاهر مثل (أبو العباس) أو لضمير مثل (أخوك) .
(د) أن تكون مضافة لغير ياء المتكلم .

هذه الصفات الأربع يجب توافرها مجتمعة فى الأسماء الستة لتعرب بالواو رفعًا وبالألف نصبًا وبالياء جرا .

• قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الآية ٨ من سورة يوسف] .

• وجاء فى الحديث (ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلا [١]) .

---

(١) من حديث فى صحيح البخارى الجزء الخامس - باب فضائل أصحاب النبى ﷺ .

فالكلمات (أخوه - أبينا - أبانا) فى الآية معربة بالحروف وهى مستوفاة للشروط الأربعة السابقة ، والأولى مرفوعة بالواو ، والثانية مجرورة بالياء ، والثالثة منصوبة بالألف ، وكلمة (أبا بكر) فى الحديث معربة أيضًا بالحروف ، لاستيفائها الشروط ، وهى منصوبة بالألف « مفعول به » للفعل (اتخذ) .

فإذا لم تتوافر إحدى هذه الصفات أو أكثر ، فإن الاسم لا يعرب إعراب الأسماء الستة ، بل يكون له إعراب آخر على حسب نسبته إلى باب غير هذا الباب مما لا داعى هنا لتفصيل القول فيه .

الصفات الخاصة بالكلمتين (ذو - فم) :

المقصود بأنها « خاصة » أنها يجب أن تتوافر فى هاتينّ الكلمتين فقط بالإضافة إلى الشروط السابقة .

• ذو :

تقول : (ذو الفضل - ذو العلم - ذو الخلق - ذو ثروة - ذو نجابة - ذو إحساس) ففى هذه الأمثلة وأشباهها تعرب (ذو) بالحروف - بالواو رفعًا وبالألف نصبًا وبالياء جرًا - لاستيفائها الصفات العامة السابقة بالإضافة إلى الصفتين الخاصتين التاليتين :

(أ) أن تكون بمعنى صاحب ، يعنى إذا قلت (ذو خلق) فهو بمعنى (صاحب خلق) وإذا قلت (ذو ثروة) فهو بمعنى (صاحب ثروة) .

(ب) أن تكون مضافة لاسم ظاهر فقط ، لا لضمير ، فإن إضافتها لضمير لا يكاد يستعمل فى اللغة ، قال المتنبى :

[illegible]

---

(١) العقل فهم وتقدير وإحساس ، والجهل غباء وترك وبلادة ، وصاحب العقل يشقى بتقديره وإحساسه وإن كان فى النعيم ، وصاحب الجهل يسعد بغبائه وبلادته وإن كان فى الشقاء - وهذا البيت للمتنبى ، وقد سيق للتمثيل به لا الاستشهاد ؛ فإن المتنى - فى رأى النحاة - لا يستشهد بشعره .

وموضع التمثيل به : استعمال كلمة (ذو) مضافة للاسم الظاهر فى قول الشاعر « ذو العقل » وهى بمعنى « صاحب » وقد استوفت الشرطين الخاصين بها فأعربت بالحروف ، فهى فى البيت مبتدأ مرفوع بالواو .

وقال زهير :

ومَن يَكُ ذَا فَضْلٍ فيبخلْ بفضله ... على قومِهِ يُستَغْنَ عنه ويُذْممِ (١)

● فم :

تقول : (فُو المنافِقُ يُخرِجُ الكذب ، فيمِنْ فِيهِ تَخرُجُ نَارُ الضغائن) . وتقول : (أغلِق فاك عن الكلام الضَّار) . فهى فى (فو المنافق) مبتدأ مرفوع بالواو ، ثم استعملت فى (من فِيه) مجرور بالحرف « من » بالياء ، أما فى (أغلق فاك) فهى مفعول به منصوب بالألف ، ولكى تعرب هذا الإعراب يجب أن تتجرد من الميم - فكلمة « فم » لا تعرب بالحروف بل بالحركات الأصلية - وهذا بالإضافة إلى الصفات العامة التى سبق شرحها .

قال عمر بن أبى ربيعة :

قالتْ ورأسِ أبى ونعمةِ والدى ... لأُنَبِّهَنْ الحىَّ إن لم تَخرجِ
فخرجْتُ خوف يمينها فتبسّمتْ ... فعلمتُ أن يمينها لم تحرج

(١) استعمل الشاعر : « ذو » من الأسماء الستة فى « ذا فضل » حيث استوفت شرطى إعرابها بالحروف ، وهى فى البيت خبر « يكن » منصوبة بالألف .

إعراب البيت :

من : أداة شرط جازمة تجزم فعلين ، فعل الشرط والجواب - يك : فعل مضارع ناسخ يرفع المبتدأ وينصب الخبر . فعل الشرط ، مجزوم بسكون النون المحذوفة للتخفيف ، وأصله « يكن » واسمه ضمير مستتر - « ذا فضل » ذا خبر « يك » منصوب بالألف ، لأنه من الأسماء الستة - فضل : مضاف إليه مجرور بالكسرة - « فيبخل » الفاء : حرف عطف - يبخل : فعل مضارع معطوف على « يك » مجزوم بالسكون ، والفاعل ضمير مستتر تقديره « هو » - « بفضله » : الباء . حرف جر - فضله : مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة ، وفضل مضاف وضمير الغائب مضاف إليه مبنى على الكسر فى محل جر ، والجار والمجرور متعلق بالفعل « يبخل » « على قومه » على : حرف جر - « قومه » قوم : مجرور بالحرف « على » ، قوم مضاف وضمير الغائب مضاف إليه ، والجار والمجرور متعلق بالفعل « يبخل » - يستغن : فعل مضارع جواب الشرط مجزوم ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة - عنه : جار ومجرور نائب فاعل الفعل « يستغن » - « ويذمم » - الواو : حرف عطف - يذمم : معطوف على الفعل « يستغن » مجزوم بالسكون وحرك بالكسر من أجل القافية ، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره « هو » .

فلثمتُ فاها آخِذًا بقُرونها   فعلَ النزيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحشرجِ [١]

* * *

(١) لم تحرج : لم تأثم ، بمعنى أنها بمين غير صادقة - النزيف : من عطش عطشًا شديدًا حتى يبست عروقه - الحشرج : النقرة فى الجبل يصفو فيها الماء ، القرون : خصل الشعر .

ويدل البيت الأخير على إعراب « فو » بالحروف ، وذلك فى جملة (لثمت فاها) حيث خلت الكلمة من الميم ، واستوفت الشروط العامة الأخرى ، وهى فى البيت « مفعول به » منصوب بالألف .

الاسم الذى لا ينصرف

١ - العلاقة بين ما ينصرف وما لا ينصرف .

٢ - عرض عام لصفات منع الصرف .

٣ - يتفرع على هذا الباب المسائل الآتية :

(أ) عودة الممنوع من الصرف للإعراب الأصلى .
(ب) صرف الممنوع من الصرف عند الحاجة .
(جـ) منع صرف الأسماء المنصرفة عند الحاجة .

• • •

العلاقة بين المنصرف وغير المنصرف :

لاحظ المجموعتين الآتيتين من الجمل :

الاستشهادُ فى سبيل المبدأ رجولةٌ وشرفٌ	(رجولةٌ - شرفٌ) منونتان مرفوعتان بالضمة
ويعيش الأحرارُ حياتهم رجولةً وشرفاً	(رجولةً - شرفاً) منونتان منصوبتان بالفتحة
ويسقطون - حين موتهم - على رجولةٍ وشرفٍ	(رجولةٍ - شرفٍ) منونتان مجرورتان بالكسرة

يقول الرسول ﷺ : « الساكتُ عن الحق شيطان أخرسُ »	(أخرسُ) غير منون - مرفوع بالضمة
ونقول : من تكلم فيما لا يعنيه كان إنسانًا أحمقَ	(أحمقَ) غير منون - منصوب بالفتحة
والعاقل من لا يرثر بحديث أحمقَ	(أحمقَ) غير منون مجرور بالفتحة

ينبغى أولا أن يفهم المقصود من الكلمتين (منصرف - غير منصرف) فإن المنصرف هو الاسم المنون تنوين التمكن مثل (رجولة - شرف - قوة - عزة -

أمين - عادِل) . وأما غير المنصرف فهو الاسم غير المنون - لأسباب سيأتى شرحها - مثل (أخرس - أحمق - معاوية - يزيد - أحمد - عمر - عثمان - ظمآن - ريَّان) والتنوين يقصد به علميا - نون ساكنة تلحق آخر الاسم لفظًا لا خطًّا ، بمعنى أنها تنطق ولا تكتب .

إذا علم ذلك ، فما هى العلاقة بين الاسم المنصرف والاسم الممنوع من الصرف ؟ أو بعبارة أخرى : ما هى وجوه الموازنة بين الاثنين ؟ - إن ذلك يتلخص فى الآتى :

أولا : يتفق المنصرف وغير المنصرف فى شيئين :

(١) أن كلا منهما يرفع بالضمة ، تقول : (كان إبراهيمُ خليل الله ، وكان محمدٌ خاتَم الأنبياء) .

(٢) أن كلا منهما ينصب بالفتحة ، تقول : (بعث الله إبراهيمَ ومحمدًا لهداية الناس) .

ثانيا : يفترق المنصرف وغير المنصرف فى شيئين :

(١) أن المنصرف منون ، وغير المنصرف لا ينون ، مثل (محمد) و (إبراهيم) .

(٢) أن المنصرف يجر بالكسرة على الأصل ، وغير المنصرف يجر بالفتحة على خلاف الأصل ، تقول : (يرجع نَسَبُ محمدٍ إلى إبراهيمَ عليهما السلام) .

صفات ما يمنع الصرف :

تتدرج هذه الصفات - بصورة عامة - تحت صنفين رئيسين :

الصنف الأول : ما يمنع من الصرف لوجود صفة واحدة فيه .

الصنف الثانى : ما يمنع من الصرف لوجود صفتين فيه .

وكل من هذين الصنفين فى حاجة إلى بيانه تفصيلا .

الصنف الأول : ما يمنع من الصرف لصفة واحدة :

ورد ذلك فى اللغة - فى نوعين من الأسماء :

(١) صيغة منتهى الجموع :

لاحظ الأمثلة :

• مدائن - منائر - ستائر - قواعد - معالم - مساجد - نوادر - دعائم - كتائب - خنادق - بنادق - صواعق - مراوح .

• مصابيح - عصافير - أغاريد - أهازيج - تماثيل - أقاصيص - أكاذيب - مزاريق - مفاتيح .

يقصد بهذا الجمع علميا : كل جمع بعد الألف الدالة على الجمع فيه حرفان أو ثلاثة أحرف أوسطها ساكن ، والأول مثل (بنادق) والثانى مثل (عصافير) وإنما سمى هذا الجمع بهذه التسمية لسببين :

أولهما : أنه لا يمكن جمعه بعد ذلك ، بخلاف (رجال) مثلا فإنه يمكن جمعه فيقال : (رجالات) فهذا النوع من الجموع نهاية الجمع ولا جمع بعده .

وثانيهما : أنه جمع يأتى على صورة لا يمكن أن تتحقق فى المفردات فلا يمكن أن نجد فى المفردات كلمات مماثلة فى وزنها للكلمات التى تأتى فى هذا الجمع ، فكأنما هو غاية الجموع ؛ لتفرده بأوزانه الخاصة التى لا يشاركه الفرد فيها .

(٢) ألف التأنيث مقصورة وممدودة :

لاحظ الأمثلة :

• سلوى - ليلى - لُبْنى - سُعدى - ذِكْرى - بَرَدَى - قَتْلَى - جَرْحى - دعْوى - حرَّى .

• نجلاء - صحراء - بيداء - حمراء - خضراء - أثرياء - فقراء - يوم أربعاء وعاشوراء - قرفصاء - كبرياء - خيلاء .

فألف التأنيث المقصورة : ما جاءت فى آخر الاسم دالة على التأنيث مفتوحا ما قبلها مثل (بَرَدَى) .

وألف التأنيث الممدودة - فى تصور النحاة - ألف فى آخر الكلمة قبلها ألف ، فنقلب الثانية همزة ، مثل (صحراء) أصلها - فى التصور الذهنى - «صحراا» فقلبت الثانية همزة - ولهذا سميت ممدودة ؛ لأنها فى الحقيقة مع الألف السابقة عليها حرف مدّ طويل ، تنطق مع امتداد النَّفَس .

وهنا ينبغى التنبه لأمرين فيما يتعلق بألف التأنيث الممدودة :

الأول : أن إطلاق ألف التأنيث عليها لا يتفق مع ما ورد فى اللغة ، فقد تكون فى كلمة تدل على التأنيث مثل (نجلاء) وقد تأتى فى كلمات لا دلالة فيها على التأنيث مثل (أطباء - أقرباء - أربعاء) فإطلاق « ألف التأنيث الممدودة » عليها مجرد اصطلاح فى مقابل « ألف التأنيث المقصورة » ولا يراد منه حقيقة دلالته .

الثانى : أن الألف الممدودة المكونة من ألفين تنقلب الثانية فيهما همزة يجب لكى يكون الاسم معها ممنوعا من الصرف من توفر صفتين فيها :

(١) أن تكون واردة بعد ثلاثة أحرف فصاعدا ، فإن جاءت بعد اثنين صرفت الكلمة ، مثل (رُغاءٌ - رِعاءٌ - بناءٌ - نداءٌ - رداءٌ) .

(٢) أن تكون زائدة فى الكلمة التى وردت فيها ، فإن كانت أصلية أو منقلبة عن أصل صرفت الكلمة مثل (أعداءٌ - أسماءٌ - أبناءٌ - نداءٌ - رداءٌ) .

الصنف الثانى : ما يمنع من الصرف لصفتين :

إحدى هاتين الصفتين دائما واحدة من اثنتين :

• **العلمية** : وذلك أن يكون الاسم دالا على ذات محدّدة ، مثل (عمر - عثمان - معاوية - عائشة - خديجة) .

• **الوصفية** : وذلك أن يكون الاسم دالا على معنى ينسب إلى غيره مثل (عطشان - غضبان - أخضر - أصفر) .

لكن ، يجب أن ينضم لكل واحدة من هاتين الصفتين السابقتين - العلمية أو الوصفية - صفة ثانية فى الاسم الذى يمنع من الصرف ، فالعلميّة أو الوصفية بمفردها لا تمنع الاسم من الصرف ، فوجود إحدى هاتين الصفتين - وإن كان ضروريا - لكن إحداهما لا تستقل وحدها بهذا الأمر .

فليس كل ما كان علمًا أو صفة ممنوعا من الصرف ، لوجود أعلام أو صفات - وهذا هو الأكثر فى اللغة - منصرفة ، مثل (محمد - خالد) علمين ، ومثل (قوىّ - شجاع) صفتين .

لكن الممنوع من الصرف لا بد أن يكون علما أو صفة - بالتحديد السابق - مع ضم صفة أخرى للعلمية أو الوصفية كما هو مفصل فى الآتى :

أولا : ما يجب أن ينضم للعلمية من الصفات - وهى ست صفات :

(١) التأنيث بغير الألف :

لاحظ الأمثلة :

فاطمة - عائشة - أمينة - أميرة - فريدة - كريمة - نفيسة - نادية - نبيلة - يسرية - شادية - فادية - حسنية . } مؤنث لفظًا ومعنى

حمزة - معاوية - أسامة - طلحة - سلامة } مؤنث لفظًا لا معنى

زينب - سعاد - سهير - عفاف - ناهد - هيام - وجدان - آمال - أحلام - إجلال - إنصاف - بوران . } مؤنث معنى لا لفظاً

الأعلام المؤنثة تأتى فى اللغة العربية فى ثلاث صور هى :

(أ) مؤنث لفظا ومعنى : وهو ما كانت به علامة التأنيث « التاء » ومعناه دال على مؤنث ، مثل (فاطمة - يسرية) وهذا النوع يمنع من الصرف قطعا من غير احتراز .

(ب) مؤنث لفظا لا معنى : وهو ما كانت به علامة التأنيث « التاء » لفظًا ، لكن معناه مذكر مثل (معاوية - حمزة) وهذا النوع يمنع أيضًا من الصرف مثل سابقه .

(جـ) مؤنث معنى لا لفظا : وهو ما كان خاليا لفظا من التاء ، لكنه فى المعنى يدل على المؤنث مثل (بوران - إحسان) .

وفى هذا النوع تفصيل لمنعه من الصرف ، ذلك أنه إن كان زائدا على ثلاثة أحرف - مثل كل الأمثلة السابقة - منع من الصرف مطلقا دون محترزات . فإذا كان ثلاثيا محرك الوسط مثل (سحَر - ملَك - سقَر) منع أيضا من الصرف ، وإن كان ثلاثيا ساكن الوسط أعجميا - أصله غير عربى - منع من الصرف ، مثل (حمْص - كَرْك - بلْخ) .

وإن كان ثلاثيا ساكن الوسط غير ما سبق ، مثل (هِنْد - دعْد - مصْر) جاز فيه الوجهان : الصرف ، وعدم الصرف ، ومما ورد من ذلك ما يلى :

• قول الله تعالى : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الآية ٩٩ من سورة يوسف] .

• قول الله تعالى : ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [الآية ٦١ من سورة البقرة] .

ففى الآية الأولى وردت (مصر) ممنوعة من الصرف ، وفى الثانية جاءت مصروفة .

• قول جرير :

لم تتلفَّعْ بفضْل مئزرِها   دعْدٌ ولم تُسقَ دعْدُ فى العُلَبِ (١)

فكلمة (دعد) الأولى منصرفة ، والثانية ممنوعة من الصرف .

(٢) العجمة :

لاحظ الأمثلة الآتية :

(إدوارد - ألفونس - جونسون - ميخائيل - لندن - برلين - طهران - أنقرة - باريس) .

يقصد بالعجمة : أن يكون الاسم علما فى غير اللغة العربية ، ثم استعمل فيها علما كما هو ، سواء أكان ذلك فيما استعملته العربية من غير اللغات الأخرى قديما مثل (أذربيجان - نهاوند - فيروز - بطرس) أم ما تستعمله اللغة الآن من أعلام اللغات المعاصرة ، مثل (يفن - نيكسون - جورج) .

ومن المعروف أنه فى أثناء الترجمة يحافظ المترجم على الأعلام المنقولة كما هى دون تغيير ، وهذه الأعلام تمنع من الصرف .

---

(١) الإزار : الرداء ، وفضل الإزار : بقية الرداء ، والتلفع بالإزار : لفه على الجزء الأعلى من الجسم ، وهو من عمل نساء الأعراب - العلب : جمع علبة وهى الإناء الذى يشرب فيه الأعراب ، وعادة ما يكون من الجلد « كالقربة » .

يقول : إن « دعد » حضرية غنية فى كسائها وشربها ، وليست أعرابية خشنة فهى لا تتلفع بفضل الرداء مثلهم ، ولا تشرب الماء فى آنيتهم .

الشاهد فى البيت : ورود كلمة « دعد » فيه مرتين مصروفة فى الأولى وغير مصروفة فى الثانية ، إذ هى علم ثلاثى مؤنث ساكن الوسط غير أعجمى ، وهنا يصح صرفه ومنعه من الصرف .

ويقول العلماء : إن أسماء الأنبياء كلها ممنوعة من الصرف لهذه الصفة « العجمة » مثل (إسحاق - يعقوب - داود - سليمان - يوسف - موسى - هارون - أيوب - زكريا - يحيى - عيسى - إلياس - إدريس) .

لكن يستثنى من هذه الأسماء ستة فهى مصروفة وهى (محمد - صالح - شعيب - هود - نوح - لوط) قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ [الآيـة ١ من سورة نوح] وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الآية ٦٥ من سورة الأعراف] وقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [الآية ٢٩ من سورة الفتح] .

(٣) التركيب المزجىّ :

لاحظ الأمثلة الآتية :

(نيويورك - حضرموت (من مدن اليمن الجنوبية) - بعلبك (قلعة فى لبنان) - معد يكرب (أحد أسماء الجاهلية) - بختنصّر (أحد ملوك الفرس) - بورسعيد) .

الكلمات السابقة من التركيب المزجي .. ومعناه أن تمتزج كلمتان فتصيرا كلمة واحدة ويكون الإعراب حينئذ على آخر الكلمتين الممزوجتين ، تقول : (نيويوركُ من أكبر المدن الأمريكية) وتقول : (إنّ بورسعيدَ مدينةٌ ذاتُ شهرة بطوليّة بين مدن العالم الحديثة) ، وتقول : (يستلهم السّياحُ عِبَرَ التّاريخ من أطلالِ بعلبكَ) . فالمركب المزجى يرفع بالضمة وينصب بالفتحة ويجر بالفتحة - كما ترى فى الأمثلة .

كل ذلك إذا لم يكن المركب المزجىّ مختوما بكلمة (وَيْه) مثل (سيبويه - نفطويه - درستويه) ، فإن كان كذلك فإنه يبنى دائما على الكسر وليس من هذا الباب .

(٤) زيادة الألف والنون :

لاحظ الأمثلة الآتية :

(عثمان - مروان - نعمان - سليمان - لقمان - عمران - عفّان) زيادة الألف والنون مع الأعلام ، وإنما تعتبران زائدتين إذا جاءتا بعد ثلاثة أحرف من الكلمة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾ [الآية ١٣ من سورة لقمان] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ [الآية ١٢ من سورة لقمان] . وقال

تعالـــى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ [الآيـة ٣٥ من سورة آل عمران] - فكلمة (لقمان) فى الآية الأولى مرفوعة بالضمة ، وفى الثانية منصوبة بالفتحة ، أمّا كلمة (عمران) فى الآية الثالثة فهى مجرورة بالفتحة .

(٥) وزن الفعل :

لاحظ الأمثلة الآتية :

(سبّحَ - أحمد - يزيد - ثعلب - نرجس) .

المقصود بوزن الفعل أن تأتى أسماء الأعلام على وزن خاص بالأفعال ولا يكون فى الأسماء ، مثل (سبّح : علما) فإن وزن (فعّل) لا يكون إلا فى الأفعال مثل (جمّع - قدّم - أمّن) .

كذلك يقصد بوزن الفعل أن تأتى أسماء الأعلام وفى أولها زيادة تكون فى الأفعال عادة مثل حروف المضارعة (الهمزة - النون - الياء - التاء) وأن يكون على وزن يأتى فى الفعل - وإن لم يكن خاصا به - وذلك مثل (أحمد - يزيد - تغلب - نرجس) أعلاما ، تقول : (استولى يزيدُ بن معاويةَ على الدولة دون مشورة المسلمين) . وتقول : (قبيلةُ تغلبَ إحدى قبيلتين اشتركتا فى حرب البسوس) .

(٦) العدل :

أشهر ما نسب له هذه الصفة أعلام معدودة جاءت على وزن (فُعَل) وهى (عُمَر - زُفَر - مُضَر - قُثَم - جُشَم - جُمَع - دُلَف - ثُعَل - هُبَل - زُحَل - قُزَح) .

قالوا : مثلا فى كلمة (عُمَر) وهو علم ، أصله (عامر) فعُدل عن هذا الأصل إلى (عُمر) ومثله الباقى ؛ وهذا غريب !! فمن الذى يمكنه أن يحقق هذا الأصل المدّعى !! الحق أن هذا تكلف دعا إليه بحث النحاة عن صفة ثانية تنضم للعلمية ، فلم يجدوا غير هذا الادّعاء المتكلّف الذى لا ترتاح إليه النفس .

قال ابن هشام : « مثال العدل مع العلمية (عُمر - زُفَر - زُحَل - جُمَح - دُلَف) فإنها معدولة عن (عامر - زافر - زاحل - جامح - دالف) . وطريق معرفة ذلك أن يتلقّى من أفواههم ممنوع الصرف ، وليس فيه مع العلمية ظاهرة ، فيحتاج إلى تكلف دعوى العدل فيه » . أ . هـ .

وخلاصة الأمر : أن الأسماء الاثنى عشر السابقة وردت فى اللغة ممنوعة من الصرف ، ويعبر عنها أهل صناعة النحو بأنها ممنوعة من الصرف للعلمية والعدل .

ثانيا : ما يجب أن ينضم للوصفية من الصفات ، وهو ثلاث صفات :

(١) زيادة الألف والنون :

لاحظ الأمثلة الآتية :

(فرحان - شعبان - ملآن - غضبان - جوعان - ظمآن) .

الكلمات السابقة صفات وفى آخر كل منها ألف ونون زائدتان ، فكل منها ممنوع من الصرف للوصفية وزيادة الألف والنون ، تقول : (أسعدُ لكريم فرحانَ ولا آسفُ على لئيم غضبانَ) - وهذه الصفات الممنوعة من الصرف تأتى على وزن (فعْلان) فقط .

(٢) وزن الفعل :

لاحظ الأمثلة الآتية :

(أجْمَل - ألْطَف - أحْسَن - أعَزّ - أكْرَم - أجَلّ - أشْرف - أحمر - أخضر) .

ويقصد بذلك الصفات التى على وزن (أفعل) فهذه جميعا تمنع من الصرف للوصفية ووزن الفعل ، لأن وزن (أفْعَل) أقرب للفعل منه للاسم ، تقول : (لا فرق فى الإسلام بين أسودَ وأبيضَ) ، وتقول : (الصّبرُ أجْدرُ بالكريم عند الشّدة) - وهذه الصفات الممنوعة من الصرف تأتى على وزن (أفْعَل) فقط .

(٣) العدل :

الصفات التى نسب إليها « العدل » محصورة فى كلمات معينة هى :

(أ) كلمة (أُخَر) فى قول الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [الآية ١٨٤ من سورة البقرة] .

فهى فى الآية صفة لكلمة (أيام) مجرورة بالفتحة لأنها ممنوعة من الصرف للوصفية والعدل ، والوصفية أمر مفهوم فيها لدلالتها على معنى ينسب لغيرها ، أما العدل فقد خضع لتصور ذهنى ملخصه فى الآتى :

كلمة (أُخَر) جمعٌ مفرده كلمة (أُخرى) ، وكلمة (أخرى) مؤنث مذكره كلمة (آخَر) ، وكلمة (آخر) اسم تفضيل على وزن (أَفْعَل) مثل (أَعْظَم - أجْمَل - أكْرَم) واسم التفضيل مادام مجردًا من « ال والإضافة » فإنه يستعمل دائما مفردا مذكرا ، فلا يثنى أو يجمع أو يؤنث ، فتقول :

(العاملُ أكرمُ من الكسول والعاملون أكرمُ من الكسالى) فبقى اسم التفضيل مفردا فى المثالين .

وعلى ذلك ، فقد كان من المفروض فى الآية - فى صنعة النحو - أن يقال (فعدة من أيامٍ آخَر) فتكون الكلمة مفردة ، لكن عدل عن ذلك إلى (أُخَر) مجموعة .

وخلاصة الأمر : أن هذه الكلمة (أُخَر) ممنوعة من الصرف - وهى وصف عدل عن غيره بالتصور الذهنى السابق .

(ب) ما جاء على وزن (فُعَال ومَفْعَل) من الأعداد (١ - ١٠) (أُحَاد مَوْحَد - ثُنَاء ومَثْنَى - ثُلاَث ومَثْلَث - رُبَاع ومَرْبَع) وهكذا حتى عشرة ، فلنلاحظ الأمثلة :

مرّ صف الجنود ثُلاثَ	} معناه : ثلاثة ثلاثة
تقدم الواقفون إلى شباك السينما أُحَادَ أُحَادَ	} معناه : واحدًا واحداً
فى المساء تعودُ الطيورُ إلى أعشاشِها فى جماعاتِ خُمَاسَ وسُدَاسَ	} معناه خمسة خمسة } وستة ستة

قال الله تعالى : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [الآية ٣ من سورة النساء] .

وقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [الآية ١ من سورة فاطر] .

قال ابن هشام : « وهى معدولة عن ألفاظ العدد الأصول مكررة ، فأصل (جاء القوم أُحَادَ) جاءوا واحدًا واحدًا ، وكذا الباقى » . أ . هـ .

ومعنى هذا : أن هذه الألفاظ بهذه الصورة - يستغنى بها عن أسماء العدد الأصلية مكررة فنلجأ إليها فى الاستعمال اختصارًا ، فكلمة (رُبَاع) تغنى عن (أربعة أربعة) ، وكلمة (مَثْلَث) تغنى عن (ثلاثة ثلاثة) فاستخدام هاتين الصيغتين - فُعَال ومَفْعَل - من الأعداد يغنى عن استخدام الأعداد الأصلية مكررة ، هذا هو معنى العدل فيها .

المسائل المتفرعة على هذا الباب :

يتفرع على هذا الباب - بعد معرفة أصوله السابقة - مسائل ثلاث هى :

(أ) عودة الممنوع من الصرف للإعراب الأصلى .

(ب) صرف الممنوع من الصرف عند الحاجة .

(جـ) منع صرف الأسماء المنصرفة عند الحاجة .

وإليك بيان هذه الأمور الثلاثة .

عودة الممنوع من الصرف للإعراب الأصلى :

لاحظ الأمثلة الآتية :

ما شىءٌ بأنبلَ من المروءة .

فالمروءة من أنبلِ الصفات .

ومن الأنبلِ لك أنْ تتصف بهذه الصفة .

الاسم الذى لا ينصرف - بكل أنواعه السابقة - يرفع بالضمة ، وينصب بالفتحة ، ويجر بالفتحة أيضًا . فهذا الاسم يخرج عن الأصل فى حالة الجر فقط ، لكنه يعود لهذا الأصل مرة أخرى - فيجر بالكسرة - فى حالتين :

١ - أن يضاف .

٢ - أن تتصل به الألف واللام .

فكلمة (أنبل) فى الأمثلة السابقة ممنوعة من الصرف للوصفية ووزن الفعل ، وهى مجرورة بالفتحة فى المثال الأول ، وفى المثال الثانى عادت للأصل فجرت بالكسرة ، لأنها مضافة ، وفى الثالث عادت للأصل ، فجرت بالكسرة لاتصالها بالألف واللام . قال ابن مالك :

وجُرَّ بالفتحةِ ما لا ينصرف ... ما لم يُضَفْ أو يَكُ بعد « ال » رَدِف

صرف الممنوع من الصرف :

من صفات الاسم الممنوع من الصرف أنه لا ينون - كما سبق - لكن عند حاجة المتكلم إلى تنوينه فإنه يترك هذا الأصل ، فينون مع استحقاقه منع التنوين ، وتتحقق هذه الحاجة فى النثر والشعر على التفصيل الآتى :

(١) في النثر : لإرادة التناسب ، وذلك أن تكون بعض الكلمات منونة والأخرى غير منونة فتنون الأخيرة لتناسب ما جاءت معه من الكلمات المنونة ومن ذلك :

• قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَاْ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ﴾ [الآية ٤ من سورة الإنسان] فكلمة (سلاسل) ممنوعة من الصرف - وكلمة (أغلالا) مصروفة ، وقد قرئت الآية بتنوين الكلمة الأولى لتناسب الثانية ، وجاءت القراءة ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلًا وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ﴾ لقصد التناسب .

(٢) في الشعر : للضرورة ، والمقصود بذلك ضرورة موسيقى الشعر ونغمه التي تتمثل في أوزانه وقوافيه ، فإذا لم تستقم هذه الموسيقى إلا بتنوين الاسم الممنوع من الصرف ، كانت تلك ضرورة تبيح للشعراء هذا التنوين ، ومن ذلك قول امرئ القيس :

ويوم دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ
فقالتْ : لَكَ الويْلاتُ إنكَ مُرْجِلِي (١)

فكلمة (عنيزة) ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث ، وصرفت في البيت لضرورة الشعر .

منع صرف الأسماء المنصرفة :

كما أبيح للشاعر أن يصرف الممنوع من الصرف ، يباح له أيضًا العكس .

وهو أن يمنع صرف الأسماء المنصرفة - وهي ضرورة موضع خلاف - لأن مجال الشعر ضيق بالوزن والقافية وعدد التفاعيل ، فيباح له ما لا يباح لمن ينطق نثرا ، ومن ذلك :

---

(١) الخدر : المكان المخصص للنساء في البيت ، والمقصود به هنا الهودج . لك الويلات : دعاء عليه بالهلاك والعذاب ، ولا يقصد به حقيقته ، بل هو تصوير للتدلل والإعجاب - إنك مرجلي : جاعلني أسير على رجلي لهلاك البعير .

والشاهد في البيت : كلمة (عنيزة) فهي أصلا ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث ، وقد نونت هنا لضرورة الشعر .

• قول ذى الإصبع العدوانى يمدح عامر بن الطفيل بالطول وفراهة الجسم :

ومِمَّنْ ولَدوا عامرُ ذُو الطّولِ وذو العرضِ (١)

• قول الأخطل فى أحد القادة الذين هزموا الخوارج :

طلب الأزَارِقَ بالكتائب إذ هوتْ بشبيبِ غائلةُ النفوسِ غدورُ (٢)

فالكلمتان (عامر - شبيب) فى البيتين منعتا من الصرف - مع أنها منصرفتان - لضرورة الشعر .

• • •

(١) الشاهد فى البيت أن كلمة (عامر) فى الأصل مصروفة ، لكنها منعت الصرف فى البيت لضرورة الشعر .

(٢) الأزارق : فرقة من الخوارج - شبيب : أحد زعماء الخوارج - غائلة النفوس : الموت .
والشاهد فى البيت : منع صرف كلمة (شبيب) لضرورة الشعر مع أنها فى الأصل مصروفة .

المثنى

(١) المقصود بالمثنى وكيفية إعرابه .

(٢) صفات الاسم الذى يصح تثنيته .

(٣) ما ألحق بالمثنى من الأسماء .

• • •

المثنى وكيفية إعرابه :

نزل الفريقان أرْضَ الملعب .

ولعبا الشَّوطين بجهد وافر .

وفاز فريقُنا بهدفين لهدفٍ واحد .

الكلمات (الفريقان - الشوطين - هدفين) كلمات مثناة ، ومثلها ما لا يكاد يحصى من الكلمات مثل (الصديقان - الوفيان - البحران - النّهران - الكتابان - الصفحتان - الزميلان - الزميلتان) .

فالمثنى يقصد به كل اسم دلّ على اثنين أو اثنتين وأَغنى عن المتعاطفين بزيادة ألف ونون أو ياء ونون فى آخره أ.هـ .

وعلى ذلك فإن المثنى هو ما اجتمعت له الصفات الثلاث الآتية :

(أ) أن يدل على اثنين أو اثنتين (الصديقان - الصديقتان) لا فرق بين المذكر والمؤنث ، فكل منهما يأتى مثنى .

(ب) أن يغنى عن المتعاطفين ، وذلك أن يكون ذكر المثنى اختصارا لمفردين يعطف كل منهما على الآخر ، فبدلا من أن نقول (فريق وفريق) تغنى عنهما (فريقان) وبدلا من أن نقول (هدف وهدف) تغنى عنهما (هدفان) .

(جـ) أن يأتى فى آخره ألف ونون زائدتان أو ياء ونون زائدتان ، وهذه الزيادة هى التى أفادت التثنية ، وأغنت عن إطالة الكلام بالمفردات المتعاطفة .

والمثنى يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء المفتوح ما قبلها المكسور ما بعدها ، ففي المثال (نزل الفريقان أرض الملعب) كلمة (الفريقان) فاعل مرفوع بالألف ، وفي المثال (لعبا الشوطين بجهد وافر) كلمة (الشوطين) ظرف زمان منصوب بالياء، وفي المثال الأخير (فاز فريقنا بهدفين) كلمة (هدفين) مجرورة بالياء .

هذا هو الأصل في إعراب المثنى ، وهو اللغة الفصحى المشهورة التي ينبغي لنا اتباع نهجها والنطق على أساسها .

لكن ينبغي أن نتذكر هنا مرة أخرى ما سبق من أن النحاة جمعوا اللغة من قبائل متعددة ، ومما نقلوه أنّ بعض القبائل تنطق المثنى بالألف دائما رفعًا ونصبًا وجرًّا ، وروى من ذلك الشواهد الآتية :

• قول المتلمس :

فأطْرَقَ إطراقَ الشُّجاع ولو رأى مَسَاغًا لِنَابَاهُ الشُّجاعُ لصَمّمَا (١)

• قول آخر :

تزودَ منّا بين أُذْنَاهُ طعنةً دعتْه إلى هَابِي الترابِ عقيمُ (٢)

والذى أراه أن هذه لغة ضعيفة لا يعوّل عليها ، وينبغي معرفتها فقط دون النطق على أساسها .

---

(١) الشجاع : في أحد معانيه : ذكر الحيات - المساغ - المدخل السهل - صمم - كما يقول القاموس - من معانيها : عض الناب .

ومعنى البيت : أن الشخص الذى يتحدث عنه صبر على مضض ولو وجد وسيلة يهاجم منها عدوه لسلكها ، فهو كالحية الذكر في إطراقها وصبرها على من تهاجمه ولو وجدت مدخلا لمهاجمته لعضته بنابها .

والشاهد في البيت : قوله (لناباه) في الشطر الثاني ، فإن (الناباه) مثنى وهي مجرورة باللام - ومع ذلك لزمت الألف على اللغة التي تلزمه الألف دائما .

(٢) هابي التراب : التراب الدقيق الناعم - عقيم : يقال طعنة عقيم إذا كانت نافذة .

وخلاصة المعنى : يصف رجلا من أعدائهم قتل ، فيقول : لقد نال منا طعنة نافذة ألقته ميتا على التراب وبين التراب .

والشاهد في البيت : قوله (أذناه) فإنه مثنى وهو مضاف إلى كلمة (بين) وقد لزم الألف على لغة من يلزمه الألف دائما .

صفات الاسم الذى يصح تثنيته :

ليست كل الأسماء فى اللغة صالحة للتثنية ، فالاسم الذى يثنى تتوافر له صفات خاصة يمكن فهم معظمها من المسلك العملى الذى تأتى عليه الأسماء المثناة ، وأهم هذه الصفات - باختصار - هى :

١ - **أن يكون مفردا** : وهذا بدهى ، فإن المثنى لا يثنى مرة أخرى وكذلك الجمع .

٢ - **أن يكون معربا** : وهذا أيضًا بدهى ، فإن الأسماء المبنية - كما سيأتى - لا تتغير ، فهى لا تثنى ، أما الكلمات (هذان - هاتان - اللَّذان - اللتان) فهى ملحقة بالمثنى لا مثناة .

٣ - **أن يكون نكرة** : مثل (ورقة - شجرة) نقول (ورقتان - شجرتان) لكن الأعلام مثل (محمد - عمر - علىّ) تثنى ، فنقول (محمدان - عمران - عليّان) وكذلك الأسماء التى بها الألف واللام مثل (الشوط - الطريق) نقول (الشوطان - الطريقان) فكيف يستقيم هذا الشرط مع ذلك ؟

يتصور أهل صنعة النحو أن هذه الأعلام قبل تثنيتها شملها التنكير بمعنى أن الاسمين (محمد - محمد) قبل تثنيتهما اختلط كل منهما بالآخر بحيث لا يتميز هذا من ذاك ثم حدثت التثنية .

وبالمثل يتصور أن كلمة (الشوطان) ليست تثنية (الشوط) المقترن بالألف واللام ، بل هى تثنية (شوط) النكرة ، ثم دخلت عليه الألف واللام .

والحق أن هذا تكلف لا داعى إليه ، وأن المثنى - فيما أعتقد - يأتى للنكرات والمعارف دون تفريق .

٤ - **ألا يكون مركبا** : سواء أكان مركبا مزجيا مثل (مَعْدِ يكرب) أو إسناديا مثل (جادَ الربُّ) أو إضافيا مثل (عبد الله) فهذه كلها لا تثنى بطريقة مباشرة ، بل هناك وسائل لتثنيتها كالآتى :

(أ) المركب المزجىّ والإسنادى حين التثنية تسبقهما كلمة (ذَوَا) مع المذكر ، أو (ذَوَاتَا) مع المؤنث وتبقى الكلمة المركبة دون تثنية ، فيقال (ذَوَا مَعْد يكرب) أو (ذَوَا جَادَ الرّب) .

(ب) المركب الإضافى تثنى الكلمة الأولى منه ، فنقول (عَبْدَا الله) .

٥ - أن يكون المفردان اللذان يكوّنان المثنى متفقين فى اللفظ والمعنى وهذا بدهى ، فلا يثنى مثلا (فاطمة - سامية) لاختلافهما لفظا ومعنى .

٦ - أن يكون المفرد الذى يثنى له نظير مماثل ، وهذا أيضًا بدهى ، فلا يثنى الشىء المفردَ مثل (الله - الأرض - الشمسَ - القمر) فوجود شيئين متشابهين ضرورى للتثنية .

تلك أهم الصفات الضرورية فى الاسم الذى يثنى ، وهى فى عبارة واحدة :

(أن يكون مفردا معربًا منكرا غير مركب ، وله مماثل متفق معه فى اللفظ والمعنى) .

ومعظم هذه الشروط بدهى يمكن استنتاجه دون ذكره .

ما ألحق بالمثنى من الأسماء :

المقصود من الإلحاق - عموما - ورود كلمات فى اللغة تعرب إعراب ما ألحقت به ، لكنها لم تستوف شروطه أ.هـ . ويتحقق هذا فى ثلاثة من أبواب الإعراب الفرعى هى « المثنى وجمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم » وسيأتى شرح الأسماء الملحقة بكل واحد من الأخيرين فى موضعه .

والمقصود - إذن - من الإلحاق بالمثنى ورود كلمات فى اللغة لها صورة المثنى وتعرب إعرابه بالألف رفعا وبالياء نصبا وجرا ، لكنها ليست مثناة حقيقة لفقدان بعض شروط الاسم الذى يصح تثنيته ، فهى إذن ملحقة بالمثنى لا مثناة .

والأسماء الملحقة أربع مجموعات هى :

المجموعة الأولى : هذان - هاتان - اللذان - اللتان :

ومفرداتها على الترتيب هى (هذا - هاتِه - الذى - التى) فالأولان من أسماء الإشارة ، والأخيران من الأسماء الموصولة ، وكل من أسماء الإشارة والأسماء الموصولة مبنى ، وقد اشترط فيما يثنى - كما سبق - أن يكون معربا ، فهذه الأسماء إذن ليست مثناة حقيقة ، ولكنها وردت معربة إعراب المثنى فهى ملحقة به .

• قال الله تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الآية ١٩ من سورة الحج] .

• وقال : ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الآية ٢٩ من سورة فصلت] .

المجموعة الثانية : اثنان واثنتان .

هاتان الكلمتان لا مفرد لهما على الإطلاق ، فليستا من المثنى حقيقة لكنهما وردتا معربتين إعرابه ، فهما ملحقتان به .

• قال الله تعالى : ﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [الآية ٦٠ من سورة البقرة] .

• وقال : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ [الآية ١٤ من سورة يس] .

المجموعة الثالثة : كلا – كلتا .

هاتان الكلمتان أيضًا لا مفرد لهما ، فليستا من المثنى ، بل هما ملحقتان بالمثنى ، لورودهما معربتين إعرابه بالألف رفعا وبالياء نصبا وجرا ، تقول (صاحبت صديقيَّ كليهما الليلة) وتقول (اشتركت فى الرحلتين كلتيهما) .

لكن حول هاتين الكلمتين ينبغى التنبه للملاحظتين الهامتين الآتيتين :

الأولى : أن هاتين الكلمتين تعربان إعراب المثنى إذا أضيفتا إلى الضمير فقط – أما حين تضافان للاسم الظاهر فإنهما تلزمان الألف وتعربان بالحركات المقدرة على الألف مثل الأسماء المقصورة – فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

الصّفتان – المروءةُ والوفاء – كلتاهما حميدتان	} مرفوع بالألف ملحق بالمثنى – } مضاف للضمير
كلتا الصفتين – المروءةُ والوفاءُ حميدتان	} مرفوع بالضمة المقدرة على الألف } مضاف للظاهر
فى الحياة النجاح والفشل ، وقد خضت التجربتين كلتيهما	} منصوب بالياء ملحق بالمثنى – } مضاف للضمير
فى الحياة النجاح والفشل وقد خضت كلتا التجربتين	} منصوب بالفتحة المقدرة على الألف } مضاف للظاهر

الثانية : أن هاتين الكلمتين - سواء أضيفتا للضمير أم الظاهر - لفظهما مفرد ومعناهما مثنى ، فلهما جانبان : الإفراد والتثنية .

ويترتب على ذلك أنهما إذا وقعتا مبتدأ وأخبر عنهما ، فإن الخبر يصح فيه الإفراد مراعاة للفظهما ، ويصح التثنية مراعاة لمعناهما ، ويصح هذان الأمران أيضًا إذا عاد عليهما ضمير فى كلام لاحق لهما - فلنلاحظ الأمثلة :

إن الصّديقين متفاهمان وكلاهما متّفقٌ مع الآخر } كلمة (متفق) مفردة مراعاة للفظ

إن الصديقين متفاهمان وكلاهما متفقان } كلمة (متفقان) مثناة مراعاة للمعنى

• قال الله تعالى : ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾ [الآية ٣٣ من سورة الكهف] .

• جاءت الآية (آتتْ) بإفراد الضمير المستتر ، ولم تجئ (آتَتَا) بالتثنية .

• قال عبد الله بن معاوية :

كلانا غَنِيٌّ عن أخيه حياتَه ونحن - إذا مُتنا - أشدُّ تغَانِيَا [1]

فجاءت كلمة (غنى) خبرا مفردا مراعاة للفظ المبتدأ - ولو راعى المعنى لقال (غنيّان) .

المجموعة الرابعة : ما سميَ بالمثنى :

---

(١) معنى البيت : كلانا مستغن عن الآخر فى الحياة ، ونحن أشد غنى بعد الموت .

الشاهد فى البيت : جملة (كلانا غنى) فهنا مبتدأ وخبر ، والمبتدأ كلمة (كلانا) وقد أخبر عنها بمفرد هو (غنى) مراعاة للفظه .

إعراب البيت : « كلانا » كلا ، مبتدأ مرفوع بالألف ، ملحق بالمثنى ، نا : مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر - غنى : خبر المبتدأ مرفوع بالضمة - « عن أخيه » عن : حرف جر - أخيه : مجرور وعلامة جره الياء ، لأنه من الأسماء الستة ، وضمير الغائب مضاف إليه - « حياته » حياة : ظرف زمان منصوب بالفتحة ، وضمير الغائب مضاف إليه - « ونحن » الواو : حرف استئناف - نحن : مبتدأ مبنى على الضم فى محل رفع - إذا : أداة شرط - متنا : فعل وفاعل جملة الشرط ، وجواب الشرط محذوف ، والجملة الشرطية معترضة بين المبتدأ والخبر - أشد : خبر المبتدأ مرفوع بالضمة - تغانيا : تمييز منصوب بالفتحة .

ويقصد بذلك أن يطلق المثنى على أحد الأشخاص ، فيكون اسما له مثل (محمدين - حسنين - عزّين) فهذه الأسماء مثناة فى اللفظ ، ولكنها تطلق على المفرد فمعناها غير مثنى ، ولذلك لم تكن مثناة ، وإنما أُلحقت بالمثنى ، فترفع بالألف وتنصب وتجر بالياء بناء على هذا الاعتبار السابق .

والذى أراه - إن لم يجانبنى الصواب - أن هذه الأسماء المثناة التى سُمّى بها يجب أن تلتزم نطقها - حين أطلقت على الأشخاص - وتعرب بالحركات الأصلية على آخرها بالضمة رفعًا وبالفتحة نصبا وبالكسرة جرًا فنقول (اسْمِى محمدٌ واسمُ أخى محمدينُ) بضم النون رفعا ، وتقول (يُطلق القرويّون على أبنائهم الاسمَ حسنينَ) بفتح النون نصبا ، إذ أن هذه الألفاظ المثناة بعد استعمالها أعلاما لا يكاد الناطق بها يلتفت إلى معناها المثنى ، فكأنما صارت علما مفردًا كسائر الأعلام المفردة ، وهى لا تنون نظرًا لأصلها قبل التسمية .

• • •

جمع المذكر السالم

(١) المقصود بجمع المذكر السالم وكيفية إعرابه .
(٢) صفات الاسم الذى يجمع هذا الجمع .
(٣) ما ألحق بجمع المذكر السالم من الأسماء . .

• • •

جمع المذكر وكيفية إعرابه :

● قال الله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [الآية ١ ، ٢ من سورة المؤمنون] .

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [الآية ١٤٥ من سورة النساء] .

﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [الآية ١٤١ من سورة النساء] .

الكلمات (المؤمنون - خاشعون - المنافقين - الكافرين) مما يطلق عليه اسم « جمع المذكر السالم » ومثلها كثير جدا مما لا يكاد يحصى ، مثل (مهتدون متماسكون - متراحمون - متواضعون - متعففون - راضون - نابهون - أكرمون) .

فجمع المذكر السالم يقصد به : اسم دلّ على أكثر من اثنين مع سلامة لفظ مفرده بزيادة واو ونون أو ياء ونون فى آخره أ . هـ .

ومن ذلك التعريف يعلم أن جمع المذكر السالم ما اجتمعت له الصفات الآتية :

(أ) أن يدل على ثلاثة فصاعدا ، فكلمة (مواطنون) تدل على عدد يبدأ من ثلاثة إلى ما لا نهاية - وهذا يفسر لنا تسميته « جمعا » .

(ب) أن هذا الجمع لا يطلق إلا على الذكور فقط ، فكلمة (منافقون) يقصد بها جماعة الذكور فقط - وهذا يفسر لنا تسميته « مذكرا » .

(جـ) أن المفرد يبقى - حين الجمع - كما هو دون تغيير ، فقط يضاف إليه

الواو والنون أو الياء والنون ، مثل (متواضع) المفرد ، يأتى منه هذا الجمع (متواضعون - متواضعين) فبقى المفرد سالما دون تغيير فيه - وهذا يفسر لنا تسميته « سالما » .

ولعله قد وضح تماما تسمية هذا الجمع بالكلمات الثلاث (جمع مذكر سالم) .

هذا الجمع يرفع بالواو وينصب ويجر بالياء المكسور ما قبلها المفتوح ما بعدها ، ففى الآيات السابقة - بدئ بها الموضوع - كلمة (المؤمنون) فى الآية الأولى مرفوعة بالواو وفى الآية الأخيرة مجرورة بالياء . وكلمة (المنافقين) فى الآية الثانية منصوبة بالياء ، وكلمة (الكافرين) فى الآية الأخيرة مجرورة بالياء .

هذا هو الأصل فى إعراب جمع المذكر السالم - بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرا - وهو اللغة الفصحى المشهورة التى ينبغى لنا النطق على طريقها .

لكى ينبغى أن نتذكر هنا - كما قلنا غير مرة - أن اللغة رويت عن قبائل متعددة ، ومما نقل عن العرب فى إعراب جمع المذكر لغة أخرى لا شهرة لها ولا كثرة ، والغرض من ذكرها هنا العلم بها دون التأثر بنطقها أو القياس عليها ، وهى :

بعض العرب يلزم جمع المذكر الياء دائما ويأتى على النون فى آخره بالإعراب الأصلى ، فتشكل بالضمة رفعا وبالفتحة نصبا وبالكسرة جرا ومما ورد من ذلك الشواهد الآتية :

● ما روى عن الرسول ﷺ فى دعائه على قريش : (اللّهمَّ اجعلها عليهم سنينًا كسنين يوسف)[1] فكلمة (سنين) وردت فى الحديث أولا منصوبة بفتحة النون ، وثانيا مجرورة بكسرة النون .

---

(١) أوردت بعض كتب النحو - كالأشمونى - الحديث بالصورة المذكورة ، لكن البخارى أورده فى كتاب التفسير عن ابن مسعود بلفظ (اللهم أعنّى عليهم بسبع كسبع يوسف) وعلى ذلك فلا دليل فيه « انظر فتح المبدى ج ٢ ص ١٩٣ » .

الشاهد فى الحديث : مجيء كلمة « سنين » فيه مرتين ملتزمة الياء ومعربة على آخرها بالحركات الأصلية ، فهى فى الأولى منصوبة ومنونة « سنينا » وفى الثانية مجرورة بالكسرة على النون فى « كسنين يوسف » وقد جاءت على اللغة غير المشهورة .
=

● قول الصمة بن عبد الله القشيرى :

دعانىَ من نَجْدٍ فإنّ سنينَه ... لَعِبْنَ بِنا شيبًا وشَيَّبْنَنا مُرْدًا [١]

● وقول ذى الإصبع العدوانى :

إنِّى أبِىٌّ أبِىٌّ ذو محافظة ... وابنُ أبِىٍّ أبِىٍّ من أبِيِّينِ [٢]

وهى لغة قليلة الشهرة - كما ذكرنا - وينبغى - إن لم يجانبنى الصواب - صرف النظر عنها وعن أمثالها مما ورد فى جمع المذكر السالم من اللغات التى لا داعى لذكرها .

صفات الاسم الذى يجمع هذا الجمع :

الذى يجمع هذا الجمع من الأسماء المفردة صنفان :

الصنف الأول : العلم :

ويقصد بالعلم : ما كان اسمًا لشخص أو شىء ، معين ، مثل (محمد - خالد) العلم الذى يجمع هذا الجمع لا بد (أن يكون لمذكر عاقل خالٍ من تاء التأنيث) .

فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

● محمد - خالد - عامر - عمر - على - أحمد } يصح جمعها لاستيفاء الشروط .

= لكن للحديث رواية أخرى ، هى (اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف) وعلى هذه الرواية يكون قد جاء على اللغة الفصحى فى إعراب جمع المذكر السالم فحذف التنوين من الكلمة أولا ، وحذف النون منها ثانيا للإضافة .

(١) دعانى : بمعنى : اتركانى - المرد : جمع أمرد ، وهو الشاب الذى لم ينبت فى وجهه شعر .

يقول : اتركا ذكر « نجد » وسيرته ، فأنا أضيق بذلك ولا أطيقه ، لما جرى لى به من الأحداث الجسام التى هزت الشيوخ وشيبت الشباب .

الشاهد فى البيت : موضعه فى « سنينه » حيث لزمت الياء وأعربت على النون ، فهى منصوبة اسم « إن » - وتلك لغة غير مشهورة .

(٢) الأبىّ : الشهم الشجاع .

وموضع الشاهد فى البيت كلمة (أبيين) فى آخره . فقد التزمت الياء وأعربت على النون فهى مجرورة بالحرف (من) بكسرة النون ، وذلك على اللغة غير المشهورة .

• سعاد - زينب - أسامة - معاوية } لا يصح جمعها لفقدان بعض الشروط

الصنف الثاني : الوصف :

يقصد بالوصف : ما دل على ذات وصفة ، وذلك بالتحديد (اسم الفاعل - اسم المفعول - الصفة المشبهة - اسم التفضيل - صيغ المبالغة) مثل (ناجح - مسرور - فَرِح - أرْوَع - لَمَّاح) .

والوصف الذى يجمع هذا الجمع لا بد **(أن يكون لمذكر عاقل خالٍ من التاء وليس على وزن أفْعَل فَعْلاء ولا فَعْلان فَعْلَى)** فلنلاحظ الأمثلة :

• مُخلِص - متفوِّق - مأمون - فَرِح - أحْسن - لمَّاح } يصح جمعها لاستيفاء الشروط .

• ناهِد - صاهل - نابح - راوية - علاَّمة - أخضر - خضراء - عطشان - عطشى } لا يصح جمعها ، لفقدان بعض الشروط .

ما ألحق بجمع المذكر من الأسماء :

المقصود بالملحق بجمع المذكر - كما سبق فى المثنى - أن يكون الاسم على صورة جمع المذكر ، وقد ورد فى اللغة معربا إعرابه - بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرا - لكنه لا ينطبق عليه مسلك الكلمات التى تجمع هذا الجمع وشروطها ، فهو جمع فى الصورة ، وليس جمعا فى الحقيقة ، ولهذا يلحق بجمع المذكر فى إعرابه ولا يعتبر جمعا .

والأسماء التى تلحق بجمع المذكر تأتى فى مجموعتين هما :

المجموعة الأولى : أولو - عشرون وبابه :

كلمة (أولو) بمعنى كلمة (أصحاب) ، نقول (أولو العزيمة - أولو المشورة) وباب (عشرون) يقصد به (ثلاثون - أربعون - خمسون - ستون - سبعون - ثمانون - تسعون) فهذا كله لا مفرد له من لفظه ، إذ لا يقال (أول - عِشْر) .

• قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ [الآية ٢٢ من سورة النور] .

• وقال : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الآية ٢١ من سورة الزمر] .

• قول أبى المنهال الخزاعى يشكو الشيخوخة :

إن الثمانين - وبُلِّغْتَها قد أحْوَجَتْ سمعى إلى تَرْجُمَان [(١)]

المجموعة الثانية : بنون - أهْلون - عَالَمون - وَابِلون - أرَضون - سِنُون وبابه :

والمقصود بباب (سنون) كل ما كان مثله فى المفرد والجمع مثل (مِئِين - عِزِين - عِضِين) فهذه المجموعة كلها لها مفردات حقا هى على الترتيب (ابن - أهل - عالم - وابل - أرض - سنة) لكن هذا المفرد فيها جميعا لا يجمع جمع مذكر سالما ، لأنه اسم جامد وليس علَما أو صفة .
ويضاف إلى ذلك أن بعض هذه المفردات لغير عاقل مثل (أهل - عالَم - وابل) وبعضها غير عاقل ومؤنث مثل (أرض - سنة) .

وخلاصة الأمر فى هذه المجموعة : أن مفرداتها لا تصلح لجمع المذكر السالم ولذلك اعتبرت ملحقة به ، ومن شواهدها :

• قول الله تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الآية ٤٦ من سورة الكهف] .

• وقوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الآية ١ من سورة الفاتحة] .

• قول الرسول ﷺ : (من يظلم قِيد شبرٍ من الأرض طُوِّقَهُ من سبع أرَضين[(٢)]) .

• قول الشاعر :

وما المالُ والأهْلون إلا ودائعُ ولا بدَّ يومًا أن تُردَّ الودائعُ [(٣)]

---

(١) « بلغتها » جملة دعائية للمخاطب بأن يطيل الله عمره حتى يبلغ الثمانين - ترجمان : الأصل أنه الذى ينقل الكلام من لغة لأخرى ، والمقصود به هنا : الذى يبلغ الشيخ الطاعن فى السن ما يقال لضعف سمعه .

الشاهد فى البيت : (الثمانين) فإنها ملحقة بجمع المذكر السالم ، فتعرب إعرابه ، وهى فى البيت اسم (إن) منصوبة بالياء .

(٢) صحيح البخارى - الجزء الثالث - كتاب المظالم والغصب .

(٣) موضع الشاهد : فى كلمة « الأهلون » ، فإنها ملحقة بجمع المذكر السالم وهى معطوفة على كلمة « المال » المرفوعة ، فهى أيضا مرفوعة بالواو .

• قول أبي تمام :

أعوامُ وصلٍ كان يُنسِي طولَها ذكرُ النَّوَى ، فكأنها أيام
ثم انبرتْ أيامُ هجْرٍ أردفتْ نحوى أسًى ، فكأنها أعوامُ
ثم انقضتْ تلك السِّنون وأهلُها فكأنَّها وكأنهم أحلامُ [1]

المجموعة الثالثة : ما سمى بجمع المذكر :

مثل (عابدين - ابن زيدون - سعدون - حمدونَ)

فهذه من جموع المذكر السالم في اللفظ ، لأنها في الأصل جمع (عابد - زيد - سعد - حمد) ثم سمِّي بها واحد فقط ، فصار معناها غير جمع بل مفردا ، فهي - لذلك - ملحقة بجمع المذكر ، فتعرب - فيما يرى النحاة - إعرابه ، بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرًّا .

والذى أراه - إن لم يجانبنى الصواب - أنه إذا سمى بجمع المذكر ، فإنه يلتزم صورة التسمية ، ويعرب بالحركات الأصلية على آخره ، لأن هذا هو الذى يتفق مع الإحساس اللغوى بالكلمة بعد أن سمّي بها ، إذ يتناسى أصلها ، وتعتبر مفردا جاء على هذه الصورة الخاصة التى أطلق بها على المفرد فتقول (من أصدقائى الأستاذُ عابدينُ) وتقول (احترمتُ الصديقَ عابدينَ لوفائه) وتقول (من أحياء القاهرة العريقة حَيُّ عابدينِ) - وهو لا ينوّن نظرا لأصله قبل التسمية .

• • •

(١) النوى : البعد - انبرت : جاءت - أردفت : جاء فى أثرها .

ذكرى مؤثرة ، أعوام من السعادة مرت كأنها أيام ، وأيام من التعاسة طالت كأنها أعوام ، وانتهى الجميع ، ولم يبق إلا ذكرى كأنها أحلام .

والأبيات لأبى تمام ، وهو - فيما يرى النحاة - لا يستشهد بشعره ، وإنما جاءت على سبيل التمثيل .

وموضع التمثيل : فى البيت الأخير فى كلمة (السنون) فهى ملحقة بجمع المذكر ، وهى فى البيت مرفوعة بدل من كلمة (تلك) وعلامة رفعها الواو .

جمع المؤنث السالم
(ما جمع بألف وتاء)

(١) اسمه بين الشهرة والدقة ، وكيفية إعرابه .
(٢) ما يجمع هذا الجمع من المفردات .
(٣) ما ألحق به من الكلمات .

• • •

اسمه وكيفية إعرابه :

في مجتمعنا مثقَّفاتٌ طيباتٌ وفيه أيضًا جاهلاتٌ تافهاتٌ .
وتفهمُ المثقَّفةُ واجباتِها وتؤديها بأمانةٍ وشرفٍ .
وتعقِّدُ الجاهلةُ حياتَها بتصرُّفاتٍ رديئةٍ حمقاءَ .

المشهور عن هذا الجمع أنه يطلق عليه اسم (جمع المؤنث السالم) وهذا هو الاسم الشائع بين المعربين والشَّادين في النحو .

ويحدَّد هذا الإطلاق المشهور علميا بأنه : كل اسم دل على أكثر من اثنين مع سلامة مفرده وزيادة ألف وتاء في آخره أ . هـ .

ومن هذا التحديد السابق تفهم الصفات التي روعيت في إطلاق الاسم السابق عليه « جمع المؤنث السالم » وهي :

(أ) أنه يدل على أكثر من اثنين ، بمعنى أنه يدل على ثلاثة فصاعدا فمثلا (عفيفات) تطلق على عدد كثير أقلُّه ثلاثة - وهذا يفسر تسميته (جمعا) .

(ب) أن الغالب في المفردات التي تجمع كذلك أن تكون مؤنثة كما ورد في القرآن من وصف النساء الصالحات ﴿ مُؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾ [الآية ٥ من سورة التحريم] . ومفرداتها على التوالي (مؤمنة - قانتة - عابدة - سائحة) وكلها مؤنثة ، وهكذا معظم ما يأتي منه هذا الجمع - وهذا يفسر تسميته (مؤنثا) .

(جـ) أن الغالب في المفردات حين تجمع هذا الجمع أن تبقى كما هي دون

تغيير ، فتزاد الألف والتاء عليها ، فتصير من هذا الجمع ، مثل (مثقفة - طيبة - جاهلة - تافهة) مفردات ، يأتى منها الجمع بزيادة الألف والتاء ، فنقول (مثقفات - طيّبات - جاهلات - تافهات) دون تغيير فى المفرد - سوى حذف تاء التأنيث منه إن وجدت - وهذا هو الغالب فيما يجمع هذا الجمع وهو ما يفسر تسميته (سالما) .

وأظنه قد وضح الآن معنى الكلمات الثلاث (جمع - مؤنث - سالم) وهو اسم الشهرة لهذا الجمع .

(د) أن الألف والتاء اللتين يتحقق بهما صورة هذا الجمع لا بد أن تكونا زائدتين على المفرد ، وذلك بأن تكون بنية المفرد الأصلية خالية منهما - فلنلاحظ الأمثلة :

٭ تحيات - مباركات - طيبات - مقبولات	} جمع مؤنث سالم الألف والتاء زائدتان
٭ قُضَاة - هُدَاة - بُنَاة - دُعَاة - رُقَاة غُزَاة - رُمَاة - سُعَاة - جُفَاة	} جمع تكسير لا جمع } مؤنث الألف هنا أصلية
٭ أبْيَات - أصوات - أموات - أثبات	} جمع تكسير - لا جمع مؤنث التاء أصلية

هذا هو الاتجاه المشهور ، لكن أهل الدقة من علماء النحو - رحمهم الله - فضلوا على الاسم السابق اسما آخر هو (ما جمع بألف وتاء) فوافقوا بذلك الاتجاه المشهور فى صفتين هما (الجمع - زيادة الألف والتاء) وصرفوا النظر على الصفتين الباقيتين وهما (مؤنث سالم) للآتى :

(أ) أن هذا الجمع كما يأتى من المفرد المؤنث ، يأتى أيضًا من المفرد المذكر ، مثل (تصرف - واجب - بيان - مطار - حمّام) فتجمع على الترتيب (تصرفات - واجبات - مطارات - حمامات) .

وبناء على ذلك فلا داعى لأن يطلق على هذا الجمع أنه (مؤنث) .

(ب) أن هذا الجمع - كما يأتى من المفرد السالم لا يتغير حين جمعه - قد يتغير مفرده حين الجمع ، مثل (زَهْرة - صَفْحة - غُرْفة - زَفْرة - ظُلْمَة - ذِكرى

- عذراء) فتقول فى جمعها على الترتيب (صَفَحَات - غُرُفَات - زَفَرَات - ظُلُمَات - ذِكْرَيَات - عذرَاوَات) مما لو تأملتها - أدنى تأمل - لوجدت أنه قد تغير من المفرد حركة أو حرف .

وبناء على ذلك فلا داعى لأن يطلق على هذا الجمع أنه (سالم) .

والذى أختاره - بعد توجيه كلا المصطلحين - هو اسم (جمع المؤنث السالم) مراعاة لقربه من أذهان المبتدئين ، وشهرته بين المعربين وأغلب المتخصصين .

وعلى كل حال ، فإن هذا الجمع يرفع بالضمة وينصب بالكسرة ويجر بالكسرة ، فيخرج عن الأصل فى حالة النصب فقط .

وإذا عاودنا النظرة إلى الأمثلة التى بدأ بها الموضوع ، فإن الكلمات (مثقفاتٌ - طيباتٌ - جاهلاتٌ - تافهاتٌ) مرفوعة جميعا بالضمة ، أما كلمة (واجباتٍ) فإنها منصوبة بالكسرة وكلمة (تصرفاتٍ) مجرورة بالكسرة .

* قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الآية ٣٨ من سورة ق] .

* وقال : ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾ [الآية ١٥٢ من سورة الصافات] .

* وقال : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [الآية ١٦٨ من سورة البقرة] .

يجمع هذا الجمع من المفردات :

أهم الأسماء المفردة التى يأتى منها هذا الجمع صنوف أربعة هى :

١ - ما كان فى آخره تاء التأنيث مطلقًا ، سواء أكان مؤنثًا فى المعنى أيضًا مثل (فاطمة - عائشة) أم كان مؤنثًا فى اللفظ فقط مثل (معاوية - حمزة - طلحة - أسامة) . وسواء أكان علما - كالأمثلة السابقة - أم صفة مثل (مشهودة - عالية) فنقول فى جمع المفردات السابقة جميعًا على التوالى (فاطمات - عائشات - معاويات - حمزات - طلحات - أسامات - مشهودات - عاليات) .

٢ - ما كان فى آخره ألف التأنيث مطلقا ، سواء أكانت مقصورة مثل (ليلى -

نجوى - ذكرى) أم ممدودة مثل (لمياء - سمراء - لفّاء) تقول فى ذلك كله حين جمعه : (ليليات - نجويات - ذكريات - لمياوات - سمراوات - لفّاوات) .

٣ - ما كان خاليا من العلامتين السابقتين ، ولكنه مؤنث تأنيثا معنويا مثل (سعاد - زينب - سهير - ابتسام - إلهام) فتقول فيها جميعا : (سعادات - زينبات - سهيرات - ابتسامات - إلهامات) .

٤ - ما كان خاليا من العلامتين السابقتين ، ولكنه اسم جنس لغير العاقل مثل (حمّام - مطار - اشتباك - واجب) فنقول فيها على التوالى (حمامات - مطارات - اشتباكات - واجبات) .

ما ألحق بجمع المؤنث من الكلمات :

مرة ثالثة نتذكر أن المقصود بالملحق بجمع المؤنث السالم - مثل المثنى وجمع المذكر - ورود أسماء فى اللغة على صورة جمع المؤنث وتعرب إعرابه ولكنها فى الوقت نفسه ليست جمعا في الحقيقة ، إذا لا تنطبق عليها شروطه أو لا تحمل معناه ، فهى إذن ملحقة به ، لأنها على صورته ، ولكنها ليست منه ، إذ لا ينطبق عليها شروطه ومعناه .

والكلمات التى ألحقت بجمع المؤنث السالم تأتى فى مجموعتين :

المجموعة الأولى : أولات :

وهى المقابل المؤنث لكلمة (أولو) فى معناه وإعرابه - فكما أن كلمة (أولو) بمعنى (أصحاب) فإن كلمة (أولات) بمعنى (صاحبات) مثل : (أولات العفة - أولات الرّقة - أولات الخلق) . وكما أن (أولو) تلحق بجمع المذكر فى إعرابه فترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء ، فإن (أولات) تلحق بجمع المؤنث السالم ، فترفع بالضمة وتنصب وتجر بالكسرة ، تقول : (تتبرّجُ أولاتُ النفوس الضعيفة بطريقة فاضحة مثيرة ، لكنّ أولاتِ العفّة يراعين فى زينتهن الاعتدالَ والحشمة) . ومن ذلك :

• قول الله تعالى : ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الآية ٤ من سورة الطلاق] .

• وقوله : ﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الآية ٦ من سورة الطلاق] .(١)

المجموعة الثانية : سُمِّى به من هذا الجمع :

وذلك أن تصبح صورة هذا الجمع اسمًا لفتاة أو موضع ، وهو كثير ، ومنه (عطيات - عنايات - زينات - هَنَوات - سَعَادات - عِزَّات - أَمَلات - عرفات - أذرعات « وهو موضع بالشام ») .

هذا النوع من الأسماء - كما هو واضح - جمع فى اللفظ ، لأن كل كلمة من هذه الكلمات لها مفرد ابتداء قبل التسمية به ، ومفردات الأسماء السابقة على التوالى (عطية - عناية - زينة - هناة - سعادة - عزة - أملة - عرفة - أذرعة) .

لكن هذا الجمع قد سمى به فأصبح بصورته فى الجمع يطلق على واحد فقط ، فمعناه إذن واحد ، وإن كانت صورته الجمع ، ولذلك أُلحق بجمع المؤنث السالم ولم يعتبر جمعا بعد التسمية به .

وقد ورد إعراب كلمات هذه المجموعة فى الوجوه الآتية :

١ - إعراب جمع المؤنث السالم وبقاء الكلمات منونة ، تقول : (زارت عطياتٌ صديقتها زينات فى بيتها وذاكرتا مع زميلتهما عناياتٍ) .

٢ - إعراب جمع المؤنث السالم وترك التنوين ، تقول : (عرفاتُ جبل قرب مكة ، والمسلمون يقدسون عرفات بالصعود عليه والمبيت فيه فى موسم الحج) .

٣ - إعراب الاسم الذى لا ينصرف : فيرفع بالضمة وينصب ويجر بالفتحة من غير تنوين ، تقول : (اصطحبت عناياتُ زميلتها زيناتَ ومرّتا على أملاتَ ليذهَبْنَ جميعًا للنزهة) .

---

(١) إعراب الآية : أولات : مبتدأ مرفوع بالضمة - الأحمال : مضاف إليه مجرور بالكسرة - « أجلهن » أجل : مبتدأ ثان مرفوع بالضمة ، وضمير الغائبات مضاف إليه - « أن يضعن » أن : حرف مصدرى ونصب - يضعن فعل مضارع مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة فى محل نصب ، ونون النسوة فاعل مبنى على الفتح فى محل رفع ، والمصدر المؤول من « أن والفعل » خبر المبتدأ الثانى ، والمبتدأ الثانى وخبره خبر المبتدأ الأول - « حملهن » حمل : مفعول به منصوب بالفتحة وضمير الغائبات مضاف إليه .

ومن البين فى هذه الوجوه الثلاثة أن الأول يراعى تماما الجمع قبل التسمية به ، فيعربه بعد التسمية إعراب جمع المؤنث وينونه ، والثانى يراعى الجمع قبل التسمية فى الإعراب فقط ، لكنه يلاحظ - بعد التسمية - أنه أصبح علما مؤنثا فيمنعه من التنوين ، أما الوجه الثالث فيصرف النظر تماما عن الأصل - وهو الجمع - ويعتبره علما مؤنثا فيمنعه التنوين ويعربه إعراب ما لا ينصرف .

وقد ورد بهذه الوجوه الثلاثة قول امرئ القيس يتغزل فى معشوقته :

ومثلِكِ بيضاءِ العوارِض طَفلةٍ ... لَعُوبٍ تُنَسّينى إذا قمتُ سِرْبَالى
لطيفة طيّ الكِشح غيرِ مُفَاضةٍ ... إذا انْفَتَلتْ مُرْتَجّةٍ غيرِ مِتْفَالِ
إذا ما استحمّتْ كان فيضُ حَمِيمِها ... على مَتْنَتيها كالجُمانِ لَدَى الْجَالِى
تَنَوَّرتُها من أذرعات وأهلُها ... بِيَثرِبِ أدْنَى دارِها نظرٌ عالى (١)

والشاهد فى كلمة (أذرعات) فى البيت الأخير ، فقد رويت مكسورة منونة (أذرعاتٍ) على الوجه الأول ، وبغير تنوين (أذرعاتِ) على الثانى ، ومفتوحة بغير تنوين (أذرعاتَ) على الوجه الأخير .

والذى أراه - بعد فهم كل هذه الأوجه - أن الوجه الأخير أقرب إلى استعمال اللغة ، إذ أن هذه الأسماء - بعد أن سمى بها - أصبحت لدى الناطق العادى أسماء مفردة مؤنثة ، حيث يتوارى وراء هذا الاستعمال الأصل الذى نقلت عنه وهو الجمع ، وهذا الاستعمال والإحساس به يرجح لدىّ الوجه الأخير من اعتبارها « أعلاما مؤنثة » تعرب إعراب ما لا ينصرف .

• • •

(١) العوارض : جمع عارض ، وهو صفحة الوجه - الطفلة : اللينة الناعمة - السربال : الثوب - الكشح : الخصر - غير مفاضة : غير مهدلة البطن - مرتجة : بضة الجسم - غير متفال : ليست كريهة الرائحة - متنتيها : جانبى ظهرها - الجمان : الفضة النقية - الجالى : الصيرف الذى يعد الفضة - أذرعات : بلد فى الشام - يثرب : مدينة الرسول ﷺ .

يصف عشيقته بأنها بيضاء الوجه ، لينة الجسم ، رقيقة الخصر ، بضة ، طيبة الرائحة ، نظيفة البدن ، ينسدل الماء على جسمها كقطع الفضة البيضاء ، ويتخيل أنه يرى - من شوقه - نارها مع بعد المكان - بعد الشام عن المدينة - وله عذره !!

والشاهد فى البيت الأخير : كلمة « أذرعات » فهى ملحقة بجمع المؤنث وقد وردت بروايات ثلاث ، مكسورة منونة ، ومكسورة غير منونة ، ومفتوحة الآخر دون تنوين .

الأفعال الخمسة

١ - المقصود بالأفعال الخمسة ، وكيفية إعرابها .

٢ - يتفرع على هذا الموضوع المسألتان الآتيتان :

(أ) اجتماع نون الرفع مع نون الوقاية .

(ب) حذف نون الرفع لضرورة الشعر .

• • •

الأفعال الخمسة وكيفية إعرابها :

العلماءُ يصنعون عقلَ الأمّة والأدباء يكوّنون ضميرها .

والأمّةُ الواعيةُ تهتمُّ بعلمائِها ليؤدُّوا رسالتهم لها بإخلاص .

فإنهم يشعرون بالمرارةِ واليأس إذا لم يجدُوا الرِّعايةَ والتقدير .

الأفعال الخمسة أو « الأمثلة الخمسة » هى صور خمس من الفعل المضارع تمثل نماذج يندرج تحتها كثير من الأفعال ، وليس المقصود بها أفعالا معينة بذاتها .

ويقصد بالأفعال الخمسة : كل فعل مضارع اتصل به ألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة أ.هـ .

ومقتضى الكلام السابق أن هذه الأفعال ثلاثة لا خمسة ، لأن المضارع من هذه الأفعال يكون مع ألف الاثنين - وهذه واحدة - أو واو الجماعة - وهذه ثانية - أو ياء المخاطبة - وهذه ثالثة - فكيف صارت خمسة ؟؟

الحق أن ألف الاثنين تأتى مع المضارع للغائِبَيْن أو المخاطَبَيْن ، ومثلها تماما واو الجماعة تكون للغائبين أو المخاطبين ، فهذه أربع صور ، ويضاف إليها صورة ياء المخاطبة ، فتلك إذن خمس ، فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

• يصنعان - يكوّنان - يؤديان - يشعران - يجدان } مضارع مسند لألف الاثنين للغائِبَين

• تصنعان - تكوّنان - تؤديان - تشعران - تجدان } مضارع مسند لألف الاثنين للمخاطَبَين

• يصنعون - يكوّنون - يؤدُّون - يشعرون - يجدون	مضارع مسند لواو الجماعة للغائبين
• تصنعون - تكوّنون - تؤدون - تشعرون - تجدون	مضارع مسند لواو الجماعة للمخاطبين
• تصنعين - تكوّنين - تؤدّين - تشعرين - تجدين	مضارع مسند للمخاطبة

فهذه هي الأفعال الخمسة ، ويعبر عنها أحيانا بالوزن الصرفي ، فيقال - كما جاء في ابن عقيل - وهي (يفعلان - تفعلان - يفعلون - تفعلون - تفعلين) .

وإعراب الأفعال الخمسة يكون كالآتي : ترفع بثبوت النون نيابة عن الضمة ، وتنصب بحذف النون نيابة عن الفتحة ، وتجزم بحذف النون نيابة عن السكون .

وإذا عاودنا النظر إلى الأمثلة التي بدأ بها الموضوع ، وجدنا الأفعال (يصنعون - يكونون - يشعرون) في الأمثلة مرفوعة - لتجردها من الناصب والجازم ، بثبوت النون ، والفعل (يؤدوا) منصوب - بعد لام التعليل - بحذف النون .

- وأما الفعل (يجدوا) فهو مجزوم - بعد لم - وعلامة جزمه حذف النون .

• قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [الآية ٢٨١ من سورة البقرة] .

• وقال : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [الآيـة ٧٨ من سورة المائدة] .

• وقال : ﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ ﴾ [الآية ١٢٩ من سورة النساء] .

مما يتفرع على ذلك :

يتفرع على هذا الموضوع السابق مسألتان :

الأولى : نون الرفع مع نون الوقاية :

لاحظ الأمثلة الآتية : (تذكرانني - تزورانني - تؤنسونني - تسعدينني)

من البين أن هذه الأفعال الأربعة أصلها (تتذكران - تزوران - تؤنسون - تُسعدون) والنون الموجودة هاهنا هى نون الرفع ، ثم جاء بعدها نون الوقاية وهى نون تتوسط بين الفعل وياء المتكلم لتقى الفعل من الكسر - كما قالوا - فصار على الصورة السابقة باجتماع النونين متجاورتين ، الأولى نون الرفع والثانية نون الوقاية ، وقد جاء نطق العرب لهاتين النونين على الصور الثلاث الآتية :

١ - بقاء النونين على أصلهما ، فينطق بهما معًا - كما هو واضح فى الأمثلة السابقة - وكما قال تعالى : ﴿ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي ﴾ [الآية ١٧ من سورة الأحقاف] ، وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [الآية ٥ من سورة الصف] .

٢ - إسكان النون الأولى - نون الرفع - وإدغامها فى الثانية ، فتصير نونًا مشددة ، كما لو نطقنا الأمثلة السابقة (تتذكرانّى - تزورانّى - تؤنسونّى تسعدونّى) وقد قرئت بذلك الآية ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ [الآية ٦٤ من سورة الزمر] .

٣ - أن تحذف النون الأولى تخفيفًا للنطق ، كما لو نطقنا الأمثلة السابقة (تتذكرانى - تزورانى - تؤنسونى - تسعدونى) وحينئذ يكون الفعل مرفوعا بالنون المحذوفة تخفيفًا .

الثانية : حذف نون الرفع لضرورة الشعر :

المعلوم - كما سبق - أن مجال الشعر ضيق لتقيد الشاعر بالوزن والتفاعيل المعدودة ، والقافية اللازمة ، ولذلك فإنه يباح للشاعر ما لا يباح للناثر ، ومما يباح له أحيانًا حذف نون الرفع فى الأفعال الخمسة إذا اضطر إلى ذلك ، وقد ورد ذلك فى شعر الفصحاء من شعراء الجاهلية والإسلام ، ومن ذلك :

• قول طرفة بن العبد :

يا لَكِ من قُبَّرةٍ بمَعْمَرِ
خلاَ لَكِ الجوُّ فَبيضى واصْفِرِى
ونقِّرِى ما شئت أن تُنقِّرِى
قد رُفع الفخُّ فماذا تحذرِى

لَا بُدَّ يومًا أن تُصادِى فاصْبِرِى (١)

وقد كان مقتضى الكلام أن يقول (ماذا تحذرين) لكنه حذف النون لضرورة الوزن والقافية .

• قول الشاعر يؤنب زوجه بطريقة رديئة :

أَبيتُ أَسْرِى وتبيتى تدلُكى
وجهَكِ بالعنبرِ والمسْكِ الزكى (٢)

وقد كان مقتضى الكلام أن يقول (وتبيتين تدلكين) لكنه حذف النون لضرورة الوزن والقافية .

• • •

---

(١) القبرة : طائر معروف - معمر : اسم مكان - اصفرى : الصفير إرسال الصوت فى طلاقة .

والأبيات خطاب لقبرة صفا لها الجو وخلا ، فلها أن تبيض وتزقزق وتنقر الأرض حيث تشاء دون خوف من الصياد وآلته - ثم يتوعدها أخيرًا بأنها سوف تصاد فيما بعد ، وبعد الفرح الحزن - والأبيات تستخدم لكل من غرته السعادة العاجلة عن الشر الآجل .

الشاهد فيها (فماذا تحذرى) وكان حقه أن يقول (فماذا تحذرين) لكن حذفت النون لضرورة الوزن والقافية .

(٢) يدل على امرأته بأنه يشقى ويتعب ويكدح ، أما هى فعملها التزين والتطيب ، مع أن هذا من طبائع الأمور !!

الشاهد فى (تبيتى) وكان من المفروض أن يقول (تبيتين) ولكنه حذف نون الرفع للضرورة الشعرية ، ومثلها (تدلكى) .

المضارع المعتل الآخر

١ – المقصود بالمضارع المعتل الآخر وأنواعه .

٢ – معنى المصطلحين النحويين (التعذر – الثقل) .

٣ – كيفية إعراب المضارع المعتل الآخر .

• • •

المضارع المعتل الآخر وأنواعه :

• يهوَى – يرضَى – يبقَى – ينهَى – يرقَى } معتل الآخر بالألف

• يبنى – يهدِى – تفدِى – يُوفِى – يخفِى – يقضِى } معتل الآخر بالياء

• يرجُو – يسمُو – يغزُو – يعدُو – يحلُو } معتل الآخر بالواو

جاء فى ابن عقيل : « المعتل من الأفعال هو ما كان فى آخره واو قبلها ضمة نحو (يغزُو) أو ياء قبلها كسرة نحو (يرمِى) أو ألف قبلها فتحة نحو (يخشَى) » . أ.هـ .

وتقريب هذه العبارة أن المضارع المعتل الآخر هو – كما يدل اسمه – ما كان فى آخره حرف علة ألف أو واو أو ياء .

ويترتب على ذلك بالضرورة أن أنواعه هى : معتل الآخر بالألف – معتل الآخر بالياء – معتل الآخر بالواو .

معنى المصطلحين : التعذر – الثقل :

التعذر : استحالة ظهور الحركة على حرف العلة ، حيث يتعذر على اللسان أن تظهر الحركة عليه .

ويكون ذلك مع المعتل بالألف مثل (يهوَى – يرضَى) ولك أن تحاول إظهار الحركة – ضمة أم فتحة – على آخر هذين الفعلين وهو الألف وإنك لن تستطيع !!

الثقل : صعوبة ظهور الحركة على حرف العلة ، حيث يثقل على اللسان أن تظهر الحركة عليه ، وإن كان يستطيع ذلك مع مشقة .

ويكون ذلك مع المعتل بالواو أو الياء فى بعض الحالات الإعرابية ، فمثلا الفعلان (تهْدِى - تسمُو) لو حاولنا إظهار الضمة عليهما ، لأمكن ذلك ، فنقول : (تهْدِىُ - تسْمُوُ) ولكن يكون ذلك ثقيلا على اللسان ويشق عليه النطق بها على الواو أو الياء .

كيفية إعراب المضارع المعتل الآخر :

لنتأمل الجدول الآتى :

الفعل	فى حالة الرفع	فى حالة النصب	فى حالة الجزم
يرقَى (معتل بالألف)	يرقَى المجدُّ فى حياته	يجتهد المجدُّ ليرقَى فى حياته .	لا ترقَ فى حياتك على حساب الآخرين
يتَّقِى (معتل بالياء)	يتَّقِى المؤمن ربَّه	يعمل القوى جهرة ليتَّقِىَ الريبة	لا تتَّقِ الناس ، بل اتَّقِ الله
يَحْلُو (معتل بالواو)	قد يحلُو العيش بعد المرارة	لن يَحلُوَ العيش بدون حرية	لم تحلُ حياة الأذلاَّء قط

الاستنتاج :

يمكن الاستنتاج من الجدول السابق بطريقتين أفقية ورأسية :

الطريقة الأولى : الأفقية :

تتلخص فى الآتى :

(أ) الفعل المضارع المعتل الآخر بالألف : تقدر عليه الضمة فى حالة الرفع ، والفتحة فى حالة النصب ، ويجزم بحذف حرف العلة .

(ب) الفعل المضارع المعتل الآخر بالياء : تقدر عليه الضمة فى حالة الرفع ، وتظهر عليه الفتحة فى حالة النصب ، ويجزم بحذف حرف العلة .

(جـ) الفعل المضارع المعتل بالواو : تقدر عليه الضمة فى حالة الرفع ، وتظهر عليه الفتحة فى حالة النصب ، ويجزم بحذف حرف العلة - مثل المعتل بالياء تمامًا .

الطريقة الثانية : الرأسية :

تتلخص فى الآتى :

(أ) الفعل المعتل عمومًا : فى حالة الرفع تقدر عليه الضمة .

(ب) الفعل المعتل عمومًا : فى حالة الجزم يحذف منه حرف العلة .

(جـ) الفعل المعتل فى حالة النصب ، تقدر الفتحة على المعتل بالألف ، وتظهر على المعتل بالياء والواو .

• • •

الإعراب الظاهر والمقدر

تمهيد :

يحترمُ المواطنُ الشريفُ حرّيَّاتِه وحرّيَّاتِ الآخرين .

لكنْ يَحْيَا بعضُ الناسِ لرغباتِه فقط ويتعامَى عن هَوَى الآخرين .

الإعراب الظاهر : هو ما كانت له علامة ظاهرة من علامات الإعراب سواء أكانت أصلية أم فرعية .

والإعراب المقدر : هو ما لم تكن له علامة ظاهرة فى الكلام ، وإنما علامته مقدرة ؛ إذ يتخيل له علامة للرفع أو النصب أو الجر .

ويلاحظ فى العبارتين السابقتين ما يلى :

الكلمات (يحترم - المواطن - الشريف - بعض - الناس - رغبات) فى كل منها علامة ظاهرة أصلية ، هى الضمة أو الكسرة .

أما الكلمتان (حريّات - الآخرين) ففى كل منها أيضًا علامة ظاهرة فرعية هى فى الأولى الكسرة وفى الثانية الياء .

لكن الكلمات (يحيا - يتعامى - هوى) ليست فيها علامة ظاهرة ، فليست هناك ضمة ظاهرة على آخر الفعل (يحيا) أو الفعل (يتعامى) وليست هناك كسرة ظاهرة على ألف كلمة (هوى) - ولذلك يتخيل على آخر كل منهما علامة إعراب مناسبة لوظيفته النحوية ، ضمة أو فتحة أو كسرة .

والخلاصة : أن الإعراب الظاهر ما له وجود فعلا على آخر الكلمة ، أما الإعراب المقدر ، فهو لا ينطق به ، لكنه يتخيل على آخر الكلمة .

وينبغى - بعد هذا الفهم - أن نلاحظ الأمور الآتية :

أولا : أن كل ما سبق شرحه من الإعراب الأصلى والفرعي - بأبوابه السبعة - إنما هو من الإعراب الظاهر ، باستثناء المضارع المعتل الآخر وسيعرف بعد قليل الرأى فيه .

ثانيًا : أن الذى يقدر من علامات الإعراب إنما هو العلامات الأصلية فقط (الضمة - الفتحة - الكسرة) ولا تقدر العلامات الفرعية .

ثالثًا : الإعراب المقدر يكون فى الفعل المضارع المعتل الآخر - كما سبق بيانه - على التفصيل الآتى :

(أ) فى حالة الرفع مع كل أنواعه (المعتل بالألف أو الواو أو الياء) .

(ب) فى حالة النصب مع المعتل بالألف فقط .

وقد سبق شرح ذلك فلا حاجة إلى إعادته .

رابعًا : يأتى الإعراب المقدر فى أصناف ثلاثة من الأسماء هى :

(١) المقصور : مثل (النُّهَى - الرِّضَى - العُلَى) .

(٢) المنقوص : مثل (السَّامِى - الهادِى - الدَّاعِى) .

(٣) المضاف لياء المتكلم : مثل (بلادِى - وطنى - حياتى) .

وهذه الثلاثة في حاجة إلى بيان الإعراب المقدر فيها تفصيلا .

• • •

الأسماء التى يقدر عليها الإعراب
(المقصور - المنقوص - المضاف لياء المتكلم)

(١) المقصود بالأسماء الثلاثة (المقصور - المنقوص - المضاف لياء المتكلم) .

(٢) معنى المصطلحات النحوية الثلاثة (التعذر - الثقل - المناسبة) .

(٣) كيفية إعراب الأسماء الثلاثة السابقة .

• • •

المقصود بالأسماء الثلاثة :

- البُشْرَى - اليُسْرَى - الشُّورَى - الهُدَى - الرِّضَى } المقصور
- الهادِى - الراضِى - القاضِى - البانِى - الرابِى } المنقوص
- وطنِى - أسرتِى - كليتِى - إيمانِى - عزيمتِى } المضاف لياء المتكلم

والتحديد العلمى لهذه الأسماء الثلاثة هو :

المقصور : هو الاسم المعرب الذى آخره ألف لازمة قبلها فتحة أ . هـ .

وهنا ينبغى التنبه إلى أن وجود الألف فى آخره إنما يقصد به النطق لا الكتابة ، فكلمة مثل (البشرى) اسم مقصور ، إذ تنطق بالألف وإن كانت الكتابة بالياء ، فالنحو لا شأن له - كما سبق القول - بالكتابة وإنما يدرس النطق .

المنقوص : هو الاسم المعرب الذى آخره ياء لازمة قبلها كسرة أ . هـ .

المضاف لياء المتكلم : هو الاسم المعرب الذى كمل معناه بإضافة ياء المتكلم إليه أ . هـ .

فالاسم المعرب يطلق عليه (مضاف) وياء المتكلم يطلق عليها (مضاف إليه) فمثلا (وطنى) مكونة من كلمتين هم (وطن - ياء المتكلم) بالفهم الآتى :

(١) (وطن) هى « المضاف » لياء المتكلم ، وآخره مكسور حين الإضافة ، وهذا الاسم هو المقصود بالدراسة هنا .

(٢) ياء المتكلم هى « المضاف إليه » وهو اسم مبنى فى محل جر ، ويقتضى كسر ما قبله دائمًا ، ومما يقتضى كسر آخره - حين الإضافة - الاسم المضاف .

المصطلحات الثلاثة : التعذر - الثقل - المناسبة :

التعذر : هو - كما سبق فى المضارع المعتل الآخر - استحالة ظهور الحركة على حرف العلة ، حيث يتعذر على اللسان أن تظهر الحركة عليه .

ويكون ذلك هنا مع الاسم المقصور ، مثل (الشُّورَى - الهُدَى) فالألف التى فى آخر هذين الاسمين لا تقبل الحركة ، ولك أن تجرّب إظهار الحركة - ضمة أم فتحة أم كسرة - على هذين الاسمين ، وإنك لن تستطيع النطق بها .

الثقل : هو - كما سبق فى المضارع المعتل الآخر - صعوبة ظهور الحركة على حرف العلة ؛ حيث يثقل على اللسان أن تظهر الحركة عليه ، وإن كان يستطيع ذلك مع مشقة .

ويكون ذلك هنا مع الاسم المنقوص فى بعض حالاته الإعرابية مثل (الهادِى - القاضِى) فالياء التى فى آخر هذين الاسمين يصعب نطقًا أن تشكل بالضم ، بأن يقال (الهادِىُ - القاضِىُ) كما يصعب نطقًا أن تشكل بالكسر فيقال (الهادِيِ - القاضِيِ) ، فالنطق بذلك - وإن كان ممكنًا - لكن فيه مشقة على اللسان ، وهذا ما يسمى بالثقل .

المناسبة : وجود حركة لازمة فى آخر الاسم المعرب لمناسبة اسم آخر متصل به ، وتسمى هذه الحركة حركة المناسبة ، ويترتب على وجودها الضرورى ألا تظهر على آخر الاسم حركات الإعراب .

ويكون ذلك فى المضاف لياء المتكلم ، إذ تقتضى الياء - كما سبق - كسر آخر الاسم « المضاف » دائمًا لمناسبة الياء ، مثل (وطنِى - أسرتِى) حيث توجد فى الكلمتين كسرة لازمة على « النون والتاء » لمناسبة الياء ، فلا يستطاع نطقًا الإتيان معها بحركات الإعراب الأخرى ، ضمة أم فتحة أم كسرة .

إعراب الأسماء الثلاثة :

لنتأمل الجدول الآتى :

الاسم	فى حالة الرفع	فى حالة النصب	فى حالة الجر
الشُّورى (مقصور)	تعصم الشُّورَى من خطأ الرأى الفَرْد	فإن الشُّورَى مظهرٌ عظيمٌ للحرّيةِ العامة	ليست من الشّورى الموافقةُ بالتّخويف
الرّاضِى (منقوص)	الرّاضِى عن الباطِل ذليلٌ	لكنّ الرّاضِى عن الحقّ حرّ عزيزٌ	فرقٌ كبيرٌ بين الرّاضِى عن الحقّ والباطل
حرّيّتى (مضاف إلى ياء المتكلم)	حرّيّتى أغلى من الحياة	لكنّ حرّيّتى لا تتحققُ بدون تضحية	وجزءٌ من حريّتى فى حرّيّة الآخرين

الاستنتاج :

من تأمل الجدول السابق يستنتج ما يلي :

(أ) الاسم المقصور : تقدر عليه الضمة والفتحة والكسرة للتعذر .

(ب) الاسم المنقوص : تقدر عليه الضمة والكسرة فقط للثقل ، وتظهر عليه الفتحة .

(جـ) الاسم المضاف إلى ياء المتكلم : تقدر عليه الضمة والفتحة والكسرة للمناسبة .

والخلاصة : أن هذه الأسماء الثلاثة تقدر عليها جميعًا الحركات الثلاث – رفعًا ونصبًا وجرًا – مع اختلاف السبب – ما عدا الاسم المنقوص في حالة النصب فإنه تظهر عليه الفتحة .

فلنتأمل الشواهد الآتية :

• قال الله تعالى : ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [الآية ١٢ من سورة طه] .

فكلمة (الوادِي) اسم منقوص مجرور بالكسرة المقدرة على الياء للثقل .

وكلمة (طوًى) اسم مقصور بدل من « الوادى » مجرور بالكسرة المقدرة على الألف للتعذر .

• وقال : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [الآية ٤١ من سورة ق] .

فكلمة (المنادى) اسم منقوص فاعل مرفوع بضمة مقدرة على الياء للثقل .

• وقال : ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ [الآية ٣١ من سورة الأحقاف] .

كلمة (داعيَ) اسم منقوص مفعول به منصوب بالفتحة .

• وقال : ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾ [الآيات ٢٩ إلى ٣٢ من سورة طه] .

فالكلمتان (أهلى – أمرى) مجرورتان بالكسرة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها حركة المناسبة ، والكلمتان (أخى – أزرى) منصوبتان بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها حركة المناسبة .

• قال زفر بن الحارث :

أيذهبُ يومٌ واحدٌ إنْ أسأتُه بصالح أيَّامِى وحسنِ بَلاَئِيا
وقد يَنبتُ المرْعَى على دِمَنِ الثَّرَى وتبقى حزَازَاتُ النفوسِ كما هيا (١)

وفى هذين البيتين تعرب إعرابًا مقدرًا الكلمات (أيامى - بلائى - الثرى) .

• • •

(١) الدمن : آثار الناس والديار - الحزازات : جمع « حزازة » وهى ألم القلب من الغيظ والحقد .

المعنى : إن إساءة يوم واحد منى تمحو عند الناس ما قدمته من قبل من الحسنات ، وهذا غير غريب على نفوس الناس وخستها ، إذ تنطوى على الضغائن فلا تنساها ، فتتلمس السقطات وتترك الحسنات ، فالأرض أكرم منهم ؛ إذ ينبت الزرع بعد الخراب وفوق الدمن .

وفى البيت دليل : على أن الكلمتين (أيامى - بلائى) المجرورتين بالإضافة قدرت عليهما الكسرة لمناسبة الياء - وأن كلمة (الثرى) مجرورة بالإضافة أيضًا وقدرت عليها الكسرة للتعذر ، لأنها اسم مقصور .

الإعراب والبناء

ثانيًا : البناء

تمهيد :

يحدد معنى البناء عبارة واحدة هي : (لزوم آخر الكلمة حالة واحدة لا تتغير بتغير العوامل الداخلة عليها) أ . هـ

• يقول أحد الشعراء معاتبًا :

وأنتَ الذى أخلَفْتَنى ما وعدْتنى وأشْمَتَّ بى من كانَ فيكَ يلومُ

فكلمات هذا البيت جميعًا - ما عدا الكلمة الأخيرة - كلها مبنية . والبناء فى آخر الكلمات (أنت - الذى - أخلف - التاء - نون الوقاية - ياء المتكلم - ما - وعد - أشمت - الباء - ياء المتكلم - مَنْ - كان - فى - الكاف) وقد اختلف شكل آخر كل واحدة منها عن الأخرى ، فبعضها شكل بالفتحة مثل (أنتَ - التاء - كانَ - الكاف) وبعضها شكل بالكسرة مثل (نون الوقاية - ياء الجر) وبعضها شكل بالسكون مثل (الذى - أخلفتَ - ياء المتكلم - ما - وعدْت - أشمتَّ - من - فى) ومع ذلك فإنها جميعًا مبنية ، إذ يلزم آخرها صورة واحدة لا يتحول عنها من جملة إلى أخرى ، فمثلا الكلمات (أنت - الذى - كان) لا يتغير آخرها أبدًا فى أية جملة صادفتها فى اللغة العربية بل تبقى الأولى دائمًا مفتوحة الآخر ، والثانية ساكنة ، والثالثة مفتوحة ، وهذا هو المقصود بالبناء .

لكن ينبغى قبل دراسة ما يتعلق بهذا الباب معرفة الملاحظات الآتية حول التعريف السابق :

أولا : أن البناء يقصد به شكل آخر الكلمة فقط ، فهو فى كلمة (أنتَ) الفتحة ، وفى كلمة (الذى) السكون ، وفى كلمة (كانَ) الفتحة ، ولا شأن للبناء ببقية حروف الكلمة أو شكلها ، فهو خاصية تتجه إلى آخر الكلمة فقط .

ثانيًا : أن البناء لا يتحقق إلا فى جملة واحدة - تمامًا كالإعراب - فالكلمة المفردة لا يمكن الحكم عليها إن كانت متغيرة معربة أو لازمة الشكل مبنية إلا

يتصور دخولها فى (كلام) - كما سبق تحديده - فإذا دخلت جملة مفيدة ولم يتغير آخرها من كلام لآخر ، فهى مبنية ، وإلا فهى معربة .

ثالثًا : يفهم من ذلك بداهة أن الكلمة المبنية هى التى لا يتغير آخرها من جملة لأخرى مهما كانت الوظائف النحوية التى تجىء لها - ولنأخذ نموذجًا لذلك كلمة (هؤلاء) اسم الإشارة لجماعة الذكور والإناث ، فهى كلمة مبنية ، يدل على ذلك وضعها فى الجمل الآتية :

- قول الله تعالى : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ [الآية ٧٨ من سورة هود] .
- وقوله : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ [الآية ٢٧ من سورة الإنسان] .
- وقوله عن المنافقين : ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [الآية ١٤٣ من سورة النساء] .

فالكلمة فى الآية الأولى مبتدأ ولزمت الكسر - وفى الآية الثانية اسم (إنَّ) ولزمت أيضًا الكسر - وفى الآية الثالثة مجرورة بالحرف (إلى) ولزمت الكسر أيضًا ، فهذه كلمة مبنية لا يتغير شكلها فى الجمل المختلفة .

رابعًا : يترتب على ذلك بداهة أيضًا أن علامات البناء هى الشكل الذى يلازم آخر الكلمة المبنية ، سواء أكان هذا الشكل الملازم ضمة أم فتحة أم كسرة أم سكونًا ، كما تنطق النماذج الآتية :

- منذُ - حيثُ - قبلُ - بعدُ - أوّلُ - علُ } مبنى على الضم
- إنَّ - لعلَّ - رُبَّ - كيفَ - أينَ - الآنَ - فهمَ } مبنى على الفتح
- هؤلاءِ - شَرابِ - حذامِ - جيرِ - أمسِ } مبنى على الكسر
- مَنْ - مِنْ - ما - الذى - هلْ - بلْ - قدْ - افْهَمْ } مبنى على السكون

خامسًا : الجوانب الهامة للدراسة فى باب البناء تأتى فى أمور أربعة هى :

(١) البناء فى الأسماء .

(٢) البناء فى الأفعال .

(٣) البناء فى الحروف .

(٤) المحلّ الإعرابى للكلمات المبنية مع الوظائف النحوية المختلفة .

البناء في الأسماء

(١) الرأى في اسباب بناء الأسماء .

(٢) الأسماء المبنية بصورة عامة .

• • •

أسباب بناء الأسماء :

معظم الأسماء العربية معرب ، بمعنى أنه يتغير آخره بتغير وظائفه النحوية . ومن الأسماء ما هو مبنى ، بمعنى أنه يلزم آخره شكلا معينًا لا يتغير ، والأسماء المبنية فى اللغة يمكن حصرها وتحديدها كما سيأتى .

لكن ، لماذا بنيت الأسماء ؟؟

لقد قدَّم النحاة العرب - بعد افتراض هذا السؤال - الإجابة عنه بكلام طويل مجهد يعجب الذهن ، ولكنه لا يفيد اللغة ، وما كان أغناهم عن الخوض فيه .

والرأى المشهور عن ذلك فى كتب النحو ما قرره ابن مالك - وأطال القول فيه شُرَّاح الألفية فى قوله :

والاسم منه معرب ومبنى لشبهٍ من الحروف مُدْنِى

ومقتضى هذا الرأى أن الاسم يبنى إذا أشبه الحرف - أىّ حرف - والحروف كلها مبنية - كما سيأتى - فيبنى أيضًا ما يشبهها من الأسماء .

وأوجه الشبه بين الاسم والحرف - باختصار شديد - أربعة هى :

(١) الشبه الوضعى : بمعنى أن يكون الاسم موضوعًا على حرف هجائى واحد أو حرفين ، فيشبه فى ذلك الحروف ، لأن الأصل فيها أن تكون على حرف هجائى أو حرفين .

وأكثر ما يأتى ذلك فى (الضمائر) فهى أسماء مبنية ، لشبهها بالحرف فى الوضع ، مثلا (التاء) فى (فهمت) حرف واحد ، وأيضًا (نا) فى (فهمنا) حرفان .

(٢) الشبه المعنوى : أن يكون الاسم دالا على معنًى تدل عليه بعض الحروف : مثلا (الاستفهام) معنى من المعانى يدل عليها الاسم (مَنْ) فى قولك

(من أوّلُ الفرقة؟؟) كما يدل عليه حرف الهمزة فى قولك (أعرفتَ صوابك من خطئك؟؟) (فأسماء الاستفهام) مبنية لهذا الشبه المعنوى ومثلها فى ذلك أيضًا (أسماء الشرط) .

(٣) **الشبه الاستعمالي** : يقصد به أن يستعمل الاسم كما يستعمل الحرف فلا يتأثر بما قبله ولكن يؤثر فيما بعده ، كالمثالين (نصارِ الحقَّ) و (إن الحقَّ واضحٌ) فكلمة (نصارِ) اسم فعل نصب بعدها كلمة (الحق) وكلمة (إن) حرف نصب بعده كلمة (الحق) ورفع كلمة (واضح) فأشبهت الأولى الثانية استعمالا ولذلك بنيت مثلها ، وكذلك كل (أسماء الأفعال) .

(٤) **الشبه في الافتقار اللازم** : ويقصد به أن تكون هناك أسماء لا يعرف المقصود منها إلا بغيرها ، تمامًا كما هو الأمر في الحروف ، ومن ذلك (الأسماء الموصولة) فى حاجة إلى جملة الصلة ، ومعروف أن الحرف لا يفهم معناه إلا حين ينضم إليه غيره من الأسماء والأفعال .

هذا هو الموضوع ، وقد صورته باختصار شديد لتبيين الرأى فيه .

والحق أن دراسة هذا الموضوع كله مما يطلق عليه (نحو الصنعة) لا (نحو اللغة) للآتى :

أولا : أنه بحث عن علة استعمال اللغة ، وهذا منهج مرفوض ، لأن المعتبر هو الاستعمال نفسه لا علته .

ثانيا : أنه بحث فى المشابهة بين مسلك لغوى ومسلك آخر ، وهذا أيضا مرفوض ، لأن المعتبر هو استقراء النطق نفسه لا مشابهته لغيره .

ثالثا : أن كل أنواع الشبه التى ذكرت عمل ذهنى من افتراض العقل وهذا مرفوض أيضا ، لأن المعتبر صورة الاستعمال نفسه لا ما تصوره الذهن عنه .

رابعا : أن كل أنواع المشابهة المذكورة يمكن نقضه والرد عليه مما يؤدى إلى الإجهاد وإضاعة الجهد فيما لا طائل وراءه .

لذلك كله ، ينبغي أن نضرب صفحا عن سؤال (لماذا بنى الاسم ؟!) - بعد تصوره وتصور الإجابة عنه - فهو أمر غير مفيد للنطق ولا للدارسين كى نوجه اهتمامنا لما هو مفيد فقط من معرفة (الأسماء المبنية) .

الأسماء المبنية :

من استقراء اللغة عرف أن الأسماء المبنية تكاد تنحصر فى الآتى :

١ - الضمائر :

سواء أكانت ضمائر منفصلة مثل (أنا - أنت - هو) أم ضمائر متصلة مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [الآية ٤ من سورة القلم] - وسيأتى بيان الضمائر فى موضعه من دراسة (المعارف) .

٢ - أسماء الإشارة :

للمفرد والجمع بنوعيهما ، المذكر من ذلك والمؤنث ، مثل (هذا - هذه - هاتِه - هنا - هناك - هؤلاء) .

أما أسماء الإشارة للمثنى (هذان - هاتان) فيعربان إعراب المثنى كما سبق .

٣ - أسماء الموصول :

للمفرد والجمع بنوعيهما المذكر والمؤنث ، وهى (الذى - التى - الذين - اللاتي - اللائى) وأيضًا أسماء الموصول المشتركة - سيأتى شرحها - مثل (مَنْ - ما) .

أما أسماء الموصول للمثنى (اللذان - اللتان) فإنها تعرب إعرابَ المثنى كما سبق بيانه .

٤ - أسماء الاستفهام :

وهى التى يسأل بها عن شىء ما ، مثل (مَنْ - ما - أينَ - كيفَ - متى) فإنها جميعًا مبنية ، قال تعالى : ﴿ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [الآية ٧٢ من سورة القصص] وتقول لصديقك : (كيف حالُك ؟ وأين تسكن ؟ ومتى أقابِلُك ؟؟) .

ويستثنى من أسماء الاستفهام (أىّ) فإنها معربة ، تقول : (أىُّ أيّامِك أسعدُ ؟) فكلمة (أىّ) مبتدأ مرفوع بالضمة ، وتقول : (من أىِّ ناحيةٍ قدمتَ ؟) فكلمة (أى) مجرورة بالكسرة .

٥ - أسماء الشرط :

وهى التى تعلق شيئين أحدهما على الآخر ، تقول : (من يصنعْ الخيرَ يسعدْ ،

ومن يصنعْ الشر يشقَ به) وسواء أكانت أدوات الشرط جازمة مثل (مَنْ – ما – مَهْما – متى – أيّان – أنّى – حيثُما) أم كانت غير جازمة مثل (إذا) .

٦ – أسماء الأفعال :

يقصد بها الأسماء التي تدل على معنى الفعل ولا تقبل علامته ، ومنها ما يكون بمعنى الماضى مثل (هيهاتَ) بمعنى (بَعُدَ) و (شتَّانَ) بمعني (افترق) ومنها ما يكون بمعنى المضارع مثل (وَىْ) بمعنى (أعجب) (وأفّ) بمعنى (أتضجر) – ومنها ما يكون بمعنى الأمر مثل (صَهْ) بمعنى (اسكتْ) و(مَهْ) بمعنى (كُفّ عن الحديث) .

وهذه الأنواع الستة السابقة سيأتى الكلام عن كل واحد منها تفصيلا فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله ، فلكل منها باب مستقل لدراسته .

٧ – المركب من الأعداد والظروف والأحوال :

• ويقصد بالمركب من الأعداد (أحدَ عشرَ – إحدى عشرةَ) إلى (تسعةَ عشرَ – تسعَ عشرةَ) فهذه كلها تبني على فتح الجزءين – ما عدا اثنى عشر واثنتى عشرة – قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ [الآية ٤ من سورة يوسف] .

• ويقصد بالمركب من الظروف أن تركب كلمتان تدلان على الزمان أو المكان تركيب (أحد عشر) مثل (صباحَ مساءَ – يومَ يومَ – بينَ بينَ) فهذا كله يبنى على فتح الجزأين أيضا .

قال كعب بن زهير :

ومن لا يصرفْ الواشين عنه ... صباحَ مساءَ يبغُوه خَبَالاً (١)

---

(١) الواشون : جمع واش ، وهو الذى ينقل الكذب بين الناس ، ليفسد بين المتحابين والأصدقاء – الخبال : الجنون ، وهذا هو الأصل ، والمراد بلبلة العقل واضطرابه بما يسمعه من كلام الوشاة .

المعنى : إن من لا يصرف الواشين عنه ، قصدوه فى الصباح والمساء ، وهو خليق بالبلبلة واضطراب العقل .

الشاهد فى البيت : فى (صباح مساء) تركيب الكلمتين تركيب (أحد عشر) فجعلتا بمنزلة كلمة واحدة ، وبنيت على فتح الجزأين ، ويقال عنهما فى الإعراب ظرف مركب مبنى على فتح الجزأين فى محل نصب .

وقال الشاعر :

آتِ الرزقُ يومَ يومَ فأجْمِلْ   طلبًا وابغِ للقيامة زادا (١)

وقول عبيد بن الأبرص :

نحمِى حقيقتنا وبعض القوم يسقط بينَ بينَا (٢)

• ويقصد بالمركب من الأحوال أن تركب كلمتان دالتان على الحال تركيب (أحد عشر) فتبنيان أيضا على فتح الجزأين ، كقول العرب : (فلانٌ جارِى بيتَ بيتَ) أى (ملاصقا) .

٨ – الأعلام المختومة بكلمة (وَيْهِ) :

وذلك مثل (سيبويه – عَمرويه – نِفطويه – راهَويه – دَرَسْتَويه) فهذه كلها تبنى على الكسر ، كقولنا : (ألف سيبويهِ كتابَه المشهور فى النحو) . وكقولنا : (من علماءِ الصرف المشهورين ابنُ درستويهِ) .

٩ – الأعلام المؤنثة على وزن (فَعَالِ) :

وذلك فى لغة أهل الحجاز ، مثل (حَذَامِ – قَطَامِ – رَقَاشِ – سَجَاحِ) فيبنى

---

(١) أجمل : معناها : أحسن ، ومنه قول الله تعالى ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ ، والجمال هو الحسن – ابغ : اطلب بإصرار .

المعنى : شتان بين طلب الدنيا وطلب الآخرة ، الأول مطلوب ، لكن برفق فالرزق على الله ، والثانى مرغوب بإصرار وقوة ، فإنه الزاد الباقى .

الشاهد : فى قوله (يوم يوم) حيث ركب اسما الزمان ، وجعلا اسمًا واحدًا بمنزلة (أحد عشر) وبنى المركب على فتح الجزأين .

إعراب البيت : (آتِ) خبر مقدم مرفوع بالضمة المقدرة على الياء المحذوفة وأصله (آتى) – الرزق : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة – يوم يوم : ظرف زمان مبنى على فتح الجزأين فى محل نصب – أجمل : فعل أمر مبنى على السكون والفاعل مستتر تقديره « أنت » – طلبا . مفعول به منصوب بالفتحة – وابغ : الواو حرف عطف ، ابغ : فعل أمر مبنى على حذف حرف العلة ، والفاعل مستتر تقديره « أنت » ، للقيامة : جار ومجرور – زادا : مفعول به منصوب بالفتحة ، وجملة (ابغ للقيامة زادًا) معطوفة على جملة (أجمل طلبا) .

(٢) الحقيقة – كما جاء فى القاموس – ما يحق حمايته من الأهل والعرض والمال .

يعرض الشاعر بامرئ القيس فيقول : إننا نحمى أعراضنا ودماءنا وأموالنا بخلاف بعض الناس – ومنهم امرؤ القيس – الذين يسقطون قبل الوصول إلى أهدافهم .

الشاهد : قوله (بين بين) حيث ركب اسما المكان تركيب (أحد عشر) فبنى المركب على فتح الجزأين .

ذلك كله على الكسر ، مثل (كانت سجاحِ زوجًا لمسيلمةَ الكذّاب الذى ادّعى النبوّةَ وارتدَّ عن الإسلام) ومن ذلك قول النابغة :

أتـارِكـةٌ تـدَلُّـلَـهـا قـطـامِ رَضِينَا بالتحيةِ والسلامِ (١)

وقول الشاعر :

إذا قالتْ حذامِ فصدِّقُوها فإن القولَ ما قالتْ حذامِ (٢)

١٠ - بعض أسماء الزمان والمكان :

مثل (أمسِ) مرادًا به اليوم الذى قبل يومنا - فى لغة أهل الحجاز - وكذلك (إذ - الآن - حيث) كقول الله تعالى : ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ [الآية ١٠ من سورة الكهف] وقوله : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الآية ٧١ من سورة البقرة] وقوله : ﴿ فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [الآية ٥ من سورة التوبة] .

وقول أحد الأساقفة فى الجاهلية :

منع البقاءَ تقلُّبُ الشمسِ وطلوعُها من حيثُ لا تُمسِى
وطلوعُها حمراء صافيةً وغروبُها صفراءَ كالورْسِ
اليومُ أعلمُ ما يجىءُ به ومضى بفصلِ قضائِهِ أمسِ (٣)

وينبغى التنبه أنه إذا أريد بكلمة (أمس) يومٌ ما من الأيام الماضية أو دخلته

---

(١) أتاركة تدللها قطام ؟ الاستفهام للتمنى - قطام : اسم صديقته التى يهواها .

يقول : ليت « قطام » تترك الدلال فتجود بالوصل ، ومع ذلك فأنا راض منها بالقليل ، بالتحية والسلام !!

الشاهد : كلمة (قطام) وهى علم على وزن (فعال) فتبنى على الكسر فى لغة الحجازيين ، وهى فى البيت فاعل مبنى على الكسر فى محل رفع .

(٢) حذام : امرأة الشاعر ، ويبدو أنها كانت مشهورة بالذكاء وحسن الرأى .

الشاهد : كلمة (حذام) فهى مبنية على الكسر فى لغة الحجازيين ، وهى فى البيت فاعل .

(٣) البقاء : الخلود - الورس : الزعفران - فصل قضائه : ما حدث فيه .

يقول : لا خلود فى الحياة ؛ إذ لا دوام على حالة واحدة ؛ فالشمس تشرق حمراء وتغرب صفراء ؛ وهى إحدى ظواهر الكون العظيمة ، فكيف بالإنسان الضعيل إلى جانبها ، بل من دلائل ضعف الإنسان وجهله أمام المستقبل أنه يعلم ما تقدمه له الأحداث فقط .

الشاهد فيه : كلمة (أمس) فى البيت الأخير ، إذ بنيت على الكسر فى لغة الحجازيين ، وقد استوفت شرطها ؛ إذ أريد بها اليوم السابق مباشرة .

« ال » أو أضيف أعرب بإجماع ، مثل (ماضى العُمر أمسٌ له والمستقبل بيد الله) و (مضى أمسُنا بخيره وشره ، فلنعشْ يومنا) ، وقال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ [الآية ٢٤ من سورة يونس] .

ذلك أهم ما يبنى دائما من الأسماء ، وهناك أسماء يعرض لها البناء فى استعمالات خاصة - كالمنادى المفرد العلم واسم لا « النافية للجنس » . وأسماء تبنى أحيانًا وتعرب أحيانًا أخرى ، مثل (قبل - بعدَ - أسماء الجهات) وسيأت شرح ذلك فى موضعه من أبواب النحو المتفرقة مثل (لا : النافية للجنس - النداء - الإضافة) إن شاء الله .

• • •

البناء فى الأفعال

(١) الماضى : يبنى على الفتح فى الأصل ، وقد يبنى على الضم أو السكون .

(٢) الأمر : يبنى على ما يجزم به مضارعه .

(٣) المضارع : يبنى على الفتح مع نون التوكيد المباشرة ، وعلى السكون مع نون النسوة .

* * *

بناء الماضى :

* نبغَ - لَمَعَ - ابتهجَ - كرُمَ - عملَ - اجتهدَ - أفادَ - تميّزَ - تقدّمَ } مبنى على الفتح
* جاهدُوا - ثابرُوا - تفوّقوُا - نجحُوا - سعدُوا - تعاهدُوا - تواصلوا - أحبُّوا - أخلصُوا } مبنى على الضم
* أخلصْتُ - ضحَّيْتُ - استرحْتُ - أمِنْت - اتفقْنا - تعاهدْنا - نفَّذْنا - فزْنا } مبنى على السكون

الفعل الماضى مبنى دائمًا ولا محل له من الإعراب فى الأصل ، وبناؤه كالآتى :

(أ) الأصل أن يبنى على الفتح ، مثل قولنا : (نبغَ المجتهدُ وحققَ الفوزَ لنفسه) فكل من الفعلين (نبغ - حقق) مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب .

(ب) يبنى على الضم إذا اتصلت به واو الجماعة ، إذ يقتضى ذلك ضم آخره نطقًا حين تتصل به الواو ، كقولنا : (فى بداية الإسلام ، المؤمنون صدَّقُوا وأخلصُوا ، والمنافقون كذّبُوا وخادعُوا) فكل من الأفعال الأربعة (صدَّقُوا - أخلصُوا - كذبُوا - خادعُوا) مبنية على الضم لاتصالها بواو الجماعة .

(جـ) يبنى على السكون إذا اتصل به ضمير رفع متحرك (التاء - نا - نون النسوة) كقولك : (قابلْتُ أصدقائى فاصطحْبنا وذهبْنا إلى شاطئ النيل فوجدْنا زميلاتِنا وقفْنَ منتظراتٍ قدومنا ، فذهبْنا جميعًا فى رحلة ترفيهية بريئة) .

فالأفعال فى (قابلْتُ - اصطحبْنا - وجدْنا - ذَهبْنا - وقفْنَ) كلها كما ترى مبنية على السكون لاتصالها بضمير الرفع المحرك .

وهنا فكرة جانبية هامة ينبغى التنبه إليها وهى بناء الفعل الماضى المعتل الآخر مثل (هدَىَ - سَمَا - رِضَى - لقِىَ) إذ ينبغى التعرف على كيفية بنائه فى المراحل الثلاث السابقة نفسها كالآتى :

(أ) يبنى على الفتح باعتبار الأصل ، لكن هذا الفتح يكون مقدرًا على المعتل بالألف ، إذ لا يمكن ظهوره عليها - ويظهر على المعتل بالياء ، تقول : (دَعَا الرسولُ إلى شريعة الهُدَى فرضِىَ بها المهتدون ونَأى عنها الهالكون) فالفعلان (دعا - نأى) مبنيان على الفتح المقدر على الألف للتعذر ، وأما الفعل (رضِىَ) فإنه مبنى على الفتحة الظاهرة .

(ب) إذا اتصلت به واو الجماعة - سواء أكان معتلا بالألف أم الياء - حذف منه حرف العلة وبنى على الضمة المقدرة على هذا الحرف المحذوف تخفيفًا .

قال تعالى عن المنافقين : ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [الآية ٨٧ من سورة التوبة] .

وقال عن سليمان وجنوده : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ ﴾ [الآية ١٨ من سورة النمل] .

(جـ) إذا اتصل به ضمير الرفع المتحرك بنى على السكون مثل غيره تقول : (الزميلات الفاضلات أصغيْنَ إلى صوت الفضيلة ولبَّيْنَ داعِىَ الأخلاق وَسَمْونَ بأنفسهن عن الشبهات) .

وخلاصة الموضوع فى بناء الفعل الماضى تتلخص فى الآتى :

١ - الفعل الصحيح الآخر يبنى على الفتح أصلا ، ويبنى على الضم إذا اتصلت به واو الجماعة ، وعلى السكون إذا اتصل به ضمير الرفع المتحرك .

٢ - الفعل المعتل الآخر ، مثل السابق تمامًا إلا فى حالتين :

(أ) إذا كان معتلا بالألف بنى على الفتح المقدر على الألف .

(ب) إذا اتصلت به واو الجماعة حذف منه حرف العلة ، وبنى على الضم المقدر على هذا الحرف المحذوف .

بناء الأمر :

لاحظ الأمثلة الآتية :

من كلام العرب : أَلِنْ جانبك لقومك يحبّوك ، وتواضعْ لهم يرفعوك .

ومن كلام الرسول ﷺ : «ارضَ بما قسم الله لك تكنْ أغْنى الناس» .

ومن كلام عمر ﷺ : علّموا أولادَكم العوم والرّماية ، ومروهم فلْيثِبُوا على الخيل وَثْبًا .

بناء الأمر :

هناك عبارة مشهورة بين المشتغلين بالنحو تلخص كيفية بناء فعل الأمر ، وهى : (فعل الأمر يبنى على ما يجزم به مضارعه) أ . هـ .

وتقريب هذه العبارة إلى الذهن أننا إذا تصورنا فعلا مضارعًا معربًا مجزوما ، ثم أتينا منه بالأمر ، فإن الأخير يأخذ شكل مضارعه الذى جاء منه تمامًا ، مع ملاحظة أن الشكل فى المضارع إعراب ، وأن الشكل فى الأمر بناء .

وتفصيل العبارة السابقة يتضح من الجدول الآتى :

الفعل الماضى	مضارعه	المضارع المجزوم	شكله إعرابا	الأمر	شكله بناء
صدق	يصدق	لتصدُقْ فى حديثك	مجزوم بالسكون	اصدُقْ فى حديثك	مبنى على السكون
أخلص	يُخْلِص	لا تخلصْ لعدوك		أخْلِصْ لأصدقائك	
راعَى	تُراعِى	لتُراعِ ضميرك أولا	مجزوم بحذف حرف العلة	راعِ ضميرك	مبنى على حذف حرف العلة
اتَّقَى	تَتقى	ولتتّقِ الله قبل الناس		اتقِ الله	
اتفقا	تتفقان	لا تتفقا على الباطل	مجزوم بحذف النون	اتَّفِقا على الحق	مبنى على حذف النون
اختلفوا	تختلفون	لا تختلفوا فتفشلوا		واختلفوا فى الرأى لا فى الودّ	

الاستنتاج :

أولا : الفعل الصحيح الآخر : يجزم مضارعه بالسكون ، ويبنى الأمر منه على السكون .

ثانيًا : الفعل المعتل الآخر : يجزم مضارعه بحذف حرف العلة ، ويبنى الأمر منه على حذف حرف العلة .

ثالثًا : الأفعال الخمسة : تجزم في المضاع بحذف النون ، ويبنى الأمر منها على حذف النون .

وأعتقد - بعد هذا الشرح والتفصيل - أنه قد اتضح معنى العبارة المشهورة : **(الأمر يبنى على ما يجزم به مضارعه)** .

فلنتأمل النصوص الآتية :

• قال تعالى : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الآية ١٠ من سورة الكهف] فالفعل (آتِ) مبنى على حذف حرف العلة ، والفعل (هَيِّئْ) مبنى على السكون .

• وقال : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [الآيتان ٤٣ - ٤٤ من سورة طه] فكلا الفعلين (اذْهبا - قُولا) مبنى على حذف النون .

• جاء في الحديث الشريف : (اتَّقِ الله حيثما كنت ، وأتبعْ السيئة الحسنةَ تمحُها ، وخالقْ الناسَ بخُلُقٍ حَسَن) [(١)] .

فالفعل (اتّق) مبنى على حذف حرف العلة ، والفعلان (أتبعْ - خالِقْ) مبنيان على السكون .

بناء المضارع :

ينبغى هنا فهم الأفكار الثلاث الآتية عن بناء المضارع وهى :

(أ) نون التوكيد المباشرة وغير المباشرة .

---

(١) انظر الفتح الكبير ج ١ ص ٣٢ .

(ب) نون النسوة .

(جـ) الموازنة بين نون التوكيد ونون النسوة .

وكل واحدة من هذه النقاط فى حاجة إلى بيان مستقل .

(أ) نون التوكيد المباشرة وغير المباشرة :

تأتى نون التوكيد مع الفعل المضارع فى صورتين ، مفتوحة مشدّدة ، مثل (تبذلَنَّ - تُنَاضِلَنَّ - تُدَافِعَنَّ) أو ساكنة مثل (تَبْذُلَنْ - تُنَاضِلَنْ - تُدَافِعَنْ) وجاء فى القرآن استخدام النونين فى آية واحدة هى ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴾ [الآية ٣٢ من سورة يوسف] وتسمى المفتوحة المشددة (نون التوكيد الثقيلة) كما تسمى الساكنة (نون التوكيد الخفيفة) .

هذه النون - بنوعيها - تأتى مع الفعل المضارع فتفيد تأكيد معناه وتقويته وتثبيته ، فإذا قلت : (لأناضلَنَّ حتى تتحققَ حرّيتى كاملة) فهذا لا شك أقوى من قولك : (أُنَاضِلُ حتى تتحقق حريتى كاملة) بدون نون التوكيد .

وهناك عبارة مشهورة بين المشتغلين بالنحو عن هذه النون مع الفعل المضارع هى : **(المضارع يبنى إذا باشرته نون التوكيد ويعرب إذا لم تباشره نون التوكيد)** فمتى إذن تكون النون مباشرة للمضارع فيبنى ، أو غير مباشرة له فيعرب !!

لنلاحظ الأمثلة الآتية :

لأنالَنَّ حريتى أو أموت دونها ولتدفَعَنَّ - أيها الظالمُ - حقّى راضيًا أو كارهاً وليصلَنَّ المظلومُ لحقه وإن طال الزمن	الفعل للواحد النون مباشرة الفعل مبنى على الفتح
لتحترِمنَّ - يا زميلتى - عِفّتَك وأنوثتَك أو تندمين ولتكفّانِّ - يا زميلَتَىَّ - عن التبرج والابتذال أو تندمان ولتكفُّنَّ - يا أصدقائى - عن العبث والاستهتار أو تندمون	الفعل للواحدة أو المثنى أو الجمع النون غير مباشرة الفعل معرب

نون التوكيد تأتى مع الفعل المضارع مباشرة وغير مباشرة .

فالمباشرة : هى التى تتصل بالفعل دون أن يفصل بينها وبينه فاصل ويكون ذلك إذا كان الفعل للواحد - متكلمًا أو مخاطبًا أو غائبًا - وجاءت معه نون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة مثل (أنالَنّ - تدفعَنْ - يصلَنّ) فى الأمثلة السابقة ، فإذا باشرت النون الفعل بنى على الفتح .

غير المباشرة : هى التى يفصل بينها وبين الفعل فاصل ولو مقدّرًا .

ويكون ذلك إذا كان الفعل من الأفعال الخمسة - للواحدة أو الاثنين أو الجماعة - وجاءت معه نون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة ، مثل (تحترِمِنّ - تكفَّانّ - تكفُنّ) فى الأمثلة السابقة ، فإن النون لم تباشر الفعل فيها جميعًا ، فالفعل معرب إعراب الأفعال الخمسة وإن كان مؤكدًا .

ولتوضيح عدم مباشرة النون مع الأفعال السابقة ينبغى تأمل التحليل الآتى لهذه الأفعال :

• تكفّانّ :

أصل الفعل (تكُفّ) ثم أسند لألف الاثنين ، فصار من الأفعال الخمسة (تكفَّانِ) فأكد بالنون فصار (تكفَّانِ نَّ) فحذفت نون الرفع تخفيفا لتوالى الأمثال - تكرار النون - وكسرت نون التوكيد بعد الألف ، فصار (تكفَّانِّ) فالنون لم تباشر الفعل لوجود فاصل لفظى بينهما وهو « ألف الاثنين » .

إعراب : تكفَّانّ :

فعل مضارع من الأفعال الخمسة مرفوع بالنون المحذوفة تخفيفا وألف الاثنين فاعل ، والنون حرف للتوكيد .

• تحترِمِنّ :

أصل الفعل (تحترم) ثم أسند لياء المخاطبة ، فصار من الأفعال الخمسة (تحترِمين) فأكد بالنون فصار (تحترِمينّ ن) فحذفت نون الرفع تخفيفا لتوالى الأمثال ، فصار (تحترِمِى نّ) ثم حذفت ياء المخاطبة لالتقاء الساكنين فصار (تحترِمِنّ) فالنون لم تباشر الفعل لوجود فاصل تقديرى هو « ياء المخاطبة » .

إعراب : تحترِمِنَّ :

فعل مضارع من الأفعال الخمسة مرفوع بالنون المحذوفة تخفيفا ، وياء المخاطبة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل ، والنون حرف للتوكيد .

* **تكفُنَّ** : مثل السابقة تماما .

هذا ، ومما ورد من التوكيد بالنون المباشرة وغير المباشرة النصوص الآتية :

* قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴾ و ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ [الآية ١٨٦ من سورة آل عمران] .

* وقال تعالى مخاطبًا مريم : ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ [الآية ٢٦ من سورة مريم] .

* ومن كلام عمر ﷺ عن تاركي صلاة الجماعة : (والله لأحرقَنَّ عليكم البيوتَ أو لتخرجُنَّ لصلاة الجماعة) .

* ومن كلام عمر لعلى وابن عباس ﷺ : (والله لتُبايِعانِّ وأنتما طائعان أو لتبايعانِّ وأنتما كارهان) .

(ب) نون النسوة :

وهو اسم مكون من حرف هجائى واحد هو النون المفتوحة المخففة دالة على جماعة الإناث غائبات أو مخاطبات - ويسند إليه الفعل المضارع فيبنى على السكون ، ويكون الفعل مع نون النسوة جملة كاملة من (فعل وفاعل) الفعل هو المضارع والفاعل هو نون النسوة « اسم ضمير » نقول : (الضروراتُ يُبِحْنَ المحظورات) وتقول : (المثقفات يدبِّرْنَ شئونهن بحكمة وفهم) ومن ذلك الشواهد الآتية :

* قال الله تعالـى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [الآية ٢٣٣ من سورة البقرة] .

* وقال : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [الآية ٣١ من سورة النور] .

• وقـال : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الآية ٣٣ من سورة الأحزاب] .

(جـ) الموازنة بين نُونَىْ التوكيد والنسوة مع المضارع :

من الكلام السابق يمكن استنتاج وجوه الموازنة بين الصورتين - المضارع المتصل بنون التوكيد ، والمضارع المتصل بنون النسوة - مما يتضح فى الجدول الآتى :

نون التوكيد	نون النسوة
١ - مفتوحة مشددة (ثقيلة) أو ساكنة (خفيفة)	مفتوحة فقط
٢ - الفعل معها مفتوح الآخر (مبنى على الفتح)	الفعل معها ساكن الآخر (مبنى على السكون)
٣ - نون التوكيد حرف لا بد من وجود فاعل أو نائب فاعل لفعلها المضارع	نون النسوة اسم ضمير النون نفسها فاعل أو نائب فاعل ولا تحتاج لآخر

البناء في الحروف

١ - الحروف كلها مبنية سواء أكانت :

(أ) على حرف هجائى واحد أم أكثر .

(ب) عاملة أم غير عاملة .

* * *

الحرف هو القسم الثالث من الكلمة ، ويقصد به - كما سبق - ما يظهر معناه مع غيره من الكلمات أسماء وأفعالا - وهذا غير الحروف الأبجدية (أ - ب - ت - ث) ... إلخ .

وهناك عبارة مشهورة بين المشتغلين بالنحو ، تقول : (**قاعدة نحوية ، كل الحروف مبنية**) ويندرج تحت هذه العبارة السابقة التفصيل الآتى :

أولا : الحروف كلها مبنية بصرف النظر عن عدد الحروف الأبجدية التي يتكون منها الحرف ، إذ تأتى الحروف النحوية بالتكوين التالى :

(١) على حرف هجائى واحد : مثل (الباء) فى قولك (بالله) أو (الكاف) فى قـــول الله تعالى : ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الآية ٤٥ من سورة الكهف] أو (الواو) فى قولك (أحترم العفة والعزّة) .

(٢) على حرفين من حروف الهجاء : مثل (فى - عن - أنْ - لنْ - كى - لم - لا) .

(٣) على ثلاثة أحرف هجائية : مثل (إنَّ - أنَّ - ليت - إلى - رُبَّ - على - نَعَمْ - بَلَى - جَيْرِ) .

(٤) على أربعة أحرف هجائية : مثل (كأنَّ - لولا - حتَّى - لعلَّ) .

(٥) على خمسة أحرف هجائية : مثل (لكنَّ) .

ثانيًا : الحروف كلها مبنية بصرف النظر عن كونها -كما يقول النحاة - عاملة أو غير عاملة .

ويقصد بالحروف العاملة ما تؤثر فيما بعدها من الأسماء والأفعال رفعًا أو نصبًا أو جرًا أو جزما ؛ ومن ذلك :

(١) الحروف الناسخة (إنَّ وأخواتها) فهى تنصب الاسم وترفع الخبر وهى (إنَّ - أنَّ - ليت - لعلَّ - لكنَّ - كأنَّ) .

(٢) حروف الجر ، وتجر الاسم بعدها ، ومنها (مِنْ - إلى - عن - على - فى - رُبَّ - منذ - الكاف - الباء - اللام) .

(٣) حروف نصب المضارع ، وهى (أنْ - لنْ - إذن - كى) .

(٤) حروف جزم المضارع ، ومنها (لمْ - لمّا - لام الأمر - لا الناهية - إن - إذ - إذما) إلخ .

ويقصد بالحروف غير العاملة : ما لا يكون لها أثر إعرابى فيما بعدها وذلك كثير جدًّا ، ومنه :

(١) حروف النفى مثل (ما - لا) .

(٢) حروف الاستفهام مثل (الهمزة - هل) .

(٣) حروف العطف ، ومنها (الواو - الفاء - ثُم) .

• • •

المحل الإعرابي للكلمات المبنية

من كلام الرسول ﷺ : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » .
ومن القرآن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾
[الآية ٩ من سورة الإسراء] .

ويقول الشاعر :

لا تمدَحَنَّ امرءًا حتى تُجرِّبَه ... ولا تذُمَّنَّهُ من غير تجريب

• • •

معلوم أن الكلمة المعربة - اسما أو فعلا - حين تقع في وظيفة نحوية من وظائف الرفع أو النصب أو الجر أو الجزم (مبتدأ - خبر - فاعل - مفعول ... الخ) تكون مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة أو مجزومة ، ويتغير شكلها بحسب الوظائف النحوية المختلفة ، كما في قولنا (محمدٌ رسولُ الله) و (إنّ محمدا رسولُ الله) فكلمة (محمد) في المثال الأول « مبتدأ مرفوع بالضمة وفي المثال الثاني اسم إنّ منصوب بالفتحة » .

فكأنما وظائف الرفع والنصب والجر والجزم أصلا للكلمات المعربة ؛ إذ يظهر على آخرها مقتضى تلك الوظائف من الشكل الإعرابي الأصلي والفرعي - على ما سبق شرحه .

ويقصد هنا بالمحل الإعرابي للكلمات المبنية : أن تقع الكلمة المبنية اسما أو فعلا - أيضا في وظيفة نحوية من وظائف الرفع أو النصب أو الجر أو الجزم - وهي أصلا الكلمات المعربة - فتكون تلك الكلمات المبنية في محل رفع أو نصب أو جر أو جزم ، بمعنى أن تلك الكلمات في موضع هو في الأصل لكلمة معربة ، وقد حلت هي محلها ، ولذلك توصف - من المعربين - بأنها في محل رفع أو نصب أو جر أو جزم بحسب الوظيفة التي شغلتها .

ففي حديث الرسول ﷺ نجد كلمة (أنا) من الكلمات المبنية ، وقد وقعت مبتدأ - مرتين - في محل رفع .

وفى الآية الكريمة الكلمات المبنية (هذا - التى - هى) والأولى اسم (إنّ) فى محل نصب ، والثانية بعد (لام الجر) فى محل جر ، والثالثة مبتدأ فى محل رفع .

وفى البيت الشعرى نجد الفعل (تمدحَنّ) مبنى لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، وقد وقع بعد حرف الجزم (لا) فهو فى محل جزم ، ومثله تماما الفعل (تذمّنّ) .

• • •

تدريبات

(١)

قال « إبراهيم النبهانى » فى (التجلُّد والصبر)[١] :

تعزَّ فإنَّ الصبر بالحرّ أجمل ... وليس على ريب الزمان معوَّل
فلو كان يُغنى أن يُرى المرء جازعاً ... لحادثة أو كان يغنى التذلّل
لكان التَّعزى عند كل مصيبة ... ونازلة بالحر أولى وأجمل
فكيف ؟؟ وكلٌّ ليس يعدو حِمامه ... وما لامرئٍ عما قضى الله مَزْحَل
فإن تكن الأيام فينا تبدّلت ... بِبُؤسى ونُعمى والحوادث تفعل
فما لَيَّنَتْ منّا قناة صليبة ... ولا ذلَّلتنا للتى ليس تجمل
ولكنْ رحلْناها نفوسًا كريمة ... تُحمَّل ما لا يُستطاع فتحمل
وقينا بحسن الصبر منّا نفوسنا ... فصحتْ لنا الأعراض والناس هُزَّل

(١) الكلمات (تعزّ - كيف - التى - ليس - رحلناها - لكنْ) مبنية ما نوعها من المبنيات ؟؟ وما شكل بنائها ؟؟

(٢) الكلمات (أجمل - أولى - بؤسى - نُعمى - حوادث) ممنوعة من الصرف ، اذكر صفات منعها منه ، ثم أعربها كما وردت فى النص .

(٣) فى النص خمسة أفعال معتلة، بيّنها ، ثم صف حكمها من حيث البناء والإعراب .

(٤) فى البيت الثالث اسمان أحدهما منقوص والآخر مقصور ، حددهما ثم أعربهما كما وردا فى البيت .

(٥) ما الدليل على أنّ (نا) اسم فى العبارات (فينا - منّا - رحلنا - وقينا) .

(٦) الكلمات (معول - جازعًا - مَزْحَل - قناة - نفوساً) صفها من حيث الوظيفة النحوية والشكل كما وردت فى الأبيات .

---

(١) ديوان الحماسة لأبى تمام - الجزء الأول - ص ٨٨ - مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٢٧ .

(٧) فى الجملتين (ما لامرئ عما قضى الله مزحل - تحمل ما لا يستطاع) استعملت (ما) ثلاث استعمالات مختلفة ، وضحها .

(٨) الكلمات (حادثة - مصيبة - صليبة) اجمعها جمع تكسير ، وضع كل جمع منها فى ثلاث جمل مفيدة مرفوعًا ومنصوبًا ومجرورًا مع ضبطه بالشكل .

(٩) اذكر الجمع السالم للكلمات (جازع - حادثة - نائبة - هزّل) واستخدم الجمع فى كلام مفيد .

(١٠) اختر أحد الأبيات فى النص ، ثم أعرب كلماته كلها مع التزام ذكر الوظيفة والشكل فى الإعراب .

(٢)

لمَّا احتُضر ذو الإصبع العدوانى [1] دعا ابنه أسيدًا فقال له : يا بُنَيّ إن أباك قد فَنِيَ وهو حيّ ، وعاش حتى سئم العيش ، وإنى موصيك بما إن حفظتَه بلغْتَ فى قومك ما بلغتُه ، فاحفظ عنى : ألِنْ جانبك لقومك يحبّوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وأبسطْ لهم وجهك يُطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشىء يُسوِّدوك ، وأكرمْ صغارهم كما تُكرم كبارهم ، يكرمْك كبارهم ، ويكبرْ على مودّتك صغارهم ، واسمح بما لك ، واحْمِ حريمك ، وأعززْ جارك ، وأعِنْ من استعان بك ، وأكرمْ ضيفك ، وأسرع النهضة فى الصَّريخ ، فإن لك أجَلا لا يعدوك ، وصُنْ وجهك من مسألة أحد شيئًا .

• • •

(١) نادى ذو الإصبع ابنه بقوله : (يا بنى) - بضم الباء وفتح النون - ولو كان له أبناء كثيرون لقال (يا بنى) - بفتح الباء وكسر النون - مع تشديد الياء فيهما - وازن بين الصورتين .

(٢) الأفعال (دعا - فنى - عاش - سئم) بم تسمى صرفيًا ؟؟ استعملها فى كلام مفيد مسندة لضمائر الرفع المتحركة ، ثم صغ المضارع منها واستعمله فى كلام مفيد على أن يكون صورة من صور الأفعال الخمسة .

---

(١) ورد هذا النص فى كتاب « الأغانى » لأبى الفرج الأصفهانى - الجزء الثالث ص ٦ .

(٣) جملة (لا تستأثر عليهم بشيء يسوّدوك) أعربها ، ثم خاطب بها المفرد والمثنى والجمع بنوعيه مع تأكيد الفعل (تستأثر) بالنون الثقيلة أو الخفيفة ، واذكر بعد التأكيد بالنون إعرابه أو بناءه .

(٤) من أفعال الأمر التي وردت في النص (أَلِنْ - تواضعْ - أكرمْ - احْمِ - أعِنْ) زنها صرفيًا - ثم اذكر شكل بناء كل منها .

(٥) ضمير المخاطب (الكاف) تكرر ذكره في هذا النص مع الأفعال والأسماء - اذكر عبارة نحوية واحدة تلخص الفرق في استعماله مع الاثنين .

(٦) الكلمات (ذو الإصبع - أسيدًا - أباك - مُوصيك - أجلًا - شيئاً) صفها من حيث الوظيفة والشكل كما وردت في النص .

(٧) (وهو حيّ بلغت في قومك - استعان بك - لا يعدوك) صف الجمل السابقة من حيث الفعلية والاسمية ، ثم اذكر مواقعها النحوية كما وردت في النص .

(٣)

كان أبو فراس الحمداني في أسر الروم ، فسمع حمامة تنوح على شجرة قريبة من سجنه - فأنشد هذه الأبيات [(١)]

أقول وقد ناحت بقُربي حمامة ... أيا جارَتا لو تعلمين بحالي
مَعَاذَ الهوى ما ذقت طارقةَ النّوَى ... ولا خطرتْ منك الهُمومُ ببالي
أتحمل محزونَ الفؤاد قوادمٌ ... على غُصن نائي المسافة عالي
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا ... تعالي أقاسمك الهمومَ تعالي
تعالي تَرَىْ روحا لديّ ضعيفة ... تردّدُ في جسم يُعذّب بالي
أيضحك مأسور ، وتبكى طليقة ... ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ... ولكن دمعى في الحوادث غالي

(١) أثار البيت الرابع حوله مناقشة نحوية مفيدة ، ما هي ؟! وما رأيك فيها ؟!

(٢) الكلمات (قُرْبِي - جارتا - حالي - الهوى - النوى - عالي - نائي -

---

(١) ديوان أبي فراس - ص ٢١٨ - طبع بيروت سنة ١٩٦١ .

سالى - دمعى - غالى) وردت فى النص بهذا الترتيب - اذكر ما يُقدّر عليها من حركات الإعراب الأصلية مع سبب هذا التقدير .

(٣) كلمة (قوادمٌ) فى البيت الثالث ، ما المسوغ لصرفها مع أنها أصلا غير مصروفة ، وضح ذلك من وزن البيت عروضيًا .

(٤) كلمتا القافية فى الشطرين (ولا خطرت منك الهموم ببالى - تردد فى جسم يعذب بالى) متفقتان فى الصورة ومختلفتان فى الإعراب - اشرح ذلك .

(٥) ما حكم الكلمات الثلاث (بيننا - لدىّ - لكنَّ) من حيث الإعراب والبناء ؟

(٦) اضبط بالشكل الكلمات الآتية ، وبين سبب الضبط (حمامة - معاذ - محزون - ضعيفة - مقلة) - راجع قبل الضبط سياقها فى الأبيات .

(٧) الفعلان المضارعان (أُقاسم - ترى) مجزومان فى جواب الطلب فما علامة الجزم فى كل منهما ؟!

(٨) هات الجمع السالم من الصفات (محزون - عالى - ضعيفة - طليقة - ناء - بالى) ثم استعمله منصوبًا فى جملة مفيدة .

(٩) فى البيت السادس ، لو وجه الشاعر لنفسه وللحمامة الخطاب ، فبدأ بقوله (أأضحك مأسورًا ...) فكيف ينطق باقى الجمل !

(١٠) أعرب البيت الأُخير من هذا النص ملتزمًا فى كل كلمة ذكر الوظيفة والشكل .

(٤)

حضرت « الخنساء » حرب « القادسية » ومعها بنوها أربعة رجال ، فقالت لهم : [١]

يَا بَنِيَّ ، أنتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذى لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجّنت حسبكم - ولا غيَّرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله

---

(١) خزانة الأدب - ج ١ ص ٢٥ .

للمسلمين من الثواب العظيم فى حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عز وجل : ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران] فإذا أصبحتم غدًا فاغدُوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، ولله على أعدائه مستنصرين .

فلما أضاء لهم الصبح ، باكَرُوا مراكزهم ، فتقدموا واحدًا بعد واحد يُنشدون الأراجيز ، فقاتلوا حتى استُشهدوا جميعًا ، فلما بلغها الخبر ، قالت : الحمد لله شرفنى بقتلهم ؛ وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

• • •

(١) (إنكم لبنو رجل واحد) كلمة (بنون) لماذا اعتبرت ملحقة بجمع المذكر السالم ؟! اذكر إعرابها كما وردت فى الجملة .

(٢) ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ اذكر حكم الأفعال التى وردت فى هذه الآية من حيث البناء والإعراب .

(٣) كلمة (الأراجيز) من أى أنواع الجموع ؟؟ اذكر مفردها ، وهات بعد ذلك عشر كلمات أخرى مماثلة لها فى الوزن والمفرد والإعراب .

(٤) (مراكزهم - الأراجيز) هكذا وردت الكلمتان فى النص ، فما موقعهما النحوى ؟! أدخلهما بهذه الصورة فى كلام تام مجرورتين ثم اشرح مسلكهما النحوى مستشهدًا بما ذكرت من جمل .

(٥) وردت جموع المذكر (مختارين - المسلمين - الكافرين - مستبصرين) اذكر الوظيفة والشكل لهذه الجموع كما وردت فى سياق النص .

(٦) الكلمتان (امرأة - أعداء) لماذا لم تمنعا من الصرف مع أن الأولى مؤنثة وفى آخر الثانية ألف المد ؟

(٧) أعرب بالتفصيل الجمل الآتية (معها بنوها أربعة رجال - ما خنت أباكم - قاتلوا حتى استشهدوا جميعاً) .

(٥)

قال العباس بن الوليد بن عبد الملك لمسلمة بن عبد الملك [١] :

ألا تقْنَى الحياء أبا سعيد وتُقصر عن مُلاحاتى وعَذْلى
فلولا أن أصلك حين تُنْمَى وفرعك منتمى فرعى وأصلى
وأنى إن رميتُك هضْتُ عظمى ونالتْنى إذا نالتْك نَبْلى
لقد أنكرتنى إنكار خوف يضم حَشاك عن شتمى وأكلى
كقول المرء « عمرو » فى القوافى « لقيس » حين خالف كل عدل [٢]
عذيرىَ من خليلىَ من مُرادِ أريد حياته ويريد قتلى

(١) (تنمى - منتمى) وازن بين الكلمتين من حيث التسمية النحوية والإعراب ، ثم طبق الأخير على ما ورد فى النص .

(٢) (أنكرتنى - ملاحاتى) اتصلت بكل منهما ياء المتكلم - وازن بين صلتهما بهما .

(٣) جاء فى البيت الثالث الكلمتان (عَظمى - نَبلى) وهما متفقتان فى التسمية ، لكن اختلف موقعهما النحوى فى سياق البيت - اشرح ذلك .

(٤) (عذيرى من خليلى من مراد) ما معنى هذه الجملة ؟؟ أعربها بالتفصيل .

(٥) (أريد حياته ويريد قتلى) فى شطر البيت كلمتان وقعتا مفعولا به حددهما ، ثم وازن بينهما من حيث الشكل الإعرابى .

(٦) (أبا سعيد - تقصر - إنكار خوف - حين - عمرو) اذكر الوظيفة والشكل للكلمات السابقة كما وردت فى سياق جمل النص .

(٧) الأفعال (رمى - هاض - أنكر - خالف) بم تسمى صرفيًا ؟ صغ من كلا منها فعل فى صورتى المجرد من الإسناد والمسند لواو الجماعة ، ثم اذكر كيف يبنى فى الحالتين .

---

(١) يلاحظ أن النص الشعرى الآتى موجه من ابن أخ إلى عمه .

وقد ورد النص فى كتاب الأمالى - لأبى على القالى - طبع دار الكتب سنة ١٩٢٦ - ص ١٤ .

(٢) عمرو : هو عمرو بن معديكرب - قيس : هو قيس بن مكشوح ، وكان صديقا لعمرو ، ومن البين أن البيت الأخير فى المقطوعة من كلام عمرو بن معديكرب « وقد اقتبسه العباس بن الوليد » .

النكرة والمعرفة

أولاً : النكرة :

(١) المقصود بالنكرة لدى النحاة .

(٢) العلامات التي تستخدم لمعرفة الاسم النكرة .

• • •

طالب - كتاب - كلية - جامعة - رحلة - زهور - أشجار - طيور - مياه - جداول - استمتاع - راحة - هدوء - نشاط - قوة .

النكرة - كما جاء في قطر الندى - عبارة عما شاع في جنس موجود أو مقدّر . أ . هـ .

والمقصود بهذه العبارة أن يكون اللفظ مما يندرج تحته أفراد كثيرون لا يختص به واحد دون آخر ، فكلمة (طالب) مثلا تطلق - بلفظها - على ما لا يحصى من أفراد الطلاب ، وكذلك كلمة (شجرة) يمكن استخدامها - كما هي - لتطلق على ملايين الأشجار مختلفة الأشكال والألوان ، ومثل ذلك أيضا كلمة (شمس) فإنها بلفظها تطلق على كل جرم مضيء ، فهي نكرة بهذا الاعتبار - اعتبار اللفظ - وإن كان لا يوجد منها في الحقيقة والواقع إلا فرد واحد فقط .

هذا ، وتستخدم إحدى العلامات التالية للتعرف على الاسم النكرة :

(١) أن يقبل « ال » :

فالكلمات (طالب - أشجار - راحة) كلمات منكرة ومعناها شائع وهي تقبل « ال » فيقال (الطالب - الأشجار - الراحة) فتدل حينئذ على طالب معين ، وأشجار حديقة خاصة مثلا ، وراحة معهودة بين المتكلم والمخاطب .

(٢) أن يدل على ما يقبل (ال) :

فالكلمات (ذو) بمعنى صاحب و (مَنْ) بمعنى شخص ما و (مَا) بمعنى شيء ، في قولك (عاش عمرُ ذا ضمير حيّ فاحترمه كل من يحبُّه وكل من يكرهُه) فإن كلمة (ذا ضمير) بمعنى (صاحب ضمير) وكلمة (صاحب) تقبل « ال » فيقال

(الصاحب) . وكلمة (مَنْ) بمعنى (إنسان) وهذه الأخيرة تقبل « ال » فيقال (الإنسان) .

(٣) أن تقبل الكلمة حرف الجر « رُب » :

ذكر هذه العلامة ابن هشام ، فإن كلمة (رُبَّ) لا تدخل إلا على النكرات ، تقول (رُبَّ صمتٍ خيرٌ من كلام) و (رُبَّ فقيرٍ خيرٌ من غنيٍّ) فكل من الكلمتين (صمت - فقير) نكرتان بهذه العلامة .

ومن ذلك قول سويد بن كاهل اليشكرى :

رُبَّ مَنْ أنضَجْتُ غيظًا قلبَهُ قد تمنَّى لى موتًا لم يُطَع (١)

• وقول أمية بن أبي الصلت :

لاَ تضيقَنَّ بالأمور فقد تُكشَفُ غماؤها بغير احتيالِ
ربَّما تكْرَهُ النفوسُ من الأمرِ له فُرجةٌ كحَلِّ العقالِ (٢)

---

(١) الغيظ : أشد الغضب ، وإنضاج الغيظ : يقصد به الوصول إلى منتهاه ، لم يطع : لم ينفذ ما أراد .

يقول : من الناس عدو لى مغتاظ منى أشد الغيظ ، وإنه ليتمنى موتى ، ومع ذلك لم تتحقق أمنيته ولم يحدث ما أراد .

الشاهد : فى قوله (رب من أنضجت غيظا) فإن (من) نكرة بمعنى (إنسان) بدليل دخول الحرف « رب » عليها .

(٢) الغماء : الكرب والأحزان - الاحتيال : الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرف « الشطارة » - الفرجة - كما يقول القاموس - التفصى من الهم بمعنى الخروج منه - العقال : الحبل الذى يربط به البعير - حل العقال : فى غاية اليسر .

المعنى : هون عليك ولا تهتم بالشدائد ، فبعد العسر يسر ، وربما انكشفت الأحزان بدون مجهود ، ورب أمر يضيق به الإنسان والخروج منه سهل ميسور كحل العقال .

الشاهد : فى البيت الثانى (ربما تكره النفوس) فإن (ما) بمعنى (شىء) فهى نكرة والدليل على ذلك دخول (رب) عليها .

إعراب البيتين : « لا تضيقن » لا : ناهية - تضيقن : فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد فى محل جزم ! وفاعله ضمير مستتر تقديره « أنت » والنون حرف توكيد مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب - بالأمور : جار ومجرور متعلق بالفعل « تضيقن » - « فقد تكشف غماؤها » قد : حرف تحقيق - تكشف : فعل مضارع مرفوع بالضمة - غماؤها : نائب فاعل مرفوع بالضمة ، وضمير الغائبة مضاف إليه - بغير : جار ومجرور - احتيال : مضاف إليه مجرور بالكسرة .

« ربما » رب : حرف جر شبيه بالزائد - ما : نكرة بمعنى « شىء » مبتدأ مبنى على السكون =

ثانيًا : المعرفة

قال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [الآية ٥٢ من سورة إبراهيم] .

ومن شعر المتنبي :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعتْ كلماتى مَنْ به صمَمُ

• • •

فى الآية وبيت الشعر كلمات معارف هى (هذا - أنا - الذى - مَنْ) فالكلمة الأولى اسم إشارة ، والثانية ضمير ، والثالثة والرابعة من أسماء الموصول .

فالمعرفة - بالمعنى الدقيق - هى الاسم الذى وضع ليستعمل فى معيّن أ . هـ
وفى هذه العبارة المختصرة أمران هامَّان جدًا هما :

الأول : أنه قد ورد فى اللغة العربية أنواع خاصة من الأسماء (عددها ستة - ستأتى) معدّة لكى تستعمل معارف ، بمعنى أنها مهيأة لكى تدل على ما هو محدد ومعين .

الثانى : أن هذه الأسماء لا يظهر تحديد معناها إلا فى حال الاستعمال فى جمل مفيدة ، فالاستعمال الفعلى هو المجال العملى الذى يظهر فيه تحديد معنى هذه الأشياء ودلالاتها على معين ، سواء أكان شخصًا أم شيئًا من الأشياء .

مثلا كلمة (هذا) من أسماء الإشارة ، وأسماء الإشارة فى اللغة العربية من كلمات اللغة التى أعدت ليمكن استخدامها فى الدلالة على شىء معين - لكن كلمة (هذا) وحدها تبقى عامة الدلالة ، فهى صالحة - هكذا - للاستخدام فى الإشارة لما لا يكاد يحصى من الأشخاص والأشياء ، أما حين تستخدم فى جملة مفيدة كما فى آية قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ حينئذ تتحدد دلالتها بالاستعمال فهى فى الآية تشير إلى القرآن الكريم فقط .

= فى محل رفع - تكره : فعل مضارع مرفوع بالضمة - النفوس : فاعل مرفوع بالضمة - من الأمر : جار ومجرور ، وجملة « تكره النفوس من الأمر » صفة لكلمة « ما » - له : جار ومجرور خبر مقدم شبه جملة - فرجة : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة ، والجملة من المبتدأ والخبر خبر المبتدأ « ما » - كحل : جار ومجرور شبه جملة صفة للكلمة « فرجة » - العقال : مضاف إليه مجرور بالكسرة .

وكلمة (أنا) من الضمائر ، والضمائر أعدت فى اللغة ليمكن استخدامها فى الدلالة على معين ، لكن كلمة (أنا) وحدها تبقى عامة الدلالة ، إذ هى صالحة لكى يستخدمها ما لا يمكن حصره من المتكلمين ، فإذا استخدمت عمليًا فى جملة تامة كما فى قول المتنبى (أنا الذى نظر الأعمى) تحدد معناها ودلت على متكلم واحد هو المتنبى نفسه - وهكذا بقية المعارف - المعوِّل فيها على الاستعمال نفسه .

وأسماء المعارف التى وردت فى اللغة ستة هى :

(١) الضمير : كقول الرسول ﷺ : (أنا النبى لا كذب ، أنا ابنُ عبد المطلب) (١) .

(٢) العلَم : كقوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [الآية ٢٨ من سورة الفتح] .

(٣) الإشارة : كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الآية ٩٢ من سورة الأنبياء] .

(٤) الموصول : كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [الآية ٣٠ من سورة فصلت] .

(٥) ما فيه « ال » كقول العرب : (الإنسانُ عبدُ الإحسان) .

(٦) ما أضيف لواحد مما سبق : كقولنا : « شرفُنا من شرفِ الوطن » .

وسنتناول هذه الأنواع الستة واحدًا بعد الآخر .

---

(١) رجز يقال إن النبى ﷺ ارتجزه فى غزوة « حنين والطائف » .

الضمير

(١) المقصود بالضمير لدى اللغويين والنحاة .

(٢) صور استعمال الضمير في اللغة هي :

(أ) الضمير المستتر جوازًا أو وجوبًا .

(ب) الضمير البارز ، متصلا ومنفصلا .

(٣) العبارة المشهورة (لا يُعدل عن الاتصال إلى الانفصال) وما يتفرع عليها .

(٤) نون الوقاية قبل ياء المتكلم مع الأفعال والحروف والأسماء .

• • •

الضمير :

جاء في القاموس (الضُّمْر) الهُزَال ويقال منه : (ضَمَر ضُمورا) بمعنى : هزل وضعف و (الضَّمير) السر وداخل الخاطر أ . هـ ؛ فهذه المادة إذن تستعمل في الهزال والضعف أو الخفاء والستر ، ومن العبارات الدارجة بيننا الآن : (ضمر الجسم) بمعنى ذبُل وهزل ، وأيضًا (خلِّ ضميرك نظيف) و (خلِّ عندك ضمير سليم) والمقصود من ذلك النية الطيبة الصالحة التي هي منشأ الأخلاق الكريمة .

ويبدو أن النحاة - كما رأى ابن هشام - قد راعو الجانب اللغوي في إطلاق هذا اللفظ على بعض كلمات اللغة ؛ لأن بعض الضمائر قليل الحروف مثل التَّاء في (صاحبت) وبعضها الآخر مستتر لا يبين ، كقولنا : (لا تأسَف فاليُسْرُ يعقُبُ العُسْر) ففي الفعلين (تأسف - يعقب) ضمير مستتر .

وعلى كل ، فالضمير يقصد به نحويًا : « ما دل على متكلِّم أو مخاطب أو غائب ، مثل « أنا - أنت - هو » أ . هـ

صور الضمير في اللغة :

يأتي الضمير في الكلام العربي على الصور الآتية :

أولا : الضمير المستتر :

العاقلُ يبتعدُ عن الشبهاتِ والأحمقُ يَحُومُ حولها .

فابتعدْ عن الشبهاتِ تأمنْ التقوّلات .

الضمير المستتر - كما يدل اسمه عليه - ما ليس له صورة فى اللفظ ، وإنما يتخيل ذهنيًا وجوده مختبئًا خلف الفعل - وكذلك الأسماء التى تشبه الفعل - ففى المثالين السابقين استتر مع الفعلين (يبتعد - يحوم) ضمير تقديره (هو) ومع الفعلين (ابتعدْ - تأمنْ) ضمير تقديره (أنت) وكلاهما غير موجود ولكنه متخيل .

وفوق ذلك ، وإغراقًا فى التخيل !! اعتبر الضمير المستتر نوعين : مستتر جوازًا ومستتر وجوبًا بالفهم التالى :

(أ) المستتر جوازًا :

هو ما يمكن أن يقوم مقامه فى جملته الاسم الظاهر بمعنى أنه يمكن أن ينطق فى موضعه اسم ظاهر بغير صعوبة فى هذا النطق ، كما يبقى المعنى العام للجملة سليما بصورة عامة .

ففى المثال (العدلُ يحقّقُ الأمْنَ) الضمير مستتر جوازًا ، إذ يمكن القول فى هذا المثال (العدل يحقّقُ فرضُه الأمْن) ومثل ذلك (العاقلُ يبتعد عن الشبهات) الضمير مستتر جوازًا ، إذ يمكن القول (العاقل يبتعدُ سلوكُه عن الشبهات) .

(ب) المستتر وجوبًا :

وهو - على عكس السابق - لا يمكن أن يحل محلّه فى جملته الاسم الظاهر بمعنى أنه يصعب نطقًا وضع اسم ظاهر فى موضعه ، ففى قولنا (خُذْ الرفيقَ قبلَ الطّريق) وقولنا (ابتعدْ عن الشبهَات) ضمير مستتر وجوبا مع الفعلين (خذْ - ابتعد) إذ لا يمكن وضع اسم ظاهر موضعه ، ولك أن تحاول ذلك فإنك لن تستطيع !!
- وأهم المواضع التى يستتر فيها الضمير وجوبًا هى :

١ - فعل الأمر للواحد المخاطب :

تقول لزميلك : (افهمْ محاضراتك ودوّنْها وراجعها بعدَ ذلك) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الآية ١٩٩ من سورة الأعراف] . فالفاعل مع أفعال الأمر (افهمْ - دوّنْ - راجعْ - خذْ - اأمرْ - أعرضْ) مستتر وجوبا تقديره (أنت) .

٢ - الفعل المضارع المبدوء بحرف المضارعة الهمزة :

كقولك : (أفهمُ محاضراتى وأدوّنُها وأراجعُها بعد ذلك) وكما جاء فى القرآن من قول الرسول ﷺ لقومه : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الآية ٦٢ من سورة الأعراف] فالفاعل مع الأفعال (أفهمُ - أدوّنُ - أراجعُ - أبلغ - أنصحُ - أعلمُ) مستتر وجوبا تقديره (أنا) .

٣ - الفعل المضارع المبدوء بحرف المضارعة النون :

ومن ذلك ما نردده فى دعائنا (نستغفرُ اللهَ العظيمَ ونتوب إليه) وما جاء فى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الآية ٢٨ من سورة إبراهيم] فالفاعل مع الأفعال (نستغفر - نتوب - نخفى - نعلن) مستتر وجوبا تقديره (نحن) .

٤ - الفعل المضارع الذى فى أوله التاء لخطاب الواحد المذكر :

كقولك لزميلك : (عليك أن تُؤدِّىَ واجبَك وتتركَ الباقِىَ على الله) ومن ذلك ما جاء فى القرآن لخطاب الرسول ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [الآية ٥٦ من سورة القصص] فالفاعل للأفعال (تؤدى - تترك - تهدى) ضمير مستتر وجوبا تقديره (أنت) .

٥ - صيغة التعجب « ما أفعَلَه » :

كقولنا : (ما أجملَ الفضيلةَ وما أسْوَأَ الرذيلة) ومن ذلك قول الشاعر :

ما أحسنَ الدّينَ والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبحَ الكُفْرَ والإفلاسَ بالرّجلِ [(١)]

ففاعل أفعال التعجب (أجمل - أسوأ - أحسن - أقبح) ضمير مستتر وجوبًا تقديره (هو) يعود إلى (ما : التعجبية) .

٦ - فاعل (خلا - عدا - حاشا) : إذ تأتى أفعالا فى الاستثناء مثل (سيفنى كل شىء فى الحياة ما خلا وجهَ الله) وسيأتى الحديث عنها .

ثانيًا : الضمير البارز :

أنت مسئولٌ عن سيرتك بين الناس بسلوكك .

(١) فى البيت دليل : على أن فاعل فعل التعجب - على رأى البصريين - مستتر وجوبا ، وذلك فى البيت مع الفعلين « أحسن - أقبح » .

فإذا صاحبتَ الأشرَار استحققت الذَّمَّ وسوء الظن .

الضمير البارز - كما يدل اسمه عليه - ما له صورة فى اللفظ ، بمعنى أن يكون له حروف منطوقة فعلا لا متخيلة ، ومن ذلك فى المثالين السابقين كلمة (أنت) وأيضًا ضمير المخاطب - الكاف - فى (سيرتك - سلوكك) وضمير المخاطب - التاء - فى (صاحبت - استحققت) .

والضمير البارز - بحسب صورته اللفظية - نوعان : بارز متصل وبارز منفصل على التوضيح التالى :

أ - البارز المتصل :

فالمتصل - كما يدل اسمه عليه - ما لا يستقل بنفسه نطقًا ، وإنما لا بد أن يتصل بغيره فعلا أم اسما أم حرفًا ، تقول (مَنَحَنا وطنُنا الحريةَ والحياةَ ومن واجبنا أن نُكافِئَه بهما عند الحاجة) فالضمائر فى هذه العبارة متصلة إذ يلاحظ أن الضمير (نا) اتصل أولا بالفعل (منح) ثم بالاسمين (وطن واجب) وضمير الغائب « الهاء » اتصل بالفعل (نكافئ) وضمير الغائب (هما) اتصل بحرف الجر الباء - فلنلاحظ الشواهد الآتية للضمائر المتصلة :

• قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ [الآية ١٩٣ من سورة آل عمران] .

• قول الرسول ﷺ : (إذا كانُوا ثلاثةً ، فلا يتناجَى اثنان دونَ الثَّالث حتى يَختلِطُوا بالناسِ أجْلَ أن يُحزنَه) (١) .

• قول المجنون :

فُحبِّى لها حُبٌّ تمكنَ فى الحَشَا   فما إنْ أرَى حُبًّا يكونُ له مِثْلُ (٢)

هذا ، وينبغى التنبه إلى الملاحظتين الآتيتين عن المتصل :

الأولى : ذكر « ابن مالك » دليلا على عدم استقلال هذا الضمير بأنه لا يُبتدأ

---

(١) صحيح البخارى - الجزء الثامن - كتاب الاستئذان .

(٢) الحشا : يقول القاموس : ما فى البطن ، والمراد أنه امتلأت به نفسه - ما إن أرى : « إن » هنا حرف زائد ! لأنه يمكن إزالته من الكلام دون أن يختل المعنى .

وفى البيت : من الضمائر المتصلة ياء المتكلم فى (حبى) وضمير الغائب فى (له) .

به ولا يقع بعد الحرف « إلاّ » فإن هذين الموضعين - المبتدا وما بعد إلاّ - لا يشغلهما إلا الاسم المستقل بنفسه ، ولك أن تجرب الإتيان بأى ضمير متصل - من ضمائر الأمثلة السابقة - فى هذين الموضعين ، وإنك لن تستطيع !!

الثانية : أن هذا الضمير يجىء فى محل رفع ونصب وجر ، كما اتضح من الأمثلة السابقة ، وكقولك : (وصلْنَا لهدفِنَا ولم تُقَابِلْنَا صعوباتٌ معوّقة) .

ب - البارز المنفصل :

المنفصل - كما يدل اسمه عليه أيضًا - ما يمكن أن يستقل بنفسه نطقًا ولا يحتاج إلي كلمة أخرى يتصل بها ، كما نقول : (نحن مُقَدّرون للحرية ، فهى إحساسٌ نبيلٌ وتضحية) فكل من الضميرين (نحن - هى) يندرج تحت اسم (المنفصل) إذ يستقل نطقا ولا يعتمد على غيره .

وبناء عى ذلك يفهم ما يوصف به هذا الضمير من أنه يمكن الابتداء به ويقع بعد الحرف « إلاّ » كقولنا : (ما هو إلاّ إلهٌ واحد ولا نعبد إلا إيّاه) فإن هذين الموضعين - كما سبق - من مواضع الاسم المستقل بنفسه نطقًا والضمير البارز المنفصل يأتى فيهما ، وهذا دليل على استقلاله .

هذا ، والضمائر المنفصلة محصورة الألفاظ فى مجموعتين :

المجموعة الأولى : ضمائر الرفع :

وهى اثنى عشرة لفظة (أنا - نحن - أنتَ - أنتِ - أنتما - أنتم - أنتنّ - هو - هى - هما - هم - هنّ) .

المجموعة الثانية : ضمائر النصب :

وهى أيضًا اثنتا عشرة لفظة (إيّاى - إيّانا - إيّاك - إيّاكِ - إيّاكما - إيّاكُم - إيّاكنّ - إيّاه - إيّاها - إيّاهما - إيّاهم - إيّاهنّ) .

فالمجموعة الأولى لا تجىء إلا فى مواضع الرفع (مبتدأ - فاعل) إلخ ، أما الثانية فإنها لا تأتى إلا منصوبة (مفعول به - مستثنى) إلخ .

فلنتأمل النصوص الآتية :

• قول الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الآية ٤ من سورة الفاتحة] .

• قول عليّ ﷺ : (إيّاكم والمُثْلَةَ ولو بالكلبِ العَقُور) .

• ما أورده الجاحظ عن بعض الأعراب :

إذا أنتَ لم تدفع بحلمِك جاهِلاً سفيهًا ولم تقْرِنْ به من يُجَاهِلُهْ
لَبِسْتَ له ثوبَ المذلّةِ صاغِراً فأصبح قد أوْدَى بحقِّك باطلُه [1]

بين الاتصال والانفصال :

تأمّل العبارتين الآتيتين :

أسأتَ إليّ فسامحتُكَ عن فَهْم ومقدرة } صحيحة لغوياً
أساءَ أنتَ إلىْ أنَا فسامَحَ أنَا إياك عن فهم ومقدرة } خطأ لغوياً

من البيّن أننا فى اللغة العربية نستعمل العبارة الأولى ، ولا نستعمل العبارة الثانية ، ولو نطق أحد أمامنا العبارة الثانية ، لأثار فى أنفسنا الشك فى عربيته وربما أثار ابتسام السخرية منه !! والفرق بين العبارتين أن الأولى استعملت الضمائر فيها متصلة ، والثانية استعملت فيها منفصلة ، إذ أن اللغة الفصحى تستعمل الضمائر المتصلة وتترك نظائرها المنفصلة ميلا إلى الإيجاز وتوفير الجهد كما هو واضح - بأدنى تأمل - فى العبارتين السابقتين .

وعلى ذلك نفهم العبارة النحوية المشهورة : **(كل موضع أمكن أن يؤتى فيه بالضمير المتصل لا يجوز العدول عنه إلى المنفصل)** أ . هـ

لكن .... وردت فى اللغة استعمالات لا تتفق مع القاعدة العامة السابقة أو بعبارة أوضح : يصح فيها الانفصال مع إمكان الاتصال ، أو بعبارة مباشرة : يصح فيها الاتصال والانفصال جميعًا ، وتنحصر هذه الاستعمالات فى الموضعين الآتيين للضمير :

---

(١) لم تقرن به - يقال : قرن الشيء : جمعه به ، ومعنى العبارة لم تستعمله معه - يجاهله : بمعنى يجهله .

معنى البيتين : إذا لم تستعمل الحلم مع الجاهل السفيه الذى لا يفرق بين العلم والجهل ، غلبك وضاع حقك معه ، لأن التكليف الاجتماعى مختلف بينك وبينه .

يدل البيت على أن الضمير المنفصل (أنت) من ضمائر الرفع ، إذ هو فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور .

(١) خبر كان وأخواتها :

الذِّلَّةُ كَانَهَا اليهودُ - الذِّلَّةُ كان اليهودُ إيّاها .

القسوةُ صَارَهَا الإسرائيليون - القسوةُ صار الإسرائيليون إيَّاها .

إذا كان الضمير خبرًا « لكان أو إحدى أخواتها » وصح فيه الاتصال والانفصال ، فإن لك أن تستعمله بهما جميعًا ، وقد ورد كلا الاستعمالين فى نصوص صحيحة ، ومن ذلك :

• قول الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب وقد همَّ بقتل ابن صيَّاد : (إنْ يكُنْهُ فلنْ تُسلَّط عليه ، وإلا يكنْه فلا خيرَ لك فى قتْلِهِ) [١] .

• وقول الشاعر :

ليت هذا اليومَ شهرٌ ... لا نرى فيه عريبا
ليس إيَّاىَ وإيَّاكِ ... ولا ولا نخشى رقيبًا [٢]

• ومن شعر عمر بن أبى ربيعة :

لئن كان إيَّاهُ لقد حَالَ بَعْدَنا ... عن العَهْدِ والإنسانُ قد يتغيَّرُ [٣]

(٢) المفعول الثانى :

الصديقُ المخلصُ ظننتُكَهُ - الصديقُ المخلص ظننتُكَ إيّاه .

فإذا الإنسانُ الغادِرُ عَلمتُكَهُ - فإذا الإنسان الغادرُ علمتكَ إيّاه .

إذا جاء الضمير فى موضع المفعول الثانى ، وكان المفعول الأول ضميرًا أقوى منه (المتكلم أقوى من المخاطب والمخاطب أقوى من الغائب) فإن الذى وقع

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، انظر (فتح المبدى ج ٢ ص ٣٤ - ٣٥) .

(٢) العريب : يقال : ما بها عريب ومعرب ، بمعنى : ما بها أحد .

فأمنية الشاعر : أن يطول يومهما وتنقطع عنهما العيون ، فيخلو كل منهما بالآخر .

الشاهد فى البيت الثانى (ليس إياى وإياك) حيث وقع الضمير خبرًا للفعل (ليس) وجاء منفصلا .

(٣) حال : تغير - عن العهد : عما تعهده من مرحه وجماله وشبابه .

والبيت تصوير لحديث إحدى صديقاته عنه ؛ تقول : لقد تغير عما كنا نعهده فيه من المرح والفتوة إلى الكآبة والضعف .

الشاهد فى البيت : قوله : « كان إياه » حيث جاء خبر « كان » ضميرًا منفصلا .

مفعولا ثانيًا يصح فيه الاتصال والانفصال ، ويتحقق هذا مع كل الأفعال التى تنصب مفعولين على الإطلاق .

وقد ورد كل من الاتصال والانفصال فى نصوص صحيحة فصيحة ، ومن ذلك :

• قول الله تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [الآية ٤٣ من سورة الأنفال] .

• ما ينسب للرسول ﷺ فى حديث الرقيق : (إن الله ملككم إياهم ، ولو شاء لَمَلَّكَهم إيَّاكُم) [١] .

• قول الشاعر :

بُلِّغتُ صُنْعَ امرئٍ بَرٍّ إخالُكَهُ ... إذْ لم تزلْ لاكتسابِ الحمدِ مبتدِرا [٢]

• قول الآخر :

أخى حسبتُكَ إيّاهُ وقد مُلِئَتْ ... أرجاءُ صدرِكَ بالأضْغَانِ والإحَنِ [٣]

أما الذى خاض فيه النحاة فى الموضع الثانى من تفصيل وترجيح للوجهين - الاتصال والانفصال - وما ترتب على ذلك من الخلاف وتعدد الآراء فإنه جهد شاق !! ولا حاجة بنا إليه .

• • •

(١) ساق « الأشمونى » هذه العبارة دون أن يذكر أنها حديث ، وكذلك « ابن هشام » فى « أوضح المسالك » والحديث فى كتاب الكبائر للذهبى ٢٠٣/١ من حديث طويل .

(٢) البر - بفتح الباء - الصادق - مبتدرا : بمعنى مبادر : وهو من يسرع إلى الشىء .

المعنى : لقد بلغنى عمل لإنسان صادق ، وأظنك صاحبه ، إذ المعهود فيك أنك سباق إلى الأعمال الحميدة .

الشاهد : فى (إخالكه) حيث اجتمع ضميران مع الفعل (إخال) وهو ينصب مفعولين والأول هنا أعرف من الثانى ، فيصح فى الثانى الاتصال والانفصال ، وقد جاء المفعول الثانى متصلا وهو ضمير الغيبة .

(٣) أرجاء : نواحى - الأضغان : الأحقاد - الإحن : الأحقاد أيضًا .

المعنى : لقد كنت أظنك أخًا مخلصًا ، فإذا بك على العكس من ذلك عدو حقود .

الشاهد : فى (حسبتك إياه) فإن الفعل (حسب) ينصب مفعولين ، وهما معه ضميران ، الأول ضمير المخاطب ، والثانى ضمير الغائب ، فيصح فى الثانى الاتصال والانفصال ، وقد جاء فى البيت منفصلا .

نون الوقاية قبل ياء المتكلم :

لاحظ الأمثلة الآتية :

أفادني التّجريبُ في الحياة أكثر من النظر .

فإنّني أفدتُ من الخطأ الفعليّ أكثر من الوعظ الكلاميّ .

فكان الخطأُ منّي ، وكانت معرفةُ الصوابِ منّي أيضًا .

في الأمثلة السابقة نجد قبل ياء المتكلم في (أفادني - إنّني - منّي) نونًا فصلت بين ياء المتكلم بعدها والكلمة التي قبلها - سواء أكانت فعلا أم حرفًا - وهذه النون تسمى « نون الوقاية » .

جاء في ابن عقيل : « وسميت بذلك : لأنها تقي الفعل من الكسر » . أ . هـ

ومعنى ذلك أن ياء المتكلم يناسبها كسر ما قبلها ، كما تقول (بلدِي - أهلِي) وآخر الفعل - كما عرفنا قبلا - لا يكسر ، فحين يتصل بياء المتكلم يُؤْتَى بهذه النون لتتحمل هي الكسرة بدلا من الفعل ، أو بعبارة ابن عقيل (لتَقِيَ الفعل من الكسر) فكان ذلك سبب التسمية ، ثم حملت هذا الاسم معها مع الحروف حين تتصل بها .

هذا وتجيء نون الوقاية قبل ياء المتكلم - كما ذكرنا - مع الأفعال والحروف والأسماء على التفصيل الآتي :

أولا : نون الوقاية مع الأفعال :

وهي لازمة قطعًا مع كل الأفعال - الماضي والمضارع والأمر - قبل ياء المتكلم ، تقول : (بلغَتني رسالتُك ويُسعدِني أن ألقاك فشرِّفْني بزيارتك) .

ثانيًا : نون الوقاية مع الحروف :

وتأتي مع حروف محددة عددها ثمانية ، وهي الحروف الستة الناسخة التي تنصب المبتدأ وترفع الخبر (إنّ - أنّ - كأنّ - لكنّ - ليت - لعلّ) وحرفان من حروف الجر هما (مِنْ - على) على التفصيل الآتي :

١ - مع الحروف الأربعة (إنّ - أنّ - كأنّ - لكنّ) إذا اتصلت بها ياء المتكلم - لك أن تأتي معها بنون الوقاية ولك تركها ، وكلا الاستعمالين صحيح

لغويًا ، تقول : (إنّني صاحبُ هدفٍ واضح فى حياتى ، قد تَعُوقُني عنه الصعابُ لكنّني مصمِّمٌ على الوصول إليه) ولك أن تقول : (إنّي صاحبُ هدف واضح فى حياتى ، قد تعوقنى عنه الصعابُ لكنّى مصمِّمٌ على الوصول إليه) .

٢ - مع الحرف (ليت) إذا اتصلت به ياء المتكلم - الفصيح فى اللغة أن تذكر نون الوقاية ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ - ويقل حذف النون معها جدًّا .

٣ - مع الحرف (لعلّ) إذا اتصلت به ياء المتكلم - الفصيح فى اللغة ألاّ تذكر نون الوقاية ، تقول : (سأبذل قُصَارَى جُهْدِى لعلّى بذلك أُحققُ أملَ أسرتى ووطنى) - ويقل مجئ النون معها جدا - فهى عكس (ليت) .

٤ - مع الحرفين (مِنْ - عَنْ) إذا اتصلت بهما ياء المتكلم - الفصيح أن تجيء معهما بنون الوقاية ، فمن كلام الرسول ﷺ فى خطبة الوداع قوله : (اسمعُوا عنِّى ، فلعلّى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدًا) وتقول لزميلك : (اسمع منِّى هذا الحديث ، وبلغ عنِّى هذا الخبر) ويقل جدا حذف النون معهما .

ثالثًا : نون الوقاية مع الأسماء :

وتأتى مع كلمة واحدة شائعة الاستعمال ومألوفة وهى (لَدُنْ) بمعنى : عند وناحية - كما تأتى أيضًا مع كلمتين لا يكاد أحد يستعملهما بالنون ، (قط - قدْ) بمعنى (حسب ويكفى) ولن نتعرض هنا للكلمتين الأخيرتين إذ لا يستعمل (قطْنى - قدْنى) - أما كلمة (لَدُنْ) إذا اتصلت بياء المتكلم فالفصيح أن تتوسط نون الوقاية ، فتقول (لَدُنِّى) ويقل حذف النون فتقول (لَدُنِى) وقرئت الآية ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ [الآية ٧٦ من سورة الكهف] بتشديد النون على اللغة الفصحى ، وبتخفيفها على غير الفصحى .

• • •

العَلَم

١ - المقصود بالعَلَم لدى اللغويين والنحاة .

٢ - يطلق على العلم المصطلحات الآتية :

(أ) الاسم - الكُنية - اللقب .

(ب) المرتجل - المنقول .

(جـ) علم الشخص - علم الجنس .

* * *

العَلَم :

إبراهيم - محمد - مكة - طنطا - عدن - قريش - تغلب - تميم - ثقيف - أبو بكر الصّدّيق - عمر الفاروق - أبو عوف - عبد الرحمن - أبو السباع إسماعيل .

جاء في القاموس : « العلم شيء منصوب في الطريق يُهتدى به ، والجبل ورسم الثوب ورقمه ، والرّاية وما يعقد على الرمح » . أ . هـ .

ويفهم من هذا النص أن كلمة « العلم » في اللغة تأتي لمعان متعدّدة ، منها : العلامة ، كما في علامات الطرق التي توضح المسالك وما توصّل إليه كاللوحات التي نضعها الآن في الطرق وفي مداخل المدن ؛ وبها معلومات تهدى المسافر في رحلته - ومنها أيضًا : الجبل ، وهذا المعنى ورد في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾ [الآية ٢٤ من سورة الرحمن] وفي الشعر في قول الخنساء ترثي أخاها صخرا :

وإن صخرًا لتأتمّ الهداةُ به ... كأنه عَلَمٌ في رأسِه نارُ (١)

ومنها : الرّاية مطلقًا أو راية الحرب التي تعقد في طرف الرمح ، ومازلنا حتى اليوم نسمع عن (نشيد العلم) و (علم مصر الخفاق) و (ارفعوا العلم عاليًا) .

---

(١) ورد هذا البيت شاهدًا على أن كلمة « العلم » تطلق على الجبل ، فإن معنى بيت الخنساء : إن صخرًا معروف مقصود كأنه الجبل الذى اشتعلت النارُ في قمته فيراه كل الناس .

أما لدى النحاة ، فإن الذى يفهم من كلامهم أن « العلم » يقصد به الاسم الذى يتعين المقصود منه من اللفظ نفسه بمجرد النطق به ، سواء أكان المقصود منه إنسانًا أم حيوانًا ، حيًا أم جمادًا أ . هـ .

فالاسم « العلم » إذن له صفتان :

(أ) تعيُّن المقصود منه .

(ب) أن يفهم هذا التعيُّن من اللفظ نفسه بمجرد النطق به .

وبمراجعة الكلمات السابقة ، نجد مثلا أن الاسم (إبراهيم) يتحدد المقصود منه بمجرد نطقه ، سواء أقصد المتكلم به « الخليل أبا الأنبياء » أم قصد منه صديقًا له اسمه « إبراهيم » مما يحدده سياق الكلام - وأيضًا كلمة (مكة) يتحدد المقصود منها بمجرد نطقها بأنها : البقعة المقدسة فى ضمير المسلمين من أرض الله - وكذلك الباقى من الأعلام المذكورة .

الاسم - الكُنية - اللَّقب :

- إبراهيم - محمد - عبد الله - عمر - فاطمة - عائشة } اسم
- أبو الأنبياء - أبو القاسم - أبو بكر - أبو حفص - أم كلثوم - بنت الشاطئ } كنية
- الخليل - خاتم الأنبياء - الصِّدّيق - الفاروق - كوكب الشرق } لقب

• • •

يطلق على (العلم) المصطلحات الثلاثة (اسم - كنية - لقب) وبعبارة أخرى : أن الأعلام منها ما هو اسم ، ومنها ما هو كنية ، ومنها ما هو لقب وتحديدها كالآتى :

الاسم : وهو أغلب الأعلام - ما يطلقه الوالدان على ولدهما عند الولادة ابتداء ، مثل (إبراهيم - أحمد - عمر - عثمان) وغيرهما مما لا يكاد يحصى ، فلكل منا اسم يعرفه جيدًا ، ويعرفه عنه أهله وأصدقاؤه والمتعاملون معه .

الكنية : ما يطلق على الإنسان بعد التسمية ، وقد صدِّر (بأب أو أم أو ابن أو بنت) فى الغالب ، مثل (أبو الفوارس - أمّ هانئ - ابن خلدون - بنت الشاطئ) .

اللقب : ما يطلق على الإنسان بعد التسمية أيضًا ، وأشعر بمدح أو ذم مثل (الصدّيق - الفاروق - السفّاح - المهدى) .

ولو أجلنا النظر فيما حولنا ، لوجدنا استعمال هذه الثلاثة مما يتردد على أسماعنا باستمرار ، فكم نسمع من أسماء الناس فى اليوم الواحد !! وكم نجد الناس - وبخاصة فى الأحياء الشعبية - ينادون الرجال والنساء (بأبو فلان - وأمّ فلان) وأيضًا ألقاب العائلات التى ينسب إليها الناس ، فيتمايز بعضهم عن البعض الآخر .

لكن ينبغى هنا التنبه إلى ملاحظتين هامتين جدًا تتعلقان بهذه الثلاثة :

الأولى : الترتيب بينها :

فإذا اجتمعت هذه الثلاثة أو اثنان منها فى جملة واحدة فلا ترتيب بينها فى كل الحالات إلا فى حالة واحدة هى (اجتماع الاسم واللقب) فيجب حينئذ أن يتأخر اللقب عن الاسم ، ولا يصح تقدمه عليه .

الثانية : إعرابها :

يتبع المتأخر منها المتقدم ، ويعرب على أنه « بدل » منه أو « عطف بيان » له فى كل الحالات إلا حالة واحدة هى (اجتماع الاسم واللقب مفردين) - غير مركبين - مثل (إبراهيم الخليل) و (عمر الفاروق) فإنه يصح فى هذه الصورة فقط وجهان : إتباع الثانى للأول - كبقية الحالات الأخرى - أو إضافة الأول للثانى - والبصريون يوجبون فى هذه الصورة الإضافة فقط .

فلنطبق هاتين الملاحظتين على الاستعمالات الآتية :

- من علماء النحو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام المصرى .
- ومن أصحاب الرسول ﷺ أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة الصّديق .
- ومن شعراء مصر شوقى أمير الشعراء وحافظ شاعر النيل .
- ومن زعمائها السياسيين سعد زغلول وجمال عبد الناصر .

المُرْتَجَل - المنقول :

يطلق على العلم أيضا أحد المصطلحين (مرتجل - منقول) بالتحديد الآتى :

المرتجل : هو ما لم يسبق له استعمال قبل العلمية فى غيرها ، بمعنى أنه

استعمل علما منذ البداية ، فلا نكاد نعرف له استعمالا غير ذلك ، مثل (معاوية - عثمان - مروان - سعاد - مصر - مكة - عكاظ) فكل هذه أعلام مرتجلة فإنه قد سمي بها من غير سابقة استعمال ، والارتجال معناه : التكلم من غير تهيؤ سابق، وهذا المعنى ينطبق على استعمال الأعلام المرتجلة .

المنقول : هو ما سبق له استعمال فى غير العلمية ، ثم نقل إليها - وأهم الاستعمالات التى يحدث النقل منها ما يلى :

(١) المصادر : مثل (فضْل - شُكْر - زيْد - عقْل) أعلاما .

(٢) اسم الفاعل : مثل (مُحسِن - مُقبِل - مُؤمِن - فاضل - حارث - شاكر - هاشم - حافظ) أعلاما .

(٣) اسم المفعول : مثل (محمد - محمود - محفوظ - مبروك - مهدىّ) أعلاما .

(٤) الصفة المشبهة : مثل (حسن - نبيه - سعيد - سميح) أعلاما .

(٥) الفعل : مثل (أحمد - يزيد - يحيى - تغلب) أعلاما .

(٦) الجار والمجرور والظرف : مثل (فى سبيل التاج - نحو النور) .

(٧) الجملة : مثل (جاد الرب - فتح الله - جاد المولى) وما ورد عن العرب من أعلام أصلها جمل ؛ مثل (تأبَّطَ شرًّا) الشاعر الجاهلى المعروف وأيضًا (شَابَ قرناها - يَتَلَمّظان) علمين لقبيلتين ، قال الشاعر يتوعد قبيلة (شاب قرناها) :

كذَبتُم - وبيتِ الله - لا تَنكِحُونها   بنى شابَ قرناها تُصَرُّ وتُحتلَبُ [١]

وقال الآخر يهجو قبيلة (يتلمظان) :

إذا ما قيل : أىُّ الناسِ شرٌّ   فشرُّهم بنو يَتَلمّظانِ [٢]

---

(١) الصر - كما جاء فى القاموس - شد ضرع الناقة لحلبها ، والعطف فى (وتحلب) للتفسير والبيان ، والبيت خطاب لأهل امرأة هم قبيلة (شاب قرناها) رفضوا زواجها من الشاعر ، يقول : إنكم لن تستطيعوا تزويجها من غيرى فلتبقوها إذن عندكم دون زواج كأنما هى ناقة من إبلكم محبوسة للرعى والحلب ولا يخفى ما فى ذلك من التهكم !!

الشاهد فى (شاب قرناها) فهو علم منقول من جملة كاملة مكونة من الفعل (شاب) والفاعل (قرناها) .

(٢) الشاهد فى البيت (يتلمظان) فهو علم على قبيلة معينة ، وهو منقول من جملة كاملة مكونة من الفعل (يتلمظ) مسندًا إلى (ألف الاثنين) من الأفعال الخمسة .

وقد سبق - فى باب ما لا ينصرف - كيفية معاملة الأعلام المنقولة عن الجمل .

إعراب : فشرهم بنو يتلمظان :

شر : مبتدأ مرفوع بالضمة - بنو : خبر مرفوع بالواو - يتلمظان : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وواو الجماعة فاعل ، و (يتلمظان) كلها مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة منع من ظهورها حكاية الجملة للتسمية بها .

علم الشخص - علم الجنس :

يطلق على العلم - بحسب معناه - أحد المصطلحين (علم الشخص - علم الجنس) بالفهم الآتى :

علم الشخص : يقصد به - كما هو واضح من اسمه - ما يتحدد المقصود منه بذاته باستعمال اللفظ الدال عليه ؛ مثل (أحمد - خالد - مكة - بغداد) .

وكل ما سبق من حديث عن العلم إنما يقصد منه « علم الشخص » .

وعلم الجنس : يقصد به - كما هو واضح من اسمه أيضا - ما وضع فى اللغة للدلالة على تحديد الجنس كله لا على تحديد فرد منه ، مثل (أسامة) وضعتها العرب لتكون علما يقصد منه كل أسد ، ومثل (ثُعَالة) وضعتها العرب لتكون علما يقصد منه كل ثعلب .

فهذا النوع الأخير من الأعلام لا يقصد به « فرد محدد » بل يقصد به « جنس محدد » فمعناه فى الحقيقة شائع كالنكرة ، وإن كان من حيث اللفظ معرفة باعتبار تخصيصه بالدلالة على النوع كله ، لذلك ، فإن الألفاظ التى وردت لهذا النوع الأخير فى اللغة تكاد تكون محصورة ومعظمها غريب الاستعمال الآن ، ومن ذلك :

(أسامة) للأسد - (ثُعَالة) للثعلب - (ذُؤالة) للذئب - (أمُّ عِرْيَط) للعقرب - (أبو جِعْدَة) للذئب - (أبو المضَاء) للفرس - (أبو الدَّغْفَاء) للأحمق - (سُبْحَانَ) للتسبيح وتنزيه الله - (يَسَارِ) للميسرة - (فجارِ) للفسق والفجور - (برَّة) للبر وعمل الخير .

فكل هذه الألفاظ وضعتها العرب للدلالة على المعانى السابقة ، بحيث لا يفهم منها غيرها ، فأشبهت الأعلام الحقيقية التى تخصصت فى تعيين الذوات أناسًا أم أماكن أم قبائل .

أسماء الإشارة

(١) المقصود بالإشارة لدى اللغويين والنحاة .

(٢) أهم أسماء الإشارة التى وردت فى اللغة مع بيان ما هى لهِ .

(٣) استعمال الحروف الثلاثة : (ها : التنبيه - الكاف - اللام) مع أسماء الإشارة .

(٤) العبارة النحوية المشهورة : (اسم الإشارة لمن تشير إليه ، والكاف لمن تخاطبه) والتطبيق عليها .

• • •

المقصود بأسماء الإشارة :

جاء في القاموس : « أشار إليه : أوْمَأ ، ويكون بالكف والعين والحاجب » أ . هـ .

فالإشارة إذن هى الإيماء إلى شىء أو شخص بواحد من هذه الثلاثة وغيرها ، ويتحقق هذا أحيانًا دون نطق على الإطلاق ، كما نرى مثلا فى ملعب الكرة حين يرفع حارس الخط الراية مشيرًا بذلك إلى خروج الكرة عنه ، وكذلك حين يفعل « الحكَم » لإيقاف اللعب بالصفارة ، أو تحديد موضع الكرة بيده ، فكل هذه من الإشارة بالمعنى اللغوى .

أما لدى النحاة : فالإشارة - كما يرى ابن هشام - كل اسم دل على مُسَمًّى وإشارة إلى ذلك المُسَمَّى أ . هـ .

ويفهم من هذه العبارة المختصرة أن المعتبر فى النحو من هذا الباب ما توافرت له الصفات الآتية :

(أ) أن يكون كلمة منطوقة من نوع الاسم .

(ب) أن يكون لهذا الاسم معنى يطلق عليه ، إنسانًا أم حيوانًا أم شيئا من الأشياء .

(جـ) أن يدل هذا الاسم - بالإضافة لمعناه - على الإشارة إلى هذا المعنى الذى يدل عليه - ولا مانع حينئذ أن يصحب هذه الإشارة المعنوية التى يحملها

الاسم أصلا إشارةٌ مادية بالكف أو العين أو الحاجب أو غيرها ، كما سبق فى إيراد المعنى اللغوى .

• من كلام الرسول ﷺ : (إن هذا الدِّينَ متينٌ فأوغِل فيه برفق) [١] .

• ومن القرآن قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [الآية ٦٣ من سورة مريم] .

• ويقول الفرزدق :

أولئك آبائي فجئْني بمثلهم إذا جمعتنا - يا جريرُ - المجامِعُ [٢]

ففى هذه النصوص السابقة ثلاثة من أسماء الإشارة هى (هذا - تلك - أولئك) على التوالى ، وقد اجتمعت فيها الصفات الثلاث السابقة ، فالكلمة الأولى (هذا) فى الحديث اسم يقصد به « الدين » ويشير إليه ، والكلمة الثانية (تلك) اسم أيضا يقصد به « الجنة » ويشير إليها ، والكلمة الثالثة (أولئك) اسم أيضا يقصد به « الآباء » ويشير إليهم .

ولعلنا بذلك نفهم السبب فى عدّ (أسماء الإشارة) من المعارف ، إذ يتحدد معناها بسبب ما تحمله من الإشارة إلى المقصود ، وما يصحبها أحيانا من الإشارات الحسّيّة .

أسماء الإشارة :

« المشار إليه » مفردٌ أو مثنى أو جمع ، وكل من هذه الثلاثة مذكر أو مؤنث - وقد جاء فى اللغة العربية ألفاظ تدل على ذلك كله على التفصيل الآتى :

١ - المفرد المذكر :

أشهر ما ورد له لفظ واحد هو (ذا) ويستعمل منه (هذا - ذاك - ذلك) وجاء فى القرآن قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [الآية ٧٠ من سورة النساء] .

٢ - المفرد المؤنث :

وأهم ما ورد من الألفاظ (ذِه - ذِى - تِه) ويبدو أن الكلمتين الأوليين

---

(١) للحديث رواية أخرى هى (إن هذا الدين متين ، فأوغلوا فيه برفق) وسواء أكانت هذه أم تلك فلا تغير فى الاستدلال به على ما سقناه له (انظر غريب الحديث للهروى وغل) .

(٢) فى البيت اسم إشارة (أولئك) للجمع ، وقد تحدد المقصود منه بواسطة ما يحمله من معنى الإشارة حين استعماله فى البيت ؛ إذ قصد منه (آباء الفرزدق) .

لا تكادان تستعملان بغير حرف التنبيه « ها » ، فيستعمل منهما (هذِه - هذِى) - مع استعمالهما مجردتين - وأن الكلمة الأخيرة تستعمل أيضا هذا الاستعمال ، فيقال (هاتِه المرأة) لكن أكثر ما تستعمل مع اللام والكاف اللاحقتين بها ، فيقال (تلك) قال تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ [الآية ٦٤ من سورة العنكبوت] وقال أيضـــا : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ [الآية ١٤١ من سورة البقرة] .

ومن استعمال (هذِى) قول أبى العلاء المعرى :

صاح هذِى قبورُنا تملا الرُّحْبَ ، فأين القبورُ من عهد عَادِ [1] !!

٣ - المثنى المذكر :

ورد له لفظ واحد (ذان) ويستعمل منه (هذان - ذانِك) تقول : (هذان صديقان مخلصان ، فإن هذين الصديقين يحزنان لأجلى فى الضَّراء ويفرحان لى فى السَّرَّاء) .

٤ - المثنى المؤنث :

وقد ورد له لفظ واحد هو (تان) ويستعمل منه (هاتان - تانِك) تقول : (فى العالم الآن دولتان كبيرتان ، وعلى هاتين الدولتين مسئوليةُ مصير العالم) - وقد مرّ الحديث عن هاتين الكلمتين فى ملحقات المثنى .

٥ - جمع الذكور والإناث :

وقد ورد لكليهما لفظ واحد هو (أولاء) فيستعمل منه (هؤلاء - وأولئك) يقال (إن وِزْرَ القادةِ أكبرُ من وِزْرَ الأتباع ، فهؤلاء يأمرون وأولئك يأتمرون) . ومن شعر جرير :

سرتْ الهمومُ فَبِتْنَ غيرَ نِيَام ... وأخو الهمومِ يَرُومُ كلَّ مرَام
ذُمَّ المنازلُ بعد منزلة اللّوَى ... والعيشُ بعد أولئك الأيامِ [2]

---

(١) الرحب . الاتساع ، والمقصود : الفضاء المتسع .

والبيت قد جيء به للتمثيل فإن أبا العلاء المعرى - فى رأى النحاة - لا يستشهد بشعره . وموضع التمثيل هو كلمة (هذى) مستعملة للمفردة المؤنثة ، وبأولها (ها) للتنبيه .

(٢) المنازل : جمع منزل أو منزلة ، والمقصود به : مكان النزول - اللوى : اسم مكان معين .=

هذا وفى اللفظ لغة أخرى تنسب إلى « بنى تميم » وهى « القصر » فينطق بدون الهمزة الأخيرة هكذا (أُولَى) وهى لغة لا يكاد أحدٌ يستعملها الآن فى الإشارة .

٦ - الإشارة للمكان :

وردت ألفاظ تخصصت للإشارة إلى المكان ، بمعنى أنها لا تستعمل إلا فى ذلك - وإن كانت الألفاظ السابقة كلها تستعمل أيضا فى المكان وغيره ، وهذه الألفاظ هى :

● هُنَا - هَاهُنَا	إشارة للمكان القريب
● هُنَاك - هُنَالِكَ - ثَمَّةَ	إشارة للمكان البعيد

تقول : (هنا أرضُنا وحريتُنا ، وليس ثَمَّةُ حياةٌ بدونِ أرضٍ حرة) ومن التعبيرات المشهورة الآن فى الاستعمال (ومن ثَمَّ) وقال تعالى : ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الآية ١١ من سورة الأحزاب] وقال أيضا : ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ [الآية ٦٤ من سورة الشعراء] .

إعراب : هُنَا أرضُنا :

هنا : اسم إشارة للمكان ؛ ظرف مبنى على السكون فى محل نصب شبه جملة خبر مقدم .

أرض : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة (نا) مضاف إليه ، مبنى على السكون فى محل جر .

الحروف التى تأتى مع أسماء الإشارة :

هى حروف ثلاثة (ها : التنبيه - كاف الخطاب - لام البعد) وينبغى مع كل واحد من هذه الثلاثة بيان موضع صلته بأسماء الإشارة ، والمعنى الذى يفيده ، ثم تحديد أسماء الإشارة التى يتصل بها على التوضيح التالى :

= **معنى البيتين** : لقد توزعت الهموم على أصحابها ، وصاحب الهم تتوزعه الأفكار والهواجس - ومن الهم الفراق ، فكل مكان مذموم ما عدا « اللوى » لما قضيت فيه من أيام صافية مبهجة .

الشاهد فى البيت الثانى فى كلمة (أولئك) إذا استخدمت للإشارة إلى الجمع (الأيام) وبآخرها كاف الخطاب .

• ها : التنبيه :

تأتى سابقة أسماء الإشارة ، وحينئذ لا تكتب ألفها غالبًا – وهى – كما يقول ابن هشام – حرف جىء به لتنبيه المخاطب على المشار إليه ، فهى إذن حرف تنبيه ، وهكذا يصفها المعربون .

وتسبق جميع أسماء الإشارة التى سبق توضيحها ، فنقول : (هذا – هذه – هذى – هاته – هذان – هاتان – هؤلاء) .

• كاف الخطاب :

وتلحق آخر أسماء الإشارة عند استعمالها للشىء أو الشخص البعيد فقط – وهى – كما يقول ابن هشام – حرف لمجرد الخطاب لا موضع له من الإعراب ، فهى إذن حرف للخطاب لا للمخاطب ، هكذا يصفها المعربون .

وتلحق أيضًا جميع أسماء الإشارة بصورة عامة ، فنقول : (ذاك – ذيك – ذانك – تانك – أولئك) وتتغير بحسب من تخاطبه – كما سيأتى بيانه .

• لام البعد :

وتتوسط بين أسماء الإشارة وكاف الخطاب ، وتفيد – كما هو واضح من تسميتها – البعد ، بل إنها لتفيد فى استعمالها مع الكاف شدة البعد ، وهكذا يصفها المعربون .

وتأتى مع أسماء الإشارة المفردة فقط ، بشرط تجردها من حرف التنبيه (ها) بل إنها – إن لم يجانبنى الصواب – تأتى مع كلمتين فقط هما (ذا – تى) فنقول فيهما (ذلك – تلك) .

ولعله قد اتضح بعد ذلك ما يردده المعربون من قولهم : **(ها : حرف تنبيه ، واللام : للبعد ، والكاف : حرف خطاب)** .

أسماء الإشارة مع حرف الخطاب :

مما يقال فى موقف القضاء :

ذلك حقّى أيها القاضى .

وأولئكم شهودى عليه أيها المستشارون .

من العبارات النحوية الذائعة الصيت عن باب الإشارة ما يقال : **(اسم الإشارة لمن تُشير إليه ، والكاف لمن تُخاطبه)** وتتضمن هذه العبارة الأمرين الآتيين :

الأول : أن أسماء الإشارة يُراعى فى لفظها ما تشير إليه - مفردًا أو مثنى أو جمعًا مذكرًا أو مؤنثًا .

الثانى : أن حرف الخطاب (الكاف وما تفرع عنها) يُراعى فى لفظها المخاطب - مفردًا أو مثنى أو جمعًا ، مذكرًا أو مؤنثًا .

وكل هذا مفهوم مما درسناه سابقًا ، والجديد هنا أن أسماء الإشارة وحرف الخطاب إذا استعملا معًا - بأن كان هناك من تشير إليه ومن تخاطبه - وجب أن يُراعى فى كل منهما ما هو موجّه إليه من حيث الإفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث .

ففى المثال الأول (ذلك حقّى أيها القاضى) روعى فى اسم الإشارة (ذا) الإفراد والتذكير ، لأن المشار إليه (الحق) كذلك . كما روعى فى حرف الخطاب (الكاف) أيضا الإفراد والتذكير ، لأن المخاطب (القاضى) كذلك .

وفى المثال الثانى (أولئكم شهودى عليه أيها المستشارون) روعى فى اسم الإشارة (أولاء) الجمع والتذكير ، لأن المشار إليه (الشهود) كذلك كما روعى فى الخطاب أنه موجه لجماعة الذكور وهم (المستشارون) فجيء بحرف الخطاب فى صيغة الجمع المذكر فى (أولئكم) .

فلنطبق المبدأين السابقين على النصوص الآتية :

• قال تعالى عن المؤمنين : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الآية ٥ من سورة البقرة] .

• وقال تعالى يخاطب موسى : ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾ [الآية ١٢ من سورة القصص] .

• حكاية القرآن قول يوسف مخاطبا رفيقيه فى السجن : ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ﴾ [الآية ٣٧ من سورة يوسف] .

• قول النابغة فى الاعتذار للنعمان بن المنذر :

أتانى - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أنَّك لُمْتَنى ... وتلكَ التى أهْتَزُّ منها وأَغْضَبُ [(١)]

• • •

(١) أبيت اللعن : اللعن هو الطرد والإبعاد ؛ وجاء فى أساس البلاغة : أبيت اللعن : هى تحية الملوك فى الجاهلية ؛ أى : لا فعلت ما تستوجب به اللعن .

وفى البيت دليل استعمال اسم الإشارة « ته » مع كاف الخطاب ، وقد أشير به إلى المفردة المؤنثة ، والخطاب للمفرد المذكر وهو النعمان نفسه .

أسماء الموصول

١ - المقصود بالموصول لدى اللغويين والنحاة .

٢ - جوانب الحديث عن الموصول تفصيلا هى :

(أ) أسماء الموصول المختصة والمشتركة .
(ب) صلة الموصول الجملة وشبه الجملة .
(جـ) عائد الصلة المذكور والمحذوف .

• • •

الموصول :

جاء فى القاموس : « وصل الشىء بالشىء وَصْلا : لأَمَه ، وأوْصل الشىء واتَّصل : لم ينقطع ، والوُصْلة بالضَّم : الاتصال » . أ . هـ .

ويتلخص ما يفهم من هذا النص أن هذه المادة تفيد « الالتحام والاتصال اللازم بين شيئين » وينبنى عليه أن « الموصول » يقصد منه : ما التحم به غيره متصلا به اتصالا وثيقًا لا ينفصل ، سواء أكان ذلك فى الماديات أم فى المعنويات أم فى الكلام - فحنفية المياه بعد لحمها بالماسورة تصير موصولة بهذه الماسورة ، وقطعة الخشب إذ تكون جزءًا من أجزاء الكرسى ، فتأخذ موضعها منه ملتصقة به بالغراء والمسامير تلتحم به وتكون موصولة ببقية أجزائه - وحين ننطق عبارة فى نفس واحد ؛ فنقول مثلا ما قاله الرسول ﷺ : (إذا كانوا ثلاثةً ، فلا يتناجى اثنان دون الثالث حتى تختلطوا بالناس أجْلَ أنْ يُحْزِنَه) [(١)] فإن كل كلمة من هذه العبارة موصولة بما قبلها وما بعدها من الكلمات ، إذ نطقت معها متصلة دون انقطاع .

أما الموصول الذى يدرس فى النحو ، فيقصد منه - كما ذكر ابن هشام - كل اسم افتقر إلى صلة وعائد أ . هـ .

ويتبين من النص السابق أن ما يطلق عليه « الموصول » فى النحو يتوافر له الصفات الثلاث الآتية متكاملة :

---

(١) صحيح البخارى . الجزء الثامن - من كتاب الاستئذان .

(أ) أن يكون كلمة منطوقة من نوع الاسم .

(ب) أن تكون له صلة تتصل به ، فتبين المقصود منه وتحدد معناه .

(جـ) أن تشتمل هذه الصلة على ضمير عائد على اسم الموصول ؛ يربط جملة الصلة به .

تلك هى المكوّنات الأساسية لتحقق الموصول نحويا ، وهى مرة أخرى باختصار (اسم الموصول - صلة الموصول - العائد على الموصول) .

* قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الآية ٣٠ من سورة فصلت] .

ففى هذه الآية الكريمة اسما موصول هما (الذين - التى) ، وصلة الأول جملة ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ والعائد فيها هو ضمير الجماعة « الواو » فى ﴿ قَالُواْ ﴾ أما صلة الثانى فجملة ﴿ كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ والعائد غير موجود فيها ، لكنه يقدر ، والأصل مع هذا التقدير (التى كنتم توعدون بها) .

هذا ، وينبغى التنبه للملاحظتين الآتيتين :

الأول : أن أسماء الموصول من المعارف ، فإن وجود الصلة معها يزيل غموضها ويحدّد المقصود منها ، لأن من شروط الصلة - كما سيأتى - أن يكون معناها معلوما للسامع ، تقول : (زميلى الذى بذل جُهدَه ولم يُوفَّقْ خيرٌ لدىّ من زميلى الآخر الذى أهمل واجبهَ واغْتَسَفَ النَّجاح) .

الثانية : أن دراسة هذا الباب كله - بعد تحديد معناه السابق - يجب أن تتناول أركان الموصول الثلاثة وهى (أسماء الموصول - الصلة - العائد) على التفصيل الآتى :

أسماء الموصول :

المتصور أن يعبر الموصول عن المفرد والمثنى والجمع ، وكل من هذه الثلاثة مذكر ومؤنث ، وقد ورد فى اللغة فعلا من أسماء الموصول ما يعبر عن ذلك كله بطريقتين :

الطريقة الأولى : أسماء الموصول المختصة :

يقصد بها : ما ورد في اللغة من أسماء الموصول ، وكل منها مخصص للدلالة على واحد من الأمور الستة السابقة على التفصيل والتوضيح الآتي :

• المفرد المذكر :

ورد له لفظ واحد هو (الذى) قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الآية ١ من سورة الأنعام] وتقول : (أحبُّ الصديقَ المخلصَ الذى يشاركنى السّراء والضّراء ، وأكرهُ الصاحبَ المنافق الذى أجِدُه فى السراء ، ويهربُ فى الضراء) .

• المفرد المؤنث :

ورد له لفظ أيضًا هو (التى) قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [الآية ٦٣ من سورة مريم] ، وتقول : (أغْلى بقاعِ الأرض البقعةُ التى وُلِدْتُ بها ، ونشأت فى رحابها ، وأحبُّ الناس لدىّ الأسرةُ التى كَفَلَتْنى ورعتْنى ، وأحقُّ الخلق بإحسانى أمّى التى أنا قطعةٌ منها) .

• المثنى المذكر :

ورد له أيضًا لفظ واحد هو (اللّذان) ويجىء فى حالتى النصب والجر بالياء (اللّذَيْن) قال تعالى على لسان المستضعفين يوم القيامة : ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الآية ٢٩ من سورة فصلت] ومن العبارات التى ترددها الإذاعة (قلبُ العالم العربىّ مصرُ ، وجناحاه اللذان ينهض بهما المشرقُ العربىّ والمغربُ العربىّ) .

• المثنى المؤنث :

ورد له أيضًا لفظ واحد هو (اللّتان) ويجىء فى حالة النصب والجر بالياء (اللّتَيْن) يقال : (من الرّحلاتِ المثيرة فى عصرنا الحاضر الرّحلتان الأوليان اللّتان وصل الإنسانُ فيهما إلى القمر ، فقد تابعهما كلُّ سكّانِ الأرضِ بإعجابٍ وانبهار) .

• الجمع المذكر :

ورد له فى اللغة لفظان هما (الذين – الأُلَى) قال تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الآيتان ٥ ، ٦ من سورة الفاتحة] وقال الشاعر :

رأيتُ بنى عمّى الأُلَى يخذُلونَنى على حَدَثَانِ الدهرِ إذ يتقلَّبُ (١)

فمن البين أن كلمة (الأُلى) فى هذا البيت لجماعة الذكور ، بدليل الضمير العائد عليها فى (يخذلون) ويمكن فى البيت أن يوضع مكانها كلمة (الذين) .

هذا ما قررته معظم كتب النحو ، لكن جاء فى شرح ابن عقيل قوله نصا : « يقال فى جمع المذكر (الأُلى) مطلقا عاقلا أو غيره ، نحو (جاء الأُلى فعلوا) وقد يستعمل فى جمع المؤنث ، وقد اجتمع الأمران فى قول أبى ذؤيب الهذلىّ :

وتلك خطوبٌ قد تملَّتْ شبابَنا قديما ، فتُبْلِينا المنونُ وما تُبْلِى
وتُبْلِى الأُلَى يستلْئِمون على الأُلَى تراهنَّ يوم الرَّوْعِ كالحدَإِ القُبْلِ (٢)

فقال (يستلئمون) ثم قال (تراهنَّ) » . أ . هـ .

فقد استعملت كلمة (الأُلى) فى شاهد ابن عقيل مرتين ، الأُلى لجماعة الذكور وأريد بها (الأبطال) وعاد عليها الضمير لجماعة الذكور فى (يستلئمون) والثانية لجماعة الإناث وأريد بها (الخيول) وعاد عليها ضمير جماعة الإناث فى (تراهنَّ) فاستعملت كلا الاستعمالين فى بيت واحد .

فابن عقيل - رحمه الله - يقرر أنها تستعمل لجماعة الذكور والإناث لكنّ استعمالها للذكور أكثر .

---

(١) حدثان الدهر : نوائبه .
يشكو من بنى عمه : إذ تتتابع الأحداث والمصائب فيتقاعسون عن نصرته .
الشاهد فى البيت : كلمة (الألى) إذ وردت فى البيت اسم موصول لجماعة الذكور ، وهو ما جرى عليه معظم النحاة .

(٢) خطوب : كوارث - تملت شبابنا : أى تمتعت بشبابنا ، وأن تتمتع الخطوب بالشباب كارثة !! إذ تمتص صباهم وتأكلهم - المنون : الموت - يستلئمون : يلبسون اللأمة وهى الدرع - الحدأ : جمع حدأة وهى الطائر المعروف ، والمقصود بها الخيول - القبل : التى فى عيونها حور .

المعنى : لقد أصبنا قديما بخطوب جسام أفنت شبابنا وأبطالنا ، شبابنا تملت بهم ، وأبطالنا أبلتهم ، وكانوا رجالا فى الحرب وهم يمتطون الخيول السريعة الحادة النظر كالحدإ فى سرعتها وحدة نظرها .

وقد استشهد ابن عقيل بالبيت الأخير على استعمال (الألى) لجماعة الذكور والإناث - كما جاءت فى البيت مرة قصد بها « الأبطال » ومرة أخرى قصد بها « الخيول » ومن رأى ابن عقيل أن استعمالها لجماعة الذكور أكثر من استعمالها لجماعة الإناث .

لكنْ بتأمل النصوص التى جمعتُها عن هذه الكلمة (الألّى) اتضح لى - إن لم يجانبى الصواب - أنها تستعمل حقا لجماعة الذكور ، لكن استعمالها لجماعة الإناث أكثر - ومن دلائل الأخير ما يلى :

• ما ينسب للمجنون من قوله :

أظنُّ هَواها تَارِكِى بِمَضَلَّةٍ ... من الأرض لا مَالٌ لدىَّ ولا أهلُ
ولا أحدٌ أُفضِى إليه وَصِيتِى ... ولا صاحبٌ إلا المطيَّةُ والرحْلُ
مَحَا حُبُّها حُب الأُلّى كنَّ قبلها ... وحلَّتْ مكانًا لم يكنْ حُلَّ من قبلُ
فحُبّى لها حبٌّ تمكن فى الحَشَا ... فما إنْ أرى حُبًّا يكون له مثلُ (١)

فإن كلمة (الألّى) فى البيت الثالث لجماعة الإناث ، بدليل مجىء نون النسوة ضميرًا عائدًا عليها فى (كنّ) .

• قول الشاعر :

تهيّجنى بالوصلِ أيامنا الأُلّى ... مرَرْنَ علينا والزمان وَرِيقُ (٢)

فهى فى هذا البيت أيضًا لجماعة الإناث ؛ بدليل مجىء نون النسوة عائدا عليها فى (مررْنَ) .

---

(١) المضلة : المنطقة التى يضل من يسلكها - أفضى : أذكر أسرارى - المطية والرحل : المطية : ما يركب كالبعير ونحوه ، والرحل : ما يوضع على المطية للركوب .

يقول : إن هواها قد أصابنى بالخبال ، والمرجح لدى أننى سأضرب فى الأرض حتى أنزل فى تيه منها ، فأفقد هناك دون مال ولا أهل ولا صاحب غير مطيتى ورحلى ، وهما لا يغنيان عنى شيئا - ولا عجب !! فهواها منفرد فى قلبى إذ أزال كل حب قبلها منه ، وهو متمكن فى فؤادى تمكنًا لا نظير له بين المحبين .

الشاهد : فى (الألى كن قبلها) حيث استعمل (الألى) لجماعة الإناث وفى رأيى أن هذا هو الغالب فى استعمالها .

(٢) الوريق : الكثير الورق ، والشجرة يكثر ورقها فى أيام الربيع فتمنح الظل والخضرة ، والمقصود من (الزمان الوريق) الزمن الذى فيه الراحة والبهجة .

المعنى : تستثير ذكرياتى الأيام الجميلة - أيام الوصل - التى مرت على مع الحبيب فى راحة وبهجة .

الشاهد : فى (الألى) حيث أريد بها جماعة الإناث ، وعاد الضمير عليها كذلك فى (مررن) وفى رأيى أن هذا هو الغالب على استعمالها .

والخلاصة : أن هذه الكلمة جرت معظم كتب النحو على جعلها لجماعة الذكور - ومن رأى ابن عقيل أنها تستعمل لجماعة الذكور والإناث وللأول منهما أكثر - ومن رأيي أنها تستعمل لكلا الجمعين ، لكنها للإناث أكثر اعتمادًا على النصوص التي وردت عنها .

• جماعة الإناث

ورد لذلك لفظان هما (اللَّاتي - واللَّائي) وقد يستعملان بغير الياء الأخيرة ، فينطقان (اللَّاتِ - اللَّاءِ) تقول : (لمجتمعنا العربي تقاليدُه مع المرأة ، ومن هذه التقاليد التصوّنُ والعفة ، لذلك تُحترم فيه الفتياتُ اللَّاتي يحترمْنَ هذه التقاليد ، كما تحتقر فيه الأخرياتُ اللَّائي يخرجْنَ عليها) .

الطريقة الثانية : أسماء الموصول المشتركة أو العامة :

يقصد بها ما ورد في اللغة من أسماء الموصول صالحا للاستعمال - بلفظه كما هو - في الحالات الست السابقة « المفرد والمثنى والجمع ، المذكر منها والمؤنث » حيث يتحدد المقصود منه من سياق الكلام والضمير العائد عليه .

فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

إنّ من يحترمُ نفسهَ لا يفعَلُ الأمورَ الرّخيصة .

إنّ من تحترمُ نفسها لا تُعرّضُ أنوثَتَها للمهانة .

إنّ من يحترمون أنفسهم ينقدونها قبل نقد الآخرين لهم .

ففي الأمثلة الثلاثة السابقة كلمة (مَنْ) اسم موصول ، وهي في المثال الأول للمفرد المذكر ، وفي الثاني للمفردة المؤنثة ، وفي الثالث لجماعة الذكور ، فهي في الأول بمعنى (الذي) وفي الثاني بمعنى (التي) وفي الثالث بمعنى (الذين) ولم يتغير لفظها في الأمثلة الثلاثة ، والذي حدد معناها - في كل مثال - سياق الكلام والضمير العائد عليها - فهذه الكلمة يطلق عليها (اسم موصول مشترك) .

وأسماء الموصول المشتركة - كما وردت في كتب النحو - ستة (منْ - ما - أيّ - ذا - ذو - ال) والثلاثة الأولى من هذه الأسماء الستة (منْ - ما - أيّ) تستعمل هذا الاستعمال مطلقا وبدون شروط - أما الثلاثة الأخيرة (ذا - ذو - ال)

فلا تستعمل هذا الاستعمال إلا تحت ظروف خاصة بكل منها - سيأتى شرحها - بل إن اعتبار الكلمة الأخيرة (ال) من أسماء الموصول أمر يثير الغرابة ، وقد رفض اعتبارها من أسماء الموصول من يعتدّ بهم من النحاة .

لذلك ، فإنه من المفيد أن نتناول هذه الأسماء الستة فى مجموعتين ، تضم الأولى الأسماء الثلاثة المتداولة الاستعمال ، وتضم الأخرى ما لا يكاد يعرف استعماله إلا المتخصصون فى صناعة النحو .

المجموعة الأولى (منْ - ما - أىّ) :

١ - مَنْ :

لاحظ الأمثلة الآتية :

إن من قصَّر به عمله ، لم يسرعْ به نسبه .

وإن منْ يصنع المعروف فى غير أهله يندم عليه .

أخلصْ لمن يحبّونك واحذرْ منْ يعادونك .

(مَنْ) اسم موصول مشترك ، والأصل فيها أن تكون للعاقل ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الآية ٤١ من سورة النور] ، لكن ربما استعملت فى غير العاقل على خلاف الأصل ، ومن ذلك ما ينسب للمجنون من قوله :

بكيتُ على سِرْبِ القَطَا إذ مررْنَ بى ... فقلتُ ومثلى بالبُكاءِ جَديرُ
أسربَ القطا ، هل مَنْ يُعيرُ جناحه ... لعلّى إلى من قد هويتُ أَطيرُ (١)

فإن كلمة (مَنْ يعير جناحه) قصد بها (القطا) وهم غير عقلاء .

(٢) ما :

لاحظ الأمثلة الآتية :

---

(١) القطا : جمع قطاة ، وهى طائر من طيور الصحراء - السرب : الجماعة .

يقول : حين مرت بى جماعة القطا بكيت وأنا جدير بالبكاء !! لأنى بعيد عن حبيبتى يضنينى الشوق إليها ، لذلك طلبت من الطير أن يعيرنى واحد منها جناحه لعلى استخدمه فى الذهاب السريع إليها .

الشاهد : فى البيت الثانى فى قوله « هل من يعير جناحه » فهى اسم موصول قصد بها غير العاقل .

قيمتُك بما تعملُه لا بما تقولُه .

فتذكر مِن تجارب حياتِك ما نفعْتكَ لا ما آلمتْك .

(ما) من الأسماء الموصولة المشتركة ، والأصل فيها أن تكون لغير العاقل ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الآية ١ من سورة الحشر] .

وربما استعملت للعاقل على غير الأصل ، كما جاء عن العرب قولهم : (سُبحانَ ما سخّركُنَّ لنا) وقولهم : (سُبحانَ ما يسبّح الرّعْدُ بحمدِهِ) .

٣ - أيّ :

لاحظ الأمثلة الآتية :

ابدَأْ بالصدَقة على أيِّ الناسِ هو أقربُ إليك .

ابدأ بالصَّدقة على أيِّ المحتاجين هم أقربُ إليك .

(أيّ) من أسماء الموصول المشتركة ، وتستعمل للعاقل وغيره ، ويلاحظ أنها في المثال الأول للمفرد المذكر ، فهي بمعنى (الذى) وفى المثال الثانى لجماعة الذكور ، فهي بمعنى (الذين) .

هذا ، وينبغي هنا التنبه إلى فكرة جانبية خاصة بكلمة (أيّ) من حيث الإعراب والبناء ، إذ سبق فى الحديث عن (بناء الأسماء) أن الأسماء الموصولة كلها مبنية ، أما كلمة (أيّ) خاصة فإنها معربة - كما هو واضح فى المثالين السابقين - وتبنى على الضم فى حالة واحدة يلخصها العبارة النحوية المشهورة : (أن تضاف ويحذف صدر صلتها) وممّا ورد لذلك الشواهد الآتية :

• قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ [الآية ٦٩ من سورة مريم] قرئت الآية ببناء كلمة (أى) على الضم .

• قول غسان بن وعلة :

إذا ما لقيتَ بنت مالكٍ   فسلِّمْ على أيُّهم أفضلُ [١]

---

(١) الشاهد في البيت أن « أى » استعملت اسم موصول وهي مبنية على الضم إذ أضيفت وحذف صدر صلتها ، والصلة هي « أفضل » فهي خبر لمبتدأ محذوف تقديره « هو أفضل » .

فقد روى البيت ببناء كلمة (أىّ) على الضم .

المجموعة الثانية (ذا - ذو - ال) :

٤ - ذا :

لاحظ الأمثلة الآتية :

ماذا تصنعُ مع الأحمقِ إذا أساء إليك ؟!

مَنْ ذا يوافقونك على ردّ عدوانه ؟!

مَنْ ذا ينصفونك حين الإعراض عنه ؟!

الأفضلُ - يا صاحبى - ألاّ تعرض نفسك لأمثاله .

المشهور فى استعمال كلمة (ذا) فى اللغة أنها اسم إشارة ، ولها استعمال آخر أقل شهرة ، إذ تكون اسم موصول مشتركًا بشرط أن تتوافر لجملتها الصفتان الآتيتان :

(أ) أن يتقدم عليها أحد اسمى الاستفهام (مَنْ - ما) .

(ب) أن يبقى لكل من اسم الاستفهام (منْ - ما) واسم الموصول (ذا) استقلاله فيعتبران كلمتين مستقلتين - فإذا اندمجتا معا ، فأصبحتا كلمة واحدة بمعنى (أىّ شخص - أو - أىّ شىء) خرجت كليّة من باب الموصول .

ويلاحظ فى الأمثلة السابقة أن (ذا) قد اجتمعت لها الصفات التى تؤهلها لأن تكون اسم موصول ، فهى فى المثال الأول بمعنى (الذى) وفى المثالين الثانى والثالث بمعنى (الذين) ، ولنتأمل - مع ذلك - الشواهد الآتية :

• قال الله تعالـى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [الآية ٢٤٥ من سورة البقرة] .

• وقال : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا ﴾ [الآيـة ٣٠ من سورة النحل] .

• قول الأعشى يمدح شعره :

وقصيدةٍ تأتى الملوكَ غريبةٍ ... قد قلتُها ، ليُقَالَ من ذا قالَها (١)

---

(١) المعنى : إن كثيرا من قصائدى غريب بديع أمدح بها الملوك فتروع الناس وتبهرهم حين يسمعونها من الرواة فيتساءلون : من قائلها !! استحسانا لها وإعجابا !!

* قول أمية بن أبي عائذ الهذلى :

ألا إن قلبى لَدَى الظاعِنين حزينٌ ، فمن ذا يُعزِّى الحزينَا (١)

٥ - ذو (لغة طَيِّئ) :

المشهور عن استعمال كلمة (ذو) فى اللغة أنها بمعنى (صاحب) - ومن الأسماء الستة ، تقول : (الأمين ذو مروءة والخائن ذو نذالة) - لكن لها استعمال آخر لا يكاد يعرفه إلا المتخصصون فى دراسة اللغة ، إذ تكون اسم موصول مشتركًا ، وينسب هذا الاستعمال الأخير إلى قبيلة « طيئ » ومن وشاهده :

* سمع بعضهم يقسم قائلا : (لا وذو فى السماءِ عرشُه) .

* وسمع بعضهم يمدح قائلا : (بالفضل ذو فضّلكم الله به ، وبالكرامة ذاتُ أكرمكم الله بها) .

* ومن شعر سنان الطائى :

فإنّ الـماءَ ماءُ أبى وجدّى   وبئرى ذو حفرتُ وذو طَوَيْتُ (٢)

= الشاهد : فى « من ذا قالها » فإن « ذا » اسم موصول بمعنى « الذى » وقد استوفى الشرطين اللازمين لاستعماله اسم موصول .

(١) الظاعنين : جمع « ظاعن » وهو الراحل المفارق .

الشاهد : فى البيت قوله « من ذا يعزى الحزينا » فإن « ذا » بمعنى « الذى » فهى اسم موصول وقد استوفت الصفتين اللازمتين لاستعمالها كذلك .

إعراب البيت : ألا : أداة استفتاح - إن : حرف توكيد ناسخ ينصب المبتدأ ويرفع الخبر - قلبى : اسم إن منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم . وياء المتكلم مضاف إليه - لدى : ظرف مكان منصوب بفتحة مقدرة على الألف ، شبه جملة خبر أول للحرف « إن » - الظاعنين : مضاف إليه مجرور بالياء - حزين : خبر ثان مرفوع بالضمة - من : اسم استفهام مبتدأ مبنى على السكون فى محل رفع - ذا : اسم موصول بمعنى « الذى » خبر المبتدأ مبنى على السكون فى محل رفع - يعزى : فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الياء للثقل ، والفاعل ضمير مستتر تقديره « هو » - الحزينا : مفعول به منصوب بالفتحة ، والألف للقافية ، وجملة « يعزى الحزينا » كلها صلة الموصول .

(٢) طويت البئر : بنيتها بالحجارة .

الشاهد فى البيت « بئرى ذو حفرت وذو طويت » إذ استعملت « ذو » اسم موصول ، فإن العبارة بمعنى « الذى حفرت والذى طويت » ومن البين أن قائل البيت « طائى » فهذا الاستعمال إنما هو فى لغة قبيلة الشاعر ، وظهر أثر لهجته فى اللغة الفصحى - فى الشعر - لكن لم يقدر لهذا الاستعمال الذيوع والانتشار فى اللغة الفصحى لكل العرب .

• ومن شعر قوّال الطائي :

أظنُّكَ دونَ المالِ ذو جئتَ طالبًا ستلقاك بيضٌ للنّفوسِ قَوابضُ (١)

والذى أراه أن استعمال (ذو) فى اللغة اسم موصول إنما هو لهجة خاصة بقبيلة « طيّئ » لم يقدّر لها الذيوع والانتشار فى استعمال الفصحى المشتركة ولذلك ينبغى فهمها فى هذا الإطار السابق ، والاقتصار على معرفة النصوص التى وردت لها فقط ، دون أن نتجاوز ذلك لاستخدامها فى نطقنا الآن . -

٦ - ال :

المشهور أن « ال » حرف لتعريف الاسم مثل (الثقة - الاحترام - الأمانة - الشرف) وسيأتى ذلك - لكن لها استعمال آخر لا يكاد يعرفه إلا بعض النحاة ، إذ تكون اسم موصول مشتركًا مع « اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة » كقولك : (أحترمُ الإنسانَ الصّادقَ فى حديثه الحازمَ إرادتَه النّافذ إلى غايته ، وأحتقر الإنسانَ الكاذبَ فى قوله المتردّدَ فى رأيه المتخاذل فى عمله) إذ يرى بعض النحاة أنها اسم موصول فى الكلمات (الصدق - الحازم - النافذ - الكاذب - المتردّد - المتخاذل) وصلتها الوصف بعدها .

والذى أراه - موافقًا فى ذلك أبا الحسن الأخفش - أن « ال » لا تكون إلا حرف تعريف ، ولا تجىء اسم موصول .

صلة الموصول :

يقصد بالصلة : ما اتصل باسم الموصول مباشرة دون فاصل بينهما ليوضّح به المتكلم المراد من اسم الموصول ، ويتحدد به للسامع المراد منه تقول : (إن الذى أمِنْته على أسرارى قد خانها ، فكان بذلك أعْدَى أعدائى) فالصلة هى (أمنته على أسرارى) ومن البين أنها جاءت بعد اسم الموصول (الذى) مباشرة فوضحت مراد المتكلم منه ، وحددت أيضًا المقصود به للسامع .

---

(١) البيض : السيوف - القوابض من صفات السيوف ، كأنما تقبض الأرواح .

يخاطب أحد الطامعين فى أموالهم فيقول : أرجح أنه بذل المال الذى تطلبه ستلقاك السيوف التى تقبض روحك .

الشاهد « ذو جئت طالبا » فإن « ذو » بمعنى « الذى » فقد استعملت اسم موصول والقائل من قبيلة « طيئ » .

وقد استعملت اللغة العربية صورتين للصلة على التوضيح الآتى :

الصورة الأول : الجملة :

لاحظ الأمثلة الآتية :

الأُمَةُ التى تتبعثرُ قُواها يقِلُّ جهدُها ويضعفُ تأثيرُها .

والأُمَةُ التى قُوادها متماسكةٌ يتضاعفُ جهدُها ويقوى تأثيرها .

الصلة فى المثالين السابقين هى الجملتان (تتبعثر قواها - قواها متماسكة) ومن البين أن الأولى جملة فعلية وأن الثانية جملة اسمية - فجملة الصلة تكون فعلية ، كما تكون أيضًا اسمية .

لكن ينبغى التنبه إلى أنه ليست كل الجمل الفعلية والاسمية صالحة لأن تجىء صلة ، بل إن الجملة التى تقع صلة لا بد أن تتوافر لها الصفات الآتية مجتمعة :

(أ) أن تكون جملة خبرية لا إنشائية (كالأمر والنهى والاستفهام) - وهذا أمر بدهى - فإن الاستعمال اللغوى يرفض أن تكون هذه الأخيرة صلة ، فلا يستعمل فى اللغة (جاء الذى قابِلْهُ) ولا (جاء الذى هل قابلتَه ؟) .

(ب) أن تكون معلومة للسامع - وهذا أيضًا بدهى - فإن الصلة - كما سبق - هى التى توضح اسم الموصول ، وتحدد للسامع المقصود منه ، وهى تؤدى هذه المهمة بالنسبة له إذا كان معناها معروفًا لديه .

(جـ) أن تشتمل الجملة على ضمير يعود إلى اسم الموصول - وهذا أيضًا أمر بدهى - فإن الارتباط بين اسم الموصول والصلة يتحقق بهذا الضمير وبدونه تنفك العلاقة بينهما ، فلا يستفاد المعنى الذى نهدف إليه منهما .

الصورة الثانية : شبه الجملة :

لاحظ الأمثلة الآتية :

يجب أن نُحافظ على القوة التى فى الوَحْدة

ويجب أن نحذرَ الضَّعفَ الذى فى الفُرقة .

فليس المرءُ بنفسه فقط ، بل بمن معه من الأصدقاء والأعوان .

الصلة فى هذين المثالين هى على التوالى (فى الوحدة - فى الفرقة - مع) ومن البين أنها فى هذه الثلاثة جار ومجرور أو ظرف ، وكلاهما يندرج تحت ما يطلق عليه اسم (شبه الجملة) - فالصلة إذن قد تكون شبه جملة - جارًا ومجرورًا أو ظرفًا .

لكن من رأى النحاة أن الصلة ليست هى الجار والمجرور والظرف ، بل هى فعل محذوف متخيل يتعلق به هذان الاثنان - ففى عبارة (القوة التى فى الوحدة) ليست هى الجار والمجرور (فى الوحدة) بل هى فعل تقديره مع التخيل (القوة التى تتحقق فى الوحدة) فهنا الفعل المتخيل هو الصلة ، وهو الذى يتعلق به الجار والمجرور .

والذى أراه - تيسيرا على المبتدئين واتفاقًا مع رأى بعض النحاة فى خبر المبتدأ - أنه يمكن مع التسامح اعتبار الجار والمجرور والظرف أنفسهما الصلة ولا حاجة إلى التخيل والتقدير .

عائد الصلة :

لاحظ ما يلى من الأمثلة :

صديقُك يحبُ ما أحببتَهُ ويكرهُ ما كرهتَهُ	العائد مذكور
وعدوُك يكرهُ ما أحببتَ ويحبُ ما كرهت	العائد محذوف

العائد : هو الضمير الذى يجىء فى جملة الصلة ومعناه معنى اسم الموصول فيفيد ربط تلك الجملة باسم الموصول ، ليؤدى الاثنان معا المعنى المقصود .

وبما أن الضمير العائد يحمل معنى اسم الموصول ، فإنه يجب أن يطابقه فى الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث .

والأصل فى الضمير العائد أن يكون مذكورًا لفظًا فى جملة الصلة ، وقد يغيب عن الجملة إذا فهم من سياق الكلام وظروفه ، فيحذف من الجملة لفظًا ويعتبر موجودًا تقديرًا .

وبمعاودة النظر للمثالين السابقين يلاحظ أن العائد فى المثال الأول مذكور وهو ضمير الغائب فى (أحببتَهُ - كرهتَه) وقد غاب فى المثال الثانى (أحببتَ - كرهتَ) ولا يضل المرء فى التعرف عليه ، إذ تقديره أيضًا (أحببته - كرهته) .

هذا ، وقد ورد حذف العائد كثيرًا فى نصوص صحيحة فصيحة ، ومن نماذجها - على كثرتها - الشواهد الآتية :

• قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ [الآية ٦٩ من سورة مريم] تقديره : أيهم هو أشد .

• وقال : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [الآية ١٩ من سورة النحل] تقديره : تسرونه وتُعلنونه .

• وقال أيضا : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الآية ٩٤ من سورة الحجر] تقديره : بما تؤمر به .

• قول العرب : (ما أنا بالذى قائلٌ لك سوءًا) تقديره : بالذى هو قائل لك سوءًا .

• قول الشاعر :

لا تنوِ إلا الذى خيرٌ فما شقِيَتْ ... إلاَّ نفوسُ الأُلَى للشرِّ ناوُونا (١)

تقديره (إلا الذى هو خير) .

• قول الشاعر :

من يُعْنَ بالحمْدِ لم ينطِقْ بما سَفَهٌ ... ولاَ يحِدْ عن سبيلِ المجدِ والكَرَمِ (٢)

---

(١) الإنسان بنياته ، من نوى الخير سعد ، ومن نوى الشر شقى ، فلا تنو إلا الخير ، خير لك .

الشاهد فى « الذى خير » فقد حذف العائد ، وتقدير الكلام « الذى هو خير » والمحذوف مبتدأ ، ومثله تماما عبارة « الألى للشر ناوونا » فى آخر البيت .

إعراب البيت : لا : ناهية تجزم المضارع - تنو : فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة - إلا : أداة استثناء ملغاة - الذى : مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب - خير : خبر لمبتدأ محذوف تقديره « هو خير » والجملة صلة الموصول - ما : حرف نفى - شقيت : شقى فعل ماض والتاء للتأنيث - إلا : أداة استثناء ملغاة - نفوس : فاعل مرفوع بالضمة - الألى : مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر - للشر : جار ومجرور متعلق بكلمة « ناوونا » بعده - ناوونا : خبر لمبتدأ محذوف وتقدير الكلام « هم ناوون » مرفوع بالواو ، لأنه جمع مذكر والألف للقافية ، والجملة صلة الموصول .

(٢) من أراد حمد الناس ، لا ينطق القبيح ، ولا يميل عن طريق المجد والكرم .

الشاهد : فى « بما سفه » فإن « ما » اسم موصول ، وعائد الصلة محذوف وتقدير الكلام « بما هو سفه » والعائد المحذوف مبتدأ خبره كلمة « سفه » .

تقديره (بما هو سَفَهٌ) .

• قول طرفة :

ستُبْدِى لك الأيامُ ما كنتَ جاهِلاً　　ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لم تُزَوِّدِ (١)

تقديره (ما كنت جاهله) .

قول الآخر :

إن تُعْنَ نفسُك بالأمر الذى عُنِيتْ　　نفوسُ قومٍ سَمَوا تَظفرْ بما ظَفِرُوا (٢)

وقد حذف العائد فى هذا البيت مرتين ، مرة فى الشطر الأول ، وتقديره (الذى عنيت به) ومرة فى الشطر الأخير ، وتقديره (بما ظفروا به) .

ومن البين - بتأمل هذه النصوص - أن العائد المحذوف قد يكون مرفوعًا وقد يكون منصوبًا وقد يكون مجرورًا - أما ما خاضت فيه كتب النحو من تفصيلات حول هذه الفكرة ، فهو أمر مجهد وشاق دون فائدة كبيرة (ولك الرجوع إليها إن شئت) .

• • •

(١) لم تزود . لم تكلفه بالبحث عنها .

يقول : كل خاف سيعلم ، ستكشفه لك الأيام ، ويخبرك به الناس طواعية دون أن تكلفهم أو تطلبه منهم .

الشاهد : فى « ما كنت جاهلا » فقد حذف عائد الصلة ، وأصله « ما كنت جاهله » والعائد المحذوف مضاف إليه فى محل جر .

(٢) يتأثر المرء بمن يقتدى به من الناس ، فإن اقتديت بأناس سمت نفوسهم سموت وظفرت مثلهم .

الشاهد : فى عبارة « الذى عنيت » فقد حذف العائد ، وأصل الكلام « وعنيت به » والعائد المحذوف مجرور بالباء - ومثله أيضًا « بما ظفروا » فأصله « ظفروا به » .

المعرَّف بالألف واللام

أولا : « ال » المعرِّفة : تطلق عليها المصطلحات الآتية :

١ - ال : العهْديّة ، والفرق بين العهد الذِّهنى والذِّكرِى .

٢ - ال : الجنسية ، والمقصود بالجنس الذى تحدده .

٣ - ال : الاستغراقيّة ، وما تعنيه من الأفراد .

ثانيا : « ال » غير المعرِّفة : وتطلق عليها المصطلحات الآتية :

١ - ال : الزائدة ، وصلتها بما تزاد عليه من الأسماء .

٢ - ال : لِلَمْح الصفة ، وما تجئ معه من الأعلام .

٣ - ال : للغَلَبَة ، وما تدخل عليه من الأعلام .

• • •

أولا : « ال » المعرِّفة :

الصديق - الزميل - النصيحة - الحقيقة - الحرية - الأساتذة - الطلاب - الناس - الملائكة - القصة - المسرحية - الحساسية - الرقة .

كل الكلمات السابقة فى أولها « الألف واللام » وهذه علامة على أن الاسم الذى دخلت عليه معرفة ، بمعنى أن وجود الألف واللام فى أوله أفاد تحديده - نوعًا ما من التحديد - بعد أن كان شائعًا لا يدخل تحت الحصر والتعيين - فلنوازن مثلا بين (الصديق - الزميل) وفيهما الألف واللام ، ومقابلهما المجرد منها (صديق - زميل) حيث يلاحظ أن الصورة الأولى تستعمل فى موقف التحديد والتعيين ، والثانية فى موقف الشيوع والعموم .

والألف واللام المعرِّفة حين تستخدم مع الأسماء يطلق عليها أحد المصطلحات الثلاثة التالية :

١ - « ال » : العهْديّة :

اتفقتُ مع الصّديق الزميل على أن نذهب إلى القناطر فى النيل .

وضربنا لذلك موعدًا ، والتقينا فى الموعد المحدّد .

ووجدنا مركبا على الشاطئ ، فركبنا المركب إلى هناك .

يقصد بالعهد : الأمر المتفق عليه بين المتكلم والسامع ، فهو أمر محدّد مفهوم لكل منهما ، فتدخل (ال) على الاسم لإفادة المعنى السابق .

ففى المثال الأول أربع كلمات فيها (ال) هى (الزميل - الصديق - القناطر - النيل) وبين المتكلم والسامع ما يشبه الاتفاق على المقصود بهذه الكلمات الأربع - فدخلت (ال) عليها لإفادة ما يطلق عليه (العهد الذهنى) .

وفى المثالين التاليين كلمتان فيهما (ال) هما (الموعد - المركب) وقد تقدم لهاتين الكلمتين ذكر فى المثالين ، فقيل أولا (موعد - مركب) بدون (ال) - وفى هذا نوع من الألفة - ثم دخلت (ال) عليهما بعد ذلك لإفادة ما يطلق عليه (العهد الذّكرى) أى : ذكرهما من قبل فى الكلام .

وعلى ذلك ، فلنطبق إفادة (ال) العهد الذّهنى أو الذّكرى على النصوص الآتية :

• قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ [الآيتان ٥ ، ٦ من سورة الشمس] .

• وقال : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ [الآية ٣٥ من سورة النور] .

• من كلام الرسول ﷺ : (اليدُ العُلْيا خيرٌ من اليد السُّفْلى ، ابدأْ بمن تعُول) [١] .

٢ - ال : الجنسية :

• الصحفُ أوسع انتشارًا من الكتب ، لكن الكتبُ أعظمُ فائدةً من الصحف .

• العدلُ فوق الرحمة لتحقيق المصلحة العامّة ، لكن الرحمةُ أجملُ من العدل فى علاقات الأفراد .

الكلمات العامة مثل (صحف - كتب - عدْل - رحمة) لكل منها (مفهوم) كما أنها تطلق على (أفراد) - فكلمة (صحف) مثلا لها مفهوم يمكن تصوره بصورة عامة حين نطقها . كما أنها تطلق على أفراد كثيرين مثل (الأخبار - الأهرام - الجمهورية - الحرية - الثورة) وكلها أسماء صحف عربية .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الزكاة (انظر : فتح المبدى ج ٢ ص ٦٥) .

ويقصد بتعريف الجنس : أن يتخصص الاسم بدخول (ال) عليه فى الدلالة على مفهوم الاسم العام مع صرف النظر عن الأفراد التى تندرج تحته .

ففى المثالين السابقين نجد الكلمات (الصحف - الكتب - العدل - الرحمة) قد دخلت عليها (ال) فتخصص المقصود بها فى الدلالة على « مفهومها » العام دون النظر إلى « الأفراد » وفى هذا نوع من التحديد للاسم ، فهو تعريف له - فحين نقول : (الصحفُ أوْسَعُ انتشارًا من الكتب) نقصد أن هذا الصنف (الصحف) أوسع انتشارًا من ذاك (الكتب) بصرف النظر عن الأفراد إذ قد تكون إحدى الصحف المصرية الخاملة مثلا أقل انتشارًا من إحدى قصص « نجيب محفوظ » الواسعة الانتشار ، ويمثل النحاة لذلك بقولهم : (الرجلُ أفضلُ من المرأة) وقولهم (أهلكَ النّاسَ الدينارُ والدّرهم) .

٣ - ال : الاستغراقيّة :

يمتاز الإنسانُ عن الحيوانِ بالعقل .

ويتميزُ الرجل عن المرأةِ بصفاتٍ جسميّة خاصة .

يقصد بتعريف الاستغراق : أن يتخصص الاسم بدخول (ال) عليه فى الدلالة نصًا على أن المقصود به كل الأفراد التى تندرج تحته بصرف النظر عن مفهومه العام - فهو بهذا المعنى على العكس من تعريف الجنس الذى سبق ذكره .

يلاحظ فى المثالين السابقين أن الكلمات (الإنسان - الحيوان - الرجل المرأة) دخلت عليها (ال) فتخصص المقصود بها فى الدلالة نصًا على استغراق كل الأفراد التى تندرج تحتها ، فكل فرد من (الإنسان) يمتاز عن كل فرد من (الحيوان) بالعقل - ما عدا المجانين والبلهاء طبعًا - وكل فرد مما يطلق عليه (الرجل) يتميز - ولا يمتاز - عن كل فرد مما يطلق عليه (المرأة) بصفات جسمِيّة تفصل الرجولة عن الأنوثة - والذى أفاد معنى « كل فرد » مع هذه الأسماء هو دخول (ال) عليها ، فهذا نوع من التحديد والتعريف لها - ومن شواهد الاستغراق قوله تعالى : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [الآية ٢٨ من سورة النساء] .

بعد هذا الفهم لتعريف الجنس أو استغراق الأفراد بواسطة (ال) ينبغى أن نضع فى الاعتبار الملاحظتين الآتيتين عنها :

(١) أن لها مع الاسم - فى النوعين - بعض التحديد - فالأولى - الجنسية

- تخصصه فى الدلالة على مفهومه العام ، والثانية - الاستغراقية - تخصصه فى الدلالة على كل أفراده - لذلك يعتبر الاسم معرفة .

(٢) أن الاسم - حتى مع التخصيص بها - يبقى له جهة عموم سواء من حيث معناه - فى الجنسية - أو أفراده - فى الاستغراقية - لذلك يعامل أحيانًا على أنه نكرة كما سيأتى فى بعض أبواب النحو .

• • •

ثانيًا : « ال » غير المعرّفة :

الكلمات (الذى - السّمَوءل - العبّاس) جاء فى أول كل منها (ال) وهى معارف بدون الحاجة إليها ، ذلك أن (الذى) اسم موصول : أمّا (السّموءل - العباس) فإنهما من الأعلام ، فمجىء الألف واللام فى أول الكلمات لم يجعلها معارف ، كما كان الأمر مثلا فى كلمات سبق ذكرها مثل (الصديق - الزميل - القناطر) ولذلك يطلق على (ال) فى الكلمات - الذى (السموءل - العباس) بأنها غير معرفة .

ويقصد بها : ما لم تفد الاسم التعريف بدخولها عليه ، إذ هو معرفة بدونها ، أو أنها طرأت عليه استعمالا فى الشعر لضرورة الوزن الذى لا يستقيم بغيرها .

هذا : وقد وردت (ال) غير المعرّفة مع بعض الأسماء العربية ويطلق عليها مع هذه الأسماء المصطلحات الثلاثة الآتية :

١ - ال : الزائدة :

وهى التى لا تفيد التعريف - كما سبق - وليس لها أى معنى آخر مع الاسم بل تعتبر جزءا منه أو طارئة عليه - وقد وردت مع الأسماء الآتية :

• الأسماء الموصولة المختصة ، (الّذى - الّتى - اللّذان - اللّتان - الّذين - الأُلَى - اللّائى) .

• بعض الأعلام التى أطلقت على أصحابها وفيها الألف واللام ، مثل (السّمَوْءَل - اليَسَع - العُزّى) .

• ورودها طارئة فى بعض الأبيات الشعرية على بعض الأسماء لضرورة الوزن ، ومن ذلك :

• قول الشاعر يخاطب ابنه :

ولقد جنيتكَ أكْمُؤًا وَعساقِلاً ولقد نهيتُكَ عن بَنَاتِ الأَوْبَرِ (١)

فإن (بنات أوبر) – بدون الألف واللام – علم على نوع من التمر الرديء وطرأت عليها (ال) لضرورة الشعر .

• قول الراجز :

باعَدَ أمَّ العمرِو عن أسيرِها
حُرّاسُ أبوابٍ لَدَى قُصُورِها (٢)

فإن (أم العمرو) أصلها (أم عمرو) بدون الألف واللام – وطرأت (ال) لضرورة الشعر .

• قول رشيد اليشكرى يهجو قيس بن مسعود اليشكرى :

رأيتُكَ لما أنْ رأيتَ وُجُوهَنا
صددْتَ وَطِبْتَ النَّفسَ يا قيسُ عن عَمْرِو (٣)

فالأصل (وطبت نفسًا) وطرأت (ال) على التمييز لضرورة الشعر .

٢ – ال : لِلَمْح الصفة :

وهى التى لا تفيد التعريف – كما سبق – لكنها تدل على لمح صفة الأصل فى الأعلام التى اتصلت بها – فلنلاحظ ما يلى :

---

(١) جنيتك : بمعنى جنيت لك – أكمؤا : جمع « كمء » وهو نوع من التمر – العساقل : جمع عسقول ، وهو أيضا نوع من التمر – بنات الأوبر : نوع من التمر الرديء .

يخاطب ابنه : بأنه جنى له من النخل تمرًا جيدًا هو (الأكمؤ والعساقل) وأنه نهاه عن التمر الرديء وهو (بنات الأوبر) .

الشاهد : فى (بنات الأوبر) علم على نوع من التمر الرديء ، ودخلت عليه (ال) لضرورة الشعر .

(٢) الشاهد : فى (أم العمرو) فأصلها (أم عمرو) فهى علم بغير الألف واللام وجاءت فى الشعر بالألف واللام ، وهذه لغة الشعر الخاصة .

(٣) طبت النفس : بمعنى : رضيت – يا قيس : قيس بن مسعود – عن عمرو : صديق لقيس ، وكان قوم الشاعر قد قتلوه .

يقول : حين رأيتنا فررت من وجوهنا ورضيت عن قتل صديقك – ولا يخفى ما فى البيت من التهكم !!

الشاهد : فى (طبت النفس) فالأصل (طبت نفسا) لأن (نفسا) تمييز والتمييز لا يكون إلا نكرة ، ودخلت (ال) على التمييز من أجل لغة الشعر الخاصة .

• عبّاس - ضحّاك - حارث - قاسم - حسن - حسين - فضل } صفات أو مصادر

• عبّاس - ضحّاك - حارث - قاسم - حسن - حسين - فضل } أعلام منقولة بدون (ال)

• العبّاس - الضّحّاك - الحارث - القاسم - الحسن - الحسين - الفضل } أعلام منقولة وبها (ال)

المقصود هنا هو النوع الأخير من الأعلام المنقولة وفيها (ال) فإن اتصال (ال) يفيد « لمح الصفة » وهى الإشارة إلى المعنى الذى نقلت منه قبل أن تستعمل علمًا ، مثلا كلمة (عبّاس) صيغة مبالغة من (العبوس) فإذا نقلت علمًا ، فسمّى شخص ما (عبّاس) دون (ال) صرف النظر عن معناها الأصلى ، أما إذا نقلت علمًا فسمّى شخص ما (العبّاس) وفيه (ال) كان فى ذلك إشارة إلى الأصل الذى نقلت عنه الكلمة ، أو بعبارة أخرى « لَمْحًا لصفة الأصل » من أنه كثير العُبوس ، ومثل ذلك أيضا (الضحاك - القاسم - الحارث - الحسن - الحسين - الفضل - النّعمان) فإن (ال) فيها جميعا للمح الأصل .

٣ - ال : للغَلَبَة :

وهى ما لا تفيد تعريف الاسم - كما سبق - لكنها تدل على أن الأسماء التى دخلت عليها صارت أعلامًا بالغلبة - فلنلاحظ الآتى :

• عقَبة - بيت - مدينة - كتاب - أعْشى   كلمات عامة = نكرات

• العقَبة (الميناء) - البيت (الكعبة) - المدينة (المنورة) - الكتاب (لسيبويه) - الأعشى (الشاعر)   أعلام بالغلبة

بالموازنة بين الكلمات السابقة قبل دخول (ال) عليها وبعد دخولها نلاحظ أنها قبل دخول (ال) نكرات ، وحين دخلت عليها (ال) أصبحت أعلاما - فالأداة (ال) فى هذه الأسماء للغلبة ، أى أن الاسم بها قد فاز - بنفسه لا بواسطة « ال » - بمكان أو شىء أو شخص محدد فأصبح علما عليه ، وتخلص بذلك من عموم دلالته على الأماكن والأشياء والأشخاص .

• • •

المضاف إلى المعرفة

من كلام الرسول ﷺ :

(١) « اللّهم اهْدِ قومى فإنهم لا يعلمون » .

(٢) « اللّهم اجعلْ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه » .

ومن القرآن قوله تعالى :

(٣) ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الآية ٦١ من سورة الصافات] .

(٤) ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ .

(٥) ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

فى كلام الرسول ﷺ والقرآن أسماء مضافة إلى معارف ، وهى على الترتيب فى النصوص السابقة (قومى - لسان عمر - مثل هذا - صراط الذين أنعمت عليهم - رب العالمين) على التوضيح الآتى :

- كلمة (قوم) مضاف - والمضاف إليه ضمير هو « ياء المتكلم » .
- كلمة (لسان) مضاف - والمضاف إليه عَلَم هو « عمر » .
- كلمة (مثل) مضاف - والمضاف إليه اسم إشارة هو « هذا » .
- كلمة « صراط » مضاف - والمضاف إليه اسم موصول هو « الذين » .
- كلمة (رب) مضاف - والمضاف إليه فيه « ال » هو « العالمين » .

لذا : فإن الكلمات المضافة فى هذه النصوص تعتبر معارف ما دام المضاف إليه معرفة ، إذ يسرى إلى المضاف التعريف الذى فى المضاف إليه - ولعله قد اتضح من الشرح السابق العبارة النحوية المشهورة : (المضاف للمعرفة معرفة) وهذا الحكم خاص بالإضافة المعنوية ، كما سيأتى فى باب (الإضافة) .

* * *

تدريبات

(١)

قال أبو العباس المبرّد [(١)] : مما يُؤثَر من حكيم الأخبار وبارع الآداب ما حُدّثنا به عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : دخلت يوما على أبى بكر الصديق فى علّته التى مات فيها ، فقلت له : أراك بارئًا يا خليفة رسول الله !! فقال : أمَا إنى على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدّ عليّ من وجعى ، إنى ولّيتُ أموركم خيركم فى نفسى ، فكلكم وَرِمَ أنفه أن يكون له الأمر من دونه ، والله لتتخذُنَّ نضائد الديباج وستور الحرير ولتألَمُنَّ النوم على الصوف الأذربيّ كما يألم أحدكم النوم على حَسَك السَّعْدان ، والذى نفسى بيده لأن يُقدَّم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حدّ خيرٌ له من أن يخوض غَمَراتِ الدنيا ، يا هادىَ الطريق جُرْت ، إنما هو - والله - الفجر أو البُجْر !!

فقلت : خفِّض عليك يا خليفة رسول الله ، فإن هذا يهيضك إلى ما بك فوالله ما زلتَ صالحا مصلحا ، لا تاسَ على شىء فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تخلّيتَ بالأمر وحدك فما رأيتَ إلا خيرًا .

(١) ورد فى هذه المحادثة الأعلام الثلاثة (أبو العباس المبرّد - عبد الرحمن ابن عوف - أبو بكر الصديق) عين منها الاسم واللقب والكنية - اذكر ما يكنى به عادة من يطلق عليه « عبد الرحمن » .

(٢) (حُدّثنا به - أراك بارئًا - قلت له - إنى وليت أموركم - خيركم فى نفسى) اذكر المحل الإعرابى للضمائر المتصلة البارزة فى الجمل السابقة ، ثم اذكر المقابل لكل منها من الضمائر البارزة المنفصلة .

(٣) (لتتخذُنَّ نضائد الديباج - لتألمنَّ النوم على الصوف - خفض عليك

---

(١) الكامل فى اللغة والأدب - لأبى العباس المبرد - الجزء الأول - ص ٦ .

حسك السعدان : الحسك : الشوك ، والسعدان : نبت كثير الشوك - الصوف الأذربى : صوف جيد منسوب إلى « أذربيجان » فى فارس - البجر « بضم الباء » : الشر والأمر العظيم - يهيضك : مأخوذ من « هيض العظم » إذا كسر مرة ثانية بعد جبره من الكسر الأول .

يا خليفة رسول الله - لا تأس على شىء فاتك) ميّز الضمائر المحذوفة والمستترة فى الجمل السابقة ، ثم أعربها جميعًا .

(٤) بم نستدل على أن الكلمات (يوما - حدّ - خير - شىء) نكرات ؟

(٥) كلمة (ما) فى عبارة (ما حدثنا به) يمكن أن تعتبر اسم موصول أو نكرة ، وجّه الاعتبارين .

(٦) من أىّ أنواع المعارف الكلمات (بارع الآداب - أموركم - الوجع - الحرير - الفجر) .

(٧) (أما إنى على ذلك لشديد الوجع) لو كان بحضرة أبى بكر مع ابن عوف شخص آخر أو اثنان فكيف تنطق العبارة السابقة !!

(٨) (مما يؤثر من حكيم الأخبار - فى علته التى مات فيها - والذى نفسى بيده) فى العبارات السابقة أسماء موصولة ، حدد نوعها ، ونوع جملة الصلة معها من حيث الاسمية والفعلية .

(٩) اذكر الموقع النحوى للمصادر المؤوّلة فى (أن يكون له الأمر - كما يألم أحدكم - لأن يقدم أحدكم - من أن يخوض غمرات الدنيا) - راجع أولا سياقها فى النص قبل ذكر الموقع .

(١٠) (والله ما زلت صالحًا مصلحا ...) ، هذه الجملة حتى آخر النص جزء من ردّ ابن عوف الأخير ، أعرب هذا الجزء كله ملتزما فى الإعراب الوظيفة والشكل .

(٢)

قال المتنبى [١] :

صحِب الناسُ قبلنا ذا الزمانا ... وعناهم فى شأنِهِ ما عنانا
وتولَّوْا بغُصّةٍ كلُّهم منـ ... ـه وإن سَرَّ بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيعَ لياليـ ... ـه ولكن تكدِّر الإحسانا

(١) التبيان شرح ديوان أبى الطيب المتنبى - لأبى البقاء العكبرى - طبع الحلبى سنة ١٩٣٦ الجزء الرابع ص ٢٣٩ .

وكأنّا لم يرضَ فينا بريب الـ ـدهرُ حتى أعانه من أعانا
كلمّا أنبت الزمانُ قناةً ركّب المرء فى القناة سنانا
ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيه وأن نتفانى
غير أن الفتى يلاقى المنايا كالحاتٍ .ولا يلاقى الهوانا
ولو أنّ الحياة تبقى لحيٍّ لعددنا أضلّنا الشجعانا
وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تكون جبانا
كلّ ما لم يكن من الصعبِ فى الأنفس سهلٌ فيها إذا هو كانا

(١) (ذا الزمانا) من أىّ أنواع المعارف هاتان الكلمتان !! أعربهما كما وردتا فى البيت الأول .

(٢) (ما عَنانا - منْ أعانا) بين فى هاتين العبارتين الموصول والصلة والعائد .

(٣) (سَرّ - تُكدر - لم يرض - نتعادَى - يلاقى - تبقى - تكون) وردت هذه الأفعال فى النص بهذا الترتيب وفيها ضمائر مستترة ، قدّر هذه الضمائر ، واذكر بعد ذلك ما استتر منها جوازاً أو وجوبا .

(٤) اذكر محل الضمائر البارزة المتصلة فى (قبلنا - عنانا - تولّوا - كأنّا أعانه - عددنا - أضلّنا) رفعا أو نصبا أو جرا .

(٥) البيت الخامس جملة شرطية كاملة ، حدّد أجزاءها ، ثم عين نوع الأسماء فيه من حيث التعريف والتنكير .

(٦) من الموصولات الحرفية (أنْ - أنّ) فما موقع المصدر المؤول منهما فى العبارتين (أن نتعادى - أن الفتى يلاقى المنايا) راجع سياق الأبيات .

(٧) ما معنى البيت الأخير ؟! أعربه كله ملتزما فى الإعراب الوظيفة والشكل .

(٨) (كلهم - أحيانا - الصنيع - أصغر - كالحالات - بدّ) اذكر نوع الكلمات السابقة من حيث التعريف والتنكير - اضبطها فى جملها ثم بين سبب الضبط .

• • •

القسم الثانى

الجملة الاسمية

تشمل مباحثها :

أولا : المبتدأ والخبر

ثانيا : نواسخ المبتدأ والخبر

(١) كان وأخواتها .

(٢) الحروف النافية الناسخة (ما – لا – لات) .

(٣) كاد وأخواتها .

(٤) إنّ وأخواتها .

(٥) لا : النافية للجنس .

(٦) ظن وأخواتها .

(٧) أعلم وأرى وأخواتهما .

المبتدأ والخبر

أولا : المبتدأ :

(١) المبتدأ الذى له خبر وما له مرفوع يغنى عن الخبر .
(٢) ورود المبتدأ معرفة أو نكرة .

ثانيا : الخبر :

(١) صورة الخبر (مفرد - جملة - شبه جملة) .
(٢) روابط جملة الخبر بالمبتدأ .
(٣) الإخبار بالظرف عن اسم الذات واسم المعنى .
(٤) تعدّد الخبر للمبتدأ الواحد .

ثالثًا : ما يتعلق بجملة المبتدأ والخبر :

(١) التطابق بين المبتدأ والخبر .
(٢) الترتيب فى جملة المبتدأ والخبر .
(٣) الذِّكر والحذف لكل من المبتدأ والخبر .

* * *

صورتا المبتدأ :

ينبغى ابتداء التعرف على معانى الكلمات الثلاث (الاسم الصريح - الاسم المؤول بالصريح - الوصف) .

الاسم الصريح : كما يدل عليه اسمه - ما له صورة منطوقة ، وأكثر ما يرد هذا النوع مما يعبر عنه صرفيًا بالاسم الجامد ، سواء أكان اسم ذات أم اسم معنى ، مثل (شجرة - زهرة - نبات - طائرة - شجاعة - إقدام - انتصار - حرية - إعجاب) .

المؤول بالصريح : يقصد به : اسم المعنى (المصدر) المأخوذ من حروف المصادر وما دخلت عليه ، وحروف المصادر خمسة (أنَّ - أنْ - كى - ما - لو)

والمشهور منها الأربعة الأولى ، أما الحرف الأخير فلا شهرة له ، ويستعمل حرفا مصدريا بعد الفعلين (ودَّ - يودّ) .

الوصف : يقصد به - كما جاء في كتب النحو - ما دل على معنى وصاحبه وهو من الأسماء المشتقة (اسم الفاعل - اسم المفعول - - أمثلة المبالغة - الصفة المشبهة - اسم التفضيل) مثل (ناقد - مشهور - ذوّاق - أديب - نبيه - أسْمى - أجمل) .

فلنتأمل الأمثلة الآتية :

(أ) القلبُ سرُّ الإنسان ، واللّسانُ عنوانُه والمرءُ بأصْغَرَيْه ، قلبِه ولسانِه	المبتدأ اسم صريح
(ب) وأن تُفْشِيَ أسرارَك لغيرِكَ وبالٌ عليك فمن المفيد لَك أنْ تحتفظ بأسرارك لنفسك	المبتدأ اسم مؤول بالصريح
(جـ) أضائقٌ صدرُكَ بسرِّكَ فتفشيه للناس ! أضامنٌ أنت حينذاك الاّ يُشاع ويذاع ؟! يا صاحبى : ما نافعٌ إفشاءُ الأسرارِ ، لكن قد يضرّ	المبتدأ وصف

• • •

الصورة الأولى : مبتدأ له خبر :

يقصد بها : ما كان المبتدأ فيه اسما صريحا أو مؤولا بالصريح ، تقول : (القرآنُ كتابُ الإسلام ومحمدٌ رســـولُه) وفى القرآن قال تعالى : ﴿ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [الآية ١٨٤ من سورة البقرة] وقال : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً ﴾ [الآية ٣٩ من سورة فصلت] .

الصورة الثانية : مبتدأ له مرفوع يغنى عن الخبر :

ويقصد بها : ما كان المبتدأ وصفا ، تقدمه نفى أو استفهام ، ورفع بعده اسما ظاهرًا أو ضميرًا منفصلا أ . هـ .

وفى هذا الوصف السابق للجملة التى يأتى فيها المبتدأ من هذه الصورة تلاحظ الصفات التالية :

(أ) أن يكون المبتدأ وصفا - وقد سبق بيان ذلك .

(ب) أن يتقدم على الوصف نفى أو استفهام .

(جـ) أن يكون الاسم المرفوع بالوصف ظاهرًا أو ضميرًا منفصلا .

فالصفات الثلاث السابقة ينبغى أن تتحقق مجتمعة فى الجملة التى يأتى فيها المبتدأ من الصورة الثانية ، وحينئذ يكون الاسم المرفوع بعد الوصف مغنيا عن خبره ومن ذلك :

● قوله تعالى : ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الآية ٤٦ من سورة مريم] .

● قول الشاعر :

خليليَّ ما وافٍ بعهدىَ أنتما　　　إذا لم تكونا لى علَى من أقاطعُ (١)

● قول الآخر :

أَقَاطِنٌ قومُ سَلْمَى أم نَوَوْا ظَعَنَا　　　إن يظعنوا، فعجيبٌ عيشُ من قَطَنا(٢)

إعراب : ما نافع إفشاء الأسرار :

ما : حرف نفى ، نافع : مبتدأ مرفوع بالضمة - إفشاء : فاعل لكلمة (نافع) مرفوع بالضمة سد مسد الخبر - الأسرار : مضاف إليه مجرور بالكسرة .

هذا هو الأصل فى تحقيق صورة المبتدأ الذى له مرفوع يغنى عن الخبر وهو الاتجاه المشهور بين جمهور النحاة من البصريين .

لكن ، خالف الكوفيون فى الصفة الثانية ، فأجازوا تحقيق هذه الصورة دون أن يتقدم على الوصف نفى أو استفهام - وورد على هذا الرأى من الشواهد :

---

(١) الشاهد فى هذا البيت (ما واف أنتما) فإن كلمة (واف) من المبتدأ الذى له مرفوع يغنى عن الخبر ، فهو مبتدأ ، وكلمة (أنتما) ضمير منفصل فاعل به سد مسد الخبر .

(٢) يقال : قطن بالمكان : أقام به - ويقال : ظعن عن المكان : فارقه ورحل .

يتساءل فى أسى عن قوم حبيبته « سلمى » أيبقون مقيمين أم نووا الرحيل !! لئن كانت الأخيرة فلن يبقى مقيما بعدهم ، لأنه لا طاقة له بالبقاء مع رحيلهم .

الشاهد : فى قوله (أقاطن قوم سلمى) فإن كلمة (قاطن) مبتدأ له مرفوع أغنى عن الخبر ، وهو كلمة (قوم) فهى فاعل به سد مسد الخبر .

● قول زهير الضبي :

فخيرٌ نحن عند النّاس منكم إذا الدّاعي المثوّبُ قالَ يالاَ (١)

فكلمة (خير) مبتدأ ، وكلمة (نحن) فاعل به سد مسد الخبر ، ولم يتقدم على المبتدأ نفى ولا استفهام .

● قول الآخر :

خَبيرٌ بنو لِهْبٍ فلا تكُ مُلْغِيًا مقالةَ لِهْبِيٍّ إذا الطيرُ مَرّتِ (٢)

فكلمة (خبير) مبتدأ ، وكلمة (بنو) فاعل سد مسد الخبر ، ولم يتقدم على المبتدأ نفى ولا استفهام .

وأصحاب الاتجاه الأول من رأيهم أن ما ورد فى البيتين من (خير نحن عند الناس) و (خبير بنو لهب) إنما هما مبتدأ وخبر على التقديم والتأخير فهما من الصورة الأولى لا من الثانية - والبيتان موضع أخذ ورد بين الاتجاهين السابقين مما لا داعى لذكره والإطالة فيه .

ورود المبتدأ معرفة أو نكرة :

جاء فى قطر الندى : « الأصل فى المبتدأ أن يكون معرفة لا نكرة ، لأن النكرة مجهولة غالبا ، والحكم على المجهول لا يفيد » . أ . هـ .

وجاء فى الأشمونى : « لم يشترط سيبويه والمتقدمون لجواز الابتداء بالنكرة

---

(١) الداعى المثوب : الصارخ المستنجد رافعا ثوبه ملوحا به - يالا : أسلوب استغاثة ، حذف منه المستغاث به ، وأصله : يا للنجدة !!

يقول : إنهم عند الشدة خير الناس ، إذ هم أهل النصرة للمستنجد المستغيث .

الشاهد : فى (خير نحن) إذ ساقه بعض النحاة للاستدلال على أن كلمة (خير) مبتدأ له مرفوع يغنى عن الخبر ، وهو كلمة (نحن) والمبتدأ لم يعتمد على نفى أو استفهام - والرد أن الجملة مبتدأ وخبر على التقديم والتأخير ، فلا دليل فيه .

(٢) بنو لهب : قبيلة من العرب مشهورة بزجر الطير ومعرفة الغيب .

يقول : إن بنى لهب لهم خبرة وعلم بزجر الطير ، فإذا أخبروك بما علموه فلا تكذبهم فيما يقولون .

الشاهد : فى (خبير بنو لهب) إذا استدل به بعض النحاة على أن كلمة (خبير) مبتدأ له مرفوع يغنى عن الخبر وهو (بنو لهب) دون أن يعتمد الوصف على نفى أو استفهام - والرد أن الجملة مبتدأ وخبر على التقديم والتأخير ، فلا دليل فى البيت .

إلا حصول الفائدة ، ورأى المتأخرون أنه ليس كل أحد يهتدى إلى مواضع الفائدة ، فتتبعوها ، فمن مُقلٍّ مخِلٍّ ، ومن مُكثِرٍ مُورِدٍ ما لا يصح أو مُعدِّدٍ لأمور متداخلة » .أ.هـ .

ويؤخذ من هذين النَّصَّين ما يلى :

أولا : أن الأصل فى المبتدأ أن يكون معرفة ، تقول : (الصداقةُ الوفاءُ والإخلاص فأنت وفِىٌّ وأنا مخلصٌ فنحن أصدقاء) .

ثانيا : أن الأصل فى المبتدأ ألا يكون نكرة ، فإن الاستعمال لا يقبله والنطق بذلك لا يفيد ، فلا تقول مثلا (صديقٌ وفِىٌّ - أو - الوفِىُّ) على أن كلمة (صديق) مبتدأ وما بعدها خبر ، لأن ذلك لا يفيد شيئا مقنعا .

ثالثا : خرج عن هذا الأصل السابق ما إذا أفادت النكرة ، فإنه يصح الابتداء بها ، ومعنى الفائدة : أن تكون الجملة التى استخدمت فيها النكرة مؤدية معنى مفيدا يقبله الاستعمال ، ويقنع به السامع ، كما تقول : (فى الصِّدقِ نجاةٌ وفى الكذِب هلاكٌ) وكما تقول : (عملٌ دائم خيرٌ من عملٍ شاقٍ منقطع) أو (مرحُ ساعةٍ مجدِّدٌ للنشاطِ كلَّ اليوم) - وإلى هنا اتفق النحاة .

لكن ، تحديد مواضع الفائدة أو بعبارة أخرى : تتبع صور استعمال النكرة « مبتدأ » فى اللغة العربية هو الذى اختلف حوله الاجتهاد ، والأمر - كما قال الأشمونى - موزع بين « بين مُقِلٍّ مُخِلّ ، ومن مُكثرٍ موردٍ ما لا يصح ، أو مُعَدِّدٍ لأمور متداخلة » .

وعلى كل حال ، فلنختر مما ذكر عشرة مواضع هى - فيما أظن - من أكثر مواضع استعمال النكرة المفيدة فى الابتداء :

١ - أن يكون الخبر شبه جملة مفيدا متقدمًا على مبتدأ ، مثل (عند الحصولِ على الهدفِ راحةٌ وأيضًا فى اليأس منه راحةٌ) .

٢ - أن يكون المبتدأ نكرة عامة فى سياق النفى أو الاستفهام ، مثل (أجبنٌ مجتمعٌ إلى نفاق ، هذه كارثة !!) .

وما ورد فى الأثر : (لا أحدٌ أصبرُ على أذًى سمعه من الله) [١] .

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٦٠ .

٣ – أن تكون موصوفة ، كقولك : حياةٌ قصيرةٌ مفيدةٌ أحسنُ من حياة طويلة تافهة) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلَعَبۡدٌ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكٍ ﴾ [الآية ٢٢١ من سورة البقرة] .

٤ – أن تكون مضافة لنكرة ، كما جاء في الحديث :(خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلة) (١) وكما تقول : (أداءُ واجبٍ بإخلاص سعادةٌ للضمير وإرضاءٌ لله) .

٥ – أن يتعلق بها شيء من تمام معناها ، كقولك : (معاونةٌ للضعيف مروءةٌ وسخريةٌ منه نذالةٌ) ومن ذلك ما جاء في الأثر : (أمرٌ بمعروف صدقةٌ ونهيٌ عن منكر صدقةٌ) .

٦ – أن يقصد بها الدعاء أو التعجب ، كما نقول في حياتنا العادية : (سلامٌ عليكم) وأيضًا : (عَجَبٌ لأمركم) ومن ذلك قول الشاعر :

عجبٌ لتلك قضية وإقامتي ... فيكم على تلك القضية أعجبُ (٢)

٧ – أن تقع في أول الجملة الحالية ، تقول : (سرت على شاطئ النيل وبهجةٌ تملأني وعدتُ إلى البيت ونشاطٌ يغمرني) ومن ذلك قول الشاعر :

سَرَيْنا ونجمٌ قد أضاءَ فمُذْ بَدَا ... مُحَيَّاك أخفى ضوؤه كلَّ شارق (٣)

٨ – أن تقع بعد (إذا : المفاجأة) كقولك : (صحوت من النومُ فإذا بُشرى في انتظاري) .

٩ – أن تقع بعد لام الابتداء ، كما جاء في الأثر : (لغُدوةٌ في سبيل الله أو رَوْحَةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها)(٤) .

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٤١ ويوضح الخبر المحذوف رواية أخرى للحديث (خمس صلوات كتبهن الله في اليوم والليلة) .

(٢) الشاهد في قوله (عجب لتلك قضية) فإن كلمة (عجب) بلفظها تدل على التعجب ، إذ تفيد معنى الدهشة ، وهذا مسوغ تمجيئها نكرة .

(٣) سرينا : سرنا ليلا – محياك : وجهك .

يقول : إنك وضيء الوجه ، مشرق المحيا ، ووجهك في وضاءته وإشراقه يفوق النجوم المضيئة المشرقة .

الشاهد : في قوله (ونجم قد أضاء) فإن كلمة (نجم) مبتدأ نكرة ، جملة (قد أضاء) خبر ، والجملة كلها حال ، ووقوع كلمة (نجم) في أول الجملة الحالية سوغ مجيئها نكرة .

(٤) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٩٩ .

١٠ - أن تقع بعد الحرف (لولا) كما تقول : (لولا شرٌ ما عُرف الخير ولولا ذنبٌ ما كانت توبة) ومن ذلك قول الشاعر :

لولا اصطبارٌ لأوْدَى كلُّ ذى مِقَةٍ   لمّا استقلتْ مَطَايَاهُنّ للظّعنِ [١]

وبعد :

فإذا كانت هذه المواضعُ مما يشق على المرء حصره ، فإن الأمر مرجعه أولا وأخيرًا إلى ما سبق قوله من أن الاستعمال هو الذى يحدد الفائدة وبالفائدة يسوغ الابتداء بالنكرة .

صور الخبر :

لاحظ الأمثلة الآتية :

الشورى مبدأٌ ديموقراطى عظيم	} الخبر مفرد
وأهلُ الشورى الواعون من أبناء الأمة لا العوام	}
فالآراءُ المختلفةُ تُوصِّلُ إلى الصواب المتفق عليه	} الخبر جملة
والرأىُ الواحدُ خَطَؤُه محتملٌ	}
وتجاربُ الأممِ دلالتُها أكيدةٌ على ذلك	}
فالصوابُ فى المشورة والخطأُ فى الاستبداد	} الخبر شبه جملة
وقد قيل : يدُ الله مع الجماعة	}

الخبر مطلقًا - كما جاء فى ابن عقيل - المنتظم منه مع المبتدأ جملة أ هـ .

ويأتى على الصور التالية :

• **الخبر المفرد** : يقصد به - فى هذا الباب - ما ليس جملة ولا شبه جملة

---

(١) أودى : هلك - مقة : حب - استقلت : نهضت - مطاياهن : المطايا : الدواب - الظعن : الرحيل .

يقول : حين بدأت الرحلة وفيها حبيبته ، شق عليه ذلك ، ولولا الصبر على شدة الفراق لهلك .

الشاهد : فى كلمة (اصطبار) فهى مبتدأ نكرة ، وخبرها محذوف ، وسوغ مجيئها نكرة وقوعها بعد كلمة (لولا) .

وإن كان مثنى أو مجموعا ، تقول : (العلْم رسالةٌ والعلماءُ هداةٌ) وتقول : (الرّأيان مختلفان ونحن أصدقاءُ مع ذلك) .

• الخبر الجملة : يقصد به ما تكون من جملة كاملة فعلية أو اسمية ، تقول : (العلمُ يحتاجُ للإخلاص ، العلمُ طريقُه شاقٌ) وأهم ما يشترط في الخبر الجملة أن يشتمل على ضمير يعود على المبتدأ ، وسيأتي تفصيل ذلك .

• شبه الجملة : يقصد به الظرف والجار والمجرور ، نقول : (الحياةُ للحياة والغيبُ عند الله) وتقول : (مع الضِّيقِ الفرجُ ومع العسرِ اليسرُ) ، وقال تعالى : ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الآية ٢٢ من سورة الذاريات] .

وإنما سميت هذه « شبه جملة » لأن النحاة تخيلوا متعلقًا لكل من الجار والمجرور والظرف ، وهذا المتعلق المحذوف يقدر فعلا أو شبه فعل بطريقة مناسبة لسياق الكلام ، فمثلا جملة (الحياة للحياة) تعرب هكذا :

الحياة : مبتدأ مرفوع بالضمة ، للحياة : اللام حرف جر ، الحياة مجرور باللام وعلامة جره الكسرة ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره (الحياة تعاش للحياة أو معاشة للحياة) وهذا المحذوف هو خبر المبتدأ – ومثله الظرف . ومن البين أن هذا التخيل هو سر هذه التسمية .

والحق أن هذا عناء مجهد ، والأحسن – فيما أعتقد – أن يكون كل من الجار والمجرور والظرف « شبه جملة خبر » دون بحث عن محذوف مقدر .

جاء في ابن عقيل : « وذهب أبو بكر بن السَّرّاج إلى أن كلا من الظرف والمجرور قسم برأسه ، وليس من قبيل المفرد ولا من قبيل الجملة ، نقل عنه هذا المذهب تلميذه أبو علي الفارسي في الشيرازيات » . أ . هـ – وهذا كلام في غاية الأهمية ، فيه غنى عن التقدير والمشابهة .

روابط جملة الخبر بالمبتدأ :

لاحظ الأمثلة التالية :

الظلْم مرتَعُه وَخِيمٌ	}
والحمقُ عاقبتُه الندامةُ	} الرابط الضمير

الإحسانُ ذلك خُلُقٌ كريم	}
والإساءةُ تلك خلّةٌ ذميمة	}الرابط الإشارة للمبتدأ
الإحسانُ لا يضيعُ الإحسانُ مع الكريم	}
الإساءةُ لا ينسى الإساءةَ إلا الأحمقُ	} إعادة المبتدأ بلفظه
نِعْمَ الإحسانُ المروءةُ	}
وبئسَ الإساءةُ النِذَالةُ	} العموم فى الخبر
شِعارُنا : الله أكبر والعزّةُ للعرب	} لا حاجة للرابط

لعلَّ من المفيد أن يذكر هنا الفكرة اللغوية التالية : اللغة مسلك اجتماعى يصدق عليه ما يصدق على أنواع السلوك الاجتماعية الأخرى ، وفى علاقاتنا الاجتماعية إذا قامت صلة بين شخص ومن هو قريب له ، لم تكن فى حاجة إلى دلائل تثبتها ، أما إذا قامت العلاقة بين شخص وأجنبى عنه ، احتاجت إلى ما يسوغها من نسب أو منفعة أو صداقة .

هذه الفكرة الاجتماعية السابقة تصدق على المبتدأ فى علاقته بجملة الخبر فإذا كان الخبر هو نفس المبتدأ فى المعنى - كلاهما من وادٍ واحد - لم يحتج الخبر إلى رابط يربطه بالمبتدأ ، كقولك : (اعتقادُنا : الله واحدٌ ومحمدٌ رسولٌ) .

وما ورد فى القرآن من قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الآية ١ من سورة الإخلاص] وقول الرسول ﷺ : (أفضل ما قلتُ أنا والنبيون من قَبلى : لا إله إلا الله)(١) . أما إذا كانت جملة الخبر أجنبية عن المبتدأ - كلاهما من وادٍ مختلف عن الآخر - ففى هذه الحالة لا بد من رابط يربطها بالمبتدأ ، وهو أحد الأمور التالية :

١ - الضمير الذى يعود على المبتدأ من جملة الخبر ، كقول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [الآية ٧٣ من سورة الأنفال] وقوله : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الآية ٣٦ من سورة الرعد] .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ ٤٢٣/١ - كتاب الحج - باب جامع الحج .

٢ - إعادة المبتدأ بلفظه في الخبر ، كقول الله تعالى : ﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الآيـة ١ من سورة الحاقة] وقوله : ﴿ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [الآية ١ من سورة القارعة] .

ويأتى الأسلوب السابق غالبا فى موقف التهويل والتفخيم .

٣ - أن يكون فى الخبر إشارة للمبتدأ ، مثل قول الله تعالى : ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الآية ٢٦ من سورة الأعراف] .

٤ - أن يكون فى الخبر لفظ عام يشتمل على المبتدأ وغيره ؛ وغالبًا ما يأتى ذلك فى أسلوب المدح أو الذم ، كما يقال : (بئس الخُلقُ الخيانةُ) أو : (نعم الدّينُ الإسلامُ) .

الإخبار بالزمان أو المكان عن اسم الذات واسم المعنى :

ينبغى أولا التعرف على معانى الكلمات الآتية :

• **اسم الذات** : يقصد به ما دل على شيء له حجم من إنسان أو غيره أو بتعبير أحد المحدثين : « والمراد به الجسم فى أى وضع كان » وذلك مثل (خالد - أحمد - كتاب - ورقة - زهرة) .

• **اسم المعنى** : وقد سبق بيانه فى أول المبتدأ بأنه الاسم الذى يدل على المعنى المجرد ، ويمثله فى اللغة العربية المصدر بأنواعه المختلفة مثل (شجاعة - عزم - إصرار - حرية - انتصار - فرح) .

• **اسم المكان** : وهو ما يدل على مساحة من الأرض أو الفضاء مثل (أمام - خلف - قدام - حيث - عند - لدى - إزاء - هنا - هناك) .

• **اسم الزمان** : وهو ما يدل على وقت مثل (يوم - ليلة - سنة - شهر - حول - ساعة - لحظة - برهة) .

ولقد سبق أن اسم الزمان أو المكان إذا استعملا ظرفين - باستيفاء شروط الظرف - فإنهما يقعان خبرًا مما أطلق عليه (شبه جملة) تقول : (النيّةُ قبل العمل) وتقول : (النصرُ مع الصبر) .

فإذا لم يستوفيا شروط الظرف ، فإن اسم الزمان أو المكان - كأى اسم آخر - يحتل الوظائف النحوية المختلفة - مبتدأ أو خبرا أو فاعلا أو غيرها - تقول : (اليومُ العيدُ وهو يومٌ مبارك وقد أظلَّتْنا ساعاتُه ونحن فى سرورٍ وأمنٍ وحريّةٍ) .

من المتصور إذن فى جملة المبتدأ والخبر أن يكون المبتدأ فيها اسم ذات أو اسم معنى ، وأن يكون الخبر مع كل واحد منهما اسم الزمان أو اسم المكان فتلك أربع صور من الناحية العقلية .

لكن ، هنا فكرة مهمة جدًا ، احتكم إليها علماء النحو حين أوردوا المستعمل من هذه الصور الأربع وغير المستعمل ، تلك الفكرة تلخصتها عبارة واحدة هى : « لا يصحّ الإخبار باسم الزمان أو المكان من غيره مطلقًا إذا أفاد » . أ . هـ .

« الفائدة » : هى أساس ما يقبل وما يرفض ، والفائدة يقصد بها أن تؤدى الجملة معنى تامًا متكاملا يمكن أن يصمت بعده المتكلم ، ويقنع به السامع دون نبوّ أو نشاز .

وقد أدّى استقراء الكلام العربى لمعرفة ما يفيد وما لا يفيد من الصور الأربع السابقة إلى ما يلى :

- **أولا** : أن يكون المبتدأ اسم معنى والخبر اسم زمان ، كقولك : (الباطلُ ساعةً والحقُّ إلى يوم السّاعة) .
- **الثانية** : أن يكون المبتدأ اسم معنى والخبر اسم مكان ، كقولك : (العدلُ قبل الرّحمة والعفوُ عند المقدرة) .
- **الثالثة** : أن يكون المبتدأ اسم ذات والخبر اسم مكان ، كقولك : (شارفْنا نهاية الرحلة بالطائرة والمدينةُ تحتنا والمطارُ قربَنا) .

هذه الصور الثلاث السابقة هى التى استعملتها اللغة ، والحديث بها مفيد كما ترى فى الأمثلة السابقة .

ثانيا : ما لا يفيد :

وهى صورة واحدة ، حيث يكون المبتدأ اسم ذات والخبر اسم زمان ، وهى صورة يرفضها الاستعمال اللغوى ، لأنها لا تفيد شيئًا ، إذ ما معنى أن نقول (الشجرةُ الساعة - الورقة الآن - الصحيفةُ الحين) - هذا كلام لا معنى له ولا فائدة فيه ، ومن أجل ذلك لم تستعملها اللغة ، ونص النحاة على رفضها .

لكن ، أوردت كتب النحو بعض عبارات قديمة فيها الإخبار باسم الزمان عن اسم الذات ومن أشهرها :

- قول امرئ القيس : اليومَ خمرٌ وغدًا أمرٌ .
- قول امرئ القيس : اليومَ قِحَافٌ وغدًا نِقَافٌ (١) .
- قول العرب : الرّطبُ شَهْرَىْ ربيع .
- قول العرب : الليلةَ الهلالُ .
- قول الشاعر :

أكـلَّ عـامٍ نَـعَـمٌ تَـحْـوُونـه   يُلْقِحه قومٌ وتَنْتِجونه (٢) .

وقد خضعت هذه العبارات لتأويلات لا طائل تحتها ، والحق أن المتأمل لهذه الاستعمالات يحسّ نُبُوّها عن الذّوق اللغوى السليم ، وينبغى الاقتصار على ما سمع منها .

تعدد الخبر :

لاحظ الأمثلة التالية :

العملُ حقٌّ واجبٌ شرفٌ .

البطالةُ ضياعٌ مهانةٌ مذلّةٌ .

الخبر صفة في المعنى ، وكما أن الإنسان أو الشيء قد يوصف بأكثر من صفة ، فإنه يمكن أيضا أن يخبر عنه بأكثر من خبر ، فيكون المبتدأ واحدا والخبر متعددا ، ففى المثال الأول أخبر عن (العمل) بأخبار ثلاثة هى (حق - واجب - شرف) وفى المثال الثانى أخبر عن المبتدأ (البطالة) بأخبار ثلاثة هى (ضياع - مهانة - مذلة) وهكذا ورد فى نصوص فصيحة صحيحة .

---

(١) القحاف : الآنية - النقاف : الحرب وتحطيم الرؤوس .

(٢) النعم : الإبل والشاء - يلقحه : يخصبه ، والإلقاح : الإخصاب ، ومن ذلك فى قول الله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ لأنها تحمل الإخصاب ، من شجرة لأخرى - تنتجونه : معناها ترعونه حتى يلد .

المعنى : إن هذا ظلم وجشع ، إذ تأخذون جهود غيركم وثمرة عملهم ، فتستولون على الإبل والشاء التى أخصبها غيركم لتنتجوها عندكم .

الشاهد : فى (أكل عام نعم) فإن الخبر هنا هو (كل عام) وهو اسم زمان والمبتدأ (نعم) وهو اسم ذات ، وهذا من العبارات السماعية التى وردت وفيها الإخبار بالزمان عن الذات .

• قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [الآيات ١٤ - ١٦ من سورة البروج] .

• ومن رجز رؤبة :

من يكُ ذا بَتٍّ فهذا بَتِّى
مُقَيِّظٌ مُصَيِّفٌ مُشَتِّى
أخذتُه من نعجاتٍ سِتِّ
سودٍ ، نعاجٌ كنعاجِ الدَّشْتِ [(١)]

• وقال حميد بن ثور يصف الذئب :

ينامُ بإحدى مُقْلَتَيْه ويتَّقى بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ [(٢)]

ذلك هو أصل الموضوع ، ومع ذلك فإنه ينبغى التنبه للأمرين التاليين :

الأول : أن الأخبار المتعاطفة لا تعتبر من هذا الأسلوب ، فهناك فرق بين :

• أن نقول : النفاقُ غش كذبٌ خداعٌ .

• وأن نقول : النفاقُ غشٌّ وكذبٌ وخداعٌ .

إذ يلاحظ أن الأخبار فى الأول متجهة كلها إلى المبتدأ (النفاق) وأما فى الثانى فقد اتجه منها للمبتدأ الاسم الأول فقط ، أما الثانى فهو متجه للأول بواسطة حرف العطف ، والثالث متجه للثانى بواسطة حرف العطف وهكذا .

من أجل ذلك تعتبر الصورة الأولى من تعدد الخبر - أما الثانية فليست من تعدد الخبر .

---

(١) بت : كساء سميك خشن « العباءة » - مقيظ : « القيظ » شدة الحر - الدشت : كما جاء فى القاموس - الصحراء .

يقول : إن لى - كالناس - كساء من صوف يقينى الحر والقر ، وألبسه فى الصيف والشتاء ، إنه مصنوع من صوف نعجات ست سود كنعاج الصحراء .

الشاهد : فى (مقيظ مصيف مشتى) فإنها أخبار متعددة لمبتدأ محذوف وتقديره (وأنا مقيظ مصيف مشتى) .

(٢) هاجع . الهجوع : النوم ليلا - المنايا : جمع « منية » وهى : الموت .

يقول : إن هذا الذئب حذر شديد الحذر ، إنه يغمض إحدى عينيه ويفتح الأخرى ، ليتقى بها مفاجآت الموت ، فهو نائم يقظان .

الشاهد : فى قوله (هو يقظان هاجع) فقد تعدد الخبر (يقظان هاجع) لمبتدأ واحد .

الثانى : أن الأخبار المتعددة قد تكون من نوع واحد ، أى من المفردات أو الجمل أو شبه الجمل ، وقد تختلف ، فيكون بعضها مفردا وجملة وشبه جملة ، تقول : (طوال الليل أنا ساهرٌ أتململُ) .

● قال الله تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [الآية ٢٠ من سورة طه] .

● قال على بن أبى طالب ﷺ - فيما ينسب إليه - مرتجزا :

أنا الذى سمّتنى أمّى حَيْدَرَه
كلَيْثِ غاباتٍ غليظِ القَصَره
أَكِيلُكُمْ بالسّيف كَيْلَ السَّنْدَرَه (١)

فالخبر فى البيت الأول مفرد (الذى) - وفى الثانى شبه جملة (كليث) وفى الثالث جملة كاملة وهى (أكيلكم بالسيف) .

التطابق بين المبتدأ والخبر :

البخيلُ عدوُّ نفسه وعدوُّ الناس .

الحريصُ صديقُ نفسِه وعدُوُّ الناس .

والكريمُ صديقُ نفسِه وصديقُ الناس .

فى الأمثلة الثلاثة السابقة يلاحظ التطابق التام بين المبتدأ والخبر من حيث العدد والنوع ، فالمبتدأ والخبر كلاهما مفرد مذكر ، ولو تغير الأمر فى هاتين الصفتين لتطابقا أيضا تقول : (البخلاءُ أعداءُ أنفسهم وأعداءُ الناس) وتقول : (الحريصان صديقا أنفسِهما وعدوّا الناس) وتقول : (الكريماتُ صديقاتُ أنفسهنّ وصديقاتُ الناس) فالمبتدأ الذى له خبر يجب أن يتفق معه خبره فى اثنين من خمسة :

---

(١) حيدرة : من أسماء الأسد - القصرة : أصل العنق - السندرة : كما جاء فى القاموس - نوع من الكيل غراف جراف .

يقول : إنى شجاع اسمى « حيدرة » فأنا كالأسد الغليظ العنق القوى الوثب أجرف بسيفى الأعداء كما يغرف الكيل الغراف الجراف الحب .

الشاهد : أنه جاء فى هذا الرجز أخبار متعددة مختلفة النوع هى على التوالى (الذى - كليث - أكيلكم) والأول مفرد ، والثانى شبه جملة ، والأخير جملة .

(أ) الإفراد والتثنية والجمع .

(ب) التذكير والتأنيث .

أما المبتدأ الذى له مرفوع يغنى عن الخبر ، فإن الأمر فيه يختلف ، إذ يرد على الصور الثلاث الآتية :

الصورة الأولى : التطابق فى الإفراد :

ما صديقٌ البخيلُ لنفسه أو للناس .

ما بغيضٌ الكريمُ لنفسه أو للناس .

فى هذه الصورة - من حيث الصناعة النحوية - يمكن أن يكون الوصف من المبتدأ الذى له مرفوع يغنى عن الخبر ، وتعرب الكلمتان (البخيل - الكريم) على أنهما فاعل سد مسد الخبر للوصفين (صديق - بغيض) .

ويمكن أن يكون الوصف خبرا مقدما ، والاسم المرفوع بعده مبتدأ مؤخر ، فالخبر فى المثالين هو الوصف المقدم (صديق - بغيض) والاسم المرفوع هو المبتدأ المؤخر ، وهو فى المثالين (البخيل - الكريم) .

الصورة الثانية : التطابقُ فى غير الإفراد :

ما أصدقاءُ البخلاءُ لأنفسهم أو للناس .

ما بغيضان الكريمان لأنفسهما أو للناس .

فى هذه الصورة يتعين أن يكون الوصف خبرا مقدّما والاسم المرفوع مبتدأ مؤخر ، ولا يكون الوصف من المبتدأ الذى له مرفوع يغنى عن الخبر إذ يكون حينئذ فاعلا به ، والوصف عاملا له ، وعامل الفاعل لا يثنى ولا يجمع فى اللغة الفصحى ، ومن أجل ذلك يتعين هنا أن يكون الوصف خبرا مقدمًا وهو فى المثالين (أصدقاء - بغيضان) والاسم المرفوع مبتدأ مؤخر ، وهو فى المثالين (البخلاء - الكريمان) .

الصورة الثالثة : عدم التطابق :

ما صديقٌ البخلاءُ لأنفسهم أو للناس

ما بغيضٌ الكرماءُ لأنفسهم أو للناس } صحيح لغويًا

ما أصدقاءُ الكريمُ لنفسه أو للناس }
ما بغيضان البخيلُ لنفسه أو للناس } خطأ لغويًا

الذى جاء فى اللغة الفصحى فى عدم التطابق - أن يكون الوصف مفردا والمرفوع بعده مثنى أو جمعا - وحينئذ يتعين أن يكون الوصف مبتدأ ، والمرفوع بعده أغنى عن الخبر - وعلى ذلك فإن الوصفين (صديق - بغيض) فى المثالين مبتدأ ، وأما الكلمتان (البخلاء - الكرماء) فهما فاعل أغنى عن الخبر .

لكن لم يرد فى اللغة الفصحى العكس ، بأن يكون الوصف مثنى أو جمعا والمرفوع بعده مفرد ، فلم تستعمل اللغة ذلك ، والحديث به خطأ ، استنادا لرفض الاستعمال فى اللغة .

والخلاصة فى هذا الموضوع كله ما يلى :

١ - إذا تطابق الوصف والمرفوع بعده فى الإفراد ، صح فى الوصف أن يكون مبتدأ والمرفوع بعده أغنى عن الخبر - كما يصح فيه أن يكون خبرا مقدمًا ، والمرفوع بعده مبتدأ مؤخر .

٢ - أما إذا تطابقا فى غير الإفراد ، تعين أن يكون الوصف خبرًا مقدما والمرفوع مبتدأ مؤخرا .

٣ - وإذا لم يتطابقا - فيما استعملته الفصحى - تعين أن يكون الوصف مبتدأ والمرفوع بعده أغنى عن الخبر .

الترتيب فى جملة المبتدأ والخبر :

لاحظ الأمثلة الآتية :

بلادُنا مزدحمةٌ بالسكان }
وتلك مشكلةٌ خطيرةٌ لمواردنا } الترتيب على الأصل

مزدحمةٌ بالسكان بلادُنا }
مشكلةٌ خطيرة تلك لمواردنا } الخبر مقدم على المبتدأ

الأصل أن تأتى الجملة الاسمية على الترتيب الأصلى - بأن يتقدم المبتدأ

ويتأخر الخبر - لكن اللغة الفصحى استخدمت فيها الجملة الاسمية كثيرًا على غير الأصل ، إذ يتقدم الخبر على المبتدأ ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [الآية ٥ من سورة القدر] وقوله أيضا : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ [الآية ٣٧ من سورة يس] وقول العرب : (منشوءٌ من يشنؤك) [(١)] .

فالترتيب بين المبتدأ والخبر - فى استعمال الفصحى - ترتيب مطلق ، والذى يميز المبتدأ من الخبر ظروف الكلام ، تلك التى تعين المحكوم عليه من الحكم ، والأول هو المبتدأ - تقدم أم تأخر - والثانى هو الخبر - تقدم أيضا أم تأخر .

لكن هذا الإطلاق فى الترتيب بين الاثنين يصير مقيدا بتحديد موضع المبتدأ والخبر على التفصيل التالى :

أولا : وجوب تقدم المبتدأ وتأخر الخبر :

وذلك ينحصر فى اتجاهين رئيسين :

(١) أن يكون الترتيب هو وسيلتنا الوحيدة لمعرفة المبتدأ والخبر ، بأن نتعرف على المبتدأ بأنه قد جاء أولا - ونتعرف على الخبر بأنه قد جاء ثانيا . ولا دليل لدينا غير ذلك - حينئذ يجب تقدم المبتدأ وتأخر الخبر ؛ فإن الخبر لو تقدم ، لأدى إلى ارتباك فى تحديد وظائف الكلمات فى الجملة الاسمية أو إلى ارتباك آخر باختلاط الجملة الاسمية بالفعلية ، نقول : (الأصدقاءُ المخلصون) ، ويقول الرسول ﷺ : (الدّينُ المعاملة) . فالكلمتان (الأصدقاءُ - الدين) مبتدآن ، والكلمتان (المخلصون - المعاملة) خبران ، ولو تقدم الخبر هنا لاختلط الأمر ، إذ يمكن أن تكون حينئذ الكلمتان الأخيرتان هما الخبر ، فيما لو قلت (المخلصون - الأصدقاء) أو قلت (المعاملة الدين) والمتكلم لا يريد ذلك .

وينطبق هذا نفسه على قولنا : (الحق ينتصر ، والباطل يندحر) إذ لو تقدم الخبر فقلنا (ينتصر الحق ، ويندحر الباطل) لأدّى إلى اختلاط الجملة الاسمية بالفعلية ، والمتكلم يقصد الأولى لا الثانية .

فإذا تعين الخبر بسياق الكلام - بحيث يمكن التعرف عليه تقدم أم تأخر - حينئذ لا يلتزم فيه تحديد موضعه ، ومن ذلك الشواهد التالية :

---

(١) جاء فى القاموس : المشنوء : المبغض ولو كان جميلا - وهذه الجملة تستعمل فى موقف الدعاء ، ومعناها (مكروه من يكرهك) .

• قول الكميت :

كلامُ النبيّين الهُدَاةِ كلامُنا   وأفعالَ أهلِ الجاهليةِ نفعلُ [١]

• وقول حسان بن ثابت يهجو :

قبيلةٌ ألأمُ الأحياءِ أكرمُها   وأغدرُ الناس بالجيران وافيها [٢]

• العبارة المأثورة فى قولهم : أبو يوسف أبو حنيفة [٣] .

(٢) أن يوجد فى المبتدأ أو الخبر دليل لفظى يحدد موضع المبتدأ والخبر فيوجب هذا الدليل أن يأتى المبتدأ أولا - أو يوجب هذا الدليل أن يأتى الخبر أخيرًا ، فلنتأمل الأمثلة التالية :

ما غرضُ الدِّين من بيان الخير والشر !!	}المبتدأ اسم استفهام (ما)
وأىُّ السبيلين أسْلَمُ للإنسان !!	} (أىّ) - فيجب تقدمه
لَلْغَرضُ سعادةُ الإنسان فى الحياة	} المبتدأ متصلة به لام
	} الابتداء - فيجب تقدّمه
فإنمّا الخيرُ سلامٌ وأمنٌ	} الخبر وقع فى أسلوب
وما الشرُ إلاّ تعاسةٌ وضررٌ	} القصر البلاغى بعد (إلا
	} إنما) - فيجب تأخيره

---

(١) معنى البيت : كلامنا طيب وفعلنا ردىء ، نتكلم كلام النبيين ونفعل أفعال الجاهلية .

الشاهد فى الشطر الأول ، فإن المبتدأ هو (كلامنا) والخبر (كلام النبيين) وكل منهما متعين من معنى الكلام ، لأن أصل الجملة (كلامنا كلام النبيين) ولذلك لا يلزم بينهما ترتيب ، وقد جاء الخبر مقدمًا فى البيت .

الإعراب : كلام : خبر مقدم مرفوع بالضمة - النبيين : مضاف إليه مجرور بالياء - الهداة : صفة للنبيين مجرور بالكسرة - كلامنا : « كلام » مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة ، وضمير المتكلمين مضاف إليه - أفعال : مفعول به مقدم منصوب بالفتحة - أهل : مضاف إلى « أفعال » مجرور بالكسرة - الجاهلية : مضاف إلى « أهل » مجرور بالكسرة - نفعل : فعل مضارع مرفوع بالضمة والفاعل ضمير مستتر تقديره « نحن » .

(٢) الشاهد فى كلا الشطرين : إذ أن كلا من المبتدأ والخبر متعين ، إذ هو مفهوم من سياق الكلام ، والأصل (أكرمها ألأم الأحياء) و(وافيها أغدر الناس بالجيران) فقدم الخبر على المبتدأ ، وهذا لا بأس به ما دام مفهومًا .

(٣) أبو يوسف : تلميذ أبى حنيفة ، وأبو حنيفة أستاذه .

الاستعمال العربى هو الذى حدد الترتيب هنا بأنه يجب أن يأتى على الأصل - المبتدأ أولا والخبر ثانيا - ذلك أنه باستقراء هذا الاستعمال وجد أن أسماء الاستفهام - ومثلها الشرط - تأتى فى بداية الكلام ، فإذا كان المبتدأ واحدا منها وجب تقدمه ، وكذلك إذا اتصل بالمبتدأ « لام الابتداء » فإنه يأتى أولاً ، وهى متقدمة عليه - وهكذا ارتضى الأسلوب العربى - ويترتب على ذلك بداهة أن يتأخر الخبر .

وفى الجانب المقابل فإن الخبر إذا جاء فى أسلوب القصر « مقصورا عليه » فإنه يجب تأخره ، ويترتب على ذلك بداهة أن يتقدم المبتدأ .

هذا ، وقد ورد على غير هذا الاتجاه بعض الشواهد ، وهى - فى رأى النحاة - شاذة ، وفى رأيى أنها لغة الشعر الخاصة ، ومن ذلك :

• قول الكميت :

فيا ربَّ هل إلا بكَ النّصرُ يُرْتجَى   عليهم وهل إلا عليكَ المعوَّلُ (١)

• وقول الآخر :

خَالِى لأنت ومن جريرٌ خالُهُ   ينلْ العلاءَ ويكرمْ الأخوالا (٢)

وخلاصة هذا الموضوع كله فى عبارة واحدة : **(يتقدم المبتدأ أو يتأخر الخبر حتما إذا كان هذا الترتيب وحده هو الذى يهدينا فى التعرف على المبتدأ والخبر - أو إذا كان فى الجملة دلائل لفظية تحدد موضع المبتدأ أولا أو الخبر أخيرًا)** .

ثانيا : تقدم الخبر وتأخر المبتدأ :

لاحظ الأمثلة التالية :

أين العدالةُ فى الدنيا وكيف السبيلُ إليها ؟؟   } الخبر هنا اسم استفهام

---

(١) المعول : السند والملاذ .

الشاهد : فى الشطر الثانى (هل إلا عليك المعول) حيث قدم الخبر المحصور « بإلا » وكان من الواجب تأخيره ، وذلك شاذ فيما يرى النحاة ، وهو - فى رأيى - لغة الشعر وما تبيحه فى الرتبة .

(٢) الشاهد : فى (خالى لأنت) فإن لام الابتداء إنما تدخل على المبتدأ ويجب أن تكون معه فى بداية الكلام ، لكنه تأخر معها ، وهذا خلاف الأصل وقد دعا إليه لغة الشعر الخاصة .

}(أين - كيف) - ويجب
} تقدمه .

فما فى طبع البشر عموما إلا الظلمُ ، وإنّما فى بعضهم الخيرُ
} المبتدأ وقع فى أسلوب
} القصر البلاغى بعد (إلا
} إنما) - فيجب تأخره .

ففى ظلمِ الإنسان لأخيه متعتُه
وفى سيطرةِ القوىِّ على الضعيف نفعُه
وقد قيل ، مع القوىِّ حقٌّ وللضعيفِ ذلّةٌ
} المبتدأ اشتمل على
} ضمير يعود على شىء
} فى الخبر
} تقدم الخبر
} سوّغ الابتداء بالنكرة .

إنما يجب تقدم الخبر وتأخر المبتدأ إذا وجد فى الكلام دلائل لفظية تقتضى تقدم الخبر أو تقتضى تأخر المبتدأ ، وذلك بأن تحتم تلك الدلائل عكس الترتيب فى الجملة الاسمية - حينئذ لا يستعمل الخبر إلا مقدما . وبداهة لابد أن يتأخر المبتدأ - تماما كما كان الأمر فى تقدم المبتدأ وتأخر الخبر مع اختلاف الموقف فى الصورتين .

فإذا كان الخبر اسم استفهام مثل (أين - كيف) فإنه يجب أن يذكر فى الكلام أولا ، وبداهة أن المبتدأ يجب تأخره ، كما تقول : (أين الغايةُ قبل المذْهب ؟) .

وإذا جاء المبتدأ والخبر فى أسلوب قصر بلاغى ، والمبتدأ « مقصور عليه » فى أحد الأسلوبين (ما وإلاّ - إنّما) ففى هذه الحالة يجب تأخر المبتدأ . وبداهة أن الخبر يجب تقدمه ، كقولنا : (ما للبخيلِ إلاّ المهانةُ ، وإنّما من عملِه جزاؤه) .

كذلك إذا كان فى المبتدأ ضمير يعود على شىء فى الخبر ، حينئذ يجب تأخير المبتدأ من أجل هذا الضمير ، لكى يتقدم نطقا الخبر الذى يرجع الضمير إلى شىء فيه ، كما ورد من قول المجنون :

دعا المحرمون الله يستغفرونه ... بمكّةَ يومًا أن تُمَحّى ذنوبُهَا
وناديتُ يا ربّاهُ ، أوّلُ سُؤْلَتِي ... لنفسيَ لَيْلى ثم أنتَ حَسيبُها
أَهَابُكِ إجلالاً وما بك قدرةٌ ... عليَّ ، ولكنْ مِلْءُ عينٍ حبيبُها (١)

ومن ذلك أيضًا ما سبق ذكره في مسوغات الابتداء بالنكرة ، إذ يكون خبرها ظرفا أو جارًا ومجرورًا مقدمًا عليها .

تلك الأمور السابقة وغيرها من المسوّغات - مما لم يذكر - يجمعها كلُّها عبارة واحدة هي : (**يتقدم الخبر على المبتدأ حتما إذا وجد في الجملة دلائل لفظية تحدّد موضع الخبر أولا ، وموضع المبتدأ أخيرا**) .

الحذف في الجملة الاسمية :

لاحظ النصوص الآتية للتعرف على المحذوف فيها من المبتدأ والخبر .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [الآية ١٤٠ من سورة البقرة] .

وقوله : ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا ﴾ [الآية ١ من سورة النور] .

وقوله : ﴿ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ [الآية ٢٥ من سورة الذاريات] .

من كلام العرب : رميةٌ من غير رَامٍ .

الأصل في الكلام العربي أن يكون مذكورًا ، ولا يصح حذفه ، فإن الحذف ضد الأصل - لكن من رأى النحاة الحذف ، وهذا يحدث في أبواب كثيرة - ستأتي - ومن هذه الأبواب باب المبتدأ والخبر ، فكل من المبتدأ والخبر قد يغيب عن الكلام إذا دل سياق الكلام وظروفه على الغائب دون وجوده ، فيعتبر كأنه موجود ذهنيًا ، ليكمل هذا « العمل الذهني » الموجودَ الباقي منهما ، فتتم الجملة بالطرق المنطوق فعلا ، والطرف المقدر ذهنًا ، ومن ذلك قـــول الله تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الآية ٣٥ من سورة الرعد] أي (دائم) . وقول قيس بن الخطيم :

---

(١) استغفر الحجاج ربهم ، فسألوه أن يمحو ذنوبهم ، أما أنا فقد سألته شيئا آخر سألته « ليلى » وهذا كل ما طلبته لنفسي ، وما عداه تركته له - إن الحبيب يملأ عين الحبيب فيجله ويخضع له ؛ وأنا أجلك خضوعا لا خوفا ، فلا قدرة لك على إخافتي ، لكن لك جلال إخضاعي .

الشاهد : في (ملء عين حبيبها) حيث اتصل المبتدأ (حبيبها) بضمير يعود على الخبر (ملء عين) ولذلك تقدم الخبر ، وتأخر المبتدأ ؛ ليعود الضمير على شيء مذكور .

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأىُ مختلفُ [١]

لكن قد ينقلب هذا الحذف أمرًا لازمًا فلا يمكن النطق بالمحذوف إطلاقا - وهذا غريب ؟؟ - ويشمل الحذف كلا من المبتدأ أو الخبر على التفصيل التالى :

أولا : حذف المبتدأ وجوبا :

تكاد كتب النحو تتفق فى ذلك على أربعة مواضع مشهورة لهذا الحذف هى :

(١) مع المخصوص بالمدح أو الذم - فى بعض الآراء - مثل (نعم الخُلقُ الاستقامةُ وبئس الخُلقُ الانحرافُ) وسيأتى تفصيله فى موضعه .

(٢) فى النعت المقطوع : كقولنا : (إن من شعراءِ العصر الحديث حافظا شاعرُ النيل) وسيأتى تفصيله فى موضعه أيضا .

(٣) ما حكى أبو على الفارسى - رحمه الله - من قول العرب : (فى ذمَّتى لأفعلنَّ كَذا) وتقديره (فى ذمَّتى يَمِينٌ) .

(٤) ما جاء فى لسان العرب من الشواهد التالية نثرًا وشعرًا :

• قول الله تعالى : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الآية ١٨ من سورة يوسف] .

• قول منذر بن درهم الكلبى :

وأحدثُ عهدى من أميمةَ نظرةٌ
على جانبِ العلياءِ إذْ أنا واقفُ
فقالت : حَنَانٌ !! ما أنى بك ها هنا ؟؟
أذو نسبٍ أم أنت بالحىِّ عارفُ
فقلتُ : أنا ذو حاجةٍ ومسلِّمٌ
فَضَمَّ علينا المأزِقُ المتضايفُ [٢]

---

(١) الرأى بيننا مختلف ! نحن راضون برأينا ، وأنت راض برأيك .

الشاهد : فى (نحن بما عندنا) فإن الخبر محذوف جوازا ؛ تقديره (نحن بما عندنا راضون) .

(٢) أحدث عهدى : بمعنى : آخر عهدى - حنان : العطف والشفقة - ضم علينا المأزق =

فكلمة (حنان) فى البيت الثانى خبر لمبتدأ محذوف تقديره (شعورى حنان) .

• ما ورد من قول العرب : (سمع وطاعة) بمعنى (خلقى سمع وطاعة) .

ثانيًا : حذف الخبر وجوبًا :

تكاد كتب النحو تتفق أيضا على ذكر أربعة مواضع مشهورة لهذا الحذف فلنلاحظ أولا الأمثلة التالية :

لولا المرضُ ما عُرفت الصّحة .

وأيمنُ الله ، إن الصحةَ أغلى من كنوز الأرض .

ولذلك قيل عن السعادة العبارة : (الصحةُ وراحةُ البال) .

فابتهاجُ المرءِ مُعَافًى واكتئابُه مريضًا .

هذه المواضع الأربعة التى يحذف فيها الخبر وجوبا هى :

(١) أن يكون المبتدأ بعد كلمة (لولا) كقولنا فى الدعاء : (اللّهم لولا أنتَ ما اهتدينا ، ولا تصدّقْنا ولا صلّيْنا ، فأنزلَنْ سكينةً علينا) هذا هو الرأى المشهور ، وفى المسألة كلام كثير لا حاجة إليه هنا .

(٢) أن يكون المبتدأ من الألفاظ التى تستخدم فى القسَم فقط ، أو بتعبير كتب النحو « نصٌ فى اليمين » كقول الله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الآيـة ٧٢ من سورة الحجر] .

(٣) أن يتعاطف المبتدأ مع اسم آخر بواو تدل على المصاحبة – بمعنى مع – ومن ذلك العبارة النحوية المشهورة (كلُّ رجلٍ وضيعتُه) .

(٤) ما ورد فى الأسلوب العربى من أمثال قول الرسول ﷺ : (أقربُ ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجد) [(١)] – انظر الهامش .

= المتضايف : « ضم » ضاق « المأزق » المكان الضيق « المتضايف » المحاط بالحزن والهم ، فمعنى العبارة : ضاق علينا المكان المحاط بالهم والأحزان .

يقول : آخر عهدى « بأميمة » أننى ألقيت عليها نظرة ، وتحادثنا ، قالت : إننى أشفق عليك ! لم تقف هنا ؟! ألك نسب فى حينا ، أم أنت من رواده العارفين به ؟! قلت : إن لى هنا حاجة هو أنت ، وقد أتيت للتحية ، ثم لم نكثر الحديث فقد ضاق بنا المكان المحاط بالعيون والأحزان .

الشاهد : فى (حنان) فإنه خبر لمبتدأ محذوف ، وتقدير الكلام (شعورى حنان) .

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٥٠ .

نواسخ المبتدأ والخبر

تمهيد – معنى النسخ :

جاء فى قطر الندى : « النواسخ جمع ناسخ ، وهو فى اللغة من النسخ بمعنى الإزالة ، يقال : نسخت الشمسُ الظلّ : إذا أزالته ، وفى الاصلاح : ما يرفع حكم المبتدأ والخبر » . أ . هـ .

ومن المعلوم أن المبتدأ والخبر وظيفتان نحويتان تشغلهما عادة الأسماء – أو ما يقوم مقامها من الجمل أو شبه الجمل – وكل اسم يشغل إحدى هاتين الوظيفتين فإنه يأخذ شكلا خاصا هو علامات الرفع الأصلية أو الفرعية .

فلنلاحظ الأمثلة :

القارئُ الجادُّ إنسانٌ مستنيرٌ .

صار القارئُ الجادُّ إنسانًا مستنيرًا .

إنّ القارئَ الجادَّ إنسانٌ مستنيرٌ .

علمتُ القارئَ الجادَّ إنسانًا مستنيرًا .

بملاحظة الأمثلة السابقة يتضح أن المبتدأ قد تتغير وظيفته ويبقى شكله وقد تتغير وظيفته وشكله كلاهما ، وأن الخبر يصدق عليه الكلام السابق نفسه ؛ إذ تتغير وظيفته فقط ويبقى شكله ، وقد تتغير وظيفته وشكله كلاهما .

– جاء فى « ابن عقيل » تفسير هذا الأسلوب بقوله : أن يكون المبتدأ مصدرا ، وبعده حال سدت مسد الخبر ، وهى لا تصلح أن تكون خبرا ، فيحذف الخبر وجوبا لسد الحال مسده ، مثل (ضربى زيدا قائما) ثم أضاف : والمضاف إلى هذا المصدر حكمه كالمصدر مثل (أتمُّ تبيينى الحق منوطا بالحكم) ويقدر الخبر المحذوف قبل الحال التى لا تصلح خبرا هكذا (إذ كان) للماضى و(إذا كان) للمستقبل . فتكون (إذ – أو – إذا) ظرفا هو الخبر المحذوف – وتعرب (كان) تامة ، وفيها ضمير مستتر هو الفاعل ، وهو صاحب الحال المذكورة .

إعراب جمّلة (ضربى زيدا قائما) « ضربى » ضرب : مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم ، « وياء المتكلم » مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله – زيدا : مفعول به منصوب بالفتحة – قائما : حال سدت مسد الخبر ، والأصل (إذ كان قائما) .

• حاول إذن إعراب الحديث الموجود فى الأصل بعد هذا الفهم .

من أجل ذلك فإنه يمكن أن يفهم ما جاء مختصرًا فى عبارة « قطر الندى » من أن النسخ هو (ما يرفع حكم المبتدأ والخبر) بطريقة أكثر تفصيلا ووضوحا على النحو التالى :

النسخ : هو إزالة حكم المبتدأ والخبر من حيث « الوظيفة والشكل » كلاهما أو من حيث « الوظيفة » وحدها إذا دخل على الجملة أفعال أو حروف خاصة .

والنواسخ على ذلك : هى تلك الأفعال الخاصة أو الحروف التى يتغير معها المبتدأ والخبر من حيث الوظيفة والشكل أو من حيث الوظيفة .

وهذه النواسخ هى الأبواب السبعة التالية :

١ - كان وأخواتها : كقولنا : (صار الصّعبُ سهلاً) .

٢ - كاد وأخواتها : كقولنا : (كاد الصّعبُ يهونُ) .

٣ - الحروف التى بمعنى « ليس » مثل (ما الصّديقُ خائنًا) .

٤ - إنّ وأخواتها : مثل (إنّ الكذبَ قبيحٌ) .

٥ - لا : النافية للجنس : مثل (لا صدقَ قبيحٌ) .

٦ - ظن وأخواتها : مثل (علمتُ الصّدقَ مُنْجِيا) .

٧ - أعلم وأرى وأخواتهما : مثل (أرَيْتُ الجاحدَ الدّليلَ واضحا) .

• • •

كان وأخواتها

١ - الأفعال التى ترفع الاسم وتنصب الخبر (عددها - شروطها - صورها) .

٢ - ترتيب الجملة مع هذه الأفعال .

٣ - معنى المصطلحين النحويين (التمام - النقصان) .

٤ - ما تختص به « كان » وحدها من الأحكام .

(أ) زيادتها حشوًا فى الكلام .

(ب) حذفها مع اسمها .

(جـ) حذف نونها .

• • •

الصنف الأول من الأفعال النواسخ (كان وأخواتها) وللتعرف على هذه الأفعال تماما ينبغى النظر إليها من نواح ثلاث ، هى على الترتيب (عددها - شروطها - صورها) .

عددها :

هى ثلاثة عشر فعلا ، وإليك هذه الأفعال ومعانيها :

١ - كان : وهى لأتصاف الاسم بالخبر فى الماضى ، تقول : (كان الحفلُ رائعًا ، وكانت الليلةُ ممتعة) .

٢ - أمسى : لاتصاف الاسم بالخبرِ مساء ، تقول : (أمسى الجوُّ منعشا وأمست الرياحُ رخاءً) .

٣ - أصبح : وهى لأتصاف الاسم بالخبر فى الصباح ، تقول : (أصبح الضوءُ ساطعًا ، وأصبحت الرؤيةُ واضحةً) .

٤ - أضحى : وهى لأتصاف الاسم بالخبر فى وقت الضحى ، تقول : (أضحت الشمس متوهِّجةً وأضحى الجوُّ حارا) .

٥ - ظل : وهى لأتصاف الاسم بالخبر طوال النهار ، تقول : (ظلَّ المؤمنُ صائمًا) .

٦ - بات : وهى لاتِّصاف الاسم بالخبر فى الليل ، تقول : (بات القَلِقُ مسهَّدا) أو (بات الشرطىُّ ساهرا) .

٧ - صار : وهى لتحول الاسم إلى الخبر ، تقول : (صار المهملُ مجتهدا وصار الكسولُ نشيطا) .

٨ - ليس : وهى تفيد نفى معنى الخبر عن الاسم ، تقول : (ليس الصدقُ مهلكا ، وليس الكذبُ منجيًا) .

٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - الأفعال الأربعة (زال - برح - فتِئ - انفكّ) ومعناها دوام اتِّصاف الاسم بالخبر - تقول : (ما زالتْ اللغةُ العربيةُ حيّةً متجدِّدةً ، وما بَرِحَ أهلُها محافظين عليها ، وما انْفَكَّ التفاهمُ بها ميسورا بين العربِ جميعًا) .

١٣ - دام : ومعناها بقى واستمر ، وتفيد فى جملتها دوام اتِّصاف اسمها بالخبر ما بقى كل منهما مرتبطا بالآخر ، تقول : (لن يُغْلَب العربُ ما داموا متَّحدين) .

ذلك هو أصل الباب ، يتكون من هذه الأفعال الثلاثة عشر مع معانيها السابقة ، ولكن يتفرع على هذا الأصل السابق الأمران التاليان :

الأول : أن الأفعال الخمسة (كان - أمسى - أصبح - أضحى - ظل) تستعمل فى اللغة بمعنى (صار) أى أنها تفيد التحول والانتقال ، وهذا الاستعمال يطلق عليه فى اللغة اسم (التّضمين) ومعناه أن يتحمل فعل له معنى خاص معنى فعل آخر ، وحينئذ حكمه ، ومن ذلك :

• قول الله تعالى : ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [الآية ١٩ - ٢٠ من سورة النبأ] .

• وقوله : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [الآية ٥٨ من سورة النحل] .

• قول الشاعر :

ثم أضحَوا كأنهم ورقٌ جفّـ ـف فألْوَت به الصَّبا والدَّبُورُ [1]

(١) ألوت به : أهلكته والمقصود هنا : بعثرته وأضاعت أثره . الصبا والدبور : نوعان من الرياح . =

• قول النابغة :

أمستْ خلاءً وأمسى أهلُها احتملوا   أخنَى عليها الذى أخْنَى على لُبَدِ (١)

الثانى : وردت أفعال أخرى - غير الأفعال السابقة التى هى أصل الباب - بمعنى الفعل (صار) أيضا عن طريق (التّضمين) وهى - كما أوردها الأشمونى عشرة أفعال (آضَ - رَجَعَ - عَادَ - استَحَالَ - قَعَدَ - حَارَ - ارتَدَّ - تَحَوَّلَ - غَدَا - رَاحَ) فلنتأمل الشواهد التالية :

• قول الرسول ﷺ : (فلا ترجِعُوا بعدى كفَّارا ، يضربُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ) (٢) .

• قول الرسول ﷺ : (فاسْتَحَالتْ غَرْبًا) (٣) .

• قول الشاعر :

وكان مُضِلِّى مَنْ هُدِيت بِرُشْدِهِ   فَلِلَّهِ مُغْوٍ عاد بالرُّشْدِ آمِرا (٤)

• قول الشاعر :

= يقول : إن هؤلاء القوم هلكوا وتشتتوا كالورق الجاف الذى مزقته وبعثرته الرياح .

الشاهد : فى (أضحوا) فإنها فى البيت بمعنى (صار) واسمها « واو الجماعة » وخبرها محذوف تقديره (مشتتين) .

(١) احتملوا : رحلوا - أخنى عليهم : أهلكهم - لبد - بضم اللام : اسم نسر يقال إنه عاش طويلا .

الشاهد : فى (أمست خلاء) فإن الفعل (أمسى) بمعنى (صار) ومثله أيضا (أمسى أهلها احتملوا).

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٨٠ .

(٣) اسم (استحالت) ضمير يعود على « الدلو » المذكورة فى حديث طويل (صحيح البخارى ج ٥ ص ٦) .

(٤) صار المضل هاديا ، وهذا عجيب .. فقد انقلب المغوى مرشدا .

الشاهد (عاد بالرشد آمرا) فإن الفعل (عاد) بمعنى (صار) يرفع الاسم وينصب الخبر .

الإعراب : كان : فعل ماض ناقص يرفع المبتدأ وينصب الخبر - مضلى : اسم كان مرفوع بالضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم ، وياء المتكلم مضاف إليه - من : اسم موصول خبر كان مبنى على السكون فى محل نصب - هديت : هدى فعل ماضى مبنى على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك ، والضمير نائب فاعل - برشده : جار ومجرور ، والجملة كلها صلة الموصول - لله : جار ومجرور شبه جملة خبر مقدم - مغو : مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة تخفيفا وأصله (مغوى) - عاد : فعل ماض ناقص بمعنى « صار » يرفع المبتدأ وينصب الخبر ، واسمه ضمير مستتر تقديره « هو » - بالرشد : جار ومجرور - آمرا : خبر « الفعل عاد » منصوب بالفتحة .

إنَّ العداوةَ تستحيلُ مودّةً ... بتدارُكِ الهفواتِ بِالحَسناتِ (١)

• قول امرئ القيس :

وبدِّلتُ قَرْحًا دَامِيًا بعد صحّةٍ ... لعلَّ مَنَايانا تحوّلْنَ أبْؤُسا (٢)

وهذه الأفعال الأخيرة ليست موضوعة أصلا لتكون من النواسخ ، وإنما تصير ناسخة إذا ورد استعمالها بمعنى الفعل (صار) أى أنها حين تتضمّن معنى هذا الفعل ينسخ معها حكم المبتدأ والخبر ، فيرفع الأول وينصب الثانى .

شروطها :

لاحظ الأمثلة التالية :

كان العربُ - فى الجاهلية - جُهّالاً متفرقين	}
وصار الإسلامُ حضارتَهم وقوّتَهم	}
وأصبحتْ لغةُ القرآنِ أسلوبَهم ووحدتهم	} لا يحتاج إلى شروط
ومازال الدِّينُ سَنَدًا قويا لأخلاقهم	} يحتاج لتقدم
وما برحت الفصحى وسيلةَ صلتهم ثقافيا	} نفى أو شبهه
واجتماعيا	}
وسيبقى العربُ أقوياء ماداموا محافظين	} يحتاج لتقدم
على دينهم ولُغَتهم	} (ما) المصدرية الظرفية

(١) الشاهد : فى « تستحيل مودة » فإنه مضارع « استحال » بمعنى « صار » يرفع الاسم وينصب الخبر ، واسمه ضمير مستتر « مودة » خبره .

(٢) القرح : الجرح - المنايا : جمع « منية » وهى الموت - أبؤس : جمع « بأساء » وهى الشدة والكرب .

يقول : لقد أصبت بالجروح الدامية بعد الصحة ، فأنا أموت بطيئًا ، أموت كل يوم ، بسبب ما أنا فيه من شدة !!

الشاهد : فى « تحولن أبؤسا » فإن الفعل « تحول » بمعنى « صار » يرفع المبتدأ وينصب الخبر ، واسمه نون النسوة ، وكلمة « أبؤسا » خبره .

الأفعال الثلاثة عشر التى ترفع المبتدأ وتنصب الخبر يمكن تصنيفها من حيث شروطها إلى الأنواع الثلاثة التالية :

الأول : ما لا يحتاج إلى شروط إطلاقا ، وذلك ثمانية أفعال هى (كان - أمسى - أصبح - أضحى - ظل - بات - صار - ليس) تقول : (كان الطريقُ موحِشا ، وأمسى الغريبُ وحيدا) وتقول : (بات العاصِى مسهَّدًا ، وصار ليلُه كئيبا) .

الثاني : ما يجب معه - حين يرفع الاسم وينصب الخبر - أن يتقدم عليه « نفى أو نهى أو استفهام إنكارى) وهو أربعة أفعال (زال - برح - فتئ - انفكّ) .

• قال الله تعالى :

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [الآية ١٨٨ من سورة هود] .

• قال الشاعر :

صَاحِ شَمِّرْ ولا تزلْ ذاكرَ   الموتِ ، فنسيانُه ضلالٌ مبين (١)

• قال ذو الرُّمّة :

ألا يا اسْلَمِى يا دارَ مَىّ على البِلَى   ولا زال مُنْهلاً بجرعائِك القَطْر (٢)

هذا .. والأصل فى النفى والنهى والاستفهام الذى يتقدم على هذه الأفعال أن يكون مذكورا لفظا ، لكن ربما وردت هذه الأفعال وبعدها الاسم مرفوع والخبر منصوب دون أن يتقدم عليها شيء من ذلك ، وحينئذ ينبغى أن يقدر معها النفى اطّرادا للقاعدة ، وهذا قليل فى اللغة ، ومن هذا القليل :

---

(١) شمر : المقصود : اعمل بجد .

الشاهد : فى (لا تزل ذاكر الموت) حيث تقدم على الفعل (تزل) النهى فرفع الاسم ونصب الخبر .

(٢) البلى : القدم والتهدم - جرعاء : الفضاء الرملى المنبسط - القطر : المطر .

يقول : إننى أدعو لحبيبتى « مى » بالسلامة والخير ، فلتسلم ديارها من عوادى الزمان ، ولينهل المطر عليها بالخير والخصب .

الشاهد : فى (لازال منهلا بجرعائك القطر) فقد تقدم على الفعل « زال » الدعاء ولذلك رفع الاسم ونصب الخبر .

● قول الله تعالى :

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ - تقديره (لا تفتؤ) [الآية ٨٥ من سورة يوسف] .

● قول خليفة بن نزار :

تنفكُّ تسمعُ ما حييتَ بهَالِك حتى تكونه[١] - تقديره (لا تنفك) .

الثالث : ما يجب أن يتقدم عليه « ما » المصدرية الظرفية وهو الفعل « دام » كقول الله تعالى : ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [الآية ٣١ من سورة مريم] .

صورها :

يقصد بذلك الصور الصرفية التي يمكن أن تأتي من هذه الأفعال وهذه الصور هي (الماضي - المضارع - الأمر - المصدر - اسم الفاعل) فمثلا الفعل (أصبح) يمكن أن يأتي منه (أصبح - يُصبح - أُصبحْ - إصباح - مصبح) وكذلك (أمسى) يمكن أن يأتي منه (أمسى - يُمسى - أمسِ - إمساء - مُمْسِى) وهكذا .

وفائدة هذا الموضوع هنا : أن الصيغ التي تأتي من هذه الأفعال حكمها حكم الأفعال الماضية فيرفع الاسم معها ، وينصب الخبر .

وهذه الأفعال الثلاثة عشر - من حيث الصور التي تأتي منها - تنقسم إلى الأنواع الثلاثة التالية :

الأول : ما يتصرف تصرفا مطلقا ، إذ يأتي منه « الماضي والمضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل » وذلك سبعة أفعال هي (كان - أمسى - أصبح - أضحى - ظل - بات - صار) تقول : (راقب الطبيبُ المريضَ في بَيَاتِه مُستريحا ، ووجده في النهار مُصبحًا هادئا) وتقول : (كلّ مهملٍ صائرٌ إلى الضياع) . ومن ذلك قول الشاعر :

بِبذْلٍ وحِلْمٍ سادَ في قومه الفتى   وكونُكَ إيّاه عليك يَسيرُ[٢]

---

(١) **الشاهد** : في قوله (تنفك تسمع ما حييت) فإنه يقدر معها نفي محذوف أي (لا تنفك تسمع ما حييت) .

(٢) **الشاهد** : في البيت (كونك إياه) فإن مصدر « كان » هو « كون » وضمير المخاطب « الكاف » مضاف إليه اسمه ، وكلمة (إياه) خبره .

وقول الآخر :

وما كلُّ من يُبدى البَشَاشةَ كائنا ... أخاك إذا لم تُلْفِه لك مُنجِدا (١)

الثاني : ما يتصرف تصرفا ناقصا ، إذ يأتى منه « الماضى والمضارع واسم الفاعل » ولا يأتى منه « الأمر والمصدر » وهو أفعال الدوام والاستمرار (زال - برح - فتئ - انفك) ومن ذلك ما ينسب إلى علىّ ﷺ : (ما يزال الرجلُ عالِمًا ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جَهِل) ومن ذلك أيضا قول الحسين بن مطير الأسدى :

قضى الله يا أسماءُ أنْ لستُ زائلاً
أحبُّكِ حتى يُغمِضَ الجفْنَ مُغمِضُ (٢)

الثالث : ما لا يتصرف مطلقا ، بل يبقى على ما هو عليه من الماضى وذلك الفعلان (ليس - باتفاق - دام - على الأصح) فلا يأتى منهما « مضارع ولا أمر ولا مصدر ولا اسم فاعل » وما ورد من استخدام اللغة من (دام) مثلا (يدوم - دُمْ - دائم) فإنه - فيما رأى العلماء - من (دام) التامة ، لا من (دام) التى ترفع الاسم وتنصب الخبر .

ترتيب الجملة مع هذه الأفعال :

لاحظ الأمثلة التالية :

كان الضَّبابُ كثيفًا وصارتْ الرّؤيةُ متعذِّرةً	} الترتيب على الأصل
كان كثيفا الضبابُ وصارت متَعذِّرةً الرّؤيةُ	} الخبر متوسط بين الفعل الناسخ والاسم
كثيفا كان الضبابُ متعذرةً صارت الرّؤيةُ	} الخبر تقدم على الفعل الناسخ والاسم

(١) الشاهد : فى البيت (كائنا أخاك) فإن اسم الفاعل من « كان » هو « كائن » واسمه ضمير مستتر ، وكلمة « أخاك » خبره منصوب بالألف .

(٢) الشاهد : (زائلا أحبك) فإن (زائلا) اسم الفاعل من (زال) واسمه ضمير مستتر تقديره « أنا » وجملة (أحبك) فى محل نصب خبره .

الترتيب فى جملة كان وأخواتها يأتى على الصور الثلاث الآتية :

الصورة الأولى : أن يكون الترتيب على الأصل ، فيأتى هكذا (الفعل الناسخ + الاسم + الخبر) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ [الآية ١٤ من سورة الفتح] .

الصورة الثانية : أن يتوسط الخبر بين الفعل الناسخ والاسم ، فيأتى الترتيب هكذا (الفعل الناسخ + الخبر + الاسم) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الآية ٤٧ من سورة الروم] .

• وقول السَّمَوْءَل بن عاديا :

سَلِى إنْ جهلْتِ الناسَ عَنَّا وعنهم ... فليس سواءً عالِمٌ وَجهُولُ (١)

• وقول الآخر :

لا طِيبَ للعيش ما دامتْ منغَّصَةً ... لذَّاتُهُ بادِّكارِ الموتِ والهَرَمِ (٢)

• وقول الآخر :

ما دام حافظَ سِرّى من وثقتُ به ... فهو الذى لستُ عنه راغبًا أبدا (٣)

الصورة الثالثة : أن يتقدم الخبر على الناسخ ، وبذلك يكون الترتيب (الخبر + الفعلِ الناسخ + الاسم) تقول : (مَطلَبًا كريما مازالتْ الحرّيةُ وغُنمًا كبيرا يصبحُ الحصولُ عليها) .

هذا هو أصل الموضوع ، يصح فى الخبر أن يتأخر ، ويمكن أن يأتى فى الكلام متوسطًا ، ويمكن أن يأتى متقدما على الفعل الناسخ نفسه .

---

(١) الشاهد : فى (ليس سواء عالم وجهول) حيث توسط الخبر وهو (سواء) بين الفعل الناسخ وهو (ليس) والاسم المؤخر وهو (عالم وجهول) .

(٢) منغصة : مكدرة - ادكار : تذكر - الهرم - بفتح الهاء والراء - أقصى الكبر .

يقول : إن الحياة لا تصفو مادامت بتذكر الشيخوخة وما فيها من متاعب ، والموت وما فيه من عدم .

الشاهد : فى (مادامت منغصة لذاته) حيث توسط الخبر وهو كلمة (منغصة) بين الفعل الناسخ (مادام) والاسم (لذاته) .

(٣) يقول : مادام من أثق به أهلا للثقة ، يحفظ السر ولا يفشيه ، فإننى سأبقيه صفيا ونجيًا ، ولن أعدل عنه إلى غيره .

الشاهد : فى (مادام حافظ سرى من وثقت به) فقد توسط الخبر (حافظ سرى) بين الفعل الناسخ (مادام) والاسم (من وثقت به) .

لكى ينبغى أن يؤخذ فى الاعتبار - مع هذا الأصل - الملاحظات الآتية :

أولا : يمكن أن يتصور صورة رابعة مع هذه الصور الثلاث ، وهى تقدم الاسم على الناسخ ، إذ يقال فى (أصبح الجوُّ صحوًا) (الجوُّ أصبح صحوًا) .

وهذا أمر غير وارد هنا ، لأن الجملة كلها تصير اسمية مكونة من مبتدأ هو كلمة (الجو) والخبر هو الجملة الناسخة ، وقد جاءت مرتبة على الأصل ، فهى بهذا الاعتبار من الصورة الأولى .

ثانيا : لم يرد فى اللغة تقدم الخبر على الفعلين (ليس - دام) وهذا هو رأى جمهور النحاة - وفى المسألة حديث طويل لا حاجة إليه هنا .

ثالثا : إذا كان خبر المبتدأ مما يجب أن يتأخر على المبتدأ ، أو مما يجب تقدمه على المبتدأ ، ثم دخل عليه الفعل الناسخ ، فإنه يبقى له موضعه فى الترتيب وجوبا ، فالكلام هنا إذن إنما هو عن المبتدأ والخبر اللذين يصح فيهما التقدم والتأخر .

رابعًا : هناك خلاف كثير متشعب حول ما إذا تقدم معمول الخبر - ويقصد به ما إذا كان الخبر فعلا أو اسما شبيها بالفعل وله مفعول ، فجاء حينئذ بعد الفعلِ الناسخ مباشرة ، مثل (بات الشرطىُّ مؤدّيًا واجبه) حيث يقال : (بات واجِبَه الشرطىُّ مؤدّيًا) والحق أن هذا الخلاف لا فائدة فيه ، وأن تأويلات النحاة للنصوص التى وردت عنه تأويلات متكلّفة - والذى أراه أن هذا الاستعمال يقبله الذوق اللغوى وبخاصة فى الشعر ، وأنه قد ورد فى نصوص صحيحة لا داعى لإجهادها ذهنيا بالتأويل المتكلّف ، ومن ذلك :

- قول الشاعر :

باتت فؤادىَ ذاتُ الخالِ سالبةً
فالعيشُ - إن حُمَّ لى - عيشٌ من العَجَبِ (١)

---

(١) الخال : كما جاء فى القاموس - شامة فى البدن - حم لى : قدر لى .

يقول : إن هذه المرأة الجميلة - ذات الخال - استولت على قلبى وأخذته فكيف أعيش دون قلب ، لو حدث هذا لكان من العجب !!

الشاهد : فى (باتت فؤادى ذات الخال سالبة) وأصل الجملة (باتت ذات الخال سالبة فؤادى) فكلمة (فؤادى) مفعول به لاسم الفاعل (سالبة) وقد تقدم المفعول به فجاء بعد الفعل الناسخ مباشرة .

• قول الآخر :

لئن كان سَلْمَى الشّيبُ بالصدّ مُغْرِيًا   لقدْ هَوَّنَ السُّلوانَ عنها التَّحَلُّمُ (١)

التَّمام والنقصان :

لاحظ الأمثلة التالية :

كان الإسلامُ مغلوبًا فى أوّل الدعوة ثم صار المسلمون أقوياءَ أعزّاء فأصبح الدينُ بهم غاليًا عزيزًا	الأفعال الناسخة ناقصة
فى الحديث : « كان الله ولا شىءَ معه فخلق السماوات والأرض » وتقول : نمتُ حتى أضحيتُ وتقول : تأخرتُ فى الطّريق حتى أمسيتُ	الأفعال الناسخة تامة

يلاحظ أن الأفعال (كان - صار - أصبح) فى مجموعة الأمثلة الأولى احتاجت الجملة التى وردت فيها إلى اسم مرفوع بعدها ، ثم إلى اسم منصوب ولم يتم معناها إلا بوجود هذا الأخير ، وهو فى الأمثلة السابقة (مغلوبا - أقوياء - غالبا) على التوالى .

أما المجموعة الثانية من الأفعال وهى (كان - أضحى - أمسى) فقد ورد بعدها اسم مرفوع فاعل بها ، واكتفت به ، ولم تحتج إلى الاسم المنصوب . وهذا الاسم المرفوع في الأمثلة هو على التوالى (الله) فى المثال الأول ، وضمير المتكلم فى المثالين الأخيرين .

وعلى ذلك يمكن فهم المصطلحين النحويين (النقصان - التمام) بما يلى :

---

(١) الصد : الإعراض والمنع - التحلم : تكلف الحلم والهدوء ، والمقصود التعقل .

يقول : إن الشيب صفاء وقيد ، إن كان قد أغرى - « سلمى » بالصد والإعراض فإنه قدم لى التعقل الذى عاوننى فى تحمل صدها والسلو عنها .

الشاهد : فى (كان سلمى الشيب بالصد مغريًا) فأصل الجملة (إن كان الشيب مغريا سلمى بالصد) فكلمة (سلمى) مفعول به لاسم الفاعل (مغريا) وقد تقدم المفعول ، فجاء بعد الفعل الناسخ مباشرة .

النقصان : عدم اكتفاء الفعل بالاسم المرفوع بعده ، بل يبقى المعنى ناقصا محتاجا إلى الإكمال ، حتى يأتى الاسم المنصوب ، فتكمل الجملة ، ويكون معناها تعليق الخبر على المبتدأ بواسطة الفعل الناقص ، أو بعبارة أخرى : نسبة الخبر للاسم بواسطة الفعل الناقص ، كقول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الآية ٢٧ من سورة الإسراء] . وقوله : ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ [الآية ٦ من سورة الواقعة] .

والأفعال الناقصة هى التى تنسخ المبتدأ والخبر ، فترفع الأول ، وتنصب الثانى ، وهى هدف الدراسة فى باب « كان وأخواتها » .

التمام : معناه اكتفاء الفعل بالاسم المرفوع بعده فيتم المعــــنى تماما دون حاجة إلى المنصوب ، وهذا المعنى التام يحدده الأســـلوب الذى ورد فيه كقول الله تعالى : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الآية ١٧ من سورة الروم] وقوله : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [الآية ١٠٧ من سورة هود] وكما جاء فى الحديث : (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكنْ) وقول امرئ القيس :

تطاول ليلُك بالإثمِدِ   وبات الخَلِىُّ ولم تَرْقُدِ
وبات وباتتْ له لَيلةٌ   كليلةِ ذى العَائِرِ الأرْمَدِ [(١)]

والأفعال التامة لا علاقة لها بنسخ المبتدأ والخبر ، بل هى أفعال عادية والمرفوع بعدها فاعل تتم به الجملة .

هذا ، وجميع أفعال هذا الباب « الثلاثة عشر » تستعمل ناقصة وتامة – بالفهم السابق – ما عدا ثلاثة أفعال هى (ليس – زال – فتئ) فلا تستعمل إلا ناقصة فقط .

---

(١) الإثمد : اسم موضع – الخلى : الخالى من الهموم – العائر : القذى فى العين – الأرمد : المصاب بالرمد .

يقول عن نفسه : لقد قضيت ليلة مكربة « بالإثمد » كما يقضيها صاحب العين الوجعة المقذلة ، فتطاول على الليل وامتد ، ونام خلى النفس وسهرت .

الشاهد : فى استعمال الفعل (بات) تاما فى البيتين فى المرات الثلاث التى تكرر فيها فى قوله (بات الخلى) وقوله (بات وباتت له ليلة) .

ما تختص به (كان) دون أخواتها :

تفرّدت (كان) وحدها – دون أفعال الباب – بورودها فى اللغة باستعمالات خاصة هى :

(أ) زيادتها فى الكلام .

(ب) حذفها مع اسمها .

(جـ) حذف نونها .

وكل واحد من الثلاثة فى حاجة إلى تفصيل القول معه .

زيادة (كان) فى الكلام :

لاحظ الأمثلة الآتية :

ما كان أروعَ ظهورَ الإسلام وما كان أسرعَ انتشاره	} زائدة بين « ما » وفعل التعجب
ويوم ظهر الإسلامُ ارتفع – كان – صوتُ العدْل	} زائدة بين الفعل والفاعل
بعد أن عاش النّاس فى ظلامٍ – كان – دامسٍ	} زائدة بين الموصوف والصفة

لفهم هذا الموضوع ينبغى الإحاطة بالأمور الثلاثة الآتية :

(أ) المقصود بزيادتها فى الكلام .

(ب) الصيغة التى ترد عليها حين الزيادة .

(جـ) المواضع التى تزاد فيها .

جاء فى قطر الندى : « ولا نعنى بزيادتها أنها لم تدل على معنى ألبتّة ، بل إنها لم يؤت بها للإسناد » . ا.هـ .

ومن هذا الكلام المركّز نفهم زيادة (كان) بالصفتين التاليتين :

الأول : أن المقصود بزيادتها أن تقع حشْوًا بين أمرين متلازمين فلا تحتاج إلى مرفوع ولا إلى منصوب – فهى فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب .

الثانية : أنه ليس معنى الزيادة أنها لا معنى لها فى الكلام ، وإلا كان ذكرها عبثًا فيه ، بل إنها تفيد الكلام الدلالة على معنى المضى ، أى الدلالة على أن معنى

الجملة التى وردت فيها قد حدث فى الماضى ، تقول متذكرًا ظهور النتيجة : (ما كان أسْعَدَ الناجحين بنجاحهم ، وما كان أرْوَعَ إشراقَ وجوههم) فمن البين أن وجود (كان) فى الجملتين صرف معناهما إلى المضى ، ولولا ذلك لكان الكلام مطلقا لا تحديد له من حيث الزمن .

أما الصيغة التى ترد عليها حين الزيادة فهى الماضى دون بقية الصيغ الأخرى التى جاءت من الماضى كالمضارع والأمر إلى آخره .

وقد وردت زيادتها بلفظ المضارع فى الرجز التالى الذى ينسب إلى « أم عقيل » ابن أبى طالب ترقّص به ابنها :

أنتَ - تَكونُ - ماجدٌ نبيلُ
إذا تـهـبُّ شَـمْـألٌ بَـلـيـلُ
تُعْطِى رجالَ الحَىِّ أو تُنِيلُ (١)

وهذا قد تفرد عن استعمال اللغة ، فهو - كما يرى النحاة - شاذ .

أما عن مواضع زيادتها فقد جاء فى ابن عقيل ما يلى : « وذكر « ابن عصفور » أنها تزاد بين الشيئين المتلازمين » ا.هـ . هكذا بهذا الإطلاق !!

ومن الأشياء المتلازمة أداة التعجب وفعل التعجب - الفعل ومرفوعه - الصلة والموصول - الصفة والموصوف - الجار والمجرور - فأىّ اثنين من ذلك جميعه وردت بينهما (كان) فإنها تكون حينئذ زائدة - وهذا الرأى أوْجه الآراء التى دارت حول هذا الموضوع - مما لا داعى لذكره هنا .

على أنه ينبغى أن يفهم أن المقصود « بالتلازم » هو وجود الصلات النحوية بين الشيئين المتلازمين ، مما لا يترتب عليه بالضرورة وجودهما متواليين فى الكلام - فالفعل والفاعل مثلا متلازمان بهذا الاعتبار ، وإن لم يكن من اللازم مجيئهما متواليين ، تقول مثلا : (يستفيدُ العاقلُ من الأحداث) أو (يستفيدُ من الأحداثِ العاقلُ) .

---

(١) شمأل : لغة فى الشمال ، والمقصود : ريح تهب من ناحية الشمال - بليل : رطبة .

الشاهد : فى قولها (أنت تكون ماجد نبيل) فإن الفعل (تكون) زائد بين المبتدأ والخبر ، وجاءت زيادته بلفظ المضارع ، مع أن المعروف عن زيادة « كان » أنها تأتى بلفظ الماضى .

ومما ورد من زيادتها الشواهد التالية :

• قول العرب : (ولدتْ فَاطمةُ بِنتُ الخُرْشُبِ الأنماريَّةُ الكَمَلَةَ من بنى عَبْس : لم يُوجَدْ - كان - أفضلُ منهم) .

• قول الشاعر :

أبا خالدٍ ما - كان - أذهَى مصيبةً أصابت مَعَدًّا يوم أصبحتَ ثاوِيَا [١]

• قول الآخر :

سَرَاةُ بنى أبى بكرٍ تَسَامَى عَلَى - كان - المسَوَّمَةِ العِرَابِ [٢]

• من الشواهد التى اختلف حولها الرأى قول الفرزدق :

فكيف إذا مررتَ بدارِ قوم وجيرانٍ لنا كانوا كرامِ [٣]

وتوضيح الرأى فى ذلك كما يلى :

(١) أن (كان) هنا ناقصة وليست زائدة ، لأنه لم يتحقق فيها صفة الزيادة من تجردها من الإسناد ، بل هى مسندة إلى واو الجماعة ، وبذلك تكون (واو الجماعة) اسمها والجار والمجرور (لنا) خبر مقدم - والجملة كلها صفة لكلمة (جيران) وجاءت بعدها صفة أخرى هى كلمة (كرام) - وهذا رأى وجيه .

(٢) أن (كان) هنا زائدة - مع إسنادها لواو الجماعة - بين الصفة والموصوف ، والذى يفهم من هذا الرأى أن الجار والمجرور (لنا) صفة لكلمة (جيران) وأن (كانوا) كلها زائدة مع إسنادها لواو الجماعة ، وكلمة (كرام) صفة أخرى - وهذا فيما أرى توجيه مرجوح .

---

(١) ثاويا : المقيم بالمكان إقامة طويلة ، ويطلق على الميت - والبيت فى الرثاء .

الشاهد : قوله : (ما كان أذهى مصيبة) حيث جاءت (كان) زائدة بين (ما) التعجبية وفعل التعجب .

(٢) سراة جمع « سرى » وهو الشريف النبيل - تسامى : تعلو وتركب - المسومة : التى لها علامة يعرف بها أصحابها - العراب : نوع من الخيول الأصيلة .

المعنى : إن هؤلاء الأشراف من « بنى بكر » فرسان يركبون خيولا أصيلة عربية خاصة بهم .

الشاهد : قوله (على كان المسومة العراب) حيث جاءت (كان) زائدة بين الجار والمجرور .

(٣) الشاهد فى البيت - كما هو موضح فى الأصل - أن (كان) ناقصة لا زائدة وأن جملة (كانوا لنا) فى محل جر صفة ، لأن (كان) أسندت لواو الجماعة - ورأى آخر أن (كانوا) كلها زائدة مع إسنادها لواو الجماعة ، والجار والمجرور (لنا) صفة .

حذف « كان » مع اسمها :

لاحظ الأمثلة الآتية :

تتوالى الحروبُ فى الدنيا إنْ حقًّا وإنْ باطلا ويذكر المتحاربون دائمًا أسبابا لحربهم إنْ صِدقًا وإن كذِبًا	} حذفت كان واسمها بعد « إنْ »
وفى بعض الظروف تَصير الحربُ ضرورةً ولو صعبةً ففى سبيل الحريّةِ يهونُ ما يُبذلُ ولو أرْواحًا	} حذفت كان واسمها بعد « لو »

باستقراء الأساليب العربية وجد أن « كان واسمها » يحذفان من الكلام إذا تقدم عليهما إحدى أداتى الشرط (إنْ - لَوْ) ففى المثال الأول (تتوالى الحروب فى الدنيا إنْ حقًّا وإنْ باطلا) تقدير الكلام (إنْ كانت الحروب حقا وإنْ كانت الحروب باطلا) - وفى المثال الأخير (ففى سبيل الحرية يهون ما يبذل ولو أرواحا) تقدير الكلام (ولو كان المبذول أرواحا) .

وهذا الحذف - بعد هاتين الأداتين - جائز لا واجب ، بمعنى أنه يمكن أن تنطق الجملة كاملة دون حذف - وهذا هو الأصل - كما يمكن نطقها بالحذف وهذا خلاف الأصل ، فمثلا إذا قلنا : (تقبَّلْ النّصحَ وَلَوْ مُرًّا) يمكن أن نقول : (تقبلْ النّصحَ ولو كان النّصحُ مُرًّا) .

وقد ورد من ذلك الشواهد التالية :

● قول الرسول ﷺ :

« لا يتمنّى أحدُكم الموتَ . إمّا مُحسِنا فَلَعَلّهُ يزدادُ ، وإمّا مُسِيئا فلعلّه يَسْتَعْتِبُ »(١) .

● قول الرسول ﷺ عن المهر فى الزّواج :

« انظرْ ولو خاتمًا من حديد »(٢) .

● قول النعمان بن المنذر :

---

(١) البخارى ج ٩ ص ٨٤ .

(٢) صحيح البخارى ج ٧ ص ٧ .

قد قيلَ ما قيلَ إنْ صِدْقًا وإن كَذِبًا فما اعتذارُكَ من قولٍ إذا قيلا (١)

● قول الشاعر :

انطِلقْ بحقٍّ وإنْ مستخرجًا إحَنًا فإنّ ذا الحقِّ غلاّبٌ وإن غُلِبَا (٢)

● قول الآخر :

لا يأمنُ الدّهرَ ذو بغْيٍ ولو مَلِكًا جنودُه ضاق عنها السّهلُ والجبلُ (٣)

هذا .. وقد أوردت كتب مسائل النحو صورة أخرى للحذف ، وهى حذف « كان » وحدها دون اسمها وخبرها .

قال ابن هشام بالنص : « وكثر ذلك بعد « أن » المصدرية فى مثل (أمّا أنت منطَلِقًا انطلقتُ) أصله (انطلقتُ لأن كنتَ منطلقا) ثم قدمت اللام وما بعدها على (انطلقت) للاختصاص ، ثم حذفت اللام للاختصار ، ثم حذفت (كان) لذلك ، فانفصل الضـــمير ، ثم زيدت (ما) للتعويض ، ثم أدغـمت النون فى الميم للتقارب » . ا.هـ

والحق أن هذا الكلام السابق – بما فيه من تقديم وتأخير وحذف وزيادة وإدغام – صناعة ذهنية مجهدة ، هدفها تسويغ حذف (كان) فى مثل هذا الأسلوب ، وإن كانت اللغة – وهى أسلوب التعبير السّليس – تبرأ تماما من تلك الصناعة النحوية .

---

(١) الشاهد : فى قوله (إن صدقا وإن كذبا) حذف كان واسمها بعد « إن الشرطية » وتقدير الكلام (إن كان القول صدقا وإن كان القول كذبا) .

(٢) الإحن : جمع إحنة ، وهى الحقد والغضب .

يقول : قل الحق وإن أغضب الناس وأغاظهم منك ، فالحق قوى وأنت منتصر فى النهاية وإن غلبت فى البداية !!

الشاهد : فى (وإن مستخرجا إحنا) إذ حذفت كان واسمها بعد « إن » والتقدير (وإن كنت مستخرجا إحنا) .

(٣) البغى : الظلم والطغيان .

الشاهد : فى (ولو ملكا) حيث حذفت كان واسمها بعد « لو » والتقدير (ولو كان الباغى ملكا) .

والذى أراه - إن لم يجانبنى الصواب - أنه لا حذف فى هذا الأسلوب وإعرابه كالآتى :

أمّا : حرف شرط وتفصيل - أنت مبتدأ - منطلقا حال - انطلقت جملة فعلية فى محل رفع خبر ، والعائد محذوف تقديره (أمّا أنت منطلقا انطلقتُ مثلك) .

وهذا الإعراب السابق يتوافق مع إعراب جملة (أمّا) فى كل صورها اللغوية ، فهو أمر لا جديد فيه ، ولكنه مريح من عناء التصور الذهنى المجهد للأسلوب الذى معنا .

حذف نون « كان » :

تحذف « نون كان » من الفعل تخفيفا إذا اجتمع لجملتها الصفات التالية :

(أ) أن تكون بلفظ المضارع (أكون - يكون - تكون - نكون) فلا تحذف نون الماضى ولا الأمر ولا غيرهما من الصيغ التى ترد منها .

(ب) أن يكون المضارع مجزوما - فلا تحذف إذن من المضارع المرفوع أو المنصوب .

(جـ) أن يكون المضارع مجزوما بالسكون مثل (لم يكنْ) فإن كان من الأفعال الخمسة ، لا تحذف نون الفعل ، لأن جزمه - كما سبق - بغير السكون .

(د) أن يكون الحرف الذى يلى النون حرفا متحركا - فإن وليها ساكن لا تحذف نون الفعل .

(هـ) ألا يكون الفعل متصلا بضمير نصب متصل - فإن اتصل به هذا الضمير لا تحذف .

هذه الصفات المتعددة إذا اجتمعت فى جملة الفعل الناسخ (يكون) صح حذف نونه من الكلام ، وهو حذف جائز لا واجب ، فإنه يصح أيضا ذكرها . وقد اجتمعت كل هذه الصفات التى ذكرها قطر الندى فى عبارة واحدة هى : **(وحذف نون مضارعها المجزوم بالسكون إن لم يلقها ساكن ولا ضمير نصب متصل)** .

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [الآية ٢٠ من سورة مريم] ، وقول علقمة :

ذهبتَ منَ الهِجْرانِ فى كل مَذْهَبِ ... ولم يكُ حقًّا كلُّ هذا التجَنّبِ (١)

ومنه قول المتنبى :

ومن يكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مريضٍ ... يجدْ مُرًّا به الماءَ الزّلالاَ (٢)

• • •

(١) الشاهد : فى (لم يك حقا كل هذا التجنب) حيث حذفت نون (يكن) تخفيفا ، لاستيفاء الشروط .

(٢) البيت حكمة تقال لكل شخص اصطبغت نظرته للناس والأشياء صبغة خاصة ، فكل شىء أمامه خاضع لنظرته ، تماما كصاحب الفم المريض المر يجد مذاق كل شىء مرا .

موضع التمثيل : فى (من يك ذا فم مر مريض) حيث حذفت نون (يكن) لاستيفائها الشروط .

الحروف النافية الناسخة

مَا – لاَ – لاَتَ

(١) ما – فى لغة الحجازيين نثرا وشعرا (وصف جملتها = شروط عملها) .

(٢) لا – فى لغة الحجازيين نثرا وشعرا (وصف جملتها = شروط عملها) .

(٣) لات – فى اللغة المشتركة عامة نثرا وشعرا (وصف جملتها = شروط عملها) .

• • •

تمهيد :

الأصل فى الحروف الثلاثة (ما – لا – لات) – وبخاصة الأولين منها – أن تستعمل مع الجملة الفعلية والاسمية جميعا ، تقول : (لا يجبنُ قلبُ المؤمن وما يخافُ إلا الله) وتقول : (ما المؤمنُ جبانٌ ولا كبيرَ عنده إلا الله) فإذا دخلت على الجملة الفعلية ، أفادت معنى النفى فقط دون تغيير فى وظائف كلماتها النحوية ، أما إذا دخلت على الجملة الاسمية – المبتدأ والخبر – اختلف الأمر إذ تتغير وظائف ركنيها برفع المبتدأ ونصب الخبر – كما هو واضح فى دراستنا هنا – أو نصب المبتدأ ورفع الخبر كما سيأتى فى « لا » النافية للجنس ، لكن هذا التغيير يحدث فى الجملة الاسمية مع هذه الحروف فى المناخ الآتى :

أولا : أنه نطق للفصحى فى لغة بعض القبائل دون البعض الآخر ، أو فى لغة القبائل جميعا .

ثانيا : أنه لا بد من توافر صفات خاصة – شروط – لتغيير جملة المبتدأ والخبر معها .

وإليك هذه الحروف الثلاثة مراعًى فى عرض كل منها الجانبان السابقان :

ما : الحجازية :

ما المخلصُ مضاعًا وإن تأخّر جزاؤه وما الغشاشُ ناجيًا وإن تأخّر عقابه	} نطق الحجازيين

ما المخلصُ مضاعٌ وإن تأخر جزاؤه } نطق التميميين
وما الغشّاشُ ناجٍ وإن تأخر عقابه }

اختلف العرب الفصحاء فى نطق الفصحى حين تستعمل « ما » النافية مع الجملة الاسمية ، إذ نطقها أهل الحجاز بطريقة خاصة ، ونطقها بنو تميم بطريقة أخرى ، ونقل إلينا وصف كلا النطقين على التفصيل التالى :

أهل الحجاز : يرفعون الاسم بعدها وينصبون الخبر ، وبذلك تكون الجملة معها مماثلة تماما لها مع الفعل « ليس » فهى إذن حرف ناسخ يرفع بعدها الاسم ، وينصب الخبر ، كما أن « ليس » فعل ناسخ يرفع بعده الاسم وينصب الخبر ، ومن ذلك :

● قرأ الحجازيون الآيتين ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [الآية ٣١ من سورة يوسف] وكذلك ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ﴾ [الآية ٢ من سورة المجادلة] برفع المبتدأ ونصب الخبر .

● قول الشاعر ينذر قومه بجيش مهاجم :

وأنا النذيرُ بحَرَّةٍ مُسْوَدَّةٍ تصلُ الجيوشُ إليكم أَقْوَادَهَا
أبناؤها متكنِّفون أباهم حَنِقُو الصُّدورِ ، وما هم أولادَها [(١)]

أما بنو تميم : فإنهم يبقون الجملة على ما كانت عليه قبل دخول (ما) فتبقى جملة من مبتدأ وخبر ، وكلاهما مرفوع ، والذى أفادته (ما) هو معنى النفى فقط ، وقد قرئت الآيتان السابقتان على لغتهم هكذا (ما هذا بشرٌ) و(ما هنّ أمهاتُهم) برفع الكلمتين (بشر - أمهات) التزامًا للغتهم فى القراءة .

لكن أهل الحجاز لا ينطقون برفع الاسم ونصب الخبر إلا إذا استوفت الجملة صفات خاصة من أهمها ما يلى :

---

(١) النذير : الذى يخبر خبر السوء - حرة : أصلها الأرض ذات الحجارة السود ، ومن ذلك « حرة المدينة » والمقصود هنا : الكتيبة المغيرة لكثرة ما تحمل من الحديد - أقوادها : جماعاتها - أبناؤها : فرسان الكتيبة - أباهم : قائدهم - حنقو الصدور : غاضبون .

يقول : إنى أنذركم بكتيبة مسلحة ، رجالها جماعات كثيرة ، ملتفون حول قائدهم ، قد امتلأت صدورهم غيظا منكم .

الشاهد : فى (ما هم أولادها) حيث رفعت (ما) الاسم وهو الضمير المنفصل ، ونصبت الخبر وهو (أولادها) على لغة الحجازيين .

(١) أن يتقدم الاسم ويتأخر الخبر ، بأن تأتى الجملة بعدها على الترتيب الأصلي - كما هو واضح فى الأمثلة السابقة - فإن تقدم الخبر على المبتدأ بعدها أهملت (ما) وأفادت النفى فقط ، ومن تقديم الخبر معها ما مرّ من قول العرب (ما مسيءٌ من أعْتَبَ) وقول الشاعر :

وما خُذَّلٌ قَومِى فأخضعَ للعِدا ولكن إذا أدعوهُمُ فَهُمُ هُمُ (١)

(٢) ألا يقترن الاسم بالحرف (إنْ : الزائدة) فإن جاء هذا الحرف مع الاسم أهملت (ما) وكانت حرف نفى فقط ، والجملة بعدها مبتدأ وخبر مرفوعان ، كقول الشاعر :

بنى غُدَانَةَ ما إنْ أنتم ذَهَبٌ ولاَ صَرِيفٌ ولكن أنتم الخَزَفُ (٢)

(٣) ألا يقترن الخبر بالحرفِ (إلاّ) فإن اقترن به أهملت أيضا ، ورفع المبتدأ والخبر ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [الآيـــة ١٤٤ من سورة آل عمران] .

هذا ، وهناك غير هذه الشروط - مما ذكره النحاة - فأوصلها بعضهم إلى ستة شروط - وكذلك هناك نقاش واستدراكات حول هذه الصفات الثلاث السابقة مما لا داعى لإيراده هنا ، إذ كل ذلك جهد ذهنى موضع أخذ وردّ لا غناء فيه ، ولا ضرر فى تركه .

لا : فى لغة الحجازيين :

جاء فى ابن عقيل نصا : « أمّا (لا) فمذهب الحجازيين إعمالها عمل (ليس) ومذهب تميم إهمالها » . ا.هـ

ومعنى ذلك أن هذا الحرف (لا) الذى يفيد النفى نطقه العرب مع الجملة الاسمية على النحو التالى :

---

(١) الشاهد : فى (ما خذل قومى) حيث تقدم الخبر على الاسم ، ولذلك عادت الجملة إلى باب المبتدأ والخبر ، وأفادت (ما) النفى فقط .

(٢) الصريف : الفضة الخالصة .

الشاهد : فى (ما إن أنتم ذهب) حيث اقترن الاسم « بإن » الزائدة ، ولذلك أهملت (ما) وعادت الجملة إلى باب المبتدأ والخبر .

أهل الحجاز : ينطقون معها المبتدأ مرفوعا ، والخبر منصوبا ، فتكون الجملة معها مثل (ليس) تماما ، تقول : (لا أحدٌ مفضَّلاً على أحدٍ أمام عدْلِ الله) وتقول (لا المجْدُ بعيدًا عن تناوُلِ المجتهد ولا هو قريبًا من يد المهمل) .

أما بنو تميم : فإنهم قد نطقوا المبتدأ معها مرفوعا ، وكذلك الخبر ، فهى لا تفيد إلا معنى النفى فقط ، والجملة بعدها على ما كانت عليه - مبتدأ وخبر مرفوعان - فينطق على لغتهم (لا أحدٌ مفضَّلٌ على أحدٍ أمام عدلِ الله) وكذلك (لا المجدُ بعيدٌ عن تناول المجتهد ولا هو قريبٌ من يد المهمل) .

ولكن أهل الحجاز لا ينطقون برفع الاسم بعدها ونصب الخبر إلا إذا توافرت لجملتها الصفات التالية :

(١) أن يكون الترتيب فى الجملة الاسمية بعدها واردًا على الأصل - المبتدأ أولا والخبر ثانيا .

(٢) ألا يقترن الخبر بالحرف (إلاّ) .

وهى فى هذين الشرطين تتفق مع ما ذكر للجملة التى فيها الحرف (ما) ، أما الشرط الثالث هناك وهو ألا يقترن الاسم (بإنْ : الزائدة) فلا موضع له هنا ، لأن اللغة الفصحى لم تستعمل ذلك مع (لا) .

(٣) هناك اتجاه بين النحاة من رأيه أن الاسم والخبر يجب أن يكونا نكرتين ، كقول الشاعر :

تعزَّ فلا شىءٌ على الأرضِ باقِيًا ولا وَزَرٌ مما قضى الله وَاقِيًا [(١)]

وهناك اتجاه آخر لا يقيد الاسم والخبر بتلك الصفة - أن يكونا نكرتين - فقد يأتيان معرفتين أو مختلفتين ، وهذا رأى له وجاهته التى يؤيدها الاستعمال ، ومن ذلك قول النابغة الجعدى :

بدتْ فِعْلَ ذى وُدٍّ فلما تبعتُها تولَّت وبقَّتْ حاجتى فى فُؤادِيا

---

(١) الوزر : جاء فى القاموس : هو الجبل المنيع وكل معقل والملجأ والمعتصم ا.هـ .
الشاهد : فى كلا الشطرين حيث جاء مع الحرف (لا) الاسم مرفوعا والخبر منصوبا ، فى الشطر الأول الاسم (شىء) والخبر (باقيا) ، وفى الشطر الثانى الاسم (وزر) والخبر (واقيا) وكل من الاسم والخبر نكرتان - وهذا اتجاه للنحاة .

وحلَّتْ سَوادَ القلب لا أنا بَاغِيًا سواها ، ولا عن حبّها متراخِيًا (١)

لاَتَ : في اللغة المشتركة عامة :

لاحظ الأمثلة الآتية :

يندمُ الظَّالِمُ يوم القيامة ولات حينَ ندمٍ .

وإنه ليأسَفُ على ما فات ولات ساعةَ أسفٍ .

ويحاولُ الاعتذارُ عن ظلمه ولات أوانَ اعتذارٍ .

كلمة (لات) تفيد أيضًا النفى ، فهى مثل (لا) وإن كانت تختلف عنها فى أنه متصل بها التاء لتأنيث اللفظ أو المبالغة ، ومثلها فى ذلك (رُبَّتَ - ثُمَّتَ) .

وهذه الكلمة تستعمل فى الأساليب العربية التى تدل على الأسى والأسف لشىء فات أوانه ولا يمكن إرجاعه ، فتفيد هذا المعنى السابق كله عن طريق نفى الزمن المضاف للحدث الذى فات أوانه .

هذا هو معنى جملتها التى ترد فيها فى النثر أو الشعر فى اللغة المشتركة لدى جميع قبائل العرب ، وحينئذ تكون جملتها على الصفتين التاليتين :

(١) أنها تستخدم مع ثلاثة كلمات هى (الحين - الساعة - الأوان) غالبا ، وهذه الكلمات من ألفاظ الزمن ، وتكون معها مضافة للحدث الذى فات أوانه .

(٢) هذه الكلمات الثلاث تكون منصوبة غالبا على أنها خبر (لات) والاسم محذوف - ويمكن أن تكون مرفوعة على أنها اسم (لات) والخبر محذوف ، والأول هو الأكثر فى الاستعمال .

• قال تعالى : ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [الآية ٣ من سورة ص] .

---

(١) يقول : قصتى إغراء ومنع وعذاب ، لقد أظهرت لى الود ، فاستجبت لها ، فتمنعت وأبقتنى فى لهفة ، فحبها عذاب مستمر !! لا أستطيع التخلص منه بتركها إلى غيرها ، ولا أستطيع تهدئته بوصلها .

الشاهد : فى (لا أنا باغيا) حيث عملت (لا) فرفعت الاسم ونصبت الخبر واسمها الضمير المنفصل (أنا) وخبرها (باغيا) واسمها معرفة ، وهذا اتجاه أختاره .

قرئت كلمة (حين) منصوبة ، فهى الخبر ، والاسم محذوف - وقرئت مرفوعة فهى الاسم والخبر محذوف .

• قول الشاعر :

نَدِمَ البُغاةُ ولاتَ ساعةَ مَنْدَمٍ والبغْىُ مَرْتَعُ مُبتغيه وَخِيمُ [1]

وردت الرواية بنصب كلمة (ساعة) على أنها الخبر ، والاسم محذوف .

• • •

(١) البغاة : جاء فى القاموس « بغى عليه يبغى ، علا وظلم وعدل عن الحق واستطال وكذب » . والبغاة : هم من يجمعون كل هذه الصفات الذميمة - مرتع : اسم مكان الرعى - وخيم : ضار ردىء ، والمقصود أن نتائج البغى رديئة ضارة .

الشاهد : فى (لات ساعة مندم) فإن اسم « لات » محذوف ، وخبرها كلمة « ساعة » وقد رويت منصوبة .

كاد وأخواتها : أفعال المقاربة

(١) أفعال هذا الباب (اسمها - عددها - صيغها) .
(٢) المعانى التى ترد لها هذه الأفعال (المقاربة - الرجاء - الشُروع) .
(٣) وصف الجملة التى ترد فيها هذه الأفعال نحويا .
(٤) اقتران خبرها بالحرف (أنْ) أو تجرده منها .
(٥) ما تختص به (عسى) من الأحكام وهى :

(أ) الرأى فى اعتبار الكلمة من الأفعال أو الحروف .
(ب) شكل وسطها - السين - حين اتصالها بضمائر الرفع المتحركة .
(جـ) استعمالها تامة (يشاركها فى ذلك : أوشك - اخلولق) .

• • •

أفعال الباب :

كادت الرِّوايةُ تقطعُ أنفاسَ النُّظَّارة لقوة تأثيرها .

وعسى بعضُ المشاهدين أن يكرِّرَ رؤيتها مرة أخرى .

وبعد أن انصرف الحاضرون أخذ الآخرون يتزاحمون للدخول .

قال ابن هشام : « أفعال المقاربة ، وهذا من باب تسمية الكل باسم الجزء ، كتسميتهم الكلام كلمة » . ا.هـ

ومعنى ذلك أنه يطلق على هذا الباب اسم (أفعال المقاربة) حيث يغلب إطلاق هذا المصطلح على أفعال هذا الباب كلها مع أنها ليست كلها - كما سيأتى - للمقاربة ، بل إن أفعال المقاربة جزء منها فقط ، فإطلاق هذا الاسم على كل أفعال الباب من باب إطلاق الجزء على الكل كما قال ابن هشام ، ومنعا لهذا اللبس جاءت فى بعض كتب النحو تحت عنوان (كاد وأخواتها) وهذا أسلم .

وأشهر أفعال هذا الباب ثلاثة عشر فعلا هى (كَادَ - كَرَبَ - أوْشَكَ - عَسَى - حَرَى - اخْلَوْلَقَ - أنشَأ - أخَذَ - جَعَلَ - طَفِقَ - عَلِقَ - هَلْهَلَ - هبَّ) .

والحق أن هذه الأفعال لا تنحصر فى هذه المذكورة - لأن أفعال الشروع كثيرة ومنها مثلا (بَدَأَ - شَرَعَ - اسْتَهَلَّ) الخ ، من كل ما يدل على الشروع والبدء فى شيء ما ، فذكر هذه الأفعال الثلاثة عشرة لشهرتها وكثرة دورانها على الألسنة فقط .

أما من حيث التصرّف وعدمه فقد دار حوله حديث طويل - سواء من حيث تحديد الأفعال التى تتصرف أم كيفية تصرفها - وأهم ما يؤخذ من هذا الحديث الأمران الآتيان :

(أ) أن معظم أفعال هذا الباب تلتزم الماضى ، فهى أفعال جامدة لا تتصرّف .

(ب) الفعلان (كاد - أوشك) يتصرفان تصرفا ناقصا ، فيأتى من الأول المضارع (يكاد) ويأتى من الثانى المضارع واسم الفاعل (يوشك - موشك) قال الله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ ﴾ [الآية ٣٥ من سورة النور] ومن ذلك قول أمية بن أبى الصلت :

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ من مَنِيَّتِه فى بعض غِرَّاتِه يُوافِقُها (١)

وقول كثير عزة مشببا بإحدى الجوارى واسمها « غاضرة » :

فإنكَ موشكٌ أن لا تراها وتعدُو دونَ « غَاضِرَة » العَوادِى (٢)

وقول أبى سهم الهذلى :

فموشِكةٌ أرضُنا أن تعوّد خلافَ الأنيس وُحُوشًا يَبَابَا (٣)

(١) المنية : الموت - غراته : « الغرة » « الغفلة » والمقصود هنا : المفاجأة .
يقول : لا يغنى حذر من قدر ، فمن فر من الموت قد يلاقيه من حيث لا يتوقع .
الشاهد : استعمال المضارع من الفعل (أوشك) فجاء به (يوشك) وله ما للماضى مع الاسم والخبر .

(٢) العوادى : العوائق .
الشاهد : فى (موشك) حيث جاء اسم الفاعل من (أوشك) وله ما للماضى مع الاسم والخبر .

(٣) خلاف الأنيس - بعد الأنس - وحوشا جمع « وحش » ويقال : أرض وحش : خالية - يباب : خراب .
الشاهد : فى (موشكة) إذ استعمل اسم الفاعل من (أوشك) فله فى الجملة ما للماضى مع الاسم والخبر ، فاسمها (أرضنا) وخبرها جملة (أن تعود) .

المعانى التى ترد لها هذه الأفعال :

كاد الليل ينقضى	} تفيد مقاربة الاسم للخبر
وأوشك الفجرُ يطلع	}
عسى السحابُ أن يتكاثف	} رجاء المتكلم تحقق الخبر
واخلولقتْ السماءُ أن تُمطر	}
لقد تحقَّق الرجاء	}
أخذتْ الرياحُ تشتدُّ	} تفيد شروع الاسم فى القيام بالخبر
وجعل المطرُ يهطلُ	}

تنقسم أفعال هذا الباب باعتبار معانيها التى ترد لها إلى أنواع ثلاثة هى :

أفعال المقاربة : وهى ثلاثة (كاد - كرب - أوشك) .

وتفيد هذه الأفعال فى جملتها مقاربة الاسم للخبر ، أى أن نسبة الخبر للاسم قريبة الحدوث وإن لم تحدث فعلا ، وأن وصول الاسم إلى معنى الخبر يدنو من التحقق ، ومن ذلك ما ينسب إلى علىّ ﷺ : (كاد الفقرُ أنْ يكونَ كُفْرًا) .

أفعال الرجاء : وهى ثلاثة (عسى - حرى - اخلولق) .

وتفيد ترجى المتكلم تحقق الخبر للاسم ، فالرجاء إذن من المتكلم وإن كان المرجوّ هو تحقق الخبر للاسم - والرجاء يقصد به - كما يقال - طلب الأمر المحبوب الممكن الحدوث ، قال الله تعالى : ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ [الآية ٥٢ من سورة المائدة] .

أفعال الشروع : وهى - كما ذكر ابن هشام - كثيرة ، ومن أشهرها (أنشأ - أخذ - جعل - طفق - علق - هلهل - هب) .

وتفيد هذه الأفعال شروع الاسم فى القيام بالخبر ، أى بدء الاسم فى إنجاز أمر من الأمور - عملا أو قولا أو إحساسا - مما يدلّ عليه الخبر تقول : (أنشأ الشاعِرُ ينشدُ شعره ، وأخذ الجمهورُ يُصغِى إليه ، وهبّ يصفّق له بعد النهاية) .

هذا .. وقد جاء فى شذور الذهب تعليقا على أفعال هذا الباب قوله :

« (هلهل - هب) أغرب أفعال الشروع ، و(طفق) أشهرها ، وهي التى وقعت فى التنزيل فى قول الله تعالى : ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا ﴾ [الآية ٢٢ من سورة الأعراف] وقوله : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [الآية ٣٣ من سورة ص] » . أ . هـ .

وجاء فيه أيضًا : « ولا أعرف من ذكر (حرى) من النحويين غير « ابن مالك » وتوهم « أبو حيان » أنه وهم فيها ، وإنما هى (حَرًى) بالتنوين اسمًا لا فعلا - وأبو حيان هو الواهم ، بل ذكرها أصحاب كتب الأفعال من اللغويين وأنشدوا عليها شعرا ، وهو قول الأعشى :

إن يقلْ هُنَّ من بنى عبد شمس فحرًى أن يكون ذاك وكانا » . أ.هـ

ويتلخص مضمون هذا التعليق فى أمور ثلاثة :

(١) أن الفعلين (هلهل - هب) فيهما غرابة ، ويبدو أن أساس هذه الغرابة هو الاستعمال ، فهما غير مستعملين بكثرة فى معنى الشروع .

(٢) أن الفعل (طفق) بفتح الفاء وكسرها - له شهرة يبدو أنها أيضًا ترجع إلى استعماله فى الشروع ، مما أيده القرآن بوروده فيه مرتين .

(٣) أن الفعل (حرى) مختلف فيه بين الاسمية والفعلية ، والمرجح أنه فعل يفيد معنى الرجاء .

وصف الجملة التى ترد فيها هذه الأفعال :

كاد اليأسُ ينقلبُ إلى قنوط .
وأوشك الصبرُ أن يتحول إلى جزع .
وعسى الله أن يتداركَ الأمر بحكمته .

(كاد وأخوتها) أفعال ناسخة ناقصة ، يأتى الاسم بعدها مرفوعا والخبر منصوبا ، فهى تماثل (كان وأخوتها) فى الصفتين السابقتين ، فى أنها ناسخة ترفع الاسم وتنصب الخبر ، وأنها ناقصة لا تكتفى بالاسم المرفوع بعدها .

وقد كان من الممكن - ما دام الأمر كذلك - أن تدرس فى موضع واحد مع (كان وأخواتها) وهذا حق !! لكنها أفردت بباب مستقل نظرا لاختصاص خبرها بطريقة متفردة - سيأتى شرحها - ومن أجل ذلك درست وحدها ، فهى كما

يقول ابن هشام نصًا : « ولولا اختصاص خبرها بأحكام ليست لكان وأخواتها ، لم تنفرد بباب على حدة » ا.هـ .

وتتكون الجملة التى ترد فيها هذه الأفعال مما يلى :

(أ) الفعل الناسخ ، سواء أكان من أفعال المقاربة أو الرجاء أو الشروع .

(ب) الاسم ، ويكون بعدها مرفوعا .

(حـ) الخبر ، ولا بد أن تجتمع له صفات خاصة بجمعها كلها عبارة واحدة هى :

(أن يكون جملة فعلية ، فعلها مضارع ؛ رافعًا لضمير الاسم السابق ، مقترنا « بأنْ » أو مجردا منها) .

فالخبر مع هذه الأفعال الناسخة ذو صفات خمس هى على التوالى :

(١) جملة .

(٢) فعلية .

(٣) فعلها مضارع .

(٤) يرفع ضميرا يعود على الاسم .

(٥) يتقدم عليه (أنْ) أو يتجرد منها على التفصيل الذى سيأتى بعد ذلك فى الفقرة التالية - كما يلاحظ تحقق ذلك فى كل الأمثلة السابقة .

هذا هو الأصل فى الخبر - ومع ذلك وردت بعض الشواهد التى لا تتحقق فيها بعض الصفات السابقة ، فقد خرجت عن هذا الأصل ، فحكم عليها بالشذوذ - ومن أهمها :

• قول العرب : (عسى الغُوَيْرُ أبْؤُسًا) - وهو مثل عربى يضرب لكل ما يخشى منه الشر [١] .

• قول تأبط شرًا :

---

(١) الغوير : تصغير (الغار) - والأبؤس جمع (بأس - أو - بؤس) وأصله أن قومًا كانوا فى غار ، فانهار عليهم .

فأبْتُ إلى « فَهْمٍ » وما كدتُ آئِبًا ... وكم مثلِها فارقتُها وهي تَصْفِرُ (١)

فالخبر فى هذين الشاهدين مفرد ، وهو فى المَثَل (أبؤسا) وفى البيت (آئبا) .

• قول ابن عباس : « فجعل الرجلُ - إذا لم يستطع أن يخرجَ - أرسلَ رسولا » .

فالخبر جملة فعلية فعلها ماض وهى (أرسل رسولا) .

• قول ذى الرُّمَّة :

وقفتُ على ربْع لِمَيَّةَ ناقتى ... فمازلتُ أبْكى عنده وأخاطِبُهْ

وأسقيه ، حتى كاد ممَّا أبُثُّه ... تكلمنى أحجارُه ومَلاعِبُهْ (٢)

فالخبر جملة (تكلمنى أحجاره وملاعبه) وهى فعلية فعلها مضارع لكن لم يرفع ضمير الاسم السابق .

فهذه النصوص خرجت عن المسلك العام لصفات الخبر لأفعال هذا الباب ، لذلك حكم عليها - كما سبق - بالشذوذ .

اقتران الخبر « بأنْ » أو تجرده منها :

هذا الموضوع يتفرع عن الموضوع السابق مباشرة ، حيث يلتزم فى خبر (كاد وأخواتها) صفات خاصة ، ومنها أنه قد يقترن بالحرف (أنْ) أو يتجرد منها - وهنا بيان ذلك بالتفصيل الآتى :

(١) ما يصح اقتران خبره « بأنْ » أو تجرده منها ، والأفصح هو التجرد ، وذلك فعلان (كاد - كرب) وهما من أفعال المقاربة .

---

(١) أبت : عدت - فهم : اسم قبيلة الشاعر - كم مثلها : يقصد القبيلة التى كانت تطارده - وهى تصفر : تتحسر وتأسف .

يقول : لقد عدت لقبيلتى « فهم » بعد أن أشرفت على الهلاك وعدم العودة وكثير من القبائل المطاردة فررت منها ، وتركتها تتحسر وتأسف ، لأنها لم - تتمكن منى .

الشاهد : فى (ما كدت آئبا) فقد جاء خبر « كاد » مفردا ، وهو كلمة « آئبا » وهذا خلاف الأصل ، فالأصل أن يكون جملة .

(٢) الربع : الدار - مية : اسم الحبيبة - أبثه : أشكو له حزنى .

الشاهد : فى (كاد تكلمنى أحجاره وملاعبه) فإن خبر كاد جملة (تكلمنى أحجاره وملاعبه) وهى لا تحمل ضمير الاسم ، وهذا خلاف الأصل .

ومن الأفصح قول الله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [الآية ٧١ من سورة البقرة] ، وقول الشاعر :

كَرَبَ القلبُ من جَوَاهُ يذوبُ ⁓ حين قال الوُشَاةُ : هِندٌ غَضُوبُ (١)

ومن الأقل فصاحة ما ينسب إلى جبير بن مطعم : (كاد قلبى أن يطير) وما نسب للإمام عليّ ﷺ من قوله : (كاد الفقرُ أن يكونَ كفراً) .

(٢) ما يصح فى خبره الاقتران بالحرف « أنْ » والتجرد منها ، والأفصح هو الاقتران ، وذلك فعلان (أوشك – عسى) – وأولهما من أفعال المقاربة والثانى من أفعال الرجاء .

ومن الأفصح فى الاستعمال قول الله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ [الآية ٨ من سورة الإسراء] ، وقول الشاعر :

أيا مالكٍ لا تسألْ النّاسَ والْتَمِسْ ⁓ بكفّيكَ فضْلَ الله ، والله أوْسعُ

ولو سُئِلَ النّاسُ التّرابَ لأوشكوا ⁓ إذا قِيل : هَاتُوا – أن يمَلُّوا ويمنعُوا (٢)

ومن الأقل فصاحة قول الشاعر :

عليكَ إذا ضاقت أمُوركَ والتوتْ ⁓ بصبرٍ ، فإن الضيقَ مفتاحُه الصبرُ

ولا يشكُوَنْ إلا إلى الله وحده ⁓ فَمِنْ عنده تأتى الفوائدُ واليُسْرُ

عسى فرجٌ يأتى به الله إنّه ⁓ له كلَّ يومٍ فى خَلِيقَتِه أمْرُ (٣)

(٣) ما يجب فى خبره الاقتران « بأنْ » وذلك فعلان (حرى – أخلولق) وهما بقية أفعال الرجاء .

---

(١) الجوى : شدة الشوق – الوشاة : الساعون بين الناس بالإفساد .

الشاهد : (كرب القلب من جواه يذوب) فإن خبر « كرب » جملة (يذوب) ولم تقترن بالحرف (أن) وهذا هو الأفصح فيها .

(٢) لا تسأل الناس ، بل اسأل الله ، فالله كريم معطاء ، والناس حريصون بخلاء ، فلو سئلوا التراب لمنعوه .

الشاهد : فى (أوشكوا أن يملوا ويمنعوا) فقد اقترن الخبر بالحرف (أن) وهذا هو الكثير فى خبر « عسى » .

(٣) الصبر مفتاح الفرج ، ولا شكوى إلا لله . فى هاتين العبارتين مضمون الأبيات الثلاثة .

الشاهد : فى البيت الأخير (عسى فرج يأتى به الله) حيث جاء خبر (عسى) جملة فعلية (يأتى به الله) ولم تقترن بالحرف (أن) وهذا قليل فى اللغة .

تقول : (حرَى الرِّياحُ أن تهب) ومن أمثلة سيبويه : (اخلولقتْ السّماءُ أن تُمطر) .

(٤) ما يجب في خبره أن يتجرد من « أنْ » وذلك أفعال الشروع كلها ، سواء في ذلك ما ذكر منها هنا - في هذا الباب - أم ما لم يذكر - ومن ذلك قول الشاعر :

أراكَ عَلِقْتَ تظلمُ من أجرْنا ... وظُلْمُ الجارِ إذلالُ المجيرِ (١)

وقول الآخر :

هببتُ أَلومُ القلبَ في طاعةِ الهوى ... فلجَّ كأنّى كنتُ باللَّوْمِ مُغْرِيَا (٢)

ما تختص به (عسى) من الأحكام :

تفردت كلمة (عسى) - دون أفعال الباب - ببعض المباحث الجانبية وهي ثلاثة :

(أ) نوع كلمتها (اسم - فعل - حرف) .
(ب) شكل وسطها حين اتصالها بضمائر الرفع المتحركة .
(جـ) استعمالها تامة .

نوع كلمتها :

اختلف الرأى حول كلمة (عسى) من حيث اعتبارها فعلا أو حرفا على النحو التالى :

أولا : هناك من يرى أنها حرف يدل على الرجاء ، مثلها تماما مثل (لعلّ) وقد استند هذا الرأى إلى أنها ينطبق عليها معنى الحروف ، حيث لا يظهر معناها إلا بانضمام غيرها إليها ، تماما مثل الحرف (لعلّ) .

---

(١) علقت : بدأت - أجرنا : حميناه .

الشاهد : في (علقت تظلم) فإن الفعل (علق) من أفعال الشروع ، وخبره جملة فعلية (تظلم من أجرنا) وتجردت من (أن) .

(٢) لج : زاد في الخصومة والعناد .

يقول : الهوى غلاب ، فحين لمت قلبى على هواه ، زاد في عناده ومناه فكأننى لم أكن أنهاه ، بل أغويه .

الشاهد : في (هببت ألوم القلب) فإن (هب) من أفعال الشروع ، وقد جاء خبرها جملة فعلية فعلها مضارع مجرد من (أن) .

وعلى هذا الرأى تكون الجملة الاسمية معها مثل (لعلّ) تماما ، حيث ينصب الاسم ويرفع الخبر ، والغالب فى الاسم أن يكون ضميرا متصلا منصوبا كقول صخر بن العود الحضرمى :

فقلت : عَسَاها نارُ كأسٍ وعَلّها   تَشَكَّى فآتِى نحوها فأعُودُها (١)

ثانيا : هناك من يرى أنها فعل يدل على الرجاء - وهذا هو الاتجاه الغالب ومستند هذا الرأى أنها تقبل علامات الفعل الماضى (تاء الفاعل - تاء التأنيث) كقول الله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [الآية ٢٢ من سورة محمد] وتقول أيضًا : (عستْ النتيجةُ أن تكونَ مفرحة) .

وعلى هذا الاتجاه تكون من باب (كاد وأخواتها) ويصدق عليها الأحكام التى تنطبق على هذا الباب مما سبق تفصيله .

وخلاصة الأمر : أنها تعتبر حرفا ، لأن دلالتها دلالة الحرف ، وهى حرف ترجّ ينصب الاسم ويرفع الخبر - أو أنها تعتبر فعلا ، لأنها تقبل علامات الأفعال ، وهى فعل ناسخ ، يرفع الاسم وينصب الخبر - والأخير هو الاتّجاه الغالب بين النحاة .

شكل وسطها :

حين ترد كلمة (عسى) مسندة لواحد من ضمائر الرفع المتحركة (التاء - النون - نا) فتقول : (عسيتُ أن أنالَ أهدافى فى الحياة ، وعسينا أن نقدّم للوطن ما يرجوه منّا) فإن وسط الكلمة - السين فيها - يمكن أن تشكل بالفتح أو الكسر .

قال ابن عقيل : « يجوز كسر سينها - مع الضمائر المتحركة - وفتحها والفتح أشهر ، وقرأ نافع (فهل عسِيتم إن تولّيتم) بكسر السين ، وقرأ الباقون بفتحها » . ا.هـ .

استعمالها تامة :

قال الله تعالى : ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الآية ٢١٦ من سورة البقرة] .

---

(١) يرجو أن تكون النار لحبيبته ، ويرجو رجاء غريبا ، أن تكون مريضة ليعودها فى مرضها .
الشاهد : فى (عساها نار كأس) فإن « عسى » بمعنى « لعل » وهى حرف مثلها تنصب الاسم وترفع الخبر ، واسمها ضمير الغائبة ، وخبرها « نار كأس » .

يستعمل الفعل (عسى) تاما ، ومعنى تمامه هنا - مثل كان - أن يستغنى بالمرفوع عن المنصوب ، والمرفوع الذى يستغنى به عن المنصوب هو المصدر المؤول من (أنْ والفعل بعدها) حيث يكون هذا المصدر المؤول فاعِلا لها .

ففى الآية الكريمة ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ - هنا الفعل (عسى) تام وفاعله هو المصدر المؤول من ﴿أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا﴾ - ومثلها تماما ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا﴾ .

وينبنى على ما تقدم من استعمال (عسى) ناقصة وتامة الصور الثلاث الآتية :

الصورة الأولى : لاحظ المثال الآتى :

عسى العدلُ أن يسودَ الأرض .

وتتكون هذه الصورة من : الفعل الناسخ + اسم ظاهر يليه + أنْ المصدرية والفعل بعدها .

وفى هذه الصورة تكون ناقصة باتفاق ، والاسم الظاهر بعدها اسمها والجملة التالية له خبرها .

الصورة الثانية : لاحظ المثال الآتى :

الظالمُ عسى أنْ يُعَاقَبَ من الله فى الدنيا .

وفى هذه الصورة يتقدم الاسم الظاهر على الفعل (عسى) ولك حينئذ من حيث الصناعة النحوية أن تعتبر الفعل (عسى) تامّا أو ناقصا على النحو التالى :

(ا) يكون تاما ، ويكون المصدر المؤول بعده فاعلا به .

(ب) يكون ناقصا ، واسمه ضمير مستتر و« الفعل » خبره فى محل نصب وكلا هذين الاعتبارين مساوٍ للآخر فى صناعة النحو .

الصورة الثالثة : لاحظ المثال الآتى :

عسى أن يتمكَّنَ المظلومُ من ظالمه .

وفى هذه الصورة يتأخر الاسم الظاهر عن (أنْ والفعل) مع أنه هو المسند إليه فى المعنى . ولك أيضا من حيث الصناعة أن تعتبر الفعل (عسى) تاما أو ناقصا على النحو التالى :

(أ) أن يكون تاما ، ويكون ما بعده على ما هو عليه (أنْ والفعل والفاعل) وتكون أنْ وما أدخلت عليه فاعل للفعل (عسى) .

(ب) أن يكون ناقصا ، ويكون ترتيب ما بعده على غير ما هو عليه ، بل ذلك على التقديم والتأخير ، حينئذ يعتبر الاسم الظاهر اسم (عسى) مؤخرا و«أن والفعل» خبرا مقدما على الاسم ، وكأنما الكلام (عسى المظلوم أن يتمكن من ظالمه) .

وفى هذه الصورة يترجح الاعتبار الأول على الثانى ، أى : اعتبار (عسى) تامة على اعتبارها ناقصة .

هذا ، والفرق بين الصورتين الثانية والثالثة يظهر حين يكون الاسم الظاهر - المتقدم أو المتأخر - مثنى أو جمعا أو مؤنثا - حينئذ يختلف الاستعمال بين الاعتبارين ، مما يمكن أن يدرّب المرء نفسه عليه فى أمثلة مختلفة - ولا داعى لإيراد نماذج منها هنا ، لئلا تتشعّب المسألة ويضطرب أمرها .

• • •

إنّ وأخواتها

(١) معانى الحروف الستة التي تنصب المبتدأ وترفع الخبر .

(٢) ترتيب الجملة بعد هذه الحروف مع مقارنته بترتيبها مع « كان » .

(٣) كفُّها عن العمل وأثره فى الإعراب ونوع الجملة بعدها .

(٤) تخفيف النون المشدّدة للحروف الأربعة (إنّ - أنّ - كأنّ - لكنّ) .

(٥) ما تختص به « إنّ » من الأحكام .

(أ) دخول لام الابتداء فى جملتها .

(ب) كسر همزتها وفتحها وجواز الأمرين .

معانى الحروف الستة :

ينبغى أولا التنبه إلى أن هذه الحروف الستة (إنَّ - أنَّ - كأنَّ - لكنَّ - لَيْتَ - لَعَلَّ) ينصب المبتدأ بعدها ويرفع الخبر ، وهى حروف لا أفعال ، كما جاء فى الأثر : (إنّ البِرَّ شىءٌ هَيِّن : وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليِّن) فالمبتدأ وهو كلمة (البرّ) منصوب بعد (إنّ) والخبر وهو كلمة (شىء) مرفوع بعدها .

والمعانى التى ترد لها هذه الحروف الستة هى :

(١) إنّ :

وتفيد التوكيد ، ومعناه توكيد نسبة الخبر للاسم ، حيث تفيد تثبيته فى الذهن وتقويته ، ويعبر عنها المعربون بقولهم : (إنَّ : حرف توكيد ناسخ ينصب الاسم ويرفع الخبر) تقول : (إنَّ العدلَ أساسُ النظام ، وإن الرحمةَ أساسُ التّعاطف) .

(٢) أنَّ :

وتفيد تماما ما تفيده (إنَّ) المكسورة الهمزة ، فهى أيضا للتوكيد ويعبر عنها فى الإعراب (أنَّ : حرف توكيد ناسخ ، ينصب الاسم ويرفع الخبر) لكن لا بد أن يسبقها كلام ، تقول : (يساعدُ على النجاح أنَّ الهدفَ واضحٌ ، ويحقِّق الهدفَ أنَّ العزيمةَ قويةٌ) .

(٣) كأنّ :

وهى للتشبيه ، فتفيد تشبيه معنى الاسم بالخبر ، ويعبر عنها المعربون بقولهم : (حرف تشبيه ناسخ ينصب الاسم ويرفع الخبر) تقول : (كأنَّ الأرضَ كرةٌ) أو (كأنَّ الضبابَ سحابٌ) .

(٤) لكنّ :

وتفيد الاستدراك ، ومعناه التعقيب على كلام سابق يرفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه ، تقول : (قد يكونُ الطريقُ شاقا ، لكنَّ الانتصارَ ممتعٌ) .

(٥) لَيت :

وتفيد التمنى ، ومعناه : طلب الأمر المستحيل حدوثه أو المتعذر حصوله عادة ، ويعبر عنها المعربون بقولهم : (ليت : حرف تمنٍّ ناسخ ، ينصب المبتدأ ويرفع الخبر) تقول : (ليت الإنسانَ يكشفُ غايتَه قبل طريقه) أو (ليت السِّلمَ يعمُّ الأرض) ، ومن ذلك قول أبى العتاهية :

ألا ليت الشبابَ يعودُ يومًا ... فأخبرَهُ بما فَعَلَ المشيبُ [(١)]

(٦) لعلّ :

تفيد معنى التوقُّع ، وقد يكون التوقع للأمر المحبوب ، فيسمى « الرجاء » وهذا أكثر ما تستعمل له (لعلّ) وقد يكون التوقع للأمر المكروه فيسمى « الإشفاق » ، وذلك كقول الفلاح : (لعلَّ المحصولَ وفيرٌ ، لكنْ لعلَّ السِّعرَ رخيصٌ) .

ترتيب الجملة بعد هذه الحروف :

إنّ التَّعَفُّفَ ثروةُ الفقير	} الترتيب على الأصل - أسلوب صحيح
إنّ ثروةُ الفقير التَّعَفُّفَ	} الخبر متوسط - أسلوب خطأ
ثروةُ الفقير إنّ التَّعَفُّفَ	} تقدم الخبر - أسلوب خطأ

(١) الشاهد فى البيت : أن (ليت) أفادت التمنى ، وهو طلب الأمر المستحيل فلن يعود الشباب بعد المشيب أبدا .

الأصل أن تجيء جملة المبتدأ والخبر بعد هذه الحروف على الترتيب الأصلي هكذا (الحرف الناسخ + الاسم + الخبر) فلا يصح توسط الخبر بين هذه الحروف وبين الاسم ، كما لا يصح أن يتقدم على الحروف الناسخة من بابٍ أوْلى .

ولعل من الواضح هنا أن هناك فرقا بين ترتيب الجملة بعد هذه الحروف وبين ترتيبها مع « كان وأخواتها » فهنا لا يصح التصرف في الخبر بالتوسط أو التقدم ، بل يبقى دائما متأخرا عن الاسم ، أما مع « كان وأخواتها » فيصح التصرف فيه بالتوسط أو التقدم - كما سبق شرحه .

جاء في قطر الندى : « والفرق بينهما أن الأفعال أمْكَنُ في العمل من الحروف ، فكانت أحمل لأن يُتصرف في معمولها » . أ.هـ وهذا تعليل لا قيمة له في دراسة اللغة ، وإن كان يفيد في تثبيت الفكرة في الذهن ، لأن الأساس في كل ذلك هو استعمال اللغة نفسها .

لكن ، يستدرك على هذا ما إذا كان الخبر ظرفا أو جارا ومجرورا - شبه جملة - فإنه يصح حينئذ توسطه بين هذه الحروف وبين الاسم ، ومن ذلك العبارة المشهورة : (إنّ من البيانِ لسحرًا ، وإنّ من الشِّعر لحكْمَةً) . وقول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الآيتان ٥ ، ٦ من سورة الشرح] وقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ [الآية ٢٦ من سورة النازعات] .

بل إن هذا الاستدراك يشمل أيضًا معمول الخبر - وذلك بأن يكون اسمًا يشبه الفعل وله مفعول - حيث يصح أيضا أن يتوسط بين هذه الحروف وبين الاسم والخبر ، ومن ذلك ما أورده سيبويه من قول الشاعر :

فلا تَلْحَني فيها ، فإنّ بحبّها أخاكَ مصابُ القلبِ جَمٌّ بَلاَبِلُه (١)

ففي هذا البيت اسم (إنّ) هو كلمة (أخاك) وخبرها (مصابُ) والجار والمجرور (بحبها) معمول للخبر ، لأن الخبر اسم مفعول ، وهذا الجار والمجرور قد توسط بين هذا الحرف وبين الاسم والخبر .

---

(١) لا تلحني : لا تؤنبني - جم بلابله : كثير أحزانه ووساوسه واضطرابه .

الشاهد : في (إن بحبها أخاك مصاب القلب) وأصل الجملة (إن أخاك مصاب القلب بحبها) فالجار والمجرور متعلق بكلمة (مصاب) اسم المفعول ، فهو معمول له ، وقد تقدم ، فتوسط بين الحرف (إن) وبين الاسم والخبر ، وهذا جائز في اللغة .

كفّها عن العمل :

ينبغي أولا التنبّه إلى أن هذه الحروف الناسخة ترد فى الكلام العربى ولها مع جملتها الخاصيتان الآتيتان :

(أ) أنها تدخل على الجملة الاسمية لا الجملة الفعلية .

(ب) أن الاسم بعدها منصوب والخبر مرفوع .

تقول : (إن الاستقامةَ طريقُ النجاة ، وإن الانحرافَ طريقُ الهلاك ، فليت الناس يفهمون) ويتحقق فى هذه العبارة ما سبق ذكره من خواصّ هذه الحروف .

ومعنى الكف عن العمل : وجود حاجز بين هذه الحروف وبين الجملة التى تليها ، يقف فاصلا بينهما هو (ما : الزائدة) ويترتب على وجوده زوال الخاصيتين السابقتين فى جملة هذه الحروف - حينئذ :

(أ) لا تختص بالجملة الاسمية ، بل يصح أن يأتى بعدها أيضا الجملة الفعلية .

(ب) لا ينصب بعدها الاسم ولا يرفع الخبر ، بل تعود الجملة ثانية إلى أصلها « مبتدأ وخبر » تقول : (إنما الحقُّ قوةٌ من الله) وتقول (إنّما يُحقُّ الله الحقَّ ويُبطلُ الباطل) ففى الجملة الأولى كفت (إن) بالحرف (ما) وبعدها جملة اسمية من باب المبتدأ والخبر ، وفى الجملة الثانية كفت (إنّ) بالحرف (مَا) وبعدها جملة فعلية - ويطلق على الكلمتين معا (إنّما) عبارة نحوية هى (كافة ومكفوفة) . ومثل ذلك أيضا أخواتها (أنّما - كأنّما - لكنّما - ليتما) .

• قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الآية ١١١ من سورة الكهف] .

• وقـــال أيضا عن المنافقين : ﴿ يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الآية ٦ من سورة الأنفال] .

هذا الحكم السابق ينطبق على كل هذه الحروف الناسخة ما عدا الحرف (ليت) .

جاء فى قطر الندى : « ويستثنى منها (ليت) فإنها تكون باقية مع (ما) على

اختصاصها بالجملة الاسمية ، فلا يقال (ليتما قام زيد) فلذلك أبقوا عملها وأجازوا فيها الإهمال حملا على أخواتها » . أ.هـ .

* وقد جاء على ذلك قول النابغة الذبياني يصف امرأة بقوة البصر قالتْ :

ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فَقَدِ (١)

وقد ورد هذا البيت بروايتين لكلمة (الحمام) حيث شكلت بالضم أو الفتح ، فقد رواها الرواة مرفوعة ومنصوبة ، وتوجيه الروايتين نحويا كما يلى :

التوجيه الأول : أن الحرف (ليت) قد كفّ عن العمل بالحرف (ما) واسم الإشارة مبتدأ وكلمة (الحمامُ) بالرفع بدل منه - والجار والمجرور بعده خبر .

التوجيه الثاني : أن الحرف (ليت) لم يكف عن العمل بالحرف (ما) فاسم الإشارة بعده اسمه في محل نصب ، وكلمة (الحمامَ) بدل من المنصوب فهي منصوبة - والجار والمجرور خبر (ليت) - فكلتا الروايتين قد وردتا عن العلماء ، وكلا التوجيهين صحيح نحويا .

تخفيف النون المشدّدة لما جاءت في آخره :

الذى فى آخره النون المشددة أربعة أحرف هى (إنَّ - أنَّ - لكنَّ - كأنَّ) وتخفيف النون معناه : أن ينطق بها نون واحدة ساكنة ، فتصير هذه الحروف (إنْ - أنْ - لكنْ - كأنْ) .

على أنه يجب أن يراعى أن هذه الحروف يصدق عليها تلك الصفة - المخففة من الثقيلة - إذا وردت فى جملة يدل السياق على أنها كانت فى الأصل ثقيلة ، بحيث إذا قدر هذا الأصل ذهنيا - تشديد النون - كانت الجملة من باب النواسخ .

---

(١) أو نصفه - بمعنى : ونصفه - فقد : « قد يكفى » .

الأمنية التى تضمنها هذا البيت أن يكون لها هذا الحمام ونصفه مضافًا إلى حمامتها ، فيكفيها - وحدة البصر - فيما يقال - تمثلت فى أنها عرفت عدد الحمام وهو طائر ، وهو ٦٦ ، فقد تمته ونصفه ٣٣ وحمامتها ، فيكمل العدد مائة .

الشاهد : فى (ليتما هذا الحمام) فقد رويت كلمة (الحمام) بالرفع على أن « ما » كافة ، وبالنصب على أن « ما » زائدة فقط .

فمثلا قول الله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ [الآية ٢٠ من سورة المزمل] فالحرف (أنْ) هنا مخفف من الثقيل ، وأصله « أنّ » ، إذ يتيح لنا التقدير الذهنى أن نقول إن الأصل « علم أنّه سيكون منكم مرضى » وهذه جملة من باب النواسخ ولا مراء - ثم خففت « أنّ » فجاءت الكلمة كما وردت عليه فى الآية .

أما إذا لم يصح هذا التقدير ، فإن هذه الحروف لا تكون مخففة من غيرها ، بل تكون أصلية فى استعمالها ، ولا علاقة للجملة معها بباب النواسخ بل يكون الحرف (إنْ) للشرط - والحرف (أنْ) مصدرى ونصب للمضارع والحرف (لكنْ) للعطف - أما (كأنْ) فتكون مكونة من حرفين ، إحداهما الكاف والآخر (أنْ) .

وخلاصة هذه الفكرة - قبل الحديث عن هذه الحروف - ما يلى :

(أ) أنها تكون مخففة من الثقيلة إذا صح تقدير جملة أصلية لها تكون هى مشددة فيها ، والجملة من باب النواسخ .

(ب) إذا لم يصح هذا التقدير ، فإنها تكون أصلية فى شكلها المخفف فلا تكون من باب النواسخ ، بل لكل منها أبواب أخرى تنسب إليها كالشرط أو نواصب المضارع أو العطف أو غيرها .

على أنه ينبغى أن نتذكر مرة أخرى أن الحروف الناسخة ذات خاصيتين مع الجملة بعدها هما :

(ا) أنها تدخل على الجملة الاسمية لا الفعلية .

(ب) أنها تنصب الاسم وترفع الخبر .

إذا عرف ذلك كله ، واستعملت الحروف الأربعة (إنّ - أنّ - كأنّ - لكنّ) مخففة من الثقيلة - بتطبيق التصور الذهنى السابق - فكيف تستعمل مع الجملة التى وردت فيها من حيث بقاء الخاصيتين السابقتين أو تركهما ؟؟ يجب أن نتناول بالتفصيل هذه الحروف الأربعة المشددة النون حين تخفف مصطحبين معنا التصور الذهنى السابق ، وأيضا ما لها من خواصّ قبل التخفيف .

الحرف : إنْ :

هو (إنْ) المخففة من (إنّ) المشددة النون ، وحين تخفف يصح معها الآتى :

• مراعاة الأصل قبل التخفيف ، فتبقى لها خواصّ الحروف الناسخة من دخولها على الجملة الاسمية ونصب الاسم ورفع الخبر .

• كما يصح أيضا صرف النظر عن هذا الأصل ؛ فتزول خواصها جميعًا فيصح حينئذ دخولها على كلتا الجملتين الفعلية والاسمية ، كما أنه لا ينصب بعدها الاسم ويرفع الخبر فى الجملة الاسمية ، وتعرب (إنْ) على أنها حرف مهمل ، لا موضع له من الإعراب - فلنلاحظ الأمثلة .

إنْ قلبَ الإنسانِ موضعُ سرِّه	} بعدها جملة اسمية - عاملة
إنْ لسانُه لدليلٌ على ما فى قلبه	} بعدها جملة اسمية - مهملة
ويوزن بهذين وإنْ كان لغافلًا عن ذلك	} بعدها جملة فعلية - مهملة

وتوضيح ما سبق أن الجملة التى ترد فيها (إنْ) المخففة تكون واحدة مما يلى :

(أ) تأتى مع جملة اسمية ، ويراعى أصلها المشدّد ، فينصب الاسم ويرفع الخبر - كما كان الأمر وهى مشددة - تقول : (إنْ الوقْت ثَمينٌ جدًّا للجادِّين وإنْه رخيصٌ جدًّا للغافلين) - ويكون الدليل على أنها مخففة من الثقيلة نصب الاسم ورفع الخبر .

(ب) تأتى مع جملة اسمية ، ولا يراعى الأصل ، فتكون حرفا مهملا لا محل له من الإعراب ، وحينئذ تعود الجملة الاسمية إلى أصلها - باب المبتدأ الخبر - ويدخل على خبر المبتدأ معها لام تسمى « اللاَّم الفَارِقَة » تكون هى الدليل فى الجملة على أنّ (إنْ) مخففة من الثقيلة ، فلا تختلط بغيرها من أنواعها الأخرى ، تقول : (إنْ النفسُ لأمّارةٌ بالسوء ، وإنْ المؤمنُ لقادرٌ على السيطرةِ عليها بالإرادة) .

(جـ) تأتى مع جملة فعلية ؛ وهى حينئذ مهملة ، غاية الأمر أن هذه الجملة الفعلية بعدها غالبا ما تكون مصدّرة بفعل ناسخ (كان وأخواتها - كاد وأخواتها - ظن وأخواتها) .

• قال الله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ [الآية ١٤٣ من سورة البقرة] .

• وقال : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [الآية ١٠٢ من سورة الأعراف] .

الحرف : أنْ :

أيقن المتّهمُ أنْ الحكمُ فى صالحه .

بعد ظنّه أنْ لن يبرأَ من التّهمةِ الكاذبة .

تكون (أنْ) مخففة من الثقيلة فى جملة لها الصفات الثلاث التالية مجتمعة :

(أ) أن يتقدم عليها ما يفيد اليقين أو الظن مثل (علم - أيقن - تأكّد - ظن - حسب - زعم) .

(ب) أن يكون اسمها ضمير الشأن محذوفا ، أى « الموضوع أو الحال أو الشأن أو القصة » .

(حـ) أن يكون الخبر جملة اسمية دعائية ، أو جملة فعلية ، وهذه الأخيرة تصدر غالبا بأحد الأحرف (قد - السين - سوف - ما : النافية - لا : النافية - لو .

• قال الله تعالى : ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الآية ١٠ من سورة يونس] .

• قال الشاعر :

واعلَم ، فعلمُ المرءِ ينفعُه أنْ سوف يأتى كلُّ ما قُدِرَا (١)

هذا الكلام السابق هو الأصل فى تخفيف (أنْ) وقد خرج عن هذا الأصل بعض الشواهد أشهرها :

لقد علم الضيفُ والمُرمِلُون إذا اغبَرّ أفْقٌ وهبّت شمَالا
بأنْك ربيعٌ وغيثٌ مريعٌ وأنْك هناك تكونُ الثّمالا (٢)

---

(١) الشاهد : فى (أن سوف يأتى كل ما قدرا) فإن (أن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف ، وخبرها الجملة الفعلية المصدرة بالحرف (سوف) وأصل الكلام (أنه سوف يأتى كل ما قدرا) .

(٢) المرملون : المعدمون : الذين لا يجدون الطعام - الشمال : بفتح الشين وكسرها : نوع من الرياح - غيث مريع : مطر مخصب ينبت بعده الزرع - الثمالا : الغياث .

تقول : لقد كنت فى وقت الشدة والعوز تكرم الضيوف وتطعم المعدمين كأنك الربيع والمطر المفيد خيرا وعطاء .

الشاهد : فى (أنك ربيع) حيث جاء اسم (أن) المخففة مذكورا ، وكان حقه أن يحذف ، وجاء خبرها مفردًا ، وكان حقه أن يكون جملة .

ففى البيت الثانى جاء الاسم ضميرًا مذكورا فى (أنك) وكان الخبر مفردًا لا جملة ، وهو (ربيع) - وقد وصف ابن هشام هذا النص وأشباهه بأنها خارجة عن الأصل ، ووسمها أحيانا بأنها ضرورة شعرية ، وأحيانا أخرى بأنها نادرة الاستعمال .

الحرف : كأنْ :

يوم مات عمر ، خيّم الصمتُ على الناس كأنْ الحياةُ متوقّفةٌ .

ثم انفجر الناس بالبكاء كأن لم يمتْ أحدٌ قبله .

جاء فى شذور الذهب : « وإذا كان الحرف المخفف « كأنْ » فيغلب لها ما وجب (لأنْ) » . ا.هـ .

ومعنى ذلك أن الصفات التى ترد عليها جملتها هى غالبا الصفات التى سبقت فى جملة « أنْ » ، وتوضيحها كما يلى :

(أ) أن يكون اسمها ضمير الشأن محذوفا .

(ب) أن خبرها يكون أيضا جملة اسمية أو فعلية ، فإذا جاء من النوع الأخير - الفعلية - تصدر الجملة أحد الحرفين (قد - لم) .

• قال الله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ [الآية ٢٤ من سورة يونس] .

هذا هو الأصل فى الحرف (كأنْ) المخفف من (كأنّ) لكن خرج عن هذا الأصل بعض شواهد ورد فيها الاسم مذكورا ، والخبر مفردا لا جملة ، ومن أشهرها ما أنشده سيبويه من قول الشاعر :

ويومًا تُوَافِينَا بوجهٍ مقسَّمٍ   كأنْ ظبية تَعْطُو إلى وَارِقِ السَّلَمْ [١]

فقد رويت كلمة (ظبية) فى هذا البيت بروايات ثلاث :

---

(١) بوجه مقسم : وجه وسيم جميل - تعطو : تمد عنقها - وارق السلم : شجر السلم المورق .

يقول : إنها تأتينا بوجه جميل وعنق طويل ، كأنها ظبية تمد عنقها لتأكل ورق السلم .

الشاهد : رويت كلمة « ظبية » بروايات ثلاث ، وهى موجهة بعد ذكر البيت.

الأولى : بنصب « ظبيةً » على أنها اسم « كأن » والخبر محذوف وكلمة « ظبية » قد ذكرت فى الكلام ، فهى ليست ضمير شأن ، وهذا خارج عن الأصل .

الثانية : برفع كلمة (ظبيةٌ) على أن تكون خبر (كأنْ) واسمها ضمير الشأن محذوف ، وإذا كانت خبرا ، فإنها ليست جملة بل مفردا - وهذا أيضًا خارج عن الأصل .

الثالثة : بجرّ كلمة (ظبيةٍ) على اعتبار (أنْ) زائدة ، وكلمة (ظبية) مجرورة بالكاف .

الحرف : لكنْ :

حين يخفف هذا الحرف تنقطع علاقته بأصله (لكنّ) تماما ، ومعنى قطع علاقته بأصله زوال خواصّه التى كانت له وهو مشدد ، فلا يبقى اختصاصه بالجملة الاسمية ، بل يدخل على الجملتين الاسمية والفعلية ، وكذلك لا ينصب الاسم ولا يرفع الخبر فى الجملة الاسمية ، بل تعود الجملة مرة أخرى إلى باب المبتدأ والخبر .

أما الحرف (لكنْ) المخفف ، فيكون حرف ابتداء غير ناسخ ، سواء أكان مع الجملة الفعلية أم الاسمية ، تقول : (الحياةُ غاليةٌ ، لكنْ تهونُ فى سبيل الحرية) وتقول : (الحياةُ غاليةٌ ، لكنْ الهوانُ مذلّةٌ) .

ما تختص به (إنّ) من الأحكام :

اختصت (إنَّ) من بين أخواتها بمسألتين مهمتين هما :
(أ) دخول لام الابتداء فى جملتها .
(ب) كسر همزتها أو فتحها أو جواز الأمرين .

وإليك تفصيل القول فى هاتين المسألتين :

لام الابتداء فى جملة « إنّ » المكسورة :

لاحظ الأمثلة الآتية :

إنّ من الحِلْم لقوّةً فى بعض المواطن .

وإنّ من الحِلْمِ لضعفًا في مواضعَ أُخرى

فإنّ الحِلْمَ لَهو العفوُ عن مقدرة .

يلاحظ فى الأمثلة السابقة وجود لام فى كل مثال منها ، وذلك مع الكلمات (لقوة - لضعفا - لهو) .

هذه اللام يطلق عليها علماء البلاغة (لام التوكيد) ويسميها النحاة (لام ابتداء - أو - اللام المزحلقة) ولكل من هذه التسميات الثلاث توجيه وجيه .

فهى (لام التوكيد) لأنها تفيد تثبيت الجملة وتقويتها فى ذهن السامع وهى تستخدم مع ضرب خاص من ضروب الخبر ، حيث يكون السامع منكرا وفى حاجة إلى تثبيب الخبر وتقويته له - وهذا معنى بلاغى سيفيدنا فيما نحن بصدده نحويا .

وهى (لام ابتداء) الأصل فيها أن تدخل على المبتدأ ، فتأتى حينئذ فى بداية الكلام ، تقول : (لَلْحِلمُ قوةٌ فى بعض المواطن ، ولَلتَّجَبُّرُ طغيانٌ فى بعضها الآخر) ، فالأصل فيها أن تأتى مع المبتدأ كلمة (الحلم) وكذلك كلمة (التَّجَبُّر) فإذا جاءت (إنَّ) مع العبارة السابقة ، نطقت هكذا (إنَّ الحلمَ لقوةٌ فى بعض المواطن ، وإنَّ التَّجبرَ لطغيانٌ فى بعضها الآخر) وهذا يفسر السر فى تسميتها (لام الابتداء) باعتبارها فى الأصل كانت فى المبتدأ .

وتسمى أيضا (اللام المزحلقة) لأنها فى الأصل كانت مع المبتدأ وتفيد التوكيد - كما سبق شرحه - فلما دخلت (إنَّ) عليها ، وهى أيضًا تفيد التوكيد - وكان من المكروه فى الاستعمال العربى اجتماع أمرين يفيدان التوكيد فى موضع واحد - زحلقت اللام عن موضعها إلى مواضع أخرى فى الجملة الاسمية مع (إنَّ) أهمها ثلاثة :

(١) خبر (إنَّ) كقول الله تعالـــى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ [آخـر سورة الأنعام] .

(٢) اسم (إنَّ) إذا تقدم عليه الخبر - يتقدم إذا كان شبه جملة كما سبق - ومن ذلك العبارة المشهورة : (إن من البيانِ لسحراً ، وإنَّ من الشعرِ لحكمةً) .

(٣) ضمير الفصل الذى يأتى بين المبتدأ والخبر المعرفتين ، كقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الآية ٧٢ من سورة آل عمران] .

همزة (إنّ) :

(أنّ) المفتوحة الهمزة من حروف المصادر ، بخلاف (إنّ) المكسورة الهمزة ، ومعنى أن الأولى من حروف المصادر - كما سبق في باب المبتدأ - أنه يمكن استخلاص مصدر منها ومن جملتها معا يطلق عليه (المصدر المؤول) - وهذا المصدر المؤول - المتخيل - يعتبر كأنه كلمة موجودة فعلا - وإن كان متخيلا - ويشغل الوظائف النحوية المختلفة ، إذ يأتي مبتدأ وخبرا وفاعلا ومفعولا الخ - فلنلاحظ ما يلي من الأمثلة :

من سماتِ الجادّين أنّهم صامتون عادة	} المصدر المؤول تقديره
	} (صمتُهم) وهو مبتدأ
إذ يُسعدهم أنّهم عامِلون لا قوّالون	} المصدر المؤول تقديره
	} (عملُهم) وهو فاعل

إذا علم ذلك ، فإن الضابط الذى يعْرف به شكل همزة (إنّ) من حيث الكسر أو الفتح أو جواز الأمرين تلخصه العبارة : (تفتح همزة « أنّ » فى الكلام إذا صح استخلاص مصدر منها ومن جملتها لشغل الوظائف النحوية المختلفة ، وتكسر الهمزة إذا لم يصح ذلك ، ويجوز الأمران إن صح التأويل وتركه) .

من هذا الكلام السابق فهم مجمل ومفيد لمعرفة الأسلوب الذى ترد فيه الهمزة مفتوحة أو مكسورة أو جائزة الفتح والكسر ، وهو بذلك - لمن يحسن تطبيقه - يغنى عن حصر الفروع والجزئيات التى تندرج تحته ، مما يتعب الذهن ، ويشق على المبتدئ .

لكن ، قد فصلت كتب النحو ذكر مواضع الكسر أو الفتح أو جواز الأمرين تفصيلا واسعا (راجع - إن شئت - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك فقد وفّى هذا الموضوع بإفاضة) ونحن هنا نختار أهم مواضع الفتح والكسر وجواز الأمرين ، بقصد المعاونة فى توضيح الضابط العام السابق فقط .

١ - مواضع فتح الهمزة :

(١) أن يكون المصدر المؤول مبتدأ كقولنا : (من المفيد للإنسانِ أنّه يتذكّرُ

وينسى) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ [الآية ٣٩ من سورة فصلت] .

(٢) أن يكون المصدر المؤول خبرا كقولنا : (إحساسُ الخيرِ أنّ الحياةَ مضيئةٌ ، وإحساسُ الشر أنّ الكونَ ظلامٌ) .

(٣) أن يكون المصدر المؤول فاعلا ، كقولنا (يسهِّلُ صعبَ الأعمالِ أنها محبوبةٌ ، ويهوِّن التعبَ فيها أنّ هدفَها شريفٌ) .

(٤) أن يكون المصدر المؤول نائب فاعل ، كما يجيء في كتب الحديث (رُوِيَ أن الرسول قال كذا) وكقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ [الآية الأولى من سورة الجن] .

(٥) أن يكون المصدر المؤول مفعولا ، كقولك : (سمعتُ أنّ الخبرَ منشورٌ فى الصحيفة ، وأنه خبرٌ مؤثرٌ للغاية) .

(٦) أن يكون المصدر المؤول مجرورا بالحروف أو الإضافة ، كقولنا : (لا يخاف المجاهدُ الموتَ مع أنه صعبُ المذاق ، فهو يموتُ على الحق لأنّ غايَتَه نبيلةٌ وحقٌّ) .

(ب) من مواضع كسر الهمزة :

(١) أن تقع فى أول الكلام ، كقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الآية الأولى من سورة الفتح] .

وكذلك ما يأتى في أول جملة الصلة أو الصفة أو الحال أو جواب القسم مثل (ألا إنّ الإنسان لجهولٌ حيث يهملُ أمرًا إنّه مفيدٌ له ، ويصنع ما إنّه ضارٌ به) . وكقولنا : (والله إن الدّينَ لحقٌّ وإن هدفَه سعادةُ النّاس) .

فمن البين أن ما بعد الحرف (ألا) جملة جديدة ، وأن ما يقع فى أول الصلة أو الصفة أو الحال أو القسم فى أول جملة جديدة فى ذاتها ، وإن كان لها علاقة بما قبلها - فهذا كله يصدق عليه أنه بداية كلام جديد ، فإذا جاءت (إنّ) فى أوله كسرت همزتها .

(٢) أنْ تقع بعد الكلمتين (حيث - إذ) وهما كلمتان تضافان للجمل بعدهما ولا تضافان للمفردات ، فلا يصح إذن تقدير المصدر المفرد بعدهما ولذلك يجب

كسر همزة (إنَّ) حين تليهما ، ليكون ما بعدهما جملة كاملة كقولنا : (من السذاجةِ أن تصطنعَ الحلم حيث إن الموقفَ جهلٌ ، ومن المفيد اصطناعُ الحلمِ إذ إنّه الخلقُ المطلوب) .

(٣) أن تقع بعد القول ، كقول الله تعالى على لسان إبراهيم : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الآية ٩٩ من سورة الصافات] وكقوله على لسان عيسى فى المهد : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴾ [الآيتان ٣٠ - ٣١ من سورة مريم] .

من مواضع جواز الأمرين :

يغلب ذلك بعد الأداتين الآتيتين :

١ - إذا « التى تفيد المفاجأة » كقولنا : (صحوْنا ذاتَ صباحٍ صيفا فإذا إنَّ البرْدَ شديدٌ) فيجوز هنا نطق همزة « إنّ » مكسورة أو مفتوحة ، ومن ذلك ما أنشده سيبويه قال : سمعت رجلا من العرب ينشد هذا البيت كما أخبرك به :

وكنتُ أُرَى زيدًا كما قيل سيِّدًا إذا أنّه عبدُ القفَا واللَّهازِمِ [(١)]

حيث روى هذا البيت بفتح همزة « إنَّ » وكسرها .

٢ - الفاء « التى تقع فى جواب الشرط » كقولنا : (إن تحترمْ الزمنَ فإنّك متحضرٌ ، وإن تَغْفَلْ عنه فإنَّك متخلِّفٌ) حيث يصح فى همزة « إنّ » فى هذه العبارة الكسر والفتح ، ومما جاء بالوجهين - كما أورده ابن عقيل - قوله تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الآية ٥٢ من سورة الأنعام] قرئ (فإنه غفور رحيم) بالفتح والكسر للهمزة .

فكلا الوجهين جائز من الوجهة اللغوية - وجهة الاستعمال - حيث وردت النصوص مع هاتين الأداتين وبعدهما (إنّ) مفتوحة أو مكسورة .

---

(١) اللهازم : جمع « لهزمة » بكسر اللام والزاى - نهاية الحلق بجوار الصدر .

يقول : كنت أظن « زيدا » سيدا ، فإذا به عبد خسيس ، وضح ذلك من قفاه وحلقه ، إذ يصفع على الأول ، ويلكم فى الثانى .

الشاهد : فى (إذا أنه عبد القفا) حيث جاءت (إن) بعد (إذا الفجائية) فروى بفتح همزة (أن) وكسرها .

ووجهة الصناعة النحوية فى ذلك أنه إذا كسرت الهمزة كانت الجملة تامة ولا حديث بعدها - وإذا فتحت وجب أن تؤول بمصدر يكون مبتدأ وخبره محذوف أو العكس .

• • •

لا : النافية للجنس

١ - معنى (نفى الجنس) مع الموازنة بين استعمالَىْ (لا) مع المبتدأ والخبر .

٢ - وصف الجملة التى ترد فيها = شروط عملها .

٣ - المقصود باسم « لا » (المفرد - المضاف - الشبيه بالمضاف) .

٤ - من المسائل المكملة لهذا الباب ما يلى :

(أ) تكرار « لا » .

(ب) كلمة (ألا) واستعمالها فى اللغة .

(جـ) حذف خبر « لا » .

• • •

نفى الجنس ونفى الوحدة :

لا ذليلَ أهلٌ للحرية .

لا سفيهَ مستحِقٌ للتكليف الاجتماعى .

لا نمّامَ قادرٌ على كتمان الأسرار .

اسم « لا » لابد أن يكون نكرة - كما سيأتى - ومعنى ذلك أن معناه عام وشامل ، مثل (ذليل - سفيه - نمام) فى الأمثلة السابقة .

ومعنى نفى الجنس أن الذى يستفاد من جملة (لا) كلها نفى معنى الخبر عن الاسم نفيا شاملا يستغرق جميع أفراد الاسم دون استثناء ، وبحيث لا تفيد إلا هذا المعنى السابق .

فالمثال الأول (لا ذليل أهل للحرية) يفهم منه نفى أهلية الحرية عمّن يتصف بالذُّل فى أى صورة من صوره ، من ضعف لغاصب ، أو خنوع لمستبد ، أو استكانة لعادة سيئة متحكمة .

والمثال الثانى (لا سفيه مستحق للتكليف الاجتماعى) يفهم منه نفى استحقاق التكليف الاجتماعى عن كل فرد يتصف بالسفاهة ، ومن ذلك سفاهة

القول وعدم المروءة والتصرف ، فكل هؤلاء يصل بهم السقوط إلى حدّ لا يستحقون معه معاملة سويّة من العقلاء .

وهنا ينبغي التعرض لنقطة مهمة ، فقد مرّ علينا من قبل أن (لا) تأتي في جملة تماثل جملة الفعل (ليس) حيث يرفع الاسم وينصب الخبر فيها ، وهنا تأتي (لا) في جملة من نوع آخر حيث تماثل جملة (إنّ) فينصب فيها الاسم ويرفع الخبر - فما الفرق بين هاتين الصورتين ؟؟

في البداية يجب أن يعلم أن كلتا هاتين الصورتين نطق عربي وارد ، فالفصحاء من العرب هم الذين نقل عنهم (لا شيءٌ على الأرض باقيا) - برفع الأول ونصب الثاني - وقد نقل عنهم أيضًا ما يماثل (لا شيئًا على الأرض باقٍ) بنصب الأول ورفع الثاني ، وإلى ذلك النطق العربي الفصيح - الذي اختلفت صورتاه - يعود الأمر في دراسة جملة (لا) مرتين في النواسخ ، ومن حقنا أن نستخدم هذه الصورة أو تلك إذا توافرت صفات استعمالها لدى العرب الفصحاء .

أما الموازنة بين هاتين الصورتين فيتجه الأمر فيها اتجاهين :

أحدهما : يعود لصورتي الجملتين ، **والآخر** : يعود لمعناهما ، على التوضيح التالي :

أولا : في إحدى الصورتين يكون الاسم مرفوعا والخبر منصوبا ، وفي الأخرى يكون الأمر بالعكس .

ثانيًا : في صورة (لا) التي يرفع بعدها الاسم وينصب الخبر قد تفيد الجملة (نفي الجنس) أي نفي الخبر عن الاسم نفيا شاملا ، كقولنا : (لا شيءٌ على الأرض باقيا) ، وقد تفيد ما يسمى (نفي الوحدة) أي النفي القاصر على فرد أو مجموعة واحدة ، دون أن يشمل ذلك النفي أفرادًا أخر أو مجموعات أخر ، كقولنا : (لا كفٌّ واحدة مصفقةً) أو قولنا : (من حسن الحظ أنه لا دولةٌ حائزةً للذّرة وحدها) والذي يحدد واحدًا من هذين سياق الكلام .

أما في صورة (لا) التي ينصب معها الاسم ويرفع الخبر فإنها تفيد نفي الجنس فقط ، ولا تحتمل غير ذلك ، فإذا قلنا (لا شيئًا على الأرض باقٍ) نفت بقاء أي شيء على الأرض ، ولا يحتمل أسلوبها غير ذلك .

فالفرق في المعنى باختصار : أن (لا) التي يرفع معها الاسم وينصب الخبر تحتمل نفي الجنس ونفي الوحدة ، والذي يحدد أحدهما أسلوبُ الكلام ، أما (لا) التي ينصب بعدها الاسم ويرفع الخبر فلا تفيد إلا نفي الجنس فقط ، ولا تستعمل في غير هذا الأسلوب .

جاء في ابن عقيل عن (لا : النافية للجنس) نصا : « والمراد بها (لا) التي قصد بها التنصيص على استغراق النفي للجنس كله - وإنما قلت (التنصيص) احترازا عن التي يقع الاسم بعدها مرفوعا ، نحو (لا رجلٌ قائما) فإنها ليست نصا في نفي الجنس ، إذ يحتمل نفي الواحد ونفي الجنس فبتقدير إرادة نفي الجنس لا يجوز (لا رجلٌ قائما بل رجلان) وبتقدير إرادة نفي الواحد يجوز (لا رجلٌ قائما بل رجلان) » . ا.هـ .

وصف الجملة التي ترد فيها :

جملة (لا : النافية للجنس) تحمل الصفات التالية مجتمعة :

(أ) أن يتقدم الاسم ويتأخر الخبر - فيكون الترتيب بينهما أصليا .
(ب) أن يكون كل من الاسم والخبر نكرتين - وهذا باتفاق النحاة .
(جـ) ألاّ يدخل عليها حرف جر - كقولنا : (المنافق بلا ضمير) .

فهذه الصفات متضامنة يجب أن تتحقق في الجملة التي يطلق عليها جملة (لا : النافية للجنس) والتي ينصب فيها الاسم ويرفع الخبر ، كقول مصطفى كامل : (لا يأسَ مع الحياة ولا حياةَ مع اليأس) وقولنا : (دعا الإسلام للعدل والمساواة ، فلا غنيَّ مقدَّمٌ لجاهِه ، ولا فقيرَ مؤخَّرٌ لبؤسه) .

اسم « لا » المفرد - المضاف - الشبيه بالمضاف :

لاحظ الأمثلة الآتية :

لا مهملَ متفوقٌ }
ولا مهملَين متفوقان }
ولا مهمِلين متفوقون } الاسم مفرد
لا مهملَ واجبٍ متفوقٌ }

ولا مقدرَ مسئوليةٍ مخذولٌ } الاسم مضاف

لا مهملاً الواجِبَ متفوقٌ }

ولا مقدّرًا المسئوليةَ مخذولٌ } الاسم شبيه بالمضاف

اسم (لا) يكون كما يلى :

المفرد – يقصد به – فى هذا الباب – ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف ، وإن كان مثنى أو مجموعا ، فهو هنا يقابل المضاف وشبيهه ، كما اعتبر فى باب الخبر مقابلا للجملة وشبه الجملة .

واسم (لا) المفرد مبنى دائما على ما ينصب به لو كان معربا – وتفصيل هذا الكلام المجمل : أن اسم (لا) إن كان مفردًا أو جمع تكسير يبنى على الفتح ، كقولك : (لا قسوةَ فى الإسلام ولا قُساةَ بين المؤمنين) ، وإن كان مثنى أو جمع مذكر فإنه يبنى على الياء ، كقول الشاعر :

تعزَّ فلا إلفَيْن بالعيش مُتِّعَا ولكن لوُرَّادِ المنونِ تَتَابُعُ (١)

وإن كان جمع مؤنث سالما يبنى على الكسر – ويصح فيه أيضا البناء على الفتح – كقول سلامة بن جندل السعدى :

إنّ الشّبابَ الذى مجدٌ عواقبُه فيه نَلَذُّ ولا لذّات للشّيبِ (٢)

فقد روى البيت بكسر « لذات » وفتحه .

---

(١) تعز : العزاء هو الصبر والسلوان ، والتعزى : هو محاولة ذلك – إلفين : كل اثنين بينهما ألفة ومودة – المنون : الموت .

يقول : حاولِ الصبر والسلوان على من فقدت من الأعزاء ، فكل حبيبين إلى افتراق ، والناس كلهم للموت .

الشاهد : فى (لا إلفين بالعيش معا) فإن اسم « لا » النافية للجنس كلمة (إلفين) وهو مبنى على الياء ، وهو مفرد بمصطلح هذا الباب وإن كان مثنى صرفيا .

(٢) العواقب : الآثار والغايات ، والغايات تكون محمودة إذا كانت الأعمال محمودة .

يقول : إن تصرفات الشباب محمودة رائعة النتائج ، وفى الشباب المتعة ولا متعة للمشيب .

الشاهد : فى (لا لذات للشيب) فإن اسم « لا » كلمة (لذات) وهو جمع مؤنث سالم ، وقد روى بكسر التاء وفتحها ، فهو مبنى على الكسر أو الفتح ، وهو من نوع المفرد وإن كان جمع مؤنث

المضاف : وهو الاسم الذى ينضم إليه اسم آخر مجرور بعده يكمل به معناه يطلق عليه « المضاف إليه » - والمضاف إليه فى هذا الباب لا بد أن يكون نكرة فى الإضافة المعنوية ، لما سبق من قبل أن اسمها وخبرها لا بد أن يكونا نكرتين ، إذ لو كان المضاف إليه معرفة ، لتعرّف المضاف أيضا وخرجت الجملة عن هذا الباب .

واسم (لا) المضاف معرب منصوب ، كقولنا : (لا أرضَ أحرارٍ مستباحةٌ ، ولا شرفَ كرامٍ مهانٌ) .

الشبيه بالمضاف : جاء فى ابن عقيل : « والمراد به كل اسم له تعلُّقٌ بما بعده » . ا.هـ

ومعنى ذلك أن الشبيه بالمضاف ما يتم معناه بواسطة ما بعده - غير المضاف إليه - فلا يسمّى مضافا لأنه لا يتحقق فيه صفات المضاف لفظا ، وليس فى قوته معنى ، ولكنه يشبهه فقط ، لحاجته لما يتمم معناه مثله .

وحكم الشبيه بالمضاف أيضًا أنه معرب ومنصوب ، كقولنا : (لا عزيزًا جانبُه مهانٌ ، ولا صانعًا المعروفَ مضيّعٌ ، ولا شفيقًا على النّاس مكروهٌ) فكل من الكلمات (عزيز - صانع - شفيق) فى العبارة السابقة يطلق عليه أنّه « شبيه بالمضاف » إذ ارتبط بها ما بعدها ، فقد ارتبط بالأول (عزيز) كلمة (جانبه) وهى فاعل به - وقد ارتبط بالثانى (صانع) كلمة (المعروف) وهو مفعول به له - وارتبط بالثالث (شفيق) الجار والمجرور (على الناس) وهو متعلق به .

المسائل المكملة للباب :

وهى مجموعة مسائل فرعية تتعلق بهذا الباب - بعد التصور العام لمباحثه الأساسية - وعددها ثلاث :

(أ) تكرار (لا) .

(ب) كلمة (ألا) واستعمالاتها فى اللغة .

(جـ) حذف خبر « لا » .

وكل واحدة من هذه المسائل فى حاجة إلى إيضاح مستقل .

تكرار (لا) :

تأتى (لا) مكررة على النحو التالى :

أولا : إذا اختل شرط من شروطها التى يتحقق بها لجملتها أنها من هذا الباب بأن تقدم الخبر على الاسم ، أو كان أحدهما معرفة لا نكرة - حينئذ تهمل فتكون حرف نفى فقط ، وتعود الجملة بعدها لباب المبتدأ والخبر - وأيضا يجب تكرار (لا) مثل :

لا فى الجنةِ موتٌ ولا ألَمٌ } تقدم الخبر - لا : مهملة مكررة

فلا الإنسانُ يفنى ولا النعيمُ يزول } الاسمِ معرفة - لا : مهملة مكررة

ثانيا : تتكرر (لا) مع استيفاء شروط جملتها التى تكون بها نافية للجنس - مثل قولنا : (لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله) - وهذا تكرار جائز لا واجب .

وفى هذه الصورة الأخيرة - يفتح الباب واسعا للصناعة النحوية لتشكيل الاسم مع (لا) الأولى والمكررة ، بالتوضيح المختصر الآتى (من أراد المزيد من الصنعة ، فليراجع شرح الأشمونى - أوضح المسالك - شرح ابن عقيل) :

(١) فتح الاسمين - اسم (لا) الأولى واسم (لا) الثانية ، كقولنا : (لا حولَ ولا قُوّةَ إلا بالله) - و(لا) هنا نافية للجنس فيهما ، والاسم بعدها مبنى على الفتح .

(٢) رفع الاسمين - كقول الراعى النُّميرى :

وما هجرتُكِ حتى قلتِ معلنةً   لا ناقةٌ لى فى هذا ولا جَمَلُ [١]

و(لا) هنا مثل (ليس) ترفع الاسم وتنصب الخبر .

(٣) فتح الأول ورفع الثانى - كقول الشاعر :

هذا لعمركم الصَّغارُ بعينه   لا أمَّ لى إن كان ذاك ولا أبٌ [٢]

---

(١) لا ناقة لى فى هذا ولا جمل - مثل يقوله من لا يعنيه الأمر ، فينصرف عنه دون أن يدخل نفسه فيه .

الشاهد : فى البيت (لا ناقة لى فى هذا ولا جمل) فقد تكررت « لا » والاسمان بعدها مرفوعان ، وتوجيه إعرابهما أن « لا » فيهما مثل « ليس » فرفع الاسمان بعدها - وفيه إعرابات أخر .

(٢) لعمركم : أسلوب للقسم ، وهو مبتدأ وخبره محذوف وجوبا - الصغار : الأعمال الرخيصة الدنيئة .

و(لا) الأولى نافية للجنس ، والثانية مثل (ليس) .

(٤) رفع الأول وفتح الثاني - عكس السابق - كقول أمية بن أبي الصلت يصف الجنة :

فلا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها   وما فَاهُوا به أبدا مُقيمُ [(١)]

والأولى مثل (ليس) والثانية نافية للجنس .

(٥) فتح الأول ونصب الثاني مع تنوينه - كقول العباس بن مرداس :

لا نَسَبَ اليوم ولا خُلَّةً   اتَّسع الخَرقُ على الراقِعِ [(٢)]

والأولى نافية للجنس ، والثانية مهملة ، والاسم بعدها معطوف على محل الأول ، ومحله النصب .

هذا مع ملاحظة أن الخبر في أسلوب « لا » المكررة يكون واحدًا فقط غالبا ، ويوجه للأولى ، ويحذف من الباقي ، وهذا أحسن الآراء فيه .

استعمال (ألا) في اللغة :

قال ابن مالك :

وأعطِ « لا » مع همزة استفهام   ما تستحق دون الاستفهام

(لا) النافية للجنس إذا دخلت عليها همزة الاستفهام ، فإنه يبقى لها جميع أحكام الباب . ومن ذلك قول الشاعر :

= الشاهد : في الشطر الثاني (لا أم لي إن كان ذاك ولا أب) فقد تكررت « لا » والأول مشكل بالفتح ، والثاني مرفوع ، فتعتبر « لا » الأولى نافية للجنس والثانية مثل « ليس » - وفيه إعرابات أخر .

(١) اللغو - كما جاء في القاموس - السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره . التأثيم : مأخوذ من الإثم ، وهو الذنب ، فهم لا يرتكبون الذنوب ولا ينسبون إليها .

الشاهد : في الشطر الأول (لا لغو ولا تأثيم فيها) كررت « لا » والاسم الأول مرفوع ، والثاني مفتوح ، وتوجيه الأول على أن « لا » مثل « ليس » ، والثاني على أن « لا » نافية للجنس - وفيه إعرابات أخر .

(٢) الخلة : المحبة والود - الراقع : الذي يصلح الثوب بسد الخروق .

الشاهد : في الشطر الأول (لا نسب اليوم ولا خلة) كررت « لا » والاسم الأول مفتوح ، والثاني منصوب باعتبار « لا » الأول نافية للجنس ، والاسم الثاني معطوف على محل الأول ، وهو في محل نصب - وفيه إعرابات أخر .

ألا عُمْرَ ولّى مستطاعٌ رجوعُهُ فيرأبَ ما أثأتْ يدُ الغفلاتِ (١)

ومن البين أن (ألا) هنا مكونة من كلمتين هما : همزة الاستفهام - لا : النافية للجنس .

لكن ، قد تستعمل (ألا) في اللغة كلمة واحدة ، وذلك في موضعين :

الأول : أن يقصد بها التنبيه والاستفتاح وتدخل حينئذ على الجملتين الفعلية والاسمية ، كقول الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الآية ٦٢ من سورة يونس] .

الثاني : أن يقصد بها الدعوة إلى فعل شيء ما ، فإن كانت هذه الدعوة برفق سمي ذلك (العَرْض) وإن كانت الدعوة بشدة يسمى ذلك (التّحضيض) ولا تدخل حينئذ إلا على الجملة الفعلية ، كقول الله تعالى : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [الآية ٢٢ من سورة النور] وقول الوالد لابنه : (ألا تكفُّ عن الإهمال فتذاكر دروسَك) .

ومن الواضح أن (ألا) في هذين الموضعين لا علاقة لها بهذا الباب فهي حرف (استفتاح ، أو عَرْض ، أو تحضيض) .

حذف خبر « لا » :

من العبارات الشائعة التي تستخدم بيننا كثيرا (لا بُدَّ - لا محالةَ - لا شكَّ - لا بأسَ - لا ضيرَ) والخبر في كل هذه العبارات محذوف جوازا ويفهم من سياق الكلام ، فالخبر يحذف اختصارا إذا كان معلوما ، ومن هذا قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ [الآية ٥٠ من سورة الشعراء] وقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [الآية ٥١ من سورة سبأ] .

• • •

(١) يرأب : يجبر ويصلح - أثأت : فتقت وأفسدت - يد الغفلات : المقصود الأخطاء . يتمنى عودة العمر الذى فات ليصلح ما أفسده بأخطائه في حياته ، وأنى تكون العودة ، فما فات قد فات !!

الشاهد : دخول همزة الاستفهام على « لا » النافية للجنس في (ألا) فهي مكونة من كلمتين .

ظن وأخواتها

١ - الأفعال التى تنصب المبتدأ والخبر مفعولين (معانيها - شواهدها صورها) .
٢ - المقصود بالمصطلحات النحوية الثلاثة (الإعمال - الإلغاء - التعليق) .
٣ - إجراء القول مجرى الظن .

• • •

الأفعال التى تنصب المبتدأ والخبر :

لاحظ الأمثلة الآتية :

علمتُ الصدقَ منجيًا

ووجدتُ الكذبَ مهلكًا

وأظن ذلك بَدِهيًا

فى الأمثلة السابقة : الأصل فى الجمل أنها مكونة من مبتدأ وخبر ، هما على التوالى فى الأمثلة (الصدق منج - الكذب مهلك - ذلك بدهىّ) ثم دخلت عليها الأفعال الناسخة (علم - وجد - أظن) بعد أن استوفت فاعلها فنصب - فى كل مثال - المبتدأ مفعولا أولا ، والخبر مفعولا ثانيًا .

وينبغى التعرف على هذه الأفعال ومعانيها إجمالا وتفصيلا مع إيراد بعض الشواهد لها من الكلام العربى .

تنقسم أفعال الباب كلها إلى قسمين رئيسين : (أفعال القلوب) و(أفعال التّصيير والتحويل) وإليك تفصيل الحديث فى هذين النوعين :

أولا : أفعال القلوب :

ويقصد بها ما يدل على معنى يعود إلى قلب الإنسان مثل (العلم والظن) وهذه الأفعال صنفان :

الصنف الأول : أفعال اليقين :

وهى التى تفيد التحقق من نسبة الخبر للاسم ، كقولك : (علمتُ الله

موجودًا) فنسبة الوجود لله أمر محقق باستخدام الفعل (علم) - وأهمّ هذه الأفعال ستة هى : (رَأى - عَلِمَ - وَجَدَ - دَرَى - أَلْفَى - تَعَلَّمْ بمعنى اعْلَمْ) .

١ - رَأى : من رؤية القلب لا من رؤية البصر ، فهى التى تفيد العلم لا المشاهدة ، فإن الأخيرة تنصب مفعولا واحدا فقط ، ومثال (رأى) العلمية قول خداش بن زهير :

رأيتُ الله أكبرَ كُلِّ شىءٍ محاولةً وأكثرَهم جُنُودا [(١)]

٢ - عَلِمَ : كقول الشاعر :

علمتُكَ الباذِلَ المعروفَ فانبعثتْ
إليك بِى وَاجِفَاتُ الشَّوْقِ والأملِ [(٢)]

٣ - وَجَدَ : كقول الله تعالى : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [الآية ٢٠ من سورة المزمل] .

٤ - دَرَى : كقولك : (دريتُ الخبرَ صحيحًا) .

٥ - أَلْفَى : بمعنى (وجد - علم) كقـــول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴾ [الآية ٦٩ من سورة الصافات] .

٦ - تَعلَّمْ : بمعنى (اعْلَم) وهو ملازم للأمر - وسيأتى ذلك - كقول زياد بن سيَّارَ :

تَعَلَّمْ شِفاءَ النَّفْسِ قَهْرَ عَدُوِّها فبالِغْ بلُطفٍ فى التَّحَيُّلِ والمَكْرِ [(٣)]

---

(١) الشاهد : فى (رأيت الله أكبر كل شىء) فإن (رأى) بمعنى (علم) تنصب مفعولين ، وأولهما كلمة (الله) وثانيهما كلمة (أكبر) .

(٢) واجفات : جاء فى القاموس : وجف بمعنى اضطرب ، الواجف المضطرب ومن لوازم الاضطراب الاهتزاز ، فالمقصود بواجفات الشوق والأمل : مرات الشوق والأمل .

الشاهد : فى (علمتك الباذل المعروف) فإن (علم) ينصب مفعولين الأول ضمير المخاطب ، والثانى (الباذل) .

(٣) اعلم أن النفس الحرة يريحها قهر عدوها ، فاسلك لذلك كل ما تقدر عليه من وسائل المكر والحيلة .

الشاهد : فى الشطر الأول (تعلم شفاء النفس قهر عدوها) فإن الفعل (تعلم) بمعنى (اعلم) ينصب مفعولين ، الأول (شفاء النفس) والثانى (قهر عدوها) .

الصنف الثاني : أفعال الرُّجحان :

وهى التى تفيد التردد بين نسبة الخبر للاسم وعدم نسبته له ، وإن كان الأرجح نسبته له ، وذلك (كالظن والزعم) ونحو ذلك ، تقول : (اليومَ أظن الجوَّ باردا وأحسبُ المطرَ منهمرا) . وأهم هذه الأفعال سبعة : (ظَنَّ - حَسِبَ - خالَ - زَعَمَ - عَدَّ - حَجَا - هَبْ بمعنى : افْرِضْ) .

١ - ظَنَّ : كقولك : (أظنُّ الفوزَ مؤكدًا مع أنَّ الجهدَ شاقٌّ) .

٢ - حَسِبَ : كقول لبيد :

حسبتُ التُّقَى والجودَ خيرَ تجارةٍ رَبَاحًا إذا ما المرءُ أصبح ثَاقِلا (١)

٣ - خالَ : بمعنى (ظنَّ) ومضارعه (يخَالُ) بخلاف (خَالَ) بمعنى (سَاسَ ورَعَى) فمضارعه (يخُولُ) وليس مما نحن فيه ، ومن شواهد الناصب للمفعولين :

إخَالُكَ - إن تغضُضْ الطَّرْفَ - ذَا هوًى
يَسُومُكَ ما لا يُستطاعُ من الوَجْدِ (٢)

٤ - زَعَمَ : كقولك : (زعم الجاحدون القرآن كلامَ البشَر) .

٥ - عَدَّ : بمعنى (ظن وحسب) لا بمعنى (ذكر مقدار الأعداد) تقول : (عددتُ الصداقةَ وفاءً فخانني الصَّديق) فهذه تنصب المفعولين بخلاف (عددت ما معى من النّقود) بمعنى (أحصيته) فلا تنصب إلا مفعولا واحدا . ومن شواهد الناصبة للمفعولين قول النعمان بن بشير :

---

(١) الثاقل : الميت ، فالبدن خفيف ما دام به الروح ، فإذا خرج الروح ثقل .

يقول : حين يموت المرء فخير ما يربحه من دنياه التقى والجود - هكذا حسب لبيد .

الشاهد : فى الشطر الأول (حسبت التقى والجود خير تجارة) فإن الفعل (حسب) من أفعال الرجحان ينصب مفعولين ، الأول (التقى والجود) والثانى (خير تجارة) .

(٢) إخال : مضارع (خال) للمتكلم ، وينطق بكسر الهمزة وفتحها - تغضض الطرف : تصرف النظر عن الحسان ومفاتنهن - يسومك : يكلفك ويحملك .

يقول : إذا لم تصرف عينيك عن الحسان ، فأظن أنك ستقع فى الحب ، وحينئذ تتحمل من تباريحه وجدا فوق الطاقة .

الشاهد : (إخالك ذا هوى) فإن (إخال) من أفعال الرجحان ينصب المفعولين ، الأول ضمير المخاطب ، والثانى (ذا هوى) .

فلا تعدُدْ المولَى شريكَك فى الغِنَى
ولكنَّما المولَى شريكُك فى العُدْمِ (١)

٦ - حَجَا : بمعنى (ظن وحسب) أيضًا لا بمعنى (غلب فى المحاجاة) وهى الجدل ، تقول : (حجوتُ العهدَ ثقةً ، فضَاعتْ الثقة) فهذه تنصب مفعولين ، بخلاف (حجوتُ المجادِلَ) بمعنى (أفحمته وغلبته) فإنها تنصب مفعولا واحدا .

٧ - هَبْ : بمعنى (افرِضْ) ومعناها بالنسبة للمخاطب : افرضْ مرجحا نسبة الخبر للاسم ، كقولك : (هَبْ قولَك صحيحا فما الرأى !!) وهذه تنصب مفعولين، بخلاف (هَبْ) بمعنى (أعْطِ) كقولك : (هبْ مالًا للفقراء) فهذه تنصب مفعولا واحدا - ومن شواهد التى تنصب مفعولين قول عقبة بن هبيرة الأسدى يخاطب معاوية :

فهبْها أمّةً هلكتْ ضَيَاعًا   يزيدُ أميرُها وأبو يزيدِ (٢)

ثانيا : أفعال التَّصْيير والتَّحويل :

وهى التى تفيد تحول معنى الاسم إلى معنى الخبر ، تقول : (صيَّرَ النجَّارُ الخَشَبَ كرسيًا وجعلَ الصائغُ الذهبَ قِلادةً) ، فمن البين أن الخشب قد تحول - بالصنعة - إلى كرسى ، وأن الذهب قد تحول - بمهارة الصائغ - إلى قلادة - وأهم أفعال التصيير والتحويل سبعة هى : (صَيَّرَ - جَعَلَ - اتَّخَذَ - تَخِذَ - ردَّ - تَرَكَ - وَهَبَ) .

١ - صيَّرَ : كقولك : (صيرتُ الصّدقَ عادةً لى) .

٢ - جَعَلَ : بمعنى (صيّر) كقولك لصديق مريض : (جعلنى الله فدَاءَك) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الآية ٢٣ من سورة الفرقان] .

---

(١) لا تعدد : لا تحسب - المولى : من معانيه الصديق والحليف - العدم : الفقر .
يقول : ليس الصديق صديق اليسر والغنى ، بل الصديق الحق صديق العسر والفقر .
الشاهد : فى الشطر الأول (لا تعدد المولى شريكك فى الغنى) فإن (تعدد) مضارع (عد) بمعنى (حسب) وهى من أفعال الرجحان تنصب مفعولين الأول (المولى) والثانى (شريكك) .

(٢) هب بمعنى « افرض » وهى فى البيت نصبت مفعولين ، الأول (ضمير الغائبة) والثانى كلمة (أمة) .

٣ - اتَّخَذَ : بمعنى (صيّر) أيضا ، كقولك : (اتخذتُ الضميرَ هاديًا فى سلوكى واتخذتُ العقْلَ مُرشدًا فى تفكيرى) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [الآية ١٢٥ من سورة النساء] .

٤ - تَخِذَ : بفتح التاء وكسر الخاء - وبذلك قرئت الآية : ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الآية ٧٧ من سورة الكهف] .

٥ - رَدَّ : بمعنى (حوّل) كما رُوى من قول عبد الله بن الزبير :

رَمَى الحِدْثانُ نسوةَ آلِ حربٍ ... بمقْدارٍ سَمَدْنَ له سُمُودَا
فردَّ شُعُورَهنَّ السُّودَ بيضًا ... وردَّ وجوهَهنَّ البيضَ سودَا [١]

٦ - تَرَكَ : بمعنى (صيَّر) والمقصود بذلك أنه صار على صفة الخبر ، ثم تُرِك بعد ذلك وصرف النظر عنه .

كقول أحد بنى مرة يعتب على ابنه العاقّ :

وربَّيتُهُ حتى إذا ما تركتُه ... أخا القومِ واستغْنى عن المسْحِ شاربُهْ
فلما رآنى أُبصِرُ الشخصَ أشْخُصًا ... قريبا ، وذا الشَّخصَ البعيدَ أُقارِبُهْ
تغمَّط حقىَ باطلاً وَلَوى يدى ... لَوَى يدَهُ الله الذى هو غالبُه [٢]

٧ - وَهَبَ : بمعنى (جعل) ويذكر شاهدًا لذلك العبارةُ المشهورة : (وَهَبنى الله فداك) بمعنى (جعلنى الله فداك) - وهذا الفعل ملازم للماضى .

---

(١) الحدثان بكسر الحاء وسكون الدال : نوازل الدهر ونوائبه - المقدار : حادث القدر غير المنتظر - سمدن : وقفن متحيرات حزينات .

الشاهد : فى البيت الأخير كله ، حيث استعملت (رد) من أفعال التصيير والتحويل ، فنصبت فى كلتا الشطرتين مفعولين .

(٢) استغنى عن المسح شاربه ، المقصود : أنه شب وقام بشئونه وحده - أبصر الشخص أشخصا : كناية عن ضعف البصر ، وأيضا « ذا الشخص البعيد أقاربه » فهو لا يرى البعيد إلا بالقرب منه ، ويرى القريب مهتزًا أمام عينيه فكأنه كثير - تغمط حقى : أضاعه واحتقره .

يقول : ربيته حتى استغنى بنفسه ، وصار له شأن بين قومه ، فلما كبرت وضعف بصرى ، أضاع حقى ، وأهاننى ، ومنه لله !! والله قوى يعاقبه على عقوقه وجهله .

الشاهد : قوله « تركته أخا القوم » فإن الفعل « ترك » بمعنى « صير » ينصب مفعولين ، أولهما « ضمير الغائب » وثانيهما « أخا القوم » .

صورها = تصرفها :

لاحظ ما يلى :

- ظن - يظُنّ - ظُنَّ - ظنًّا - ظانّ - مظنون
- علم - يعلم - اعلمْ - علْمًا - عالم - معلوم

الأفعال التى تنصب مفعولين جميعا - سواء فى ذلك أفعال القلوب بنوعيها - اليقين والرجحان - أم أفعال التصيير والتحويل - تتصرف تصرفا كاملا فيأتى منها الماضي والمضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول - وفائدة ذلك نحويا أن كل ما تصرف منها يُنصب معه المفعولان أيضًا - تماما كما هو الشأن مع الماضى - تقول : (يعلمُ المؤمنُ لقاءَ الله حقًّا ، أما الجاحدُ فظانٌّ الحياةَ عبثًا وزاعمٌ النشورَ خُرافةً) .

لكن يستثنى من هذا الحكم السابق ثلاثة أفعال جامدة لا تتصرف حين استعمالها فى هذا الباب ، وهى :

(١) تعلَّمْ : من أفعال اليقين ، وما دام بهذا المعنى فهو ملازم لصيغة الأمر .

(٢) هَبْ : من أفعال الرجحان ، وما دام بهذا المعنى فهو ملازم لصيغة الأمر.

(٣) وَهَبَ : من أفعال التصيير ، ومادام بهذا المعنى فهو ملازم لصيغة الماضى .

• • •

هذا ، وينبغى فى نهاية هذا العرض الذى طال للتعرف على هذه الأفعال التنبه للملاحظتين الآتيتين :

الأولى : (أنّ واسمها وخبرها) تأتى كثيرًا مع بعض هذه الأفعال فتسد مسدّ المفعولين ، كقولك : (علمت أنَّ الحلمَ قوةٌ ، ورأيت أنّ الحمقَ ضعفٌ) ، ومن ذلك قول زهير بن أبى سلمى :

فقلتُ تعلَّمْ أنّ للصَّيدِ غِرّةً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وإلا تُضيِّعْها فإنك قاتلُه [١]

---

(١) غرة : غفلة .

=

فتكون (أن للصيد غرة) فى محل نصب سدت مسد مفعولى (تعلَّمْ) .

ومن ذلك أيضًا قول عبيد الله بن مسعود :

فذُقْ هَجْرَها ، قد كُنتَ تزعمُ أنّه   رشادٌ ألا يا رُبَّما كذبَ الزَّعْمُ (١)

فتكون (أنه رشاد) فى محل نصب سدت مسد مفعولى (تزعم) .

الثانية : جاء فى شذور الذهب ما يلى نصا :

« (ظن) بمعنى (اتَّهم) تتعدى لواحد ، نحو قولك : (عُدِمَ لى مالٌ فظننتُ زيدا) ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴾ [الآية ٢٤ من سورة التكوير] أى ما هو بمتّهم على الغيب ، وأما من قرأ بالضاد ، فمعناه : ما هو ببخيل - وكذلك (عَلِمَ) بمعنى (عَرَف) نحو ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [الآية ٧٨ من سورة النحل] - و(رأى) من (الرَّأى) ، كقولك : (رأى أبو حنيفةَ حِلَّ كذا أو حُرمتَه) و(حَجَا) بمعنى (قصد) نحو (حجوتُ بيتَ الله) - ومن (وَجَد) بمعنى (حزن أو حقد) فإنهما لا يتعديان بأنفسهما ، بل تقول : (وَجدْتُ على الميت) و(وَجَدْتُ على المسىء) » . ا.هـ .

ومضمون هذا النص باختصار : أن أفعال هذا الباب إذا خرجت عن المعانى العامة التى سبق ذكرها - لم تكن قلبية أو للتحويل - لا تكون من هذا الباب ، فلا تنصب مفعولين ، بل تكون - مما ورد فى النص - كما يلى :

(١) ما ينصب واحدًا فقط ، وذلك (ظن : بمعنى اتّهم - عَلِمَ : بمعنى عَرَفَ - رَأىَ : من الرَّأى - حَجا : بمعن قصد) .

(٢) ما لا ينصب شيئا أصلا ، وذلك (وجد : بمعنى حزن أو حقد) .

- البيت صورة رائعة يمكن أن تكون مثلا ، يقول : « إن للصيد غفلة ، فإذا لم تضيعها ورميته ، قتلته » وهذا المعنى يمكن قوله فى كل موقف فى الحياة « فيه تحين الفرصة واستغلالها » .

الشاهد : فى (تعلم أن للصيد غرة) فإن الفعل (تعلم) بمعنى (اعلم) من أفعال اليقين ينصب المفعولين ، وقد سدت « أن واسمها وخبرها » مسدهما فى قوله (أن للصيد غرة) .

(١) يقول : كنت تزعم أن هواها هدى ، وكثيرا ما يكذب الزعم ، لقد هجرتك ، والهجر عذاب تذوقه الآن .

الشاهد : (تزعم أنه رشاد) فإن الفعل (تزعم) ينصب مفعولين ، وقد سدت مسدهما « أن واسمها وخبرها » فى (أنه رشاد) .

الإعمال والإلغاء والتعليق :

هذه المصطلحات الثلاثة خاصة بأفعال القلوب المتصرفة ولا شأن لها بأفعال التصيير ولا بأفعال القلوب غير المتصرفة (هبْ - تعلَّمْ) فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

وجدْتُ الخبرَ صادقًا	} إعمال
الخبرُ - وجدتُ - صادقٌ	} إلغاء
والإشاعةُ كاذبةٌ علمتُ	}
ما يدرى القاضى أحكْمُه صوابٌ أم خطأ ؟ لكنه مجتهد	}
ولا يعلم الإنسانُ ما العاقبةُ عند الله ؟ لكنه يعمل	} تعليق

الإعمال : معناه وجوب نصب المفعولين ، ويكون ذلك إذا تقدمت هذه الأفعال على المفعولين جميعا ، كالمثال السابق (وجدت الخبر صادقا) .

الإلغاء : معناه إلغاء نصب المفعولين لفظا وتقديرا : فتعود الجملة مرة ثانية إلى باب المبتدأ والخبر - ويكون ذلك إذا توسطت هذه الأفعال بين المفعولين أو تأخرت عنهما ، كالمثالين السابقين (الخبرُ - وجدت - صادقٌ) و(الإشاعةُ كاذبةٌ علمتُ) - ومن شواهدُ التوسط قول منازل بن ربيعة :

أبا الأراجيز يا ابن اللُّؤم تُوعدُنى
وفى الأراجير - خلْتُ - اللؤمُ والخَورُ [١]

ومن شواهد التأخير قول الشاعر :

القومُ فى أثَرى ظننتُ فإن يكنْ ... ما قد ظننتُ فقد ظفرتُ وخابُوا [٢]

---

(١) الأراجيز : جمع أرجوزة ، وهى المنظومة من بحر الرجز - توعدنى : تهددنى - الخور : الضعف .

يسطر ممن هدده بشعر من بحر الرجز ، مقررًا أن الرجز صنعة اللؤم والضعف .

الشاهد : فى الشطر الثانى (فى الأراجيز - خلت - اللؤم والخور) حيث توسطت (خلت) بين المفعولين ، فعادت الجملة إلى باب المبتدأ والخبر ، لأن الفعل قد ألغى بالتوسط ، والجملة فى الأصل هى (فى الأراجيز اللؤم والخور) .

(٢) الشاهد : فى (القوم فى أثرى ظننت) فقد جاء الفعل (ظننت) متأخرًا عن المفعولين ، فألغى ، وعادت جملة (القوم فى أثرى) إلى باب المبتدأ والخبر .

ومن ذلك أيضا قول أبى أسيدة الدّبيرى يشكو رئيسىْ قبيلته اللذين يستأثران بالغنى ولا يفيدان القبيلة خيرًا ، وأنهما بهذا الغنى يتسلطان ويسودان :

وإنّ لنا شيخين لا ينفعاننا غنيّين لا يُجدى علينا غناهما
هما سيّدانا يزعُمان وإنّما يسودانِنَا إنْ أيسرَتْ غَنَمَاهما (١)

وهنا ينبغى التنبه إلى أن الإلغاء - مع التوسط والتأخير - جائز لا واجب إذ يصح الإعمال ، فتقول : (الخبرَ وجدتُ صادقًا) أو (الخبرَ صادقا وجدتُ) .

التعليق : معناه إبطال العمل فى اللفظ دون التقدير - ويكون ذلك إذا اعترض بين هذه الأفعال وبين المفعولين ما له صدارة الكلام - حينئذ يمتنع تأثيرها لفظًا ، ويبقى تأثيرها فى التقدير أو المحل - وهذا غريب !!

ومن أهم الأمور التى تعترض بين هذه الأفعال والجملة بعدها ، فتؤدى إلى التعليق - بمعناه السابق - ما يتلخص فى الآتى :

(أ) **أدوات الاستفهام** ، سواء أكانت حروفًا أم أسماء ، كقول الله تعالى عن أهل الكهف : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ [الآية ١٢ من سورة الكهف] . وقوله : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء] .

(ب) **حروف النفى** (ما - لا - إنْ) كقولنا فى النصح : (أعلمُ ما الكذبُ أسلوبُ الأقوياء) وكذلك (أظنُّ لا الكذبُ مفيدٌ مرتكبَه ولا النّفاق) .

(جـ) **لام الابتداء الداخلة على المبتدأ** - كقولنا : (أعلمُ لَلحريةُ فى حاجةٍ إلى مستوًى راقٍ من النّفوس) .

(د) **لام القسم** - أى اللام التى تأتى فى جواب القسم - كقول لبيد :

ولقد علمتُ لَتأتيَن منيّتى إنّ المنايا لا تطيشُ سهامُها (٢)

---

(١) الشاهد : فى البيت الثانى (هما سيدانا يزعمان) حيث تأخر الفعل (يزعم) عن المفعولين فألغى ، وعادت جملة (هما سيدانا) إلى المبتدأ والخبر .

(٢) المنايا : جمع « منية » وهى الموت - لا تطيش سهامها : لا تخطئ والمقصود : أن الموت لا بد منه .

الشاهد : فى (علمت لتأتين منيتى) فإن الفعل (علمت) معلق عن العمل بواسطة لام القسم فى (لتأتين منيتى) فإن اللام الواقعة فى أول هذه الجملة تسمى « لام جواب القسم » وأصل الكلام (والله لتأتين منيتى) .

قال أصحاب صناعة النحو : والدليل على أن هذه الأفعال المعلّقة عاملة فى التقدير أنه يعطف على الجملة بعدها بالنصب ، ولولا أنها منصوبة تقديرا ما صح هذا العطف ، وذلك كقول كثير عزّة :

وما كنت أدْرِى قبلَ عزّةَ ما البُكا ؟؟ ولا مُوجِعاتِ القلبِ حتّى تولَّتِ (١)

فجملة (ما البكا) مكونة من مبتدأ وخبر فى محل نصب بالفعل المعلّق (أدرى) وكلمة (موجعات) معطوفة عليها ، وهى منصوبة بالكسرة .

ومن الطريف أن يذكر هنا ما قاله « ابن هشام » تعليقا على هذا المصطلح الأخير - التعليق - قال : « سمّى ذلك تعليقا ، لأن العامل ملغى فى اللفظ وعامل فى المحل فهو عامل لا عامل ؛ فسمى معلّقا أخذًا من المرأة المعلقة - التى أساء إليها زوجها فأهملها دون أن يطلقها ، فلا هى مزوّجة ولا هى مطلقة - ولهذا قال ابن الخشاب - أحد النحاة : لقد أجاد أهل هذه الصناعة فى وضع هذا اللقب لهذا المعنى » . ا.هـ .

هذا ، وقد أشكل على هذه المصطلحات السابقة البيتان الآتيان :

• قول زهير بن أبى سلمى :

أرجو وآمُلُ أن تدنو مَوَدَّتُها وما إخَالُ لدينا منكِ تَنويلُ (٢)

فقد وردت جملة (لدينا منك تنويلُ) هكذا بالرفع ، دون وجود ما يقتضى الإلغاء أو التعليق للفعل (إخَال) .

• قول الشاعر :

كذاكَ أُدِّبْتُ حتى صار من خُلُقى أنّى وَجَدْتُ مِلاكُ الشّيمةِ الأدبُ (٣)

---

(١) دلت كلمة (موجعات) على أن الفعل المعلق عامل فى المحل لا فى اللفظ فهى معطوفة على الجملة المعلق عنها الفعل وهى (ما البكا) ولولا أن هذه الجملة فى محل نصب ، ما نصبت كلمة (موجعات) .

(٢) رجاء بلا تحقق .. إنه يرجو قرب مودتها ، لكنها لا تنيله ذلك - هكذا يظن .
الشاهد : فى الشطر الثانى (ما إخال لدينا منك تنويل) حيث وردت الجملة بعد الفعل (إخال) مرفوعة ؛ ليس هناك ما يستوجب الإلغاء أو التعليق - والرد أن هذه الجملة فى موضع المفعول الثانى ، والمفعول الأول ضمير الشأن محذوف ، أو أن الجملة معلقة بلام ابتداء محذوفة .

(٣) الشيمة : الطبيعة والجبلة .

=

فقد وردت جملة (ملاكُ الشيمة الأدبُ) هكذا بالرفع ، دون وجود ما يقتضى الإلغاء أو التعليق للفعل (وجد) .

وقد خضع هذان البيتان لتخريج الصنعة النحوية كما يلى :

أولا : أن ذلك أسلوب إعمال : والمفعول الأول ضمير الشأن محذوف والجملة الاسمية المذكورة فى محل نصب هى « المفعول الثانى » وتقدير الكلام (وما إخاله لدينا منك تنويل) و(وجدتُه ملاكُ الشّيمة الأدبُ) .

ثانيا : أن ذلك أسلوب تعليق : والمعلّق محذوف وهو « لام الابتداء » والجملة فى محلِ نصب بالفعل قبلها ، وتقدير الكلام (وما إخال لَدينا منك تنويل) و(وجدت لَمِلاكُ الشيمة الأدبُ) .

إجراء القول مجرى الظن :

الأصل فى مادة (ق . و . ل) أى (قال - يقول - قُلْ - قَوْل - قائل ... إلخ) أنها تدل على الحديث بشيء مفيد ذكره القائل ، وهذا الحديث المفيد أقله جملة ، سواء أكانت اسمية أم فعلية .

من أجل ذلك تفرد القول بصيغه المختلفة فى النحو بحكم خاص هو أن مفعوله لا بد أن يكون جملة ، ويطلق عليها نحويًا (مَقُول القول) وربما جاء جملا متعددة ، ويطلق عليها جميعا أنها (مقول القول) أيضا ، مثل (ممّا قاله الرسول ﷺ : الحلالُ بيّنٌ والحرامُ بيّنٌ) ومثل (مما قاله أنس خادمه : خدمتُ النّبى ﷺ عشر سنين فما قال لى أفٍّ قط) .

هذا هو الأصل ، لكن يخرج عن هذا الأصل استعمال خاص لهذه المادة حين تستعمل بمعنى « الظن » ، وبعبارة أوضح : حين تخرج عن معناها الأصلى الكثير الاستعمال الذى يعود إلى اللسان وهو « التحدث » إلى معنى آخر يعود إلى القلب وهو « الظن » كما تسأل صديقك (أتقولُ العربَ مُتّحدين بعد فُرْقَة ؟؟) ومعناه - كما هو واضح - (أتظن العربَ متّحدين بعد فرقة ؟) .

= الشاهد : فى الشطر الثانى (وجدت ملاك الشيمة الأدب) فقد جاءت الجملة بعد الفعل (وجدت) مرفوعة بدون إلغاء ولا تعليق - والرد مثل ما قيل عن البيت السابق مباشرة .

ويبدو أن استعمالها فى هذا المعنى الأخير إنما جاءها عن طريق ما يسمى (التضمين) وهو أن تحمل كلمة معنى كلمة أخرى ، فتعامل معاملة تلك الكلمة الأخرى نحويا .

على كلٍّ ، إذا جاء القول بمعنى الظن ، فقد استعمل فى اللغة - مع جملته - كما يلى :

أولا : أن يعامل باعتبار الأصل ، فتكون الجملة بعده فى محل نصب « مقول القول » كقولنا فى المثال السابق : (أتقولُ : العربُ متَّحدون بعد فُرْقة ؟؟) .

ثانيا : يجوز إلى جوار الوجه السابق أن يعامل باعتبار معناه الذى طرأ عليه وهو « الظن » ، فينصب المبتدأ والخبر بعده مفعولين ، وذلك على التفصيل التالى :

(أ) قبيلة بنى سُليم : روى عنها نطق المفعولين منصوبين مطلقا ، ومعنى الإطلاق أنه لا شروط فى صيغة القول نفسها ولا فى الجملة التى ترد فيها فما دامت بمعنى « الظن » فإنه يصح نصب المفعولين ، فعلى لغتهم يقال : (قُلتُ الجوَّ دائما فإذا به باردٌ) ويقال : (قلْ الخيرَ فى جانب الله) .

(ب) معظم قبائل العرب : لا ينصب فى نطقها المبتدأ والخبر إلا فى جملة اجتمع لها صفات أربع تجمعها العبارة التالية : (أن يكون القول فعلا مضارعا للمخاطب ، تقدم عليه استفهام ، ولا فاصل بينه وبين الفعل إلا الظرف أو الجار والمجرور) .

فإذا استوفى هذه الشروط وصح فيه نصب المفعولين بالإضافة إلى اعتبار الأصل ، وإلاَّ فإنه يجب اعتبار الأصل فقط ، ومن شواهد ذلك ما يلى :

● قول هدبة بن خشرم العذرى :

متى تقولُ القُلُصَ الرَّوَاسِمَا يُدْنِينَ أمَّ قاسمٍ وقاسما (١)

وهذا مستوف الشروط الأربعة .

---

(١) القلص : الإبل الشابة - الرواسم : السريعة السير .

الشاهد : إجراء القول مجرى الظن فى (تقول القلص الرواسما يدنين أم قاسم وقاسما) وقد استوفى الشروط ، فنصب مفعولين ، أولهما (القلص) وثانيهما الجملة الفعلية (يدنين) .

● قول الشاعر :

أبعْدَ بُعْدٍ تقولُ الدّارَ جامعةً شمْلِي بهم أم تقولُ البُعْدَ محتوما [١]

والشطر الأول مستوفٍ الشروط - مع الفصل بالظرف - والشطر الثانى مستوف الشروط تمامًا .

• • •

(١) أجرى فى هذا البيت القول مجرى الظن فى الشطر الأول (أبعد بعد تقول الدار جامعة) وقد استوفى الفعل الشروط ، فنصب المفعولين ، الأول (الدار) والثانى (جامعة) مع أنه فصل بين الفعل والاستفهام بالظرف (بعد) .

أعلم وأرى وأخواتهما

هذا الباب الأخير من النواسخ يقوم على فكرتين هما :

الأولى : أن الأفعال في اللغة العربية تستعمل معها همزة تسمى « همزة التعدية » وهي تأتي في أول الأفعال الثلاثية قياسا ، وفائدتها النحوية أن الفعل معها يزاد مفعولا به ، ومعنى ذلك أنه إذا كان لازما ، تعدّى لواحد ، وإن كان متعديا لواحد تعدى لاثنين ، وإن كان متعديا لاثنين تعدى لثلاثة ، فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

نام الطفلُ في فراشه	} أنامتْ الأمُّ الطفلَ في فراشه
لبِس الصغيرُ ملابسَه	} ألبستْ الأمُّ الصّغيرَ ملابسَه
عَلِمَ الطفلُ الوقتَ متأخرا	} أعلمتْ الأمُّ الطفلَ الوقتَ متأخرا

الثانية : ما سبقت الإشارة إليه من أن الفعل إذا ضُمِّن معنى فعل آخر فإنه يعامل نحويا معاملته .

إذا عرف ذلك ، فإنه بمقتضى الفكرة الأولى ، فإن الفعلين (علم – رأى) اللذين ينصبان المفعولين اللذين أصلهما المبتدأ والخبر إذا دخلت عليهما همزة التعدية فصارا (أرى – أعلم) بمعنى (أريته الشيء وأعلمته به) أي (جعلته يراه ويعلمه) زاد كل منهما مفعولا ، فصار المنصوب بعدهما ثلاثة مفاعيل ، تقول : (أعلمتُ الأمِّيَّ القراءةَ مُفيدةً) وتقول : (أريتُ الجاحدَ الله حقًّا) .

وبمقتضى الفكرة الثانية – التضمين – فإن هناك أفعالا خمسة تحمل معنى (أعلمه الشيء وأراه له) وهي (أَنبَأ – نَبّأ – أَخبَرَ – خَبَّرَ – حَدَّثَ) وينصب بعدها أيضًا ثلاثة مفاعيل ، تقول : (أنبأتُ الأهلَ النجاحَ رائعا) وتقول : (خبَّرتُ الإذاعةُ الناسَ الحفلَ مؤجَّلا) .

وخلاصة الأمر في هذا الموضوع : أن الأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل – الثاني والثالث أصلهما المبتدأ والخبر – سبعة أفعال هي : (أَعْلَمَ – أَرَى – أَنْبَأَ – نَبَّأَ – أَخْبَرَ – خَبَّرَ – حَدَّثَ) .

ومن شواهد هذه الأفعال ما يلى :

● قول الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [الآية ١٦٧ من سورة البقرة] .

● قول العوام بن عقبة بن كعب بن زهير :

وخُبِّرتُ سوداءَ الغَمِيمِ مريضةً ... فأقبلتُ من أهلى بمصر أعودُها
فيا ليت شعرى هل تغيَّر بعدنا ... ملاحةُ عينَىْ أمِّ يحيى وجيدُها
وهل أخلقتْ أثوابُها بعد جِدَّةٍ ... ألا حبّذا أخلاقُها وجديدُها
ولم يبق يا سوداءُ شىءٌ أُحِبُّهُ ... وإنْ بقيتْ أعلامُ أرضٍ وبِيدُها (١)

• • •

(١) الشاهد : الشطر الأول من البيت الأول (خبرت سوداء الغميم مريضة) فإن الفعل (خبر) نصب بعده ثلاثة مفاعيل ، أولهما ما صار « نائب الفاعل » وهو التاء ، والثانى (سوداء الغميم) والثالث (مريضة) .

تدريبات

(١)

قال عنترة [١] :

ولقد أبيتُ على الطَّوَى وأظَلُّه … حتّى أنالَ به كريم المأْكَلِ
وإذا الكَتِيبةُ أحجمت وتلاحظت … أُلْفِيتُ خيرًا من مُعَمٍّ مُخْوَلِ
والخيل تعلم والفوارس أنّنى … فَرَّقْتُ جمعهم بطعنة فَيْصَلِ
بَكَرَتْ تخوِّفُنى الحُتُوفَ كأنّنى … أصبحت عن غرض الحتوفِ بمعزِلِ
فأجبتها : إن المنيةَ منهل … لا بد أن أُسقى بكأس المنهلِ
فاقْنَىْ حياءك لا أبا لَكِ واعلمى … أنىّ امرؤ سأموت إن لم أُقتلِ
إن المنية لو تُمَثَّل مثّلت … مثلى إذا نزلوا بضَنْكِ المنزِلِ
والخيل ساهمة الوجوه كأنما … تُسقى فوارسُها نقيعَ الحنظَلِ
وإذا حُمِلتُ على الكريهة لم أقل … بعد الكريهة : ليتنى لم أفعلِ

* * *

١ - (أبيت على الطوى) هل تعرف صيغة أخرى لمضارع (بات) اذكرها وبين فى الجملة اسم الفعل الناسخ وخبره .

٢ - (أظله) طبق على هذه الجملة ما درسته من قاعدة اتصال الضمير وانفصاله فى باب الضمير .

٣ - (ألفيتُ خيرا من معم مخول) لأى أبواب النواسخ تنسب هذه الجملة ؟ طبق ما تذكره على الجملة نفسها .

٤ - (بكرت تخوفنى الحتوف) انسب هذه الجملة لأحد أقسام (كاد وأخواتها) ثم حلّلها تفصيلا .

٥ - (أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل) ما نوع خبر أصبح فى هذه الجملة ، مفردًا أو شبه جملة !! أيد ما تقول نحويا .

---

(١) ديوان عنترة - طبع بيروت سنة ١٩٥٨ - والأبيات واردة بالترتيب غير بيتين بعد البيت الثالث .

٦ - (لا بد أن أسقى بكأس المنهل) أسلوب متكامل « للا : النافية للجنس » حدد فيه الاسم والخبر ونوع كل منهما .

٧ - من العبارات التى استخدمت فى الشتم قديما (لا أبا لك) وجّه إعرابها باعتبار (لا) نافية للجنس .

٨ - (الخيل ساهمة الوجوه) أدخل هذه الجملة فى أسلوبين أحدهما للإلغاء والآخر للتعليق ، ثم أعرب الجملتين .

٩ - أين مقول القول فى البيت الأخير !! اذكر الموقع النحوى لجملة القول كلها ، والموقع النحوى لمقول القول وحده .

(٢)

قال قيس بن رفاعة يتهدد [(١)] :

من يصلَ نارى بلا ذنبٍ ولا تِرَةٍ ... يصلَ بنار كريم غيرِ غدّارِ
أنا النذيرُ لكم منى مجاهرةً ... كى لا أُلامَ على نهيٍ وإنذارِ
فإن عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا ... أنْ سوف تلقَوْن خِزْيًا ظاهرَ العارِ
لترجعُن أحاديثًا ملعَّنةً ... لَهْوَ المقيم ولهوَ المدلج السّارى
من كان فى نفسه حَوْجَاءُ يطلبها ... عندى ، فإنى له رهن بإصْحارِ
أقيم عَوْجَته إن كان ذا عِوَجٍ ... يُقَوِّمُ قِدْحَ النَّبْعَةِ البارى
وصاحب الوِتْرِ ليس الدهرَ مُدركَه ... عندى ، وإنّى لدرّاكٌ بأوتارِ

• • •

١ - فى البيت الأول كلمة (من) اسم شرط مبتدأ ، فأين خبره ؟ وما حكم الترتيب بين هذا المبتدأ وخبره ؟

٢ - (بلا ذنب ولا ترة) لماذا تعتبر « لا » غير نافية للجنس ؟؟ وما نوعها إذن ؟؟

---

(١) الأمالى جـ ١ ص ١١ - ١٢ .

مفردات النص كله :

المدلج : السائر من أول الليل - حوجاء : حاجة - العوج : بكسر العين يستعمل غالبا فى الالتواء فى الأمور المعنوية - قدح : سهم - النبعة : شجرة تؤخذ منها السهام - الوتر : الثأر - الإصحار : الصحراء والعراء .

٣ - (اعترفوا أنْ سوف تلقون خزيًا) هذا أسلوب « أنْ » المخففة من الثقيلة ، فحدد سماته عمليا من هذه العبارة ، ثم أعربها كلها .

٤ - (لترجعُنّ أحاديثا ملعنة) انسب هذه الجملة إلى باب « كان وأخواتها » ثم أعربها بالتفصيل .

٥ - بين اسم كان وخبرها فى الجملتين (كان فى نفسه حوجاء - كان دا عوج) ثم اشرح الترتيب فى الجملتين ، وحكمه من حيث الجواز والوجوب .

٦ - أين خبر الكلمات الآتية فى البيت الأخير (صاحب الوتر - ليس - إنّ) بين بعد ذلك نوعه من حيث المفرد والجملة .

٧ - الكلمات (غير غدار - لهو المقيم - مجاهرة - اليوم - الدهر) أعربها كما وردت فى النص ملتزما فى الإعراب الوظيفة والشكل .

٨ - لماذا وردت كلمة (قيس) فى التقديم للنص ممنوعة من الصرف وهى أصلا منصرفة ؟ ولماذا وردت كلمة (أحاديثا) مصروفة وهى أصلا ممنوعة من الصرف ؟؟

٩ - زِنْ الكلمات الآتية (ترة - ألام - مقال - أقيم - تلقَون) ملتزما فى الميزان نطقها فى النص .

(٣)

نسبت الأبيات الآتية إلى أحد الأعراب الذين قدموا من البادية وعاشوا فى بغداد فى العصر العباسى الأول ، واسمه « أبو العميثل »[1] وهى :

كنتُ مشغوفًا بكم إذ كنتم ... دوحةً لا يَبلغ الطيرُ ذُرَاها
وإذا مُدّتْ إلى أغصانها ... كفُّ جانٍ قُطِعت دونَ جنَاها
فتراخى الأمر حتى أصبحتْ ... هَمَلاً يطمع فيها من يراها
لا يرانى الله أرعى روضةً ... سهلة الأكناف من شاء رعاها
لا تظنّوا بى إليكم رجعة ... كشف التّجريبُ عن عينى عماها

(١) هذه الأبيات منسوبة للشاعر محمد بن يوسف البحرانى موفق الدين الاربلى ، توفى سنة ٥٨٥ هـ . انظرها فى ترجمته فى كتاب وفيات الأعيان ، وترجمته فى مرآة الجنان لليافعى .

وصبابات الهوى أوّلها طمعُ النَّفس ، وهذا منتهاها

• • •

١ - الجملة الفعلية (لا يبلغ الطير ذراها) صفة لكلمة (دوحة) - أما الجملة الفعلية (يطمع فيها من يراها) فليست صفة لكلمة (هملا) بل هي من « تعدد الخبر » قدم الأدلة النحوية على هذا التوجيه للجملتين .

٢ - في البيتين الرابع والخامس فعلان ناسخان ينصبان المبتدأ والخبر مفعولين ، حددهما ، وحدد مفعولَي كل منهما .

٣ - في البيت الأخير ثلاث كلمات تعرب مبتدأ هي على التوالي (صبابات أولها - هذا) اذكر خبر كل منها .

٤ - من أي أنواع الأسماء المعتلة الكلمات (ذراها - جناها - عماها - منتهاها) زنها صرفيًا ، ثم اذكر ما يقدر على كل منها من حركات الإعراب كما جاءت في سياق النص .

٥ - كلمة (جانٍ) حللها صرفيا ، وبناء على هذا التحليل أعربها كما وردت في جملتها الشرطية .

(٤)

قال القاضي عبد العزيز الجرجاني عن « العلم » وتكريمه [1] :

يقولون لي : فيك انقباضٌ وإنما رأوا رجلا عن موقف الذلّ أحْجَمَا
ومازلت منحازًا بعرضي جانبا من الذّم ، أعتدُّ الصّيانةَ مغنما
إذا قيل : هذا مشربٌ ، قلت قد رأى ولكنّ نفس الحر تحتمل الظّما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما بدا طمع ، صيّرته لي سلّما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأَخدم من لاقيتُ لكن لأُخدما
أأشقى به غرسا ، وأجنيه ذلة ؟ إذن فاتباعُ الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه ، صانهم ولو عظّموه في النفوس ، تعظّما
ولكن أذلّوه ، فهان ، ودنّسوا مُحيّاه بالأطماع حتى تجهّما

---

(١) يتيمة الدهر - الثعالبي - الجزء الرابع - ص ٢٢ .

١ - ما مسوّغ مجيء المبتدأ نكرة فى جملة (فيك انقباض) اذكر موقع ومحل هذه الجملة بالنسبة لما قبلها .

٢ - ما مسوّغ اعتبار (زال) من النواسخ فى جملة (مازلت منحازا) ورد لهذا الفعل ثلاث صيغ فى المضارع هى (يزال - يزيل - يزول) فأىّ هذه هو الناسخ ؟؟

٣ - (أعتدّ الصيانة مغنما) جاء فى بعض كتب اللغة : أعتدُّ وأُعِدّ بمعنى واحد - وجّه العبارة اللغوية توجيها نحويا بالتطبيق على الجملة السابقة .

٤ - جاء فى البيت الثالث الجمل (هذا مشرب - قد أرى - تحتمل الظما) اذكر موقعها الإعرابى ومحلها كما وردت فى سياق البيت .

٥ - (بدا طمع) أبدل بالفعل (بدا) الفعل (بدأ) وأكمل الجملة ، ثم وازن بين جملتى الفعلين معنى ونحوًا .

٦ - (صيرته لى سلّما) حدّد مفعولى (صير) فى هذه الجملة - استعمل فى موضع هذا الفعل فعلين آخرين مثله معنى ونحوا .

٧ - من أدوات الشرط الخاصة بالأفعال (لو) فما الوظيفة النحوية للمصدر المؤول بعدها فى جملة (لو أنَّ أهل العلم صانوه) .

٨ - الكلمات (جانبا - مهجتى - غرسا - ذلة - محياه) أعربها ملتزما الوظيفة والشكل - راجع سياقها كما وردت فى النص قبل الإعراب .

* * *

القسم الثالث

الجملة الفعلية

تشمل مباحثها ما يلى :

أولا : مباحثها الأصلية :

١ - إعراب الفعل المضارع (رفعا ونصبا وجزما)

٢ - الفاعل

٣ - نائب الفاعل

٤ - أساليب المدح والذم

٥ - المفاعيل الخمسة

(المفعول به - المفعول المطلق - المفعول فيه - المفعول لأجله - المفعول معه)

٦ - الحال

٧ - التمييز

٨ - أساليب الاستثناء

ثانيا : ما ألحق بالجملة الفعلية :

٩ - النداء على الأصل

١٠ - الاستغاثة

١١ - الندبة

١٢ - الترخيم

• • •

إعراب الفعل المضارع ·

تمهيد :

ينبغى - قبل الحديث عن إعراب المضارع - التنبّه للأمور التالية :

أولا : أن الجملة الفعلية تتكون فى صورتها المختصرة من (فعل وفاعل) أو من (فعل ونائب فاعل) ثم يليهما ما يطلق عليه فى النحو اسم (الفَضَلَات) ومن نماذج الجملة الفعلية ما يلى :

نامت المدينةُ وسهِر رجالُ الأمن .

يحافظُ رجالُ الشّرطة على حياة المواطنين .

فاحترمْ هؤلاء الرجال وقدّمْ لهم المعونة .

يلاحظ أن الفعل فى الجملة الفعلية يأتى ماضيا (نام - سهر) ، أو مضارعا مثل (يحافظ) ، أو أمرًا مثل (احترم - قدّم) ، فلماذا إذن يُهتمّ بدراسة المضارع وحده من بين الأفعال فى بداية الجملة الفعلية ؟؟

إن الفعل المضارع وحده هو المعرب ، إنه هو الذى يتغير مرة بالرفع ومرة بالنصب ومرة بالجزم ، إذ يشغل أحيانا وظيفة الرفع وأحيانا أخرى وظائف النصب وأحيانا وظائف الجزم ، فنقول :

تُورقُ الأشجارُ فى الربيع .

عنيتُ بالحديقة كى تُورقَ أشجارُها .

لكن ، لم تُورقْ منها شجرةٌ ضعيفةُ الجذور .

أما الفعل الماضى فهو مبنى وكذلك فعل الأمر ، فهما لا يتغيران فيكتفى معهما بما ذكر عنهما فى باب الإعراب والبناء من معرفة كيفية بناء آخرهما .

ثانيا : الفعل المضارع قد يأتى مبنيًا إذا اتصلت به إحدى النونين - النسوة والتوكيد - مثل (الفتياتُ فى الجامعة ينافِسْنَ الشُّبان على التفوق) ومثل (لترتفعَنّ سمعةُ بلادنا عاليةً فى كل مكان بفضل أبنائها المتعلمين) .

والذى ينبغى التنبه له أن المضارع المبنى وكذلك الفعل الماضى إذا جاء كل منهما فى موضع للنصب أو الجزم ، لم يكن منصوبا ولا مجزوما ، بل يكون فى محل نصب أو جزم ، تقول :

أهمّنى أنْ غِبْتَ فإن اعتذرتَ مرة أخرى فأخبرنا .

إنِ الفتيات العربيّات إن يتخلَّيْنَ عن أنوثتهنَّ يفقدْنَ كلَّ شىء .

فمن البين أن الفعل (غاب) فعل ماض جاء بعد (أن) فهو فى محل نصب وليس منصوبا ، والفعل (اعتذر) فعل ماض جاء بعد (إن) الجازمة فهو فى محل جزم وليس مجزوما ، والفعلان (يتخلين - يفقدن) جاءا فعلَى الشرط والجواب وهما مضارعان مبنيان ، فهما فى محل جزم ، وليسا مجزومين .. وهكذا .

أما الأمر ، فإنه لا يحل محل المضارع المعرب ، لكنه يأتى أحيانا فى جواب الشرط ، وحينئذ تكون الجملة كلها - لا الأمر وحده - فى محل جزم .

ثالثا : الفعل المضارع المعرب يأتى على الصور الآتية :

- يتقدم - يُنافس - يتعلم - يتحضّر } صحيح الآخر
- يبنى - يسمُو - يرقَى - يبقَى } معتل الآخر
- يتعاونون - تتزيّنين - يُتذاكران معا } الأفعال الخمسة

ولكل من هذه الثلاثة كيفية إعرابه - وقد سبق شرحها بالتفصيل فى باب الإعراب والبناء - فالصحيح الآخر يعرب بالحركات الأصلية رفعا ونصبا وجزما - والمعتل الآخر تقدر عليه الضمة دائما ، وتقدر الفتحة على المعتل بالألف فقط وتظهر على المعتل بالواو والياء ، ولكنه يجزم بحذف حرف العلة على ما تقدم شرحه - والأفعال الخمسة ترفع بثبوت النون وتنصب وتجزم بحذف النون (راجع باب الإعراب والبناء) .

رابعًا : أن المقصود بالدراسة هنا هو بيان الوظائف النحوية التى يأتى فيها المضارع المعرب رفعا ونصبا وجزما ، أى : متى يرفع ومتى ينصب ومتى يجزم ؟؟ - أما المبنى من المضارع والماضى فإنه يحل محله فى النصب والجزم فيكون مبنيا فى محل نصب أو جزم - كما سبق شرحه .

وعلى ذلك ، فإن الدراسة هنا تتناول الآتى :

١ - رفع الفعل المضارع

٢ - نصب الفعل المضارع

٣ - جزم الفعل المضارع

* * *

رفع الفعل المضارع

لاحظ الأمثلة التالية :

تصدرُ الصحفُ فى البلادِ الراقية كلَّ يوم

ويتوالى ظهورُها صباحا ومساء

والصّحفيون يتسابقون فى الحصول على الأنباء والتحقيقات

حيث ينشرون ذلك كلَّه للقارئ المتلهِّف

فى الأمثلة السابقة أفعال مضارعة مرفوعة هى على التوالى (تصدر - يتوالى - يتسابقون - ينشرون) ومن الواضح أن علامة الرفع تختلف من فعل لآخر ، فهى الضمة ظاهرة فى الأول ومقدرة فى الثانى ، وثبوت النون فى الفعلين الأخيرين .

والأفعال السابقة تجمعها كلها سمة واحدة - سواء أكانت فى أول الكلام أو وسطه أم آخره - هى : أنها لم يتقدم عليها أداة من أدوات النصب ولا أداة من أدوات الجزم ، ومن أجل هذا اشتهر بين المشتغلين بالنحو العبارة التالية : **(يرفع المضارع إذا تجرد من الناصب والجازم)** .

وقد خاضت كتب النحو - فيما يختص بالمضارع المرفوع - فى أمرين نشير إليهما باختصار لبيان الرأى فيهما :

الأول : لماذا أعرب المضارع ؟!

وهذه نقطة خلاف بين الكوفيين والبصريين .

فالكوفيون : من رأيهم أن الفعل المضارع يتغير ، فهو معرب لهذا كما تعرب الأسماء .

والبصريون : يرون أن الإعراب فى الفعل إنما هو للمشابهة بينه وبين الأسماء المعربة ، ومن أهم وجوه المشابهة - فى حديث طويل - ما يلى :

(١) أنه يشغل وظائف الاسم فيأتى « خبرا وصفة وحالا » مثل (العلْمُ يُفيدُ) موضع (الْعلْمُ مُفيدٌ) .

(٢) أنه يتغَير من رفع لنصب لجزم - كما يتغير الاسم أيضا من رفع لنصب لجر .

(٣) أن الفعِل المضارع يماثل اسم الفاعل فى حركاته وسكناته ، فالكلمات (يُكرم - يُفهِم - يتقدّم) = (مُكرم - مُفهم - متقدِّم) فى حركاتها وسكناتها .

ومن البين أن هذه التعلاّت كلها وغيرها لا معنى لها ، وأن الفعل المضارع ورد فى اللغة معربا - كما اتفق على ذلك النحاة - وهذا يكفى ، أما لماذا أعرب ؟؟ فالإجابة عنه لا تفيد شيئًا .

الثانى : لماذا رفع الفعل المضارع ؟!

لا بد - فى رأى النحاة - من عامل يرفع المضارع ، وهذا العامل تفرق حوله الرأى كما يلى :

(أ) أن العامل هو التجرد من الناصب والجازم ، وهو عامل معنوى مثل (يميِّزُ الذكىُّ بين النافع والضار) .

(ب) ورأى آخر : أن العامل هو أنه يأتى فى موضع الاسم المرفوع مثل (الذّكىُّ يُمَيِّزُ بين النافع والضار) تساوى (الذكىُّ مُمَيِّزٌ بين النافع والضار) .

(ج) ورأى ثالث : أن الذى رفع المضارع هو حروف المضارعة ، أى (الهمزة والتاء والنون والياء) التى تأتى فى أول المضارع ، مثل (أقرأ - تقرأ - نقرأ - يقرأ) وهذا كلام غريب !!

(د) ورأى رابع : أن الذى اقتضى رفع المضارع هو مشابهته لاسم الفاعل - وقد تقدم ذلك .

ومن البين - بعد عرض هذه الآراء باختصار - أن هذا الكلام كله دعا إليه البحث عن العامل ، وهو بحث لا علاقة له باللغة ، فهو جهد ذهنى مشكور لكنه غير مفيد ، والمفيد حقا أن يقال : (يرفع المضارع إذا ورد فى الجملة ولم يسبقه ناصب أو جازم) .

لكن ، قد وردت شواهد فى اللغة لا تتفق مع ذلك - وإليك هذه الشواهد وما قيل عنها :

• ما ينسب لأبى طالب – عم النبى ﷺ – من قوله يخاطب النبى ﷺ :

محمدُ تَفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ إذا ما خفْتَ من شيءٍ تَبَالاً (١)

فالفعل (تَفْدِ) حذف منه حرف العلة مع أنه متجرد من الناصب والجازم فلم يرفع .

• قول امرئ القيس :

فاليومَ أشربْ غير مُسْتَحْقِبٍ إثماً من الله ولا وَاغِلِ (٢)

فالفعل (أشرب) مجزوم الآخر مع أنه متجرد من الناصب والجازم .

وقد حاول النحاة – كعادتهم – أن يخضعوا هذين البيتين للقاعدة السابقة قالوا : إن (تفدِ) مجزوم بحرف الطلب المقدر ، والتقدير (لتفدِ) واللام حرف جزم ، وأن (أشرب) حذفت منه الضمة للضرورة ، والأصل (أشربُ) أو أن الأصل فى البيت هو (أسقى) ولكن غيّره الرواة أو النحاة – وكثيرًا ما يفعلون ذلك .

والحق أن ذلك كله لا يفسره غير لغة الشعر الخاصة ، فقد حذفت الياء من الفعل (تفدِ) من أجل الوزن ، وأن الفعل (أشربْ) سكن أيضا لوزن البيت ، وللشعر أحكامه .

• • •

---

(١) التبال : الوبال ، ومعناهما : الهلاك والدمار .

الشاهد : أن الفعل (تفد) لم يرفع مع أنه متجرد من الناصب والجازم فقد ورد فى صورة المجزوم بحذف حرف العلة ، وأصله (تفدى) – وقد خرجه النحاة على أنه مجزوم بلام طلب محذوفة ، والتقدير (لتفد) – والرأى أن هذا يفسره لغة الشعر الخاصة .

(٢) مستحقب : مكتسب – واغل : المتطفل على الشاربين دون دعوة .

يقول : أشرب اليوم من غير إحساس بالإثم أو شعور بالمهانة .

الشاهد : فى (أشرب) حيث لم يرفع ، مع أنه متجرد من الناصب والجازم ، فقد ورد ساكن الباء – وقد خرجه النحاة على ضرورة الشعر ، أو أصله (أسقى) فغيره الرواة أو النحاة – والرأى أن هذا يفسره لغة الشعر الخاصة .

نصب الفعل المضارع

١ - الحروف الأصلية لنصب المضارع (أَن - لَنْ - إذَن - كَيْ) .

٢ - ينصب المضارع « بأنْ » مضمرة وجوبا بعد الحروف الخمسة الآتية :
(أ) حرفان للجر هما (لام الجحود - حتى) .
(ب) ثلاثة حروف للعطف هي (أو - فاء السببيّة - واو المعيّة) .

٣ - ينصب المضارع « بأنْ » مضمرة جوازا في الجملة التى يتحقق فيها ما يلى :
(أ) وقوع الفعل بعد أحد حروف العطف الأربعة (الواو - الفاء - ثمّ - أوْ) .
(ب) أن يسبق حرف العطف فى الجملة باسم محض (المصدر غالبا) .

٤ - ينصب المضارع « بأنْ » مضمرة شذوذا فى غير ما سبق مما سمع عن العرب .

• • •

الحروف الأصلية لنصب المضارع :

الحرف الأول « أنْ » :

لاحظ الأمثلة التالية :

أرسلتُ إليه خطابا أنْ احضر	} مفسّرة
بلغ القائدُ إشارةً أن أطلقُوا الرّصاص	}
لمّا أنْ نادانى الواجبُ أَجَبْت	} زائدة
وأقسمُ أنْ لو طُلبتْ نفسى لقدّمتُها راضيا	}
علمتُ أنْ ستسافرُ اليوم	}
وكنت أظن أنْ ستبقَى معنا أياما	} مخففة من الثقيلة
من الضّارّ أنْ تُعَاشِرَ متبلّدَ الإحساس	} مصدرية
ومن المفيد أنْ تُصاحبَ الذّكىّ اليقظِ	}

تستعمل (أنْ) فى اللغة العربية استعمالات أربعة بحسب الجملة التى ترد فيها .

الاستعمال الأول : المفسِّرة :

وهذه لا تنصب المضارع ، وإنما تكون مثل الحرف (أىْ) تماما ، فهى حرف تفسير لا موضع له من الإعراب .

وتأتى (أنْ) مفسرة إذا جاءت فى الكلام بعد « ما فيه معنى القول دون حروفه » مثل (أرسل - أوحى - أشار - كتب - عرّف) تقول : (كتبتُ إلى صديقى أنْ سأزوره قريبا ، وعرّفته أنْ سأمكثُ أياما معه) .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الآية ٢٧ من سورة المؤمنون] .

الاستعمال الثانى : الزائدة :

وهى تلك التى تقع حشوا فى الكلام ، ولا يختل الكلام مع حذفها وإن كانت تفيد توكيده ، وهذه لا شأن لها بنصب المضارع ، وإنما هى حرف زائد لا محل له من الإعراب .

وتأتى زائدة فى المواضع التالية :

١ - إذا جاءت بعد (لمّا - الحينيّة) كقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ [الآية ٩٦ من سورة يوسف] .

٢ - إذا جاءت بين القسم وأداة الشرط (لو) مثل (أحلفُ بالله أن لو غضبتُ ما ظَلَمْتُ) ومن ذلك قول المسيب بن علس :

فأقسمُ أن لو التقينا وأنتمُ لكان لكم يومٌ من الشرِّ مُظْلِمُ (١)

٣ - أن تقع بين حرف الجر (الكاف) ومجرورها ، تقول : (بدا السرابُ فى الصحراء كأنْ سحابٍ) .

---

(١) الشاهد فى الشطر الأول (أقسم أن لو التقينا) فإن الحرف (أن) زائد بين القسم وأداة الشرط (لو) .

الاستعمال الثالث : المخفّفة من الثقيلة :

معنى « المخففة من الثقيلة » أن أصلها (أنّ) الناسخة التى تنصب الاسم وترفع الخبر ولكن خففت نونها فأصبحت نونا واحدة ساكنة .

وتكون (أنْ) مخففة من الثقيلة إذا سبقها فى الكلام ما يفيد اليقين أو الظن فيأتى الفعل بعدها مرفوعا ، ويفصل منها بأحد الحروف التالية (السين - سوف - النفى - قد - لو) [١] تقول : (علمتُ أنْ ستبذلُ غايةَ جهدك بعد ما ظننتُ أنْ لا تقدّرُ مسئوليتك) ومن ذلك قول الله تعالى :

- ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ [الآية ٢٠ من سورة المزمل] .
- ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ ﴾ [الآية ٧١ من سورة المائدة] - فى قراءة رفع تكون .

قال ابن هشام عن الواقعة بعد الظن : « يجوز أن تكون مخففة من الثقيلة فيكون حكمها - كما ذكرنا - ويجوز أن تكون ناصبة وهو الأرجح فى القياس والأكثر فى كلامهم ، ولهذا أجمعوا على النصب فى قوله تعالـى : ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ ﴾ واختلفوا فى قوله تعالى : ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ فقرئ بالوجهين » . أ.هـ .

ومعنى ذلك باختصار : أنّ (أنْ) الواقعة بعد اليقين مخففة من الثقيلة دون توجيه آخر ، أما الواقعة بعد الظن فيصح أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون ناصبة للمضارع - وستأتى .

الاستعمال الرابع : المصدرية الناصبة للمضارع :

وهى غير ما سبق من استعمالات (أنْ) الثلاثة .

- يقول أحد الشعراء المعاصرين :

أريدُ أنْ أعشَقَ أنْ ألمسَ الأعماقَ أن ألمسَ أعماقى

أن أعبدَ الله كما لم أكن أعبدُه فى عمرى الباقى

---

(١) راجع باب « إن وأخواتها » فى موضوع « تخفيف نونها » .

بى ظمأٌ ، بى ظمأٌ قاتلٌ ، فأين يَنبوعُك يا ساقى (١)

ويقال عنها فى الإعراب : (حرف مصدرى ونصب) فهى حرف مصدرى تؤول مع ما بعدها بمصدر يشغل الوظائف النحوية المختلفة - وهى حرف نصب لأنها تنصب الفعل المضارع .

لكن ورد من الشعر المجهول القائل :

يا صاحبىَّ فَدَتْ نفسى نفوسَكما ... وحيثما كنتُما ، لاقيتُما رشَدا
إن تَقْضِيَا حاجةً لى خفَّ محملُها ... تَسْتَوْجِبا مِنَّةً عندى لها ويدا
أن تقرآن على أسماءَ ويحكُما ... منّى السّلامَ وأن لا تُشعرا أحَدا (٢)

وقد أثار البيت الأخير مناقشات حادة ، إذ جاء الفعل (تقرآن) مرفوعا بعد (أنْ) وهذا ما دعا إلى القول بأن الحرف (أنْ) يهمل ، فلا ينصب الفعل المضارع .

والحق أنه لا داعى لكل ذلك ، فهذه لغة الشعر ، ويؤيد ذلك الشطر الثانى من البيت ، إذ استخدمت فيه (أنْ) ناصبة للمضارع ، وهذا يناقض إهمالها ، إذ لا يعقل أن يستخدم الشاعر لغات متعددة لحرف واحد وفى بيت شعرى واحد .

الحرف الثانى : لَنْ :

لاحظ الأمثلة الآتية :

لن أخونَ العهد ولن أقصِّرَ فى الواجب

ولن أكذبَ ولن أغشَّ ولن أخادعَ

يعبر المعربون عن الحرف (لن) بقولهم : (لن : حرف نفى ونصب واستقبال)

---

(١) من قصيدة بعنوان (النهر الظامئ) للشاعر المعاصر « محمد الفيتورى » وقد سيقت الأبيات للتمثيل لا الاستشهاد .

وموضع التمثيل : استعمال « أن » مصدرية ناصبة للأفعال (أعشق - ألمس - أعبد) على التوالى .

(٢) يدعو صاحبيه ، ثم يدعو لهما بطول العمر والرشاد ؛ ليعطفهما إليه ويقول : إن لى حاجة خفيفة الحمل عظيمة النفع ، وإن تؤدياها تصنعا بى معروفا لا أنساه ، حاجتى أن تبلغا سلامى وأشواقى إلى حبيبتى « أسماء » سرًا ودون أن يشعر أحد .

الشاهد : فى (أن تقرآن) حيث جاء الفعل مرفوعا بعد (أن) مما حمل بعض النحاة على القول بأنها مهملة - والرأى أن ثبوت النون اقتضته لغة الشعر ، بدليل أنه حذف معها النون فى الشطر الثانى فى قوله : (أن لا تشعرا أحدا) .

فهى تفيد النفى ، وينصب المضارع بعدها ، ويصير معناه خالصا للمستقبل بعد أن كان صالحا بدلالته على الحال والمستقبل - وإلى هنا اتفق النحاة والمعربون فى شأن « لن » .

أما أن هذا الحرف يفيد تأبيد النفى ، بمعنى أنك إذا قلت : (لن أُخطئَ فى حقِّ غيرى) فمعناه أنك لن تخطئ أبدا ، فيبدو أن الاستعمال العربى لا يؤيده - ولنتأمل الاستعمال القرآنى :

• ما جاء على لسان مريم : ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [الآية ٢٦ من سورة مريم] } النفى مقيّد باليوم } فهو غير مؤبّد

• ما جاء عن الكفار والموت ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [الآية ٩٥ من سورة البقرة] } كلمة (أبدا) أفادت } التأبيد ، لا (لن)

وأما أن هذا الحرف يفيد تأكيد النفى ، فإذا قلت (لن أُنافِقَ القوىَّ ولن أُحتقِرَ الضّعيفَ) فهو أقوى فى النفى من قولك (لا أُنافقُ القوىَّ ولا أُحتقرُ الضعيفَ) فإن المتأمّل للاستعمال العربى يتأكد لديه أنه لا مزية للحرف (لن) على غيره من أدوات النفى فى إفادة المعنى .

والخلاصة : أن الحرف (لن) يفيد النفى والنصب والاستقبال ، وما عدا ذلك لا يؤيده الاستعمال .

الحرف الثالث : إذَنْ :

لاحظ المحادثة التالية :

- سألتقى بك الليلةَ فى الرابعة مساء .
- إذن نذهبَ معًا للنزهة .
- ولعلك تذكرُ حفلَ الكلية فى الثّامنةِ مساء .
- إذن نتوجهَ إليه بعد ذلك .

يقول المعربون : (إذن : حرف جواب وجزاء) فهى بذلك تأتى فى جواب كلام سابق ، وهى أيضا تفيد المكافأة فى هذا الجواب - أما أنها تفيد الجواب فهذا أمر لازم لها لا يتخلف عنها ، وأما أنها تفيد الجزاء فليس أمرًا دائما والمحادثة السابقة لا جزاء فيها ، لكن فى المحادثة التالية :

– سأنتبهُ للأسَاتذِة وأذاكُر بفهْم .

– إذن تتفوَّقَ .

ففى هذه المحادثة تتضح المكافأة وهى « التفوق » فهى هنا حقا حرف جواب وجزاء ، وسواء أفادت الجواب فقط أم الجواب والجزاء ، فإنها تنصب الفعل المضارع بعدها ، بشرط أن يتوافر لجملتها الصفات التالية :

(أ) أن تقع « إذن » فى أول جملة الجواب ، فلا يتقدمها شىء غيرها ، فإن وقعت حشوا لم تنصب المضارع ، بل يرفع ، كما يعلق رئيس العمال فى أحد المصانع على حسن سير العمل بقوله : (العمل إذن يتقدَّمُ بسرعة ، والعمالُ إذن يؤدّون واجباتهم بإخلاص) .

(ب) أن يكون الفعل بعدها مستقبلا ، أى خلص معناه للمستقبل فلا يدل على الحال ، فإن دل على الحال لم ينصب المضارع ، بل يرفع ، كما يبدو فى المحادثة التالية :

– نزل الفريقان أرضَ الملعبِ وبدأتْ المباراة

– إذن يلعبان مباراةً شائقة .

(ج) أن تتصل « إذن » بالفعل بعدها ، فلا يفصل بينهما فاصل – كما هو واضح فى الأمثلة السابقة – فإن فصل بينهما فاصل رفع الفعل بعدها . ولنتأمل ما يلى :

– أتَمَنَّى أن تُثقِّفَ نفسك بقراءتِك الذاتية

– إذن – فى الإجازة الصيفية – أُحقِّقُ هذه الأمنيَّة .

وقد استثنى من الشرط الأخير – « الفصل بالقسم » حيث ينصب الفعل المضارع مع الفصل به ، وأشهر ما ورد شاهدًا لذلك قول حسان بن ثابت :

إذَنْ – والله نرميَهم بحرْبٍ   تُشيبُ الطفلَ من قبلِ المشيبِ [(١)]

---

(١) الشاهد : فى قوله : (إذن والله نرميهم) فقد نصب الفعل (نرمى) بالحرف (إذن) مع الفصل بالقسم (والله) .

الحرف الرابع : كَىْ :

تأتى (كى) فى اللغة بالاستعمالات الآتية :

الاستعمال الأول : حرف مصدرى ونصب :

لاحظ من الأمثلة ما يلى :
- جئتُ لكى أطمئنَّ عليك .
- واحضرتُ الطبيبَ لكى يراك .

فالحرف (كى) فى هذا الاستعمال (مصدرى ونصب) مثل (أنْ) الناصبة للمضارع تماما - وإنما تكون كذلك إذا تقدم عليها حرف الجر « اللام » ومن ذلك قول الله تعالــى : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الآية ٢٣ من سورة الحديد] .

الاستعمال الثانى : حرف تعليل وجر :

لاحظ من الأمثلة ما يلى :
دعوتُ الله كيما أنْ يُساعِدَنى
ورجوتُه كيما أنْ يرعانى

فالحرف (كى) هنا حرف تعليل وجر - مثل اللام تماما - وإنما تكون كذلك إذا فصل بينها وبين الفعل (أنْ : المصدرية) .

وقد ورد على هذا الاستعمال قول جميل :

فقالتْ أَكلَّ الناسِ أصبحتَ مانحًا   لسانَك كيما أنْ تَغُرَّ وتَخْدعا (١)

الاستعمال الثالث : حرف مصدرى ونصب - أَو - تعليل وجر (وجهان)
لاحظ من الأمثلة ما يلى :

- الاستقامةُ عاملٌ مهمٌّ كى يتحقَّقَ الأملُ .
- والانحرافُ عاملٌ مدمِّرٌ لكيما أنْ تتعثَّرَ الحياة .

---

(١) مانحا : معطيا .

تعاتبه على حديثه مع الأخريات ، إذ يكلمهن بكلام معسول يغرهن ويخدعهن .

الشاهد : فى (كيما أن تغر وتخدعا) فإن (كى) حرف جر ، لتوسط (أن) بينها وبين الفعل .

وفى هذا الاستعمال يصح فى الحرف (كى) الوجهان : أن تكون مصدرية ، وأن تكون تعليلية - وإنما تكون كذلك إذا خَلَتْ مما يجذبها للمصدرية أو التعليلية ، أو إذا تنازعها ما تكون به مصدرية وتعليلية ، ويأتى ذلك كما يلى :

١ - إذا لم يتقدم عليها (اللام) ولم تأت بعدها (أنْ) المصدرية ، حيث تستعمل وحدها فى الجملة ، كقول الله عن المال : ﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ [الآية ٧ من سورة الحشر] فيصح توجيه (كى) مصدرية أو تعليلية .

٢ - أن يتقدم عليها (اللام) وتتأخر عنها (أنْ) فاللام تقتضيها مصدرية ووجود (أنْ) يقتضيها تعليلية - حينئذ يصلح توجيهها على أنها مصدرية أو تعليلية كما فى المثال السابق (الانحرافُ عاملٌ مدمّرٌ لكيما أنْ تتعثّرَ الحياة) .

إضمار « أنْ » وجوبا :

هكذا يرى جمهور النحاة : تضمر « أن » وجوبا ، فهى لم تظهر أبدًا ومع ذلك فهى مقدّرة بعد حرفين من حروف الجر ، وثلاثة من حروف العطف - ففى الأمثلة :

لولا الجامعةُ ما كنت لأتثقّفَ علميًا أو لأتهذّبَ اجتماعيًا .

وإننى لأبذلُ غايةَ الجَهْد حتى أحققَ الغايتين معا .

الأفعال (أتثقف - أتهذب - أحقق) على التوالى منصوبة « بأنْ » مضمرة وجوبا - أى مضمرة دائما ولا تظهر أبدًا .

والذى دعا إلى هذا التقدير الغريب أمر ذهنى هو « الرغبة فى اطّراد القواعد » وتوضيح ذلك فيما نحن بصدده أن إضمار (أنْ) - كما سنعرف بالتفصيل - يأتى بعد حرفين للجر هما (لام الجحود - حتى) وبعد ثلاثة للعطف هى (أوْ - فاء السببية - واو المعية) فإذا جاء المضارع منصوبا بعد الأولى يجب أن تبقى حروف جر ، ويبحث له عن حرف نصب هو (أنْ) المضمرة - وإذا جاء منصوبا بعد الأخيرة ، يجب أن تبقى حروف عطف ويبحث له عن ناصب هو (أنْ) المضمرة .

ذلك منطقهم !! وهو منطق متكلّف ، ومن السهل نقضه ، إذ أن استعمال هذه الحروف مع الأفعال المنصوبة يختلف عن استعمالها حروف جر أو عطف مع غيرها ، فلماذا يفرض استعمال على استعمال !! ولماذا لا تكون مع الأفعال

المنصوبة حروف نصب مثل الحرف (أنْ) تماما !! - لعل ذلك كان وجهة نظر الكوفيين ومن يعتد بهم من النحاة - كابن مضاء - الذين قالوا بما يقرب من هذا الرأى السابق .

وعلى كل حال ، فسنتناول هذه الحروف الخمسة واحدًا بعد الآخر على أساس أن (أنْ) مضمرة بعدها متابعة لجمهور النحاة .

الحرف الأول : لام الجحود (لام التعليل - لام العاقبة) :

لاحظ الأمثلة التالية :

غداة الهزيمةِ لم يكنْ هناك عربىٌ ليقْبَلَ العار }
وما كان أحدٌ ليتوقّعَ أن يحدُثَ ما حَدث } لام الجحود
لكن اليهود بيَّتُوا الغدرَ ليُفاجئونا } التعليل
فهاجموا مواقعَ الطيرانِ لينتصروا انتصارًا رَخِيصًا مُذهلا } العاقبة

لام الجحود : الجحود معناه : شدة الإنكار والرفض ، ومن ذلك ما يقال « جحد الكفار الإسلام » أى : رفضوه أشدّ الرفض - ولام الجحود تفيد النفى المؤكد .

وتحدد نحويا بأنها هى التى تقع بعد (مَا كَانَ) أو بعد (لم يَكُنْ) .

ومن البين أن (ما كان) نفى ، وأيضًا (لم يكن) نفى ، فتأتى اللام بعد ذلك مفيدة تأكيد النفى ، كقولك : (لم أكن منافقًا لأكذِبَ وما كنتُ نمَّامًا لأفسِدَ ما بين الناس) ومن ذلك قول الله تعالى :

• ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [الآية ١٣٧ من سورة النساء] .

• ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الآية ٣٣ من سورة الأنفال] .

وهذه اللام تضمر (أن) بعدها وجوبا ، فالفعل منصوب (بأن المضمرة) هذا... وتستعمل اللام أيضا مع المضارع الاستعمالين الآتيين :

لام التعليل : وهى التى يكون ما بعدها سببا فيما قبلها ، إذ تفيد أن ما قبلها يترتب على ما بعدها ، كقولنا : (جاهد الرسولُ ليُسلِمَ النَّاس ، ورفض الطغاةُ ليعاندوه) ومن ذلك قول الله تعالى :

• ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الآية ١ ، ٢ من سورة الفتح] .

• ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية ٤٤ من سورة النحل] .

لام العاقبة : وتسمى أيضا (لام الصَّيرورة) و(لام المآل) وهى التى يكون ما بعدها غير متوقع بالنسبة لما قبلها ، فهو أمر مفاجئ لم يكن منتظرا كالمثال السابق (هاجمت إسرائيلُ لتنتصرَ انتصارا رخيصا منهلا) فالانتصار - بهذا الوصف - كان مفاجأة بالنسبة للهجوم ، ومن ذلك قول الله تعالى عن موسى :

• ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [الآية ٨ من سورة القصص] .

والفعل بعد اللامين الأخيرتين - لام التعليل والعاقبة - ينصب (بأنْ) مضمرة جوازًا .

قال النحاة : لأنه يمكن النطق بها بعد هذين الحرفين بخلاف لام الجحود .

لكن ينبغى التنبه إلى استدراك على إضمار « أنْ » مع لام التعليل ، هذا الاستدراك توضحه الأمثلة التالية :

بكّرتُ فى اليقظة لئلاَّ أتأخرَ فى النَّوم	} ظهرت « أنْ » بعد اللام
وجئتُ سريعا لئلاَّ يفوتَ الموعد	} ظهرت « أنْ » بعد اللام

وملخص هذا الاستدراك : أنه إذا توسط بين لام التعليل والفعل المضارع حرف (لا) فإنه يجب إظهار (أنْ) ولا يصح إضمارها .

ومن ذلك قول الله تعالى :

• ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [الآية ١٦٥ من سورة النساء] .

الحرف الثانى : حتّى :

ينبغى درس ما يتعلق بهذا الحرف من ناحيتين :

الأولى : استعمالات « حتّى » فى الكلام العربى .

الثانية : « حتّى » حين ينصب بعدها المضارع :

الناحية الأولى : « حتى » فى الكلام العربى :

تجىء فى اللغة كما يلى :

أولا : حرف جر :

- سنجاهد حتى الرمقِ الأخير .
- وسنحرّرُ أرضَنا حتى آخرِ شبرٍ فيها .

فهى فى ذلك حرف جر مثل (إلى) ولها شروط خاصة ستأتى فى مكانها فى باب (حروف الجر) .

ثانيا : حرف عطف :

لاحظ الأمثلة التالية :

- وَسِعَ قلبُ الرّسولِ كلَّ النّاسِ حتّى العصاةَ .
- وشمِلَ عدلُ عمرَ الرّعيةَ حتّى الظلمةَ .

فهى هنا حرف عطف ، وما بعدها تابع لما قبلها ، ولها صفات خاصة ستأتى فى مكانها فى باب (عطف النسق) .

ثالثا : حرف ابتداء :

لاحظ الأمثلة التالية :

- راقتْ سهرةُ الليلة حتّى السّهادُ شائقٌ .
- وطالتْ سهرتُنا حتى انصرفنا فى الفجر .
- وكان الكونُ ساكِنًا حتى يتجاوَبُ فيه الصمتُ .

ففى هذه الأمثلة جميعا وقع بعد الحرف (حتّى) جملة اسمية أو جملة فعلية ، فعلها ماض أو مضارع مرفوع ، فهى فى كل ذلك حرف ابتداء .

هذا وقد وقفت كتب النحو عند المضارع المرفوع بعد « حتى » - فى باب إعراب المضارع - فوضعوا من شروطه ما تلخصه العبارة الآتية : (أن يكون

ما قبلها سببا فيما بعدها – وأن يكون المقصود بالفعل المضارع بعدها الزمن الحالي بالنسبة للمتكلم) .

وبالتطبيق على المثال السابق يتضح أن الفعل فى (يتجاوبُ فيه الصمت) سببه (سكون الكون) وأن هذا الفعل صاحب ما قبله ، فهو يحدث معه ، وهو أيضا صاحب وقت المتكلم به ، إذْ نطقت هذه الجملة بعد سهرة شائقة بين أصدقاء خرجوا بعدها يجوبون الشوارع فى صمت الفجر .

هذا ويمثل النحاة للفعل المضارع المرفوع بمثال مشهور هو (مرِض زيد حتى لا يرجونه) .

رابعًا : ما ينصب بعدها المضارع :

لاحظ الأمثلة التالية :

- **يناقشُ القاضى الأدلةَ حتى تظهرَ الحقيقة .**
- **وكلُّ إنسانٍ برىءٌ حتى تثبت إدانتُه .**
- **وكلُّ متّهمٍ تحت الشك حتى تبرأ سَاحَتُه .**

فى هذه الأمثلة ينصب الفعل بعد (حتى) باعتبارها حرف جر والفعل منصوب (بأن) مضمرة على ما هو رأى جمهور النحاة ، أو باعتبار (حتّى) حرفا ينصب المضارع على ما هو رأى الكوفيين ، وقد اشترط لنصب المضارع بعدها شرط هام تلخصه العبارة التالية : (**أن يكون الفعل الذى بعدها مستقبلا بالنسبة لما قبلها – سواء أكان مسببا عنه أم لا**) .

وبتأمل الأمثلة السابقة يتضح فيها جميعا أن ما بعد (حتى) مستقبل بالنسبة لما قبلها – وربما يكون مستقبلا أيضا بالنسبة للمتكلم ، مما يحدده ظروف النطق بها .

ومن شواهد هذه الاستعمال الرابع ما يلى :

• قول الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [الآية ١٨٧ من سورة البقرة] .

• وقوله : ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [الآية ٩١ من سورة طه] .

الناحية الثانية : معانى (حتى) مع نصب المضارع :

تأمل الأمثلة التالية :

سأسهرُ الليلَ حتى يطلعَ الصباح }
وسأصابرُ السّفيه حتى يفارِقَ } بمعنى (إلى)

سأعملُ بجِدٍّ حتى أتفوّقَ }
وأؤدّى الواجبَ حتى أرضِىَ ضميرى } بمعنى (كى)

الحرف (حتى) الذى ينصب بعده المضارع يأتى بالمعانى الآتية :

(أ) بمعنى (إلى) إذا كان ما بعدها غاية لما قبلها - كما هو واضح فى المثالين الأولين ، ومن ذلك ما يمثل به النحاة من قولهم : (لأسيرَنَّ حتى تطلُعَ الشمس) .

(ب) بمعنى (كى) إذا كان ما قبلها سببا فيما بعدها - كما هو واضح فى المثالين الأخيرين ، ومن ذلك ما يمثل به النحاة من قولهم : (أسْلِمْ حتى تدخُلَ الجنة) .

(جـ) قد تصلح للمعنيين السابقين جميعا إذا كان الظرف اللغوى الذى ورد فيه الكلام صالحًا لهما .

الحرف الثالث : أوْ :

لاحظ الأمثلة الآتية :

أتقنُ عملى بإخلاصٍ أو أرضِىَ ضميرى }
وأناضِلُ ضدَّ الزّيف أو تنجلىَ الحقيقة } بمعنى إلى

لا أتركُ ما أقتنعُ به أو يثبتَ أنه خطأ }
وأصدِّقُ حديثَ النصحِ أو أحِسَّ غشه } بمعنى (إلاّ)

يأتى هذا الحرف فى اللغة وبعده الفعل المضارع المنصوب - وفى هذه الحالة يكون له المعنيان التاليان :

(أ) أن تكون بمعنى (إلى) إذا كان ما بعدها غاية لما قبلها – ويمثل له النحاة بقولهم : (لألْزَمنَّك أو تقضيَنِى حقِّى) ، ومن ذلك قول الشاعر :

لأسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أو أُدْرِكَ المنى فما انقادتْ الآمالُ إلا لصابر [١]

(ب) أن تكون بمعنى (إلاّ) إذا كان ما بعدها مستدركا على ما قبلها – ويمثل له النحاة بقولهم : (لأقتلَنَّ الكافِرَ أو يُسلِمَ) ، ومن ذلك قول زياد الأعجم :

وكنتُ إذا غمزتُ قناةَ قومٍ كسرتُ كُعوبَها أو تستقيما [٢]

قال علماء النحو : إنها تعطف مصدرا مؤولا على مصدر متوهم – والمؤول يجىء من (أن) المضمرة والفعل بعدها ، والمتوهم يتخيل مما قبلها .

الحرف الرابع : فاء السببية :

لاحظ الأمثلة الآتية :

هل نتعلمُ من الماضى فنعتبرَ فى الحاضر !!

الحقيقة : أن بعضنا لا يتعلَّمُ منه فيقعَ فى الخطأ

فهلاَّ أخذنا حِذْرَنا فنتجنَّبَ العَثَرات

اسمها « فاء السببية » لأن ما بعدها يترتب على ما قبلها ، أو بعبارة أقرب يتسبب عما قبلها ، كما هو ملاحظ من أن (الاعتبار فى الحاضر) يترتب على (التعلم من الماضى) فى المثال الأول ، وكذلك (الوقوع فى الخطأ) الذى يترتب على (عدم التعلم من الماضى) وهكذا .

وهذه الفاء يأتى المضارع بعدها منصوبا – على الرأى الشائع – بأن مضمرة وجوبًا ، وإنما يكون ذلك إذا سبقها ما يلى :

---

(١) الشاهد : فى (أو أدرك المنى) إذ نصب المضارع بعد (أو) التى بمعنى (إلى) .

(٢) غمزت : جاء فى القاموس : غمزه : نخسه ، والمقصود هنا أمسكت – قناة : رمح – الكعوب : المسافات بين كل عقدتين فى الرمح .

يقول : إذا أردت أمرًا فإما أن أحققه وإما أن أحطمه ، كالرمح إذا أمسكته إما أن يستقيم أو ينكسر .

الشاهد : فى (أو تستقيما) حيث نصب المضارع بعد (أو) التى بمعنى (إلا) .

(أ) الطلب بأنواعه المختلفة (الأمر - النهى - الدعاء - الاستفهام - العرض - التحضيض - التمنى - الرجاء) .

(ب) النفى .

ومما ورد شاهدًا لذلك ما يلى :

• قول الله تعالى عن أهل النار : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [الآية ٣٦ من سورة فاطر] .

• وقوله : ﴿ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الآية ٧٣ من سورة النساء] .

• قول الشاعر :

رَبِّ وَفِّقنى فلا أعدِلَ عن ... سَنَنِ السّاعين فى خيرِ سَنَنْ (١)

• قول الآخر :

هل تعرفون لُبَانَاتِى فأرجُوَ أنْ ... تُقْضَى فيرتدَّ بعضُ الرُّوحِ لِلْبَدَنِ (٢)

وهكذا بقية أنواع الطلب وصور النفى .

الحرف الخامس : واو المعيّة :

لاحظ الأمثلة الآتية :

الإنسانُ الذكىُّ لا يعتدى على الناس ويأْخُذَ حِذْرَه منهم

فلا تُسالِمْ النّاس وتأمنَهم ، فإنّ ذلك بَلاَهَة

تسمى « واو المعية » ومعناها : مصاحبة ما بعدها لما قبلها ، وعلامتها أن يصح وضع كلمة (مع) مكانها ، ولا يختل المعنى .

---

(١) سنن : جمع سنة ، وهى السيرة والطريقة .

الشاهد : فى الشطر الأول (رب وفقنى فلا أعدل) فقد نصب الفعل (أعدل) بعد فاء السببية ، وقد سبقها للدعاء .

(٢) لباناتى : جمع لبانة ، وهى الرغبة النهمة .

الشاهد : فى (هل تعرفون لباناتى فأرجو) فقد نصب الفعل (أرجو) بعد فاء السببية ، وقد تقدم عليه الاستفهام .

هذه الواو ينصب المضارع بعدها - على ما هو الشائع - بأن مضمرة وجوبا في المواضع نفسها التي ترد فيها فاء السببية ، وهي جمل النفي والطلب . ومما ورد لذلك الشواهد الآتية :

• قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الآية ١٤٢ من سورة آل عمران] .

• قول الحطيئة :

أَلَمْ أَكُ جارَكم ويكون بيني وبينكم المودّةُ والإخاءُ [١]

• قول أبي الأسود :

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَه عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ [٢]

وهكذا بقية أنواع الطلب وصور النفي .

إضمار « أنْ » جوازا :

لاحظ الأمثلة الآتية :

لولا الضميرُ فيزجُرَ العُصاةَ لتمادَوا في الشر

ولولا الحربُ ويرتدعَ الطُغاةُ لعمَّتْ الفوضى

ومن دلائلِ الإيمان مجاهدةُ المرءِ نفسَه أو يحاوِلَ هذه المجاهدة

ومن المفيد في الحياة استقامةُ خُلُقِ الإنسانِ ثم يُداومَ على ذلك

في الأمثلة السابقة أفعال مضارعة منصوبة هي على التوالي (يزجر - يرتدع - يحاول - يداوم) وبمعاودة النظر لهذه الجمل يتضح الآتي :

(أ) أن الفعل قد جاء بعد أحد حروف العطف الأربعة (الواو - الفاء - أو - ثم) .

---

(١) الشاهد : في (ألم أك جاركم ويكون) حيث نصب الفعل (يكون) بعد واو المعية ، وقد تقدم عليه الاستفهام .

(٢) الشاهد : في الشطر الأول (لا تنه عن خلق وتأتي مثله) فإن الفعل (تأتي) منصوب بعد « واو المعية » وقد سبقه النهي - وسيأتي ذكر هذا البيت مرة أخرى في المفعول معه .

(ب) أنه قد سبقه اسم معطوف عليه هو على التوالى فى الأمثلة (الضمير - الحرب - مجاهدة - استقامة) .

قال النحاة : ولا بد أن يكون هذا الاسم - المعطوف عليه - خالصا من التأويل بالفعل أ . هـ .

ومعنى هذا أنه لا يصح وضع الفعل موضعه ، وغالبًا ما يكون مصدرًا أو اسم ذات .

وبناء على ذلك : فالفعل المضارع الذى يرد بعد أحد حروف العطف الأربعة السابق ذكرها - ويتقدم عليه الاسم الخالص معطوفا عليه ، هذا المضارع ينصب - على ما هو الشائع - بأن مضمرة جوازًا ، ويصحّ إظهارها فى الكلام .

ومن ذلك الشواهد التالية :

• قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ [الآية ٥١ من سورة الشورى] .

• قول ميسون بنت بَحْدَل زوج معاوية تشكو حياة الترف :

ولُبْسُ عَبَاءَةٍ وتَقَرَّ عينى　　　أحبُّ إلىَّ من لُبْسِ الشُّفوف [١]

• قول أنس بن مدركة الخثعمى :

إنى وقَتْلِى سُلَيْكًا ثم أعْقِلَهُ　　　كالثور يُضربُ لما عافت البقرُ [٢]

إضمار « أنْ » شذوذًا :

سبق عرض الحروف التى يرد المضارع منصوبا بعدها ، وأن ذلك النصب فى الرأى الشائع - بأن مضمرة وجوبًا أو جوازًا .

---

(١) الشفوف : الثياب الرقيقة .

الشاهد : فى الشطر الأول (لبس عباءة وتقر عينى) فقد نصب الفعل (تقر) بأن مضمرة جوازًا بعد واو العطف ، وسبقه اسم خالص وهو المصدر (لبس) .

(٢) سليك : هو سليك بن السلكة من صعاليك الشعراء ، وقد قتله الشاعر فى قصة تروى - أعقله : أدفع ديته - والبيت يضرب مثلا لكل موقف يضرب فيه القوى ، فيخاف الضعيف .

الشاهد : فى (قتلى سليكا ثم أعقله) فقد نصب الفعل المضارع (أعقل) بأن مضمرة جوازا بعد « ثم » وسبقه معطوف عليه هو (قتل) وهو اسم خالص من التأويل بالفعل .

أما ما ورد من العبارات منصوبا فيه المضارع من غير المواضع السابقة فيقتصر فيه على السماع من العرب ، ويعتبر منصوبا « بأن مضمرة شذوذًا » ومن ذلك :

• قول العرب في المثل : (تسمعَ بالْمُعَيْدِيِّ خيرٌ من أن تراه) تقديره : أن تسمع .

• قول العرب في المثل : (خذْ اللصَّ قبل يأخذَك) تقديره : أن يأخذك .

• قول العرب : (مُرْه يحفرَها) تقديره : أن يحفرها .

• قول طرفة بن العبد :

ألا أيهذا الزَّاجِرِي أحضُرَ الوغى
وأنْ أشْهَدَ اللذاتِ هل أنت مُخْلِدِي (١)

تقديره (أن أحضر الوغى) .

ويبدو - إن لم يجانبني التوفيق - أن من رَوَوْا هذه العبارات النثرية عن العرب قد أخطأوا السماع ، فسقط الحرف (أنْ) من النطق في الرواية ثم درست كذلك - أما البيت الشعري - وأمثاله - فقد سقط منه (أنْ) لإقامة الوزن ضرورة .

• • •

(١) الشاهد : في (أحضر الوغى) فقد نصب المضارع (أحضر) بأن مضمرة شذوذا - والرأي أنها حذفت لإقامة الوزن ، بدليل ذكرها في الشطر الثاني حين اتسع سياق الكلام للشاعر .

جزم الفعل المضارع

١ - الجزم فى جواب الطلب .

٢ - ما يجزم فعلا واحدًا (لَمْ - لَمَّا - لام الطلب - لا : الطلبيّة) .

٣ - ما يجزم فعلين (إنْ - إذْمَا - مَنْ - مَا - مَهْمَا - مَتَى - أيَّانَ (أيْنَ - أنَّى - حَيْثُمَا) .

٤ - من المسائل المهمة فى الجملة الشرطية ما يلى :

(أ) اقتران جواب الشرط بالفاء .

(ب) العطف (بالواو - الفاء) بين الشرط والجزاء أو بعدهما .

(جـ) اجتماع الشرط والقسم .

(د) الحذف فى أجزاء الجملة الشرطية ؟

٥ - أدوات الشرط غير الجازمة .

* * *

الجزم فى جواب الطلب :

لاحظ الأمثلة التالية :

- استقِمْ تغنمْ راحةَ الضمير ورِضا الله .
- وتعلَّمْ من أخطائك تتجنبْ الوقوعَ فى غيرها .
- لا تتَرَدَّدْ تُحقِّقْ ما تريد . .

الأفعال (تغنم - تتجنب - تحقّق) فى الأمثلة السابقة مجزومة ، وقد تقدم عليها ما يدل على الطلب وهو الأمر فى المثالين الأولين ، والنهى فى المثال الثالث ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الآية ١٥١ من سورة الأنعام] ويطلق المعربون - كما هو مشهور - على الفعل المجزوم أنه (مجزوم فى جواب الطلب) .

هذا الأسلوب ينبغى أن تتحقق له الصفات التالية :

(أ) أن يتقدم الطلب قبل الفعل المجزوم ، فإن كان الكلام مثبتًا أو منفيًا لا يجزم المضارع ، بل يرفع ، تقول : (إنك منافقٌ تدّعى صداقتى تودُ عدوى) . وتقول : (إنك صديق مخلص ، فأنت لا تخذلُنى تنصرُنى) .

(ب) أن يكون المضارع المجزوم مترتبا على الطلب السابق ، بأن يكون مسببا عنه فى العادة والعرف ، فإن لم يكن كذلك رفع المضارع ، مثل (اغتنم من الحياة فرصةً تسنحُ لك) و (خذ من حياتك لنفسك ساعةً تمرحُ فيها) فالمضارع فى المثالين غير مسبب عن الطلب السابق ، فهو مرفوع على أنه صفة لما قبله .

(جـ) أن يكون النهى - وهو واحد من صور الطلب - فى الجملة مما يمكن رفعه من الكلام ويوضع موضعه (أداة شرط + لا النافية + فعل شرط) ويصح المعنى - وحينئذ يجزم المضارع ، فإذا لم تصلح تلك التجربة رفع الفعل المضارع، ولم يجزم - لاحظ الآتى :

لا تُصادِقْ الأشرارَ تَتَّقِ الشبهات   يصح : إنْ لا تصادقْ الأشرار تَتَّقِ الشبهات - الفعل مجزوم .

لا تُصادقْ الأشرارَ تتحملُ وِزرَهم   لا يصح : إن لا تصادق الأشرار تتحمل وزرهم ؛ لفساد المعنى - الفعل مرفوع .

ويبدو أن السبب فى هذا الشرط الأخير هو الشرط الثانى ، فإن هذه التجربة الذهنية السابقة لصحة المعنى إنما هى وسيلة - مع النهى خاصة - لمعرفة ترتب الفعل على الطلب أو عدم ترتبه عليه ، وبذلك يكون جزمه أو رفعه . وقد وضع ابن هشام لذلك علامة فى قوله :

« وشرط الجزم بعد النهى كون الجواب أمرًا محبوبا كدخول الجنة والسلامة فى قولك : (لا تكفرْ تدخلْ الجنة) و (لا تدنُ من الأسد تسلَمْ) فلو كان أمرا مكروها كدخول النار ، وأكل السبع فى قولك : (لا تكفرْ تدخلُ النار) و (لا تدنُ من الأسد يأكلُك) تعين الرفع » أ . هـ .

الحروف التى تجزم فعلا واحدا :

وهى أربعة أحرف (لَمْ - لَمَّا - لام الطلب - لا : الطلبية) ويمكن الحديث عنها فى مجموعتين على النحو التالى :

المجموعة الأولى : لمْ - لمَّا :

لاحظ الأمثلة الآتية :

الشعبُ الواعى من لم ينخدعْ بالمظاهر والكذب

لكن : ألم نكذبْ على أنفسنا حتى فاجأتْنا الحقيقة ؟؟

وألمّا ننافقْ الأقوياءَ ونُغْفِل صوتَ العقل ؟؟

ومع ذلك فلمّا نفقدْ كلَّ الأملِ بعد

من حروف جزم المضارع (لم - لمّا) ويطلق على الأول أنه (حرف نفى وجزم وقلب) ومعنى ذلك أنه ينفى المضارع المثبت ، ويجزمه ، ويقلب معناه للماضى - ويطلق على الحرف الثانى - لمَّا - مثل الأول تمامًا .

وتدخل على كل منهما همزة الاستفهام ، كقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الآية ١ من سورة الشرح] وقول العرب : (ألَمّا تصحُ والشيبُ وازعُ) .

وإلى هنا يتفق الحرفان الجازمان (لم - لما) لكنهما يختلفان بعد ذلك من حيث تحديد المعنى والاستعمال اللغوى .

أما من حيث تحديد المعنى - مع أنهما يفيدان النفى - فيتمثل ذلك فى أمرين :

(أ) أن « لمْ » تنفى الماضى مطلقا بصرف النظر عن استمرار النفى حتى وقت التكلم ، أما « لمّا » فإنها تنفى الماضى حتى زمن التكلم .

(ب) أن « لمْ » تنفى الماضى ولا شأن لها بالمستقبل ، أما « لمّا » فإنها تنفى الماضى مع توقع حدوث ما نُفِىَ فى المستقبل .

فلنلاحظ الشواهد التالية :

• قول الله تعالـــى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الآيـــة ١ من سورة الإنسان] .

* وقوله : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الآية ١٤ من سورة الحجرات] .

* قول الشاعر :

فإن كنتُ مأكولاً فكنْ خيرَ آكلٍ   وإلاّ فأدركْنى ولما أُمَزَّقِ (١)

وأما الذى يتعلق بالاستعمال اللغوى فأمران أيضا :

(أ) أن الحرف « لم » يأتى بعد أداة الشرط « إنْ » فتقول : (إنْ لم تتعلَّمْ من أخطائِك وقعتَ فيها) ولا يصح ذلك مع « لمّا » فلا تقول (إنْ لمّا) .

(ب) أن « لم » لا يحذف المضارع بعدها بخلاف « لَمّا » فإنه يصح فى النثر والشعر حذف المضارع بعدها ، تقول : (كدتُ اليومَ أخرجُ للنزهة لكنْ لمّا) أى (لَمّا أخرج) .

المجموعة الثانية : لام الطلب – لا : الطلبية :

لاحظ الأمثلة التالية :

ليتمسكْ الأحرارُ بحريتهم .

وليدفعوا عنها بكل ما يستطيعون .

فلا تعتدِ على حرياتِ الآخرين .

ولا تتركْ غيرَك يعتدى على حريتك .

تسمى اللام فى المثالين الأولين (لام الطلب) كما تسمى فى المثالين الأخيرين (لا : الطلبية) والفرق بين الاثنين أن الأولى تطلب الفعل ، أما الثانية فإنها تطلب الترك .

فإن كان طلب الفعل للتوجيه فهى « للأمر » كخطاب الله لأهل الغنى :

---

(١) البيت – كما يقول الصبان – لشاعر جاهلى غير معروف ، وقد تمثل به عثمان (رضى الله عنه) حين حاصره الثوار فى بيته ، فكتب إلى على (رضى الله عنه) كتابا وفيه هذا البيت .

الشاهد : (لما أمزق) حيث جزمت (لما) الفعل المضارع «أمزق» ومعناها نفى الماضى حتى الوقت الحاضر مع توقع حدوث ما نفى فى المستقبل ، ولا شك أن عثمان كان يتوقع « التمزيق » وقد مزق فعلا .

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [الآية ٧ من سورة الطلاق] .

وإن كان طلب الفعل للاستعطاف فهى « الدعاء » كخطاب أهل النار لخازن النار : ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ ﴾ [الآية ٧٧ من سورة الزخرف] .

وكذلك إن كان طلب الترك بالحرف « لا » للتوجيه ، فهى « للنهى » مثل (لا تنس حقَّك على نفسك ، ولا تُهملْ حقَّ الله عليك) ومن ذلك قول الرسول ﷺ لأبى بكر : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [الآية ٤١ من سورة التوبة] . وإن كان طلب الترك للاستعطاف فهى « للدعاء » مثل ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ [الآية ٢٨٦ من سورة البقرة] .

ما يجزم فعلين :

إن تراقبْ ضميرَك تُتْقِنْ عملك .

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [الآية ٢ من سورة الطلاق] .

هى الأدوات التى تدخل جملة تفيد تعليق أمر على آخر بواسطة هذه الأدوات ، وتسمى هذه الجملة (جملة شرطية) وتتكون من :

(أ) أدوات الشرط : الإحدى عشرة الجازمة .

(ب) جملة الشرط : وتحتوى على الفعل المضارع المجزوم ، ويسمى « فعل الشرط » .

(جـ) جملة جواب الشرط : وتحتوى على الفعل المضارع المجزوم ويسمى « فعل جواب الشرط » .

هذه الأدوات الإحدى عشرة تنقسم من حيث نوع الكلمة العربية إلى قسمين رئيسين :

القسم الأول : إنْ – إذْمَا :

وهما من الحروف ، الأداة الأولى باتفاق النحاة ، والأداة الثانية على الاتجاه المشهور – فلنلاحظ الأمثلة التالية :

إنْ تُحافظْ الأمّةُ على علمائِها ، تَصُنْهم من الابتذال

وإذْمَا يَشِذْ هذا الخلقُ فيها ، يُساعدْ على رُقيّها

• قال الله تعالى : ﴿ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ [الآية ٢٩ من سورة آل عمران] .

• قال الشاعر :

وإنك إذْمَا تأتِ ما أنت آمِرٌ ... به تُلفِ من إيّاهُ تأمرُ آتيا [١]

القسم الثانى : مَنْ – مَا – مَهْمَا – متىَ – أيّانَ – أنّى – حَيْثُمَا – أىّ :

هذه جميعها تشترك فى أنها (أسماء للشرط) لكن يختلف استعمالها بحسب الأصل على التفصيل التالى :

١ – مَنْ :

وهى فى الأصل لمن يعقل ، ثم ضمنت معنى الشرط ، كقول زهير :

ومن لم يُصانِعْ فى أمورٍ كثيرةٍ ... يُضرَّسْ بأنيابٍ ويوطأْ بِمَنْسِمِ [٢]

٢ – مَا – مَهْمَا :

وهما فى الأصل لما لا يعقل ، ثم ضمُنتَا معنى الشرط ، ومن ذلك :

• قول الله تعالى : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ [الآية ١٩٧ من سورة البقرة] .

• قول زهير :

ومهما تكنْ عند امرئ من خَليقَةٍ ... وإن خَالَهَا تخفى على النّاسِ تُعْلَمِ [٣]

---

(١) القدوة فى العمل لا فى الكلام ، فإذا أمرت بشىء وفعلته ، فعله أيضا من أمرته .

الشاهد : أن (إذما) حرف شرط يجزم فعلين ، فعل الشرط (تأت) وفعل الجواب (تلف) .

(٢) يضرس : يطحن بالأضراس – المنسم – كما جاء فى القاموس – خف البعير . والمقصود بذلك كله : التلف والهلاك .

يقول : إن من لم يصانع الناس ، ويتسم بالمرونة ، يعرض نفسه للتلف والهلاك كأنما يطحن بالأضراس ويهلك تحت خف البعير .

الشاهد : فى (من) اسم شرط جازم لفعلين ، وفعل الشرط (لم يصانع) كلها فى محل جزم ، وجواب الشرط (يضرس) وما عطف عليه .

(٣) **الشاهد** : أن (مهما) اسم الشرط لغير العاقل تجزم فعلين ؛ أولهما (تكن) وثانيهما (تعلم) وشكل بالكسرة للقافية .

٣ – مَتَى – أيَّانَ :

الأصل فيهما أنهما اسمان للزمان ، ثم ضمّنا معنى الشرط ، ومن ذلك :

• قول الحطيئة :

متى تأتِه تعشُو إلى ضوءِ ناره   تجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ (١)

• قول الآخر :

أيّانَ نُؤْمِنْك تأمنْ غيرنَا وإذا   لم تُدْرِكْ الأمنَ مِنّا لم تزلْ حَذِرا (٢)

٤ – أيْنَ – أنّى – حَيْثُمَا :

الأصل فيها أنها أسماء للمكان ، ثم ضمنت معنى الشرط ، ومن شواهدها ما يلى :

• قول الله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [الآية ٧٨ من سورة النساء] .

• قول الشاعر :

خليليَّ أنّى تأتيانِيَ تأتِيَا   أخًا غيرَ ما يُرضيكما لا يُحاوِلُ (٣)

• قول الآخر :

حيثما تستقِمْ يُقدِّرْ لك الله نجاحًا فى غابِرِ الأزمانِ (٤)

٥ – أيّ :

لاحظ الأمثلة التالية :

---

(١) تعشو : الأعشى : سيئ البصر بالليل ، والمقصود بالفعل « تعشو » هنا المجيء من غير قصد . الشاهد : أن (متى) اسم شرط للزمان يجزم فعلين ، أولهما (تأته) وثانيهما (تجد) .

(٢) الشاهد : أن (أيان) اسم شرط للزمان يجزم فعلين ، فعل الشرط « نؤمنك » وفعل الجواب « تأمن » .

(٣) الشاهد : كلمة « أنى » اسم شرط للمكان يجزم فعلين ، فعل الشرط والجواب وهما « تأتيانى » – « تأتيا أخا » .

(٤) الشاهد : أن « حيثما » اسم شرط للمكان يجزم فعلين ، فعل الشرط « تستقم » وفعل الجواب « يقدر » .

أىَّ امرءٍ تصادقْه تنصحْه	} استعملت للعاقل
وأىَّ شىءٍ يؤذِك مرة تحذرْه	} استعملت لغير العاقل
وأىَّ وقتٍ تسنحْ فيه الفرصةُ تغتنمْه	} استعملت للزمان
وأىَّ مكانٍ تجدْ رزقَك فيه تسكنْه	} استعملت للمكان

قال النحاة : كلمة (أىّ) بحسب ما تضاف إليه ، فهى تستمد معناها من المضاف إليه ، فإن كان للعاقل أو لغيره فهى له ، وإن كان للزمان أو المكان فهى له ، ومن شواهدها قول الله تعالى : ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الآية ١١٠ من سورة الإسراء] .

اقتران أسماء الشرط بـ (ما) الزائدة :

ذكر الأشمونى أن الأداتين (إذ - حيث) لا بد أن تقترنا بالحرف (ما) الزائد حين استعمالهما للشرط ، فيقال : (إذما - حيثما) .

وأن الأدوات (إنْ - متى - أيّان - أين - أىّ) يجوز اقترانها بالحرف (ما) أو عدم اقترانها به - راجع ما سبق من شواهدها .

أما باقى الأدوات (من - ما - مهما - أنّى) فلا تقترن به مطلقا .

اقتران جواب الشرط بالفاء :

لاحظ الأمثلة التالية :

من يُرِدْ الاستقامةَ ، فبابُ الله مفتوح

ومن يتعلَّقْ بالشرّ ، فلن يلومَ إلاّ نفسَه

فإن تُطعْ الخُلُقَ الكريم ، فعسى أنْ تستفيد

يقترن جواب الشرط بالفاء فيما لخصه النحاة فى جملة واحدة هى : (كل ما لا يصح أن يقع جملة شرط) - ثم فصلوا ذلك موضحا فى الآتى :

(أ) الجملة الاسمية .

(ب) الجملة الطلبية مثل (الأمر - النهى - الاستفهام) .

(جـ) الجملة التى يأتى فى أولها فعل جامد مثل (عسى - ليس - نعم - بئس) .

(د) الجملة التى يأتى فى أولها أحد حرفى النفى (ما - لن) .

(هـ) الجملة التى يأتى فى أولها أحد حروف الاستقبال (السين - سوف) .

(و) الجملة التى يأتى فى أولها الحرف (قد) .

فكل واحد من هذه المواضع إذا جاء « جملة الجواب » يجب اقترانه بالفاء وجوبًا ، بل زاد بعضهم فنظمها شعرا فى قوله :

اسمية طلبية وبجامد　　　وبما ولنْ وبقد وبالتنفيس

فلنتأمل الآيات التالية :

* ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [الآية ١٠٧ من سورة يونس] .

* ﴿ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الآية ٧٤ من سورة النساء] .

* ﴿ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [الآية ٧٧ من سورة يوسف] .

هذا ، وينبغى أن يذكر هنا أن حرف « الفاء » فى هذه المواضع واجب الذكر ، ولا يصح إسقاطه إلا حين يضطر الشاعر لذلك لضيق الوزن والقافية ، ويطلق على هذا اسم (ضرورة الشعر) ومن ذلك :

* قول كعب بن مالك :

مَنْ يفعلْ الحسناتِ اللهُ يشكرها　　　والشرُّ بالشرِّ عند الله مِثْلانِ (١)

* وقول الآخر :

ومَنْ لا يزلْ ينقادُ للغيِّ والصِّبا　　　سَيُلفى على طول السلامة نَادِمَا (٢)

---

(١) الشاهد : فى (الله يشكرها) حيث وقعت جملة جواب الشرط اسمية وحذفت منها الفاء ضرورة .

(٢) الشاهد : فى (سيلفى على طول السلامة نادما) جملة جواب الشرط مصدرة بحرف الاستقبال « السين » والواجب أن تقترن بالفاء ، لكن حذفت الفاء منها ضرورة .

العطف بين الشرط والجزاء أو بعدهما :

لاحظ الأمثلة التالية :

من يُخلصْ ويستمر على إخلاصه يثقْ به الناس }	
ومن يُنافقْ فيشتهر بالنفاق ، يحتقرْه النّاس }	العطف بين الشرط
ومن يحبَّ نفسهَ فقط يكرهْه الناس ويجتنبه }	والجزاء
أصدقاؤه }	
ومن يبذُلْ من نفسه للآخرين يقدِّرْه }	العطف بعد الشرط
الناس فيُرغَم أعداؤه على احترامه }	والجزاء

يأتي العطف « بالواو أو الفاء » بين الشرط والجزاء - كالمثالين الأولين وحينئذ لك في الفعل المعطوف بعدهما نصبه وجزمه - فإن جاء العطف بعد الجزاء - كالمثالين الأخيرين - فلك رفعه ونصبه وجزمه - وهكذا ورد في اللغة .

• قال الله تعالى :

﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ [الآية ٢٨٤ من سورة البقرة] .

• قول الشاعر :

ومن يقتربْ منّا ويخضعَ نُؤوِه ... ولا يخشَ ظُلمًا ما أقامَ ولا هَضْمًا (١)

• قول زهير :

ومن لا يُقَدِّمْ رجلَه مطمئنةً ... فيثبتها في مُستَوى الأرضِ يَزلَقِ (٢)

---

(١) نؤوه : يجد عندنا المأوى والإكرام - هضما : ضياعا لحقوقه .
الشاهد : في قوله (ويخضع) حيث عطف بالواو بين الشرط والجواب فيصح النصب والجزم ، وقد جاء الفعل في البيت منصوبا باعتبار الواو للمعية .

(٢) يزلق : يتزحلق .
البيت كله صورة لعدم التثبت قبل الإقدام على الأمر ، فيؤدى ذلك للألم والندم ، تماما كمن يمشي في الأرض الموحلة الملساء ، ولا يثبت رجله ، فإنه يزلق ويقع ويتألم .
الشاهد : في (فيثبت) حيث عطف بالفاء بين الشرط والجواب ، فيصح النصب والجزم ، وقد ورد البيت بالنصب وهو أحد الوجهين .

فقد قرئت الآية فى الفعل (يغفر) بالرفع والنصب والجزم .

وجاء البيت الأول بنصب (يخضع) والبيت الثانى بنصب (يثبت) فقط .

قال النحاة : والرفع على أن الحرفين - الفاء والواو - للاستئناف والنصب على أن الواو للمعية والفاء للسببية ، والجزم للعطف على الشرط أو الجواب .

اجتماع الشرط والقسم :

ينبغى قبل فهم هذا الموضوع معرفة صفات الجملة التى تقع جوابا للشرط أو جوابا للقسم ، وذلك على التفصيل التالى :

(أ) جواب الشرط يكون مجزوما أو مقترنا بالفاء على ما تقدم الحديث عنه .

(ب) جواب القسم يأتى على التفصيل التالى :

أولا : الجملة المثبتة :

إذا كانت الجملة الفعلية فعلها مضارع أكد باللام - لام جواب القسم - ونون التوكيد ، كقولك : (والله لأنالَنَّ حقِّى ولو بعد حين) وإذا كانت فعلية فعلها ماض ، وجاء معه اللام - لام جواب القسم - والحرف (قد) مثل قولك : (أقسم لقد اغترَّ الطغاةُ والغرورُ هلاك) .

فإن كانت الجملة المثبتة اسمية ، جاءت معها إنّ - المكسورة الهمزة - واللام - لام الابتداء - مثل قولك : (والله إنّ الراحةَ لمطلوبةٌ ، وإنّ النفوسَ المجهدةَ لقليلةُ الإنتاج) .

ثانيا : الجملة المنفية :

سواء أكانت فعلية أم اسمية ، فإنه يجب أن تنفى بأحد حرفَىْ النفى (ما - لا) تقول : (أقسم ما نجت أمةٌ بغير أخلاق ، ولا هلكت أمةٌ مع التمسُّك بالأخلاق) .

إذا علم ذلك ، فماذا يكون الأمر إذا اجتمع الشرط والقسم ، وكل منهما فى حاجة إلى الجواب ؟؟ - لاحظ الأمثلة الآتية :

والله إن تمكنتُ لأصْنَعَنَّ المعروف } الجواب للقسم ، وحذف جواب الشرط

وإن لم أتمكنْ أقسم فما قصرتُ ـ في الخير	} الجواب للشرط ، وحذف } جواب القسم
المعروفُ والله إن فعلتَه فعاقبتُه خير	} الجواب للشرط ، وحذف جواب } القسم

قال علماء النحو - رحمهم الله - : إذا اجتمع الشرط والقسم ، واتجه معناهما لجواب واحد ، فإن المتقدم منهما يأخذ الجواب ، أما المتأخر فيحذف جوابه - كما ترى فى المثالين الأول والثانى .

فإن تقدم على كل من الشرط والقسم مبتدأ - كما فى المثال الثالث - روعى الشرط تقدم أو تأخر ، فكان الجواب له .

هذا هو الأصل فى استعمال اللغة ، وما ورد غير ذلك مرفوض ما لم يكن ضرورة لشاعر ، لضيق الأمر عليه بالوزن والقافية ، والضروراتُ يُبِحْنَ المحظورات .

الحذف فى الجملة الشرطية :

الأصل فى الكلام العربى أن يكون كله مذكورا ، فالحذف على خلاف الأصل ، ومما يحذف جملة الشرط أو جملة الجواب أو هما معا ، وهذا الأخير أمره عجيب !! إذ تغيب الجملة الشرطية كاملة ولا يبقى منها سوى الأداة .

وكل ذلك إنما يصح فى الكلام إذا كان المحذوف معلوما من السياق لفظًا أو دلالة .

وعلى ذلك جاء الحذف على النحو التالى :

أولا : حذف جملة الجواب :

وهذا كثير فى اللغة ، تقول : (أنت ناجٍ إنْ احترستَ) والمثال المشهور فى كتب النحو (أنت ظالمٌ إنْ فعلتَ) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الآية ٣٥ من سورة الأنعام] تقدير الجواب المحذوف (فافعَلْ) .

ثانيًا : حذف جملة الشرط :

وهذا قليل فى اللغة ، وأغلب ما يأتى مع أداة (الشرط) (إنْ) وبعدها (لا : النافية) كقول الأحوص يتحدث عن حبيبته التى زوّجوها من غيره واسمه « مَطر » :

سلامُ اللهِ يا مطرٌ عليها ... وليس عليك يا مطَرُ السلامُ
فإن يكنْ النكاحُ أحلَّ شىءٍ ... فإنَّ نكاحَها مطرًا حرامُ
فلا غفرَ الإلهُ لمنكحيها ... ذنوبَهم وإنْ صلُّوا وصامُوا
فطلِّقْها فلستَ لها بكُفْءٍ ... وإلاَّ يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحسامُ (١)

ثالثًا : حذف الجملتين جميعا :

وهذا نادر فى اللغة ، وأكثر ما يرد فى الشعر ، ومن استعماله فى النثر ما يقال فى مواقف العناد والتحدّى (وإنْ) أو (ولَوْ) فالتقدير (وإن اعتذر فلن أقبل اعتذاره) وأيضا (ولو هدّد فلن أخاف) .

أدوات الشرط غير الجازمة :

هى تلك الأدوات التى تقوم بالربط بين شيئين أحدهما يترتب على الآخر ، فهذه الأدوات تستدعى إذن جملة شرطية كاملة فيها (أداة الشرط + جملة الشرط + جملة جواب الشرط) لكن هذه الأدوات لا تجزم الأفعال لا فى الشرط ولا فى الجواب - فلنلاحظ الأمثلة التالية :

لو أنصفَ الناسُ ، استراح القاضى	الأداة (لو)
لولا اختلافُ الأذواقِ ، لبارتْ السّلع	الأداة (لولا)
إذا عرفتَ عدوَّك ، أمِنْتَ غِرَّتَه	الأداة (إذا)
كلما ازدادَ المرءُ علمًا ، قَلَّ جهلا	الأداة (كلما)
لمّا اشتدتْ الأزمةُ ، انتظرتُ الفرَج	الأداة (لمّا : الحينية)

أشهر أدوات الشرط غير الجازمة خمس هى (لَوْ - لَوْلاَ - إذَا - كُلَّمَا - لَمّا :

---

(١) معظم أبيات هذه المقطوعة من شواهد النحو ، والشاهد هنا فى البيت الأخير (وإلا يعل) إذ حذفت جملة الشرط ، وأصل الكلام (وإلا تطلقها يعل) وقد جاء ذلك بعد (إن) الشرطية و (لا) النافية .

الحينية) وإليك معانى هذه الأدوات كما ينطقها المعربون ووصفا مختصرًا للجملة الشرطية التى تقع بعدها ، وشواهدها من الاستعمال العربى .

● لَو :

هى - كما يقول المعربون - (حرف امتناع لامتناع) ومعنى ذلك أن الجملة التى تأتى بعدها مجرّد افتراض ، إذ تفيد امتناع حدوث الجواب لامتناع الشرط ، وتكون جملتها الشرطية كما يلى :

أولا : جملة الشرط : تأتى على الصورة التالية :

(أ) أن يكون فعل الشرط فيها فعلا ماضيًا فى اللفظ والمعنى ، وهذا هو الغالب فيها فى اللغة ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ [الآية ١٨٨ من سورة الأعراف] .

(ب) أن يكون فعل الشرط ماضيا لفظا ومستقبلا فى المعنى ، مثل قول الله تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾ [الآية ٩ من سورة النساء] .

(جـ) أن يكون فعل الشرط مضارعا ، ولكن معناه الماضى ، كقول كُثَيّر عزّة :

رهبانُ مدينَ والذين عهدتهم ... يبكون من حَذَرِ العذاب قُعُودا
لو يسمعون - كما سمعتُ - كلامَها ... خرّوا لعزّةَ رُكّعا وسجودًا (١)

(د) أن تأتى بعدها جملة (أنّ واسمها وخبرها) وهذا كثير فى اللغة ومن ذلك قول توبة بن الحُمَيّر :

ولو أنّ لَيْلَى الأخيلِيّةَ سلّمتْ ... علىّ ودونى جَنْدَلٌ وصفائحُ (٢)
لسلّمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زَقا ... إليها صَدًى من جانبِ القبر صائحُ

وحينئذ يكون المصدر المؤول من (أنّ واسمها وخبرها) فاعلا لفعل محذوف على الرأى المشهور .

---

(١) الشاهد : فى البيت الثانى ، إذ جاء فعل الشرط للحرف (لو) مضارعا (يسمعون) لكن معناه الماضى ، لأن سياق البيت يدل على ذلك ، فكأنه قال (لو سمعوا) .

(٢) الجندل : الحجارة الصلبة - صفائح : الحجارة العراض التى تغطى فتحات القبور - زقا : صاح - الصدى : رجع الصوت .

ثانيا : جملة الجواب : وتأتى على الصور التالية :

(أ) أن يكون فعلا ماضيا مثبتا ، مثل (لو قَدَر اللَّئيم على الكريمِ لأهانَه ، ولو قدر عليه الكريمُ لعفا عنه) .

(ب) أن يكون فعلا ماضيا منفيا بالحرف (ما) مثل (لو أُهمِلَ العلمُ فى الأمّة ، ما بقيتْ لها حضارة) وفى كلتا الصورتين السابقتين يصح أن يأتى فى أول الجواب لام تسمى « لام جواب الشرط » .

(جـ) أن يأتى الجواب فعلا مضارعًا منفيا بالحرف (لم) مثل (لو حكمتُ لم أظلمْ ، ولو ارتقيتُ لم أغترّ) .

• لَوْلا :

يقول عنها المعربون : إنها (حرف امتناع لوجود) ومعنى هذه العبارة أن جوابها امتنع لوجود الشرط ، فإذا قلت : (لولا لطفُ الله لهلك العُصاة) فمعنى هذه الجملة أنه امتنع هلاك العصاة لوجود لطف الله .

وتأتى : الجملة بعدها كما يلى :

أولا : جملة الشرط : وهى جملة اسمية يذكر المبتدأ فيها بعد (لولا) ويحذف الخبر وجوبا .

ثانيا : جملة جواب الشرط : وهى جملة فعلية على التفصيل السابق فى حرف الشرط (لو) .

• من الدعاء المأثور (اللهم لولا أنت ، ما اهتدينا ، ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا ، فأنزِلَنْ سكينةً علينا ، وثبّتْ الأقدامَ إن نادينا) .

• قول الشاعر :

لولا رجاءُ لقاءِ الظَّاعنين لما ... أبقتْ نَوَاهم لنا رُوحًا ولا جَسَدًا [1]

= يقول : لو كنت فى قبرى حيث سد على بالأحجار والصفائح ، ثم جاءت ليلى فسلمت على ، لأجبتها مبتهجًا ، أو لسمعت صياحًا من القبر هو صدى صوتى ؛ إذ حيل بينى وبينها .

الشاهد : فى (لو أن ليلى سلمت) فقد جاء بعد (لو) أن واسمها وخبرها ، وعلى الرأى المشهور يكون المصدر المؤول فاعلا لفعل محذوف هو فعل الشرط وتقدير الكلام (لو حدث تسليم ليلى) .

(١) الظاعنين : الراحلين – نواهم : بعدهم وغيابهم . =

• إذا :

يقول عنها المعربون : (ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه ، منصوب بجوابه) ومعنى هذه العبارة تفصيلا ما يلى :

(أ) أن (إذا) مع إفادتها الشرط ، فإنها اسم بمعنى (حين) وهى منصوبة على الظرفية فى محل نصب .

(ب) أن الشرط والجواب يكون معناهما فى المستقبل ، سواء أجاء لفظهما ماضيا أم مضارعا أم جاء الجواب أمرًا .

(جـ) أن جملة الشرط كلها تكون فى محل جر بالإضافة إلى (إذا) .

(د) أن الذى ينصب (إذا) هو الجواب ، فهو - فى رأى النحاة - عامل الظرف .

من العبارات المأثورة : (كان عمر بن الخطاب إذا تكلّمَ أسمعَ ، وإذا ضربَ أوْجَعَ ، وإذا مشَى أسرعَ) .

• كُلَّمَا :

يقول عنها المعربون : (حرف يفيد الاستمرار ، أداة شرط) ومعناه استمرار تكرار الجواب كلما تكرر الشرط ، تقول : (كُلَّمَا ارتفعَ قَدْرُ الكريم ، ازداد تواضُعًا ، وكُلَّمَا ارتفعَ شأنُ اللئيم ، ازدادَ خِسَّة) ومن البين أن هذا الارتباط لا يتوقف على الماضى أو الحاضر أو المستقبل ، إذ يمكن أن يتحقق فيها جميعا .

• قال الله تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ [الآية ٣٧ من سورة آل عمران] .

• ومن شعر العقاد يشكو صدمته فى الأصدقاء الأوفياء :

أكُلَّمَا لاحَ لى نجمٌ فأتبعه ... خبا الضياءُ ، فلمْ أُبصِرْ سوى كَدَرِ
أكلما قلتُ : هذا جوهرٌ ، نطقت ... عليه دون بَنَانى خِسَّةُ الحَجَرِ
أكلّما قلتُ : هذا كوثرٌ خَصِرٌ ... تجمَّعَ الصَّابُ لى فى الكوثرِ الخصِرِ

= الشاهد : أن (لولا) جاء بعدها اسم مرفوع هو (لقاء) وهو مبتدأ خبره محذوف والجملة الاسمية جملة الشرط ، وجواب الشرط جملة (لما أبقت نواهم لنا روحا ولا جسدًا) .

هى - الحقيقةُ أنساها وأذكرُها ... فى كلِّ يومٍ ولمّا يُجْدِنىَ حذَرِى [١]

• لَمّا : الحينيّة :

هكذا يصفها المعربون فيقال : (لمّا : حينية ، أداة شرط) ومفهوم هذا الوصف أنها بمعنى (حين) فتفيد أيضا تعليق الجواب على الشرط ، تقول : (لَمّا التقى الجمعان ، ثبتَ الشجاعُ وفرّ الجبان) ومن ذلك قول المتنبى :

ولمّا صار وُدُّ النّاس خِبًّا ... جزيتُ على ابتسامٍ بابتسامِ
وصرتُ أشكُّ فيمن أصْطفيه ... لعلْمى أنّه بعضُ الأنامِ [٢]

• • •

(١) بنانى : كفى - كوثر خصر : نهر شديد العذوبة - الصاب : المر - لما يجدنى : لما يفدنى .

التمثيل بهذه الأبيات لأداة الشرط (كلما) حيث وردت الجملة الشرطية معها فى الأبيات الثلاثة الأولى .

(٢) خبا : خداعا - أصطفيه : أصادقه وأختاره - الأنام : الناس .

موضع التمثيل فى البيت الأول ، إذ هو جملة شرطية كاملة ، استخدمت فيها الأداة (لما) .

الفاعل

١ - المقصود بالفاعل لدى النحاة .

٢ - من أهم مباحث الفاعل الأمور التالية :

(أ) الفاعل وعامله من حيث الذكر والحذف .

(ب) عامل الفاعل من حيث الإفراد والتثنية والجمع .

(جـ) عامل الفاعل المؤنث من حيث التأنيث والتّذكير .

(د) الترتيب فى الجملة بين الفعل والفاعل والمفعول .

الفاعل :

لاحظ الأمثلة التالية :

يظلم الأمّةَ ضعفُها أمام الطغاة	} الفاعل اسم صريح
يظلم الأمّةَ أن تَضعفَ أمام الطغاة	} الفاعل اسم مؤول بالصريح
هل يتجبّرُ الطغاةُ على الأمّة إلا بضعفها	} عامل الفاعل فعل صريح
هل مُتَجبرٌ الطغاةُ على الأمة إلا بضعفها	} عامل الفاعل اسم شبيه بالفعل
أذلَّ الجبنُ أعناقَ الرجال	} لقد قام الفاعل بالفعل وعمله
ذلَّ رجالٌ من طبعهم الجبن	} لقد قام الفعل بالفاعل فنسب إليه

الفاعل - كما جاء فى قطر الندى - اسم صريح أو مؤول به وأسند إليه فعل أو شبيه به ، مقدم عليه بالأصالة ، واقعا منه أو قائما به أ . هـ .

ومن هذا التعريف المركّز يمكن أن توصف الجملة التى يأتى فيها الفاعل بالصفات التالية :

(أ) أن الفاعل يكون اسمًا صريحًا سواء أكان ظاهرًا أم مضمرًا ، تقول : (أوحى الله الرسالةَ للنبيين فبلّغوا للبشر ما سمعوه) . وقد يكون اسمًا مؤوّلا

بالصريح ، والحروف التى تؤوّل بالصريح هنا ثلاثة هى (أنْ - أنّ - ما) تقول : (ساءَنى أنّك مريض ، وسرّنى أنْ شُفِيت ، إذ أبْهَجَنا ما نجوتَ من الخطر) .

(ب) أن يكون عامله فعلا أو شبه الفعل (اسم فاعل - أمثلة مبالغة - صفة مشبهة - اسم التفضيل ... إلخ) تقول : (الشر نادِمٌ فاعلُه) أو (الفسادُ نمّامٌ ناقِلُه) .

(جـ) أن يقوم الفاعل بالفعل ويعمله ، فيقع منه ، أى يفعله حقيقة ، مثل (صنعتُ المعروفَ وتناسيتُ صنعَه) . أو ينسب الفعل للفاعل دون أن يعمله مثل (انتصرَ الحقُّ ، وانهزم الباطلُ) ومثل (تحطمتْ الطائرةُ ، واصطدمت بالأرض) فليس معنى أنه (فاعل) أنه قام بالعمل فعلا ، بل قد يقوم به ، وقد ينسب إليه - كما هو واضح فى الأمثلة .

الفاعل وعامله من حيث الذكر والحذف :

يقصد بعامل الفاعل - لدى النحاة - ما رفع به الفاعل ، سواء أكان فعلا أم شبه فعل ، والأصل - كما سبق - ألا يحذف شىء من الكلام العربى بل يكون الكلام كله مذكورًا ، فلا يقدَّر شىء على ما هو مذكور فعلا ، لكن من منهج النحاة الحذف ، فما هو الرأى فى حذف كل من العامل والفاعل ؟

أولا : حذف العامل :

لاحظ المحادثة التالية :

- هل لَبّى الأصدقاءُ دعوتَك لهم ؟
- نعم .. بعضُهم
- ألم يعتذرْ إليك الغائبون ؟
- بلى .. الغائبون بل الحاضرون نيابة عنهم .

ففى هذه المحادثة جاء فى الرد الأول حذف الفعل ، فأصل الجملة (نعم لبّى بعضُهم) وكذلك فى الرد الثانى حذف من الجملة فعلان ، وأصلها (بلى اعتذر الغائبون بل تأسّفَ الحاضرون نيابة عنهم) وكل ذلك لأن الكلام قد فهم منه ذلك المحذوف ، ومن ذلك الشواهد التالية :

• قول الله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الآية ٨٧ من سورة الزخرف] .

• قول الشاعر :

تجلّدْتُ حتى قِيل لَم يعْمرُ قلبَه
من الوجْدِ شىءٌ قلتُ بل أعظمُ الوَجْدِ (١)

لكن : يصبح هذا الحذف واجبا بعد أداتىَ الشرط (إنْ - إذا) إذا وجد بعدهما اسم مرفوع وقد تأخر عنه مفسر للمحذوف ، تقول : (إنْ سفيهٌ أهانَك فلا تجبْه ، وإذا كريمٌ غضبَ منك فصالحْه) ومن ذلك الشواهد التالية :

• قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الآية ٧ من سورة التوبة] .

• قول أميّة بن أبى الصلت لابنه :

إذا ليلةٌ نابتْك بالشكْوِ لم أبِتْ لشكواكَ إلاّ ساهرًا أتَمَلْمَل (٢)

ثانيًا : حذف الفاعل :

من المعلوم أن هناك فرقًا بين الاستتار والحذف ، فالاستتار يوصف به « الضمير » وهو فى حكم المذكور - أما الحذف فهو من صفات « الاسم الظاهر » والمحذوف يعتبر غير موجود أصلا .

فالأصل فى الفاعل أن يكون مذكورا ، مثل (طال اللّيلُ وسهِر المتْعَبون) وقد يكون مستترًا مثل (تَخيّرْ الأوقاتَ المناسبةَ لزيارة أصدقائك ولا تُزعجْهم فى غير تلك الأوقات) .

أما حذف الفاعل ، فالرأى المشهور عنه أنه ممنوع - إلا فى مواضع خاصة تذكر فى أبوابها .

هذا وتسوق كتب النحو الحديث التالى : (لا يزنى الزّانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) (٣) ، إذ يشعر هذا الحديث أن

---

(١) تجلدت : أظهرت الصبر - لم يعر قلبه : لم يصبه - الوجد : الشوق والحب .

الشاهد : فى (بل أعظم الوجد) فإنه فاعل بفعل محذوف جوازًا يدل عليه الكلام السابق ، وتقدير الكلام (بل عراه أعظم الوجد) .

(٢) نابتك : أصابتك ، والمقصود : حدث فيها ما تشكو منه - أتململ : أتقلب .

الشاهد : فى (إذا ليلة نابتك بالشكو) حذف الفعل وجوبا بعد (إذا) وتقدير الكلام (إذا نابتك ليلة نابتك) وكلمة (ليلة) فاعل بهذا الفعل المحذوف .

(٣) صفوة صحيح البخارى جـ ٤ ص ١٠٧ .

فاعل (يشرب) محذوف ، إذ لا يمكن أن يكون ضميرًا يعود على (الزانى) لأن هذا غير ذاك – لكن اتساقا مع الرأى المشهور اعتبر فاعله ضميرًا مستترًا يعود على (الشارب) من مضمون الكلام .

عامل الفاعل من حيث الإفراد والتثنية والجمع :

لاحظ الأمثلة التالية :

قدّم العلمُ أجلَّ الخدمات لمدنيّة عصرنا	} العامل مفرد – الفاعل مفرد
وأدّى العلماءُ دورهم فى خدمة الإنسانية	} العامل مفرد – الفاعل جمع
وتتسابق الدولتان الكبريان فى العالم لاحتواء العلماء	} العامل مفرد – الفاعل مثنى

عامل الفاعل قد يكون فعلا وقد يكون اسمًا شبيهًا بالفعل – كاسم الفاعل مثلا – والدلالة على التثنية فى الفعل تكون بإلحاق ألف الاثنين به ، والدلالة على الجمع تكون بإلحاق علامة الجمع به – أما الشبيه بالفعل فيكون بتثنيته أو جمعه .

إذا علم ذلك ، فإن الأصل فى اللغة المشتركة أن تبقى العامل مفردًا دائمًا فلا يثنى ولا يجمع – كما هو ملاحظ فى الأمثلة السابقة – سواء كان الفاعل مفردا أم مثنى أم مجموعا – وهكذا وردت النصوص اللغوية التى يعتد بها شعرًا ونثرًا .

لكن ، يبدو أن الخطأ فى منهج جمع اللغة حيث أخذت عن قبائل متعدّدة قد كان له أثر فى الاستدراك على هذه الفكرة السابقة .

قال ابن هشام : « وحكى البصريون عن « طَيِّئ » وبعضهم عن « أَزْدَ شنوءة » نحو (ضربونى قومُك وضربْننى نسوتُك وضرباني أخواك) » . أ . هـ .

ومعنى ذلك أن بعض قبائل العرب تلحق علامات التثنية والجمع بعامل الفاعل المثنى أو المجموع – وتروى لذلك الشواهد التالية :

• قول عبد الله بن قيس الرقيات :

تولّى قتالَ المارِقين بنفسه ... وقد أسْلَمَاهُ مبْعَدٌ وَحَمِيم [1]

---

(١) المارقين : الخارجين عن الدين – مبعد وحميم : أجنبى وصديق – والبيت من قصيدة فى رثاء مصعب بن الزبير .

قول العتبى :

رأينَ الغَوانى الشَّيْبَ لاحَ بعارِضى   فأعرضْنَ عنى بالخدود النَّواضِرِ [(١)]

هذا وقد حمل على هذه اللغة قول الرسول ﷺ : (يَتَعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار) [(٢)] حيث ألحقت علامة الجمع بالفعل (يتعاقبون) .

كما حمل عليها أيضا قول الرسول ﷺ فى حديثه مع « ورقة بن نوفل » إذ قال له : (وسيخرجُك قومُك) [(٣)] فقال عليه السلام : (أوَ مُخْرِجِىَ هم) بتشديد الياء ، أصلها (مُخرِجُوىَ) بإلحاق علامة الجمع .

والحق أن هذين الحديثين كثر حولهما حديث الناس فى التأويل والتخريج - وأحسن ما يختار من ذلك ما يلى :

أن الحديث الأول رُوِىَ ناقصا ، وأصله (إن لله ملائكةً يتعاقبون فيكم ، ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار) - ولا شاهد فيه على هذه الرواية .

وأن الحديث الثانى - فيما أظن روايته الصحيحة (أو مُخْرِجِىَ هُمْ) دون تشديد الياء - وعلى ذلك لا شاهد فيه .

وتطلق كتب النحو على هذه اللغة (لغة أكلونى البراغيث) وسماها ابن مالك لغة (يتعاقبون فيكم ملائكة) إشارة للحديث السابق .

والذى أراه أن هذه اللغة رديئة ، بدليل أنه لا يستعملها فى وقتنا الحاضر إلا الصبيان الصغار الذين لم يتمرّسوا بالفصاحة ، وكذلك عوامّ الناس فى اللهجة الدّارجة ، حيث يقول الصغار فى موضوعات الإنشاء : (انصرفوا الطلبة) ويقول العوامّ (صحُوا الأطفال) .

عامل الفاعل المؤنث من حيث التأنيث وتركه :

ينبغى قبل الحديث عن هذا الموضوع فهم أمور ثلاثة هى (كيفية تأنيث العامل فعلا أو شبه فعل - المؤنث الحقيقى التأنيث - المؤنث المجازى التأنيث) .

= الشاهد : فى قوله (أسلماه مبعد وحميم) حيث ألحق علامة التثنية بالفعل (أسلماه) لأن الفاعل اثنان (مبعد وحميم) وهذا على لغة بعض العرب .

(١) الشاهد : (رأين الغوانى) حيث ألحق علامة الجمع المؤنث بالفعل (رأين) لأن الفاعل جمع وهو (الغوانى) وهذا على لغة بعض العرب .

(٢) انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٢٩ .

(٣) انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ١٤٢ .

(أ) فأما تأنيث العامل ، فإنه إن كان فعلا ماضيا لحقته تاء التأنيث الساكنة ، مثل (أورَقتْ – سمتْ – أثمرتْ – ترامتْ) . وإن كان فعلا مضارعا ، فإن تأنيثه يكون بمجيء حرف المضارعة (التاء) فى أوله إشارة للمفردة الغائبة ، مثل (تنمو – تورق – تثمر – تحصد – تجمع – تُثرى) . وإن كان العامل اسما يشبه الفعل – كاسم الفاعل أو اسم المفعول – فإن تأنيثه يكون بإلحاق التاء المتحركة فى آخره ، تقول : (مؤدّبة – طيّبة – محافظة – متبرجة – مذمومة – مهانة) .

(ب) أما المؤنث الحقيقى فيقصد به كل ما يبيض أو يلد من الإنسان والحيوان والطيور ، مثل (فاطمة – سعاد – زينب – الزرافة – الحمامة – اليمامة – الحدأة) .

(جـ) أما المؤنث المجازى فهو كلمات فى اللغة استعملت مؤنثة وإن كانت مما لا يبيض أو يلد ، وقد دلّ على استعمالها مؤنثة أنه يشار إليها على أنها مؤنثة ، ويعود الضمير المؤنث عليها فى الكلام ، مثل : (شجرة – برتقالة – يد – شمس – طريق) تقول : (اهتزّتْ شجرةُ البرتقال فسقطتْ منها برتقالةٌ فالتقطتُها) .

إذا علم ذلك ، فإن تأنيث العامل مع الفاعل المؤنث على التفصيل التالى :

أولا : وجوب التأنيث :

يكون ذلك فى موضعين :

١ – أن يكون الفاعل مؤنثا حقيقى التأنيث ، ولم يفصل بينه وبين عامله فاصل مثل (تثقفتْ الفتاةُ فى مجتمعنا ، وأدّتْ المرأةُ دورها بجوار الرجل) . وتقول : (زاملتْ الطالبةُ الطالبَ فى الجامعة ، وأدّتْ واجبها مثله فى الحياة العملية) .

٢ – أن يكون الفاعل ضميرًا مستترًا متصلا يعود على مؤنث سابق مثل قولك : (الجامعةُ أدّتْ أجلَّ الخدمات للوطن ، فقد صنعتْ حضارةً وخبرةً أضاءتَا حياتنا وحياةَ غيرنا من الشعوب) . وتقول : (الفتاةُ العربية تسيء إلى نفسها إذ تتنازل عن شخصيتها لتقلّدَ غيرها فى النافع والضّار) .

هذا هو الأصل فى وجوب التأنيث ، وقد وردت شواهد على غير هذا الأصل ، وإليك نموذجا من هذه الشواهد :

* قول لبيد يخاطب ابنتيه :

تمنّى ابنتاى أن يعيشَ أبوهما   وهل أنا إلاّ من ربيعةَ أو مُضَر

فقُوما وقولا بالذى تعلمانِه ولا تخْمِشَا وَجْهًا ولا تحلِقَا شَعَرْ
وقولا هو المرءُ الذى لا صديقَه أضاعَ ، ولا خان الخليلَ ولا غدَرْ
إلى الحوْلِ ، ثم اسمُ السلامِ عليكما ومن يبكِ حولا كاملا فقد اعْتَذَرْ (١)

وقد حمل ترك تاء التأنيث فى هذا البيت على لغة الشعر الخاصة إذا اعتبر الفعل ماضيا ، وأصله (تَمَنَّتْ) ، أما إذا اعتبر الفعل مضارعا (تَتَمَنَّى) فإن ترك التاء الأولى جائز صرفيا .

جواز التأنيث وتركه :

يصح تأنيث العامل وترك تأنيثه مع الفاعل المؤنث إذا جاء فى جملته على الصفات التالية :

١ - أن يكون الفاعل مؤنثًا حقيقى التأنيث ولم يتصل بالعامل ، بل فصل بينهما ، تقول : (روتْ عن النبى فى بيته عائشةُ زوجُه ، وعاشت بعده شهورًا قليلة فاطمة ابنتُه) . ومن ذلك قول الشاعر :

إنَّ امرءًا غَرّه منكنّ واحدةٌ بعدى وبعدَكِ فى الدنيا لمغرورُ (٢)

٢ - أن يكون الفاعل مؤنثًا مجازيًا مطلقًا ، تقول : (أقلعتْ الطائرةُ من المطار) أو (أقلعَ الطائرةُ من المطار) وتقول : (أورقتْ الشجرةُ فى الربيع) أو (أورقَ الشجرةُ فى الربيع) قال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الآية ٥٧ من سورة يونس] وقال : ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ ﴾ [الآية ٧٣ من سورة الأعراف] .

٣ - أن يكون الفاعل جمع تكسير - باتفاق النحاة - تقول : (سَتَنْقَشِعُ

(١) لا تخمشا وجها : لا تجرحاه من شدة اللطم - فقد اعتذر : فقد قدم عذره ؛ إذ أدى ما عليه .
الشاهد : فى البيت الأول فى (تمنى ابنتاى) فإن الفاعل مؤنث حقيقى التأنيث ولم يفصل بينه وبين الفعل فاصل ، والواجب فى هذا الموضوع التأنيث ، بأن يقول (تمنت) إذا اعتبر الفعل ماضيا ، أو (تتمنى) إذا اعتبر الفعل مضارعا ، لكنه جاء بالفعل دون تأنيث ، ويحمل هذا على لغة الشعر الخاصة فى الماضى ، ويحمل ترك التأنيث فى المضارع على حذف إحدى التاءين من أوله - وهذا جائز صرفيا .

(٢) الشاهد : فى (غره منكن واحدة) حيث جاء الفاعل مؤنثًا حقيقى التأنيث (واحدة) وفصل بينه وبين الفعل بضمير الغائب والجار والمجرور فيصح التذكير والتأنيث ، وقد جاء الفعل بدون تأنيث .

السُّحُبُ عن حياتنا وتصفو الأيامُ) ولك أن تقول : (سينقشع السحبُ عن حياتنا ويصفو الأيامُ) قال الله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ﴾ [الآية ١٤ من سورة الحجرات] وقال : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [الآية ٣٠ من سورة يوسف] .

ومثل هذا الجمع فى جواز التأنيث وتركه اسم الجمع - ما لا واحد له - مثل (قوم - رهط - نسوة) واسم الجنس الجمعى - ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء أو ياء النسب - مثل (شَجَر - جُنْد - رُوم) .

أما جمع المؤنث السالم فإن العامل - على الرأى المشهور - يؤنث معه مثل (فى حروب الإسلام تحمَّلتْ المجاهداتُ نصيبهنَّ مع المجاهدين) .

أما جمع المذكر السالم ، فإن العامل - على الرأى المشهور أيضا - يجب تذكيره ، كقولك : (فى عَهْدِ أبى بكر تمسك المسلمون بعقيدتهم ، وقاتلوا دفاعا عنها ، فثابَ المرتدُّون إلى الحق بعد الضلال) .

هذا هو الأصل فى هذه المسألة - يلخصه ما يأتى :

(أ) جمع التكسير : يصح فى العامل معه التذكير والتأنيث .

(ب) جمع المؤنث السالم : يجب تأنيث العامل معه .

(جـ) جمع المذكر السالم : يجب تذكير العامل معه .

وفى هذه المسألة خلاف حادّ حول (جمع المؤنث السالم وجمع المذكر السالم) لا داعى لذكره هنا ، ولك - إن شئت - العودة إليه فى (أوضح المسالك لابن هشام) .

التركيب بين الفعل والفاعل والمفعول :

لاحظ الأمثلة التالية :

لاحتْ الفرصةُ فانتهزها الجسورُ

الفرصةُ لاحتْ فالجسورُ انتهزها

من أحكام الفاعل أن يأتى بعد عامله ، ولا يتقدم عليه ، فإن تقدم على العامل ترك وظيفة « الفاعل » إلى وظيفة أخرى هى « المبتدأ » .

فالترتيب إذن بين الفعل والفاعل يجب أن يكون على الأصل ، بأن يتقدم

الفعل ويتأخر الفاعل ، وإنما الترتيب الذى يحدث فى الجملة يكون عن الطرف الأخير - المفعول - فهو الذى يترك موضعه ليتوسط أحيانا بين الفعل والفاعل أو ليتقدم عليهما معا ، وذلك على التفصيل التالى :

أولا : توسط المفعول بين الفعل والفاعل :

وهذا أمر مباح فى اللغة ، وهو كثير جدا فى النصوص العربية ، تقول : (بلَّغ الرسالةَ الرسولُ) وتقول : (وَقّرَ الكبيرَ الصغيرُ وعاونَ الصغيرَ الكبيرُ) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾ [الآية ٤١ من سورة القمر] .

لكن ، يصبح هذا التوسط أمرًا ضروريًا فى مسألتين :

الأولى : أن يتصل الفاعل بضمير يعود على المفعول :

لاحظ الأمثلة التالية :
أحبَّ الوطنَ أهلُه
إذ يتعشقُ الأرضَ فلاّحوها
ويحبُّ المصانعَ عُمّالُها

ففى الأمثلة السابقة يجب أن يتأخر الفاعل عن المفعول ، ولا يصح تقدمه .

* قال الله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ [الآية ١٢٤ من سورة البقرة] .
* وقال : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ [الآية ٥٢ من سورة غافر]

فالترتيب فى هذه الصورة يكون هكذا :

الفعل + المفعول + الفاعل .

ولم ترد على الأصل إلا لغة الشعر ، ومن ذلك قول سليط بن سعد :

جزَى بنوه أبا الغَيْلانِ عن كِبَرٍ وحسْنِ فعلٍ كما يُجْزَى سِنِمَّارُ (١)

---

(١) أبا الغيلان : كنية رجل - سنمار : يقال : إنه رجل رومى بنى قصرا لملك الحيرة ، فلما فرغ من بنائه ألقاه الملك من أعلى القصر ، لئلا يبنى مثله لغيره - ويضرب بذلك المثل فى سوء الجزاء .

الشاهد : فى (جزى بنوه أبا الغيلان) إذ كان الواجب أن يكون الترتيب فى هذه الجملة هكذا (جزى أبا الغيلان بنوه) لاتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول ، لكنه جاء فى البيت على الأصل توسعًا فى لغة الشعر .

الثانية : أن يكون الفاعل محصورا بطريقتَىْ (إنَّما - إلاَّ) :

لاحظ الأمثلة التالية :

- إنما يقدّسُ الحريةَ الأحرارُ

- ولا يبغضُ الكرمَ إلا اللؤماءُ

فالترتيب فى هذه الصورة أيضا يكون هكذا : الفعل + المفعول + الفاعل . ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [الآية ١٨ من سورة فاطر] ولم يرد الترتيب على الأصل مع (إلاّ) فى غير لغة الشعر ، ومن ذلك :

ما عابَ إلاَّ لئيمٌ فِعلَ ذى كَرمٍ ولا جَفَا قطُّ إلا جُبأٌ بطَلا [(١)]

ثانيا : تقدم المفعول على الفعل والفاعل :

لاحظ الأمثلة التالية :

الصدقَ التزمتُ والكذبَ اجتنبتُ

الصراحةَ أحببتُ والغِشَّ كرهتُ

فى كل مثال من الأمثلة الأربعة السابقة تقدم المفعول على الفعل والفاعل جميعا ، وهذا شائع فى لسان العرب ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [الآية ٨٧ من سورة البقرة] .

لكن يصبح هذا التقديم واجبا فى ثلاث مسائل هى :

الأولى : أن يكون المفعول مما له صدارة الكلام :

لاحظ الأمثلة التالية :

أىَّ الدراستين تحِبُّ النحو أم الأدب !!

---

(١) جفا : من الجفوة ، وهى الكراهية - جبأ : جبان .

يقول : لا يعيب الكريم إلا اللئيم ، ولا يكره الشجاع إلا الجبان .

الشاهد : فى الشطرين ، الأول (ما عاب إلا لئيم فعل ذى كرم) إذ كان من الواجب توسط المفعول وتأخر الفاعل ، لأن الأخير محصور بالحرف (إلا) لكنه قدم الفاعل على الأصل توسعا فى لغة الشعر - وفى الشطر الثانى (ما جفا قط إلا جبأ بطلا) ما يماثل الشطر الأول .

وماذا اخترتَ لدراستك العليا منهما ؟!

كلمة (أيّ) فى المثال الأول ، وكلمة (ماذا) في المثال الثانى ، كل منهما مفعول مقدم – بل واجب التقديم – فى المثالين ، لأنهما من (أسماء الاستفهام) وأسماء الاستفهام لا ترد داخل الكلام ، بل لها – كما يقول النحاة – صدارة الكلام ، ومثلها أيضا (أسماء الشرط) .

الثانية : فى مثل قول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الآيتان ٩ ، ١٠ من سورة الضحى] .

فكل من الكلمتين (اليتيم) و (السائل) مفعول مقدم ، بل هو واجب التقديم .

جاء فى أوضح المسالك تحديد هذه المسألة بقوله : « أن يقع عامله بعد الفاء وليس له منصوب غيره مقدم عليها ، نحو ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [الآية ٣ من سورة المدثر] و﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ بخلاف (أما اليوم فاضرب مزيدا) » . أ . هـ .

الثالثة : أن يكون المفعول ضميرا منفصلا ، لو تأخر وجب اتصاله كقول الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الآية ٤ من سورة الفاتحة] ولو تأخر ، كانت الجملة (نَعْبُدُكَ) وهذا غير مراد ، والمراد الانفصال .

• • •

نائب الفاعل

١ - وصف جملة النائب عن الفاعل وصفا إجماليا .

٢ - توضيح مفصل لما يتعلق بجملة النائب عن الفاعل ويشمل :

(أ) الأغراض التى يحذف لأجلها الفاعل .

(ب) ما ينوب عن الفاعل .

(جـ) شكل الفعل المبنى للمجهول .

٣ - ما ورد من الأفعال مبنيًا للمجهول دائما .

جملة النائب عن الفاعل إجمالا :

لاحظ الأمثلة التالية :

(أ) مبنى للمعلوم	(ب) مبنى للمجهول
يُراعِى القاضى جانبَ الحق	يُرَاعَى جانبُ الحق
ويَبْحَثُ عن الحقيقة بين الكذب	ويُبْحَثُ عن الحقيقة بين الكذب
فيَحْكُمُ على المتهم بالعدل	فيُحْكَمُ على المتهم بالعدل

جملة النائب عن الفاعل هى : « كل جملة حذف منها الفاعل لغرض من الأغراض ، وأقيم غيره مقامه ، مع تغيير شكل الفعل للمبنى للمجهول » . أ . هـ .

فجملة النائب عن الفاعل تتكون مما يلى تفصيلا :

(أ) أنه يحذف منها الفاعل كما هو واضح فى الأمثلة ، بحذف كلمة (القاضى) فى المثال الأول ، وما يعود عليه من الضمائر فى الجملتين التاليتين .

(ب) إقامة غير الفاعل مقام الفاعل ، كما هو واضح فى الأمثلة فى (جانب - عن الحقيقة - على المتهم) .

(جـ) يغير شكل الفعل ليطلق عليه حينئذ أنه مبنى للمجهول ، مثل (يُرَاعَى - يُبْحَثُ - يُحْكَم) .

وهذه الأمور الثلاثة السابقة فى حاجة إلى تفصيل لكل منها .

أغراض حذف الفاعل :

الحق أن جملتى الفاعل والنائب عن الفاعل مختلفتان تماما فى المعنى والاستعمال ، مثلا (رَاعَى المؤمنُ ضميرَه) تختلف عن (رُوعِىَ الضميرُ) من حيث المعنى ومن حيث الاستعمال .

لكن النحاة ربطوا بين الجملتين ذهنيا ، فجعلوا جملة النائب عن الفاعل محوّلة عن جملة الفاعل ، أو بعبارة أوضح : اعتبروا جملة الفاعل هى الأصل ، وأن الفاعل قد حذف منها ، فراحوا يبحثون عن أسباب حذفه .

ولو اقتصر على الاستعمال بالتفريق بين الجملتين ، لما كان هناك داعٍ بالمرة للبحث عن الفاعل المحذوف .

ومع ذلك فإن هذا البحث عن الفاعل المفقود إنما هو مبحث أسلوبى يهتم به دارس البلاغة ، ولا يهم كثيرا دارس النحو .

لذلك ، فإنه ينبغى التعرف على أسباب غياب الفاعل بصورة موجزة فيما يلى :

(أ) أن يكون الفاعل مجهولا جهلا تامّا للمتكلم ، فهو لا يعرفه ، بل يعرف آثار فعله فقط ، كأن نسمع (يُشَاعُ كذا وكذا) إذا لم يعلم صاحب الإشاعة ، وكذلك ما يأتى فى كتب الحديث (رُوِىَ الحديثُ الدينى ...) دون أن يعرف الراوى ، ويمثل النحاة لذلك بقولهم : (سُرِقَ المتاعُ) إذا لم يعلم السارق .

وربما تعمد المتكلم تجاهل الفاعل قصدا - مع أنه يعرفه - بهدف التَّعْمِيَة على المخاطب تحقيقا لمصلحته الشخصية أو مصلحة الفاعل وسلامته ، كقول شخص لآخر : (نُقِل إلىّ ذمُّك لى) أو قوله : (يُقَالُ عنك كذا وكذا) فلا شك أن هناك شخصا قد نقلَ الكلام إلى المتكلم - وهو يعرفه - وكذلك لا شك أن هناك شخصا قد تحدث عن المخاطب بما يقوله المتكلم - وهو يعرفه لكنه تحقيقا لسلامة الناقل أو القائل أو تحقيقا لمصلحته الشخصية - كيلا يعاتب على ذلك - يرفض ذكر الفاعل فى الكلام .

(ب) أن يكون الفاعل معلوما تماما ، بحيث يكون من العبث وفضول الكلام ذكره ، كقولك لأحد المثقفين : (أُلقِيَتْ القنبلةُ الذّريّة على اليابان سنة ١٩٤٥) أو قولك : (أُوقِفتْ الحربُ العالمية الأولى سنة ١٩١٨) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الآية ٣٧ من سورة الأنبياء] فالخالق معلوم وهو الله .

(جـ) أن يصرف النظر عن الفاعل تمامًا ، لأن الذهن متجه لغيره ، فليس من المفيد علمه أو جهله ، كقولك : (أُغْلِنَتْ نتيجةُ الامتحان ، فنجحت ونجح الزملاء) ويقال : (يُكرَم القريبُ لرحِمِه ، ويُكرَمُ الغريبُ لوحدته) .

(د) استقامة موسيقى الكلام - سواء كان سجعا أم شعرا - ومن أشهر ما يساق لذلك قولهم فى الحكمة : (من طَابَتْ سريرتُه ، حُمِدَتْ سيرتُه) .

وقول الشاعر :

وما المالُ والأهلون إلاّ ودائعُ ... ولا بدَّ يومًا أن تُرَدَّ الودائعُ (١)

مبنى للمعلوم	مبنى للمجهول	نائب الفاعل
يُقَدِّمُ الجادّون العملَ على الكلام	يُقَدَّمُ العملُ على الكلام من الجادّين	المفعول به
ويُقدِّمُ المهرّجون الكلامَ على العمل	ويُقَدَّمُ الكلامُ على العمل من المهرجين	المفعول به
يَتَمَادَى الظالمون فى الغرور والصَّلَف	يُتَمَادَى فى الغرورِ والصَّلف من الظالمين	الجار والمجرور
ويَنْتَظِرُ المظلومون أيامًا طويلة للخلاص	وتُنْتَظَرُ أيامٌ طويلة للخلاص	الظرف
حيث يَبْتَهِجُون ابتهاجًا صحيحا بالحرية	حيث يُبْتَهَجُ ابتهاجٌ صحيحٌ بالحرية	المصدر

(١) الشاهد : فى البيت حذف الفاعل فى (ترد الودائع) وأصلها (يرد الناس الودائع) وحذف الفاعل من الأسلوب الأخير لإقامة موسيقى البيت .

ينوب عن الفاعل - بعد حذفه - أحد شيئين مرتبين كما يلى :

الأول: المفعول به - إذا كان الفعل متعديا - كما هو واضح فى القسم الأول من الأمثلة ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ [الآية ٤٤ من سورة هود] .

وقول الشَّنفرى :

وإن مُدّت الأيدى إلى الزّاد لم أكن
بأعجلهم إذ أجشعُ القومِ أعْجَلُ (١)

الثانى : الجار والمجرور أو الظرف أو المصدر - إذا كان الفعل لازما - كما هو واضح فى القسم الثانى من الأمثلة ، ومن ذلك :

* قول الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٍ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآ ﴾ [الآية ٧٠ من سورة الأنعام] .

* وقوله : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴾ [الآية ١٣ من سورة الحاقة] .

ويشترط فى هذه الثلاثة - كما قال ابن مالك - أن تكون قابلة للنيابة عن الفاعل ، بأن تكون مفيدة فى استعمالها ويتحقق هذا فى الظرف والمصدر خاصة بأن يكون كل منهما (متصرفا - مختصا) كما فى الأمثلة والشواهد السابقة (سيأتى فهم هذين المصطلحين فى بابَىْ : المفعول المطلق والظرف) .

هذا هو أصل الموضوع ، ينوب المفعول به أولا ، فإن لم يوجد فى الكلام مفعول به كان النائب واحدا من الأمور الثلاثة السابقة - وعلى ذلك رأى جمهور النحاة .

لكن بعض النحاة يرى أنه يصح أن ينوب واحد من هذه الثلاثة مع وجود المفعول به فى الكلام ، ويوردون لذلك بعض الشواهد ، ومنها :

* قول جرير يهجو الفرزدق :

---

(١) أشجع : الشديد الرغبة والنهم والطمع .

الشاهد : فى قوله (مدت الأيدى) حيث ناب المفعول عن الفاعل ، لأن الفعل متعد .

ولو ولدتْ قُفَيْرَةُ جَرْوَ كلبٍ　　لَسُبَّ بذلك الجَرْوِ الكلابا [١]

* قول الآخر :

وإنما يُرْضِي المنيبُ رَبَّه　　ما دام مَعْنِيًّا بذكْرٍ قلبَه [٢]

هذان البيتان وأمثالهما موضع أخذ وردّ كثير بين النحاة حول هذه القضية مما لا داعى لذكره هنا .

شكل الفعل المبنى للمجهول :

يحدث فى شكل الفعل المبنى للمجهول تغير على النحو التالى :

أولا : الفعل الماضى :

الأصل فيه أن يضم أوله ويكسر ما قبل آخره ، مثل (سُمِعَ - كُتِبَ - أُكْرِمَ - أُهِينَ) وهذا مطرد فى كل الأفعال الماضية .

ويضاف لهذا الأصل أن الفعل إذا بدئ بتاء زائدة ، وجب ضم الحرف الثانى منه أيضا ، تقول (تُعُلِّمَ - تُرُوِّىَ - تُنُودِىَ - تُرُوكِمَ - تُشُورِكَ) .

فإذا بدئ الفعل الماضى بهمزة وصل ، وجب ضم الحرف الثالث منه زيادة على ضم الأول ، مثل (ابْتُدِئَ - انْتُصِرَ - اسْتُغْفِرَ - اسْتُبِيحَ) .

فإذا كان الفعل الماضى أجوف مثل (سَامَ - لَامَ - نَامَ - قَالَ - رَامَ - بَاعَ - رَادَ - لَانَ) فقد ورد عن العرب فى تشكيل فائه ونطق عينه - ثلاث لغات هى :

(أ) كسر فاء الفعل فيكون حرف العلة ياء ، وحينئذ فالنطق هو (سِيمَ - لِيمَ - نِيمَ - قِيلَ - رِيمَ - بِيعَ - رِيد - لِين) .

(ب) ضم فاء الفعل فيكون حرف العلة واوا ، وحينئذ فالنطق هو (سُومَ - لُومَ - نُومَ - قُولَ - رُومَ - بُوعَ - رود - لون) ومن ذلك ما ورد منسوبا لرؤبة من قوله :

---

(١) الشاهد : فى قوله (لسب بذلك الجرو الكلابا) حيث ناب عن الفاعل الجار والمجرور (بذلك الجرو) وترك المفعول (الكلابا) وهذا اتجاه لبعض النحاة .

(٢) المنيب : التائب - معنيا : المهتم .

الشاهد : فى الشطر (ما دام معنيا بذكر قلبه) فإن (معنيا) اسم مفعول يجىء بعده النائب عن الفاعل المبنى للمجهول ، وقد ناب عن الفاعل بعده الجار والمجرور (بذكر) وترك المفعول به منصوبا ، وهو (قلبه) وهذا اتجاه لبعض النحاة .

لَيتَ ، وهل ينفعُ شيئا « ليتُ » لَيتَ شَبَابًا بُوعَ فاشتريتُ (١)

(جـ) الإشمام : وهو - كما يقول ابن عقيل - الإتيان بالفاء بحركة بين الضم والكسر ، ولا يظهر ذلك إلا فى اللفظ ، ولا يظهر فى الخط أ . هـ .

هذه اللغات الثلاث نطقت بين العرب ، ونقلها عنهم النحاة ، وكلها - فى رأيهم - صحيحة فصيحة ، وإن كان أفصحها هو اللغة الأولى ، تليها الثانية ثم الأخيرة .

وهنا ينبغى فهم الملاحظات التالية :

• قرئت بعض الأفعال المبنية للمجهول فى الآية ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ [الآية ٤٤ من سورة هود] بالوجوه الثلاثة السابقة .

• إذا كان الفعل على وزن (افْتَعَلَ) أو (انْفَعَلَ) وهو أجوف مثل (اختار - اعتاد - انقاد - انجاب) فقد ورد فى الحرف الذى قبل عينه اللغات الثلاث السابقة حين يبنى للمجهول .

• إذا بنى الفعل الثلاثى الأجوف للمجهول - وكان نائب الفاعل ضمير متكلم أو مخاطب أو غائب مثل العبارتين (لامَني الجاهلون وجَاءَنى لَوْمُهم) أو (لامَــكَ الجاهلون وجَاءَكَ لَوْمُهم) حين تبنى الأفعال فيها للمجهول فيكون ضمير المتكلم أو المخاطب أو الغائب هو نائب الفاعل ، والأحسن حينئذ ما يلى :

(أ) أن ينطق ما أصله واويًا بالكسر أو الإشمام فقط منعا للخلط بينه وبين المبنى للمعلوم ، فيقال : (لِمْتُ - أو - لِمْتَ) .

(ب) أن ينطق ما أصله يائيًا بالضم أو الإشمام فقط منعا للخلط بينه وبين المبنى للمعلوم ، فيقال : (جُزْتُ - جُزْتَ) .

ثانيا : الفعل المضارع :

يضم أوله ويفتح ما قبل آخره بلا تفصيل مثل(يُفْهَم - يُسمع - يُقَال - يُنْتَقَى - يُرْتَجَى - يُسْتَبَاح) .

---

(١) الشاهد : فى « بوع » حيث بنى الفعل الماضى الأجوف « باع » ، للمجهول وضم أوله وقلب حرف العلة واوا .

ثالثا : المرفوع بعد الوصف المشتق - لاحظ الأمثلة التالية :

إنّ الحقَّ عالٍ صوتُه	كلمة (صوتُه) فاعل بعد كلمة (عالٍ)
وإن الباطلَ مهزومٌ صاحبُه	كلمة (صاحبُه) نائب فاعل بعد (مهزوم)

هذه نقطة دقيقة ، فإن المرفوع بعد الاسم المشتق الدال على الصفة الذى يطلق عليه (اسم المفعول) يكون نائب فاعل ، كقولك : (هذا الإنسانُ محمودٌ سيرتُه) .

فإذا كان المرفوع بعد الوصف المشتق غير ذلك - كاسم الفاعل - رفع على أنه فاعل لا نائب فاعل ، فنقول : (أبالغٌ المسافرُ غايتَه) .

وأساس هذا الموضوع أن اسم المفعول يبنى صرفيا من الفعل المبنى للمجهول ، وأما غيره من أسماء الصفات فتأتى من الفعل المبنى للمعلوم ، بدليل أنك لو وضعت فى الجملة التى يردان فيها فعلا مناسبا بديلا عنهما ، لجاء مبنيا للمجهول بدل اسم المفعول ، ومبنيا للمعلوم بدل اسم الفاعل وأمثلة المبالغة واسم التفضيل والصفة المشبهة .

ما ورد من الأفعال مبنيا للمجهول دائما :

أورد كتاب « شذا العَرْف » ما يلى من هذه الأفعال :

(عُنِيَ) بمعنى : اهْتَمّ ، (زُهِيَ) بمعنى : تكبّر ، (فُلِجَ) أصابه الفالج ، (حُمَّ) أصيب بالحمَّى ، (سُلَّ) أصابه السّل ، (جُنَّ) ذهب عقله ، (غُمَّ الهلال) احتجب ، (أُغْمِيَ عليه) غُشِي عليه ، (شُدِهَ) تحير ، (امتُقِعَ أو انْتُقِعَ لونه) تغير .

والمرفوع بعدها فاعل لا نائب فاعل أ . هـ

أساليب المدح والذم

تأتى أساليب المدح والذم فى اللغة العربية فى المجموعات الثلاث التالية :

المجموعة الأولى : نعم بئس – ساء :

لاحظ الأمثلة التالية :

نِعْمَ الصِّديقُ أبو بكر

نِعْمَ صديقُ الرسولِ أبو بكر

نِعْمَ صديقًا أبو بكر

* * *

بِئْسَ الرجلُ أبو جهل

بِئْسَ رَجُلُ الأذى أبو جهل

بِئْس رَجلاً أبو جهل

* * *

ساءَ الشعبُ اليهودُ

ساء شعبُ الغَدْرِ اليهودُ

ساء شعبًا اليهود

تتكون جملة المدح والذم مع هذه المجموعة من : فعل المدح أو الذم + الفاعل + المخصوص بالمدح أو الذم – ولكل واحد من هذه الثلاثة حديث يخصه .

(أ) فعل المدح أو الذم : وهو (نعم – بئس – ساء) وهى أفعال جامدة ماضية لإنشاء المدح أو الذم ، والأول منها وهو (نعم) يفيد المدح والأخيران يفيدان الذم – وهكذا يعبر عنها المعربون ، فيقولون فى (نعم) مثلا (نعم : فعل ماض جامد لإنشاء المدح) .

(ب) فاعل هذه الأفعال لا بد أن يكون فيه الألف واللام أو مضافا لما فيه الألف واللام أو ضميرا مستترًا مفسرًا بتمييز بعده – كما ترى فى الأمثلة السابقة .

(جـ) المخصوص بالمدح أو الذم : ويأتى بعد الفعل والفاعل أو قبلهما معا ،

ويقصد به الاسم المحدد الذى تمدحه الجملة الفعلية أو تذمه ، وهو فى الأمثلة السابقة (أبو بكر - أبو جهل - اليهود) .

ويعرب هذا الاسم على أنه مبتدأ - تأخر أو تقدم - وخبره الجملة الفعلية وهذا أحسن الآراء فى إعرابه (راجع ابن عقيل) .

وربما حذف هذا الاسم - المخصوص - إذا كان مفهوما من الكلام .

ومن شواهد تلك المجموعة ما يلى :

قول الله تعالى : ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الآية ٤٠ من سورة الأنفال] وقوله : ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الآية ٣٠ من سورة النحل] وقوله : ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الآية ٢٩ من سورة الكهف] .

وقول الشاعر :

لنعمَ مَوْئِلاً المولى إذا حُذِرت
بأساءُ ذى البَغْى واستيلاءُ ذى الإحَن [1]

المجموعة الثانية : حبّذا - لا حبّذا :

لاحظ الأمثلة التالية :

حَبّذَا الصّدقُ ولا حَبّذَا الكذبُ

حَبّذا الصراحةُ ولا حَبّذا الغشُّ

تتكون الجملة فى هذه المجموعة من الآتى :

(أ) الفعل (حَبَّ) الماضى لإفادة المدح ، وينفى بالحرف (لا) لإفادة الذم .

(ب) كلمة (ذا) اسم الإشارة فاعل الفعل فيهما .

(جـ) المخصوص بالمدح أو الذم ، وهو مبتدأ ، خبره الجملة الفعلية .

---

(١) مؤئلا : ملاذا وعونا - المولى : الحليف والنصير - بأساء : شدة الإحن والأحقاد .
يقول : إذا خفت من باغ أو حقود ، فإنى أجد الملاذ والنصرة فى هذا الحليف النصير .
الشاهد : فى (نعم موئلا المولى) ففيه الفعل (نعم) وفاعله ضمير مستتر وكلمة (موئلا) تمييز ، والمخصوص بالمدح (المولى) .

وهذا الذى ذكر هنا أحسن ما قيل عن هذا الموضوع (راجع ابن عقيل) .

ومن شواهد ذلك قول ذى الرمة :

ألاَ حَبّذَا أهلُ المَلاَ غيرَ أنّه ... إذا ذُكِرَتْ مَيّ فلا حَبّذا هِيَا

على وجْهِ مَيّ مَسْحَةٌ من مَلاحَةٍ ... وتحت الثيابِ العارُ لو كان بادِيا [١]

المجموعة الثالثة : ما جاء على وزن (فَعُل) :

كل فعل ثلاثى يصح مجيئه على وزن (فَعُل) بقصد المدح أو الذّم سواء أكان على هذا الوزن أصلا أم حوّل إليه بهذا القصد - وحينئذ تتكون جملته مما تتكون منه جملة (نعم - بئس) تقول : (شرُفَ الرجلُ الرسولُ) و (قَبُحَ الرجلُ أبو لهب) و (خبُثَتْ المرأةُ حمالةُ الحطب) .

• • •

(١) الملا : الحى الذى تقطنه « حبيبته » .

الشاهد : فى البيت الأول حيث جاءت (حبذا - لا حبذا) مرة للمدح فى قوله : « حبذا أهل الملا » وأخرى الذم فى قوله « لا حبذا هيا » .

المفعول به

١ - المقصود بالمفعول به كما حدّده النحاة .

٢ - الأساليب النحوية الثلاثة المرتبطة بالمفعول به ، وهى :

(أ) أسلوب الاختصاص .

(ب) أسلوب الإغراء .

(جـ) أسلوب التحذير .

• • •

المفعول به :

من المروءة أن يُعاوِنَ القويُّ الضعيفَ المحتاجَ

ومن حسنِ المروءة أن يتجاهلَ المرءُ المعروفَ بعد أدائِه

فى المثالين السابقين كلمتان وقعتا مفعولا به ، هما (الضعيف - المعروف) فالضعيف يقصد بالمعاونة من القوىّ والمعاونة متجهة إليه ، والمعروف يقصد بالتجاهل من المرء والتجاهل منصب عليه .

لذلك يعرف المفعول به كما جاء فى قطر الندى : المفعول به ما وقع عليه فعل الفاعل كضربتُ زيدًا أ . هـ

وهو وظيفة نحوية من وظائف النصب ، فكل اسم يشغله فهو منصوب بحركة أصلية أو فرعية أو مقدرة ، أو مبنيًا فى محل نصب .

هذا . والذى ينصب المفعول به هو الفعل المتعدى وحده دون اللازم وربما كان للفعل المتعدى أكثر من مفعول ، وسيأتى تفصيل ذلك فى باب (عمل الأفعال فى الجملة) .

وقد يحذف الفعل الذى نُصبَ فى جملته المفعول به اختصارًا إذا كان مفهوما من الكلام ، كقولك لصديقك الذى يسألك عن مقصد الرحلة : (الغيومَ) تقديره (نقصدُ الغيومَ) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا ﴾ [الآية ٣٢ من سورة النحل] ومن ذلك قول العقاد :

يَدَيكَ فامنح ضَنِيّ يا موتُ في كبدى
فلستَ تمحوه إلاّ حينَ تمحُونِى

فالتقدير (امدُدْ يديك) .

أسلوب الاختصاص :

لاحظ الأمثلة التالية :

نحن – الجامعيّين – نصنع حضارة الشعب
وأنتم – طلابَ العلم – ملزمون بتقديم الخبرة والجهد لأمتكم
وأنتم – أهل الوطن – ملزمون بمعاونة الطلاب ماديًّا ومعنويا

فى الأمثلة السابقة أسماء منصوبة على الاختصاص هى (الجامعيين – طلاب العلم – أهل الوطن) ومعنى نصبها على الاختصاص أنها منصوبة بفعل محذوف وجوبًا تقديره (أَخُصُّ) .

وينبغى لمعرفة هذا الأسلوب الإحاطة بأمرين عنه ، هما : تحديده من تعريف النحاة له مع وصف جملته وصفا شاملا – ثم الأغراض التى يأتى لها هذا الأسلوب .

أسلوب الاختصاص ووصف جملته :

نحن – أهلَ الأرض – نتطلعُ لغزو الفضاء

ولكم الفضلُ فى ذلك أيُّها العلماء

جاء فى شذور الذهب : « حقيقته أنه اسم ظاهر معرفة قُصِدَ تخصيصهُ بحكم ضمير قبله » . أ . هـ

ومن هذا التعريف المركز يتضح لنا الآتى :

أولا : أن المنصوب على الاختصاص اسم ظاهر لا ضمير ، وهو معرفة لا نكرة فهو إذن باختصار – كما قال ابن هشام – اسم ظاهر معرفة ، وهو بالتحديد ما يلى :

١ – أن يكون مقترنا « بأل » كما جاء عن العرب قولهم : (نحن العربَ أقْرَى الناسِ للضيف) .

٢ - أن يكون مضافا لمعرفة مطلقًا ، كما نسب للرسول ﷺ قوله : (إنَّا آلَ محمدٍ لا تحلُّ لنا الصدقة [١]) .

٣ - أن يكون كلمة (أيّ - أيّة) فتعامل كما تعامل فى النداء ، بمعنى أنها تبنى على الضم وتوصف باسم فيه « ال » كقولك : (لنا تاريخٌ مجيدٌ أيُّها المصريون) .

ثانيًا : يتقدم على المنصوب على الاختصاص ضمير ينسب له معنى من المعانى ، والمقصود بهذا المعنى فى الحقيقة إنما هو الاسم المنصوب على الاختصاص إذ هو الهدف من الجملة كلها - وهذا الضمير والمعنى المنسوب له يلاحظ فيهما ما يلى :

١ - الغالب فى الضمير أن يكون لمتكلم ، ويقل أن يكون لمخاطب ، ويندر أن يكون لغائب .

٢ - المعنى الذى ينسب للضمير قد يأتى متأخرا عن المنصوب على الاختصاص - كما ترى فى المثال الأول - وقد يأتى متقدمًا عليه - كما ترى فى المثال الثانى .

أغراض أسلوب الاختصاص :

الباعث على استخدام أسلوب الاختصاص ما يلى :

١ - **الفخر** : مثل قولنا (نحن - المسلمين - خيرُ أمةٍ أخرِجَت للناس) .

ومن ذلك قول الشاعر :

لنا - مَعْشَرَ الأنصارِ - مجدٌ مؤثّلٌ   بإرضائِنا خَيْرَ البريّةِ أحمدا [٢]

٢ - **التواضع والاستعطاف** : كقول أحد الفلسطينيين : (نحن - اللاجئين - طُرِدْنا من أرضنا ظُلْمًا وعدوانًا) .

---

(١) الحديث رواه أحمد فى مسنده حديث رقم ١٧٤٩ .

(٢) مجد مؤثل : مجد عريق عظيم - لقد اكتسب الأنصار المجد العظيم بإرضاء الرسول ﷺ ونصرته ، وهذا حق .

الشاهد فيه : أسلوب الاختصاص فى الشطر الأول (لنا معشر الأنصار مجد مؤثل) وقد قصد به الفخر والتعظيم .

٣ - البيان : كقولنا : (نحن - الجامعيين -نعرفُ واجبَنَا تِجَاه الأمة) . وقولك : (نحن - المصريين - نعرف مكانَنا ومكانَتنا فى العالم) .

الإغراء والتحذير :

المروءةَ المروءةَ المروءةَ والنجدةَ	إغراء
النفاقَ النفاقَ النفاقَ والكذبَ إيَّاكَ والنفاقَ	تحذير

الإغراء : دعوة المخاطب إلى أمر محبوب ليلزمه .

التحذير : تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليتجنّبه .

وكل من الإغراء والتحذير يأتى على الصورتين الآتيتين :

١ - **التكرار :** والمقصود بذلك أن يتكرر اللفظ نفسه ، فيؤكد الثانى الأول توكيدًا لفظيًا مثل (التَّصْميمَ التَّصْميمَ) أو (الغشَّ الغشَّ) ومن ذلك قول مسكين الدارمى :

أخاكَ أخاكَ إنَّ من لا أخَا له ... كساعٍ إلى الهَيْجا بغير سلاحِ [1]

وإن ابنَ عَمِّ المرءِ - فاعلَمْ - جناحُه ... وهل ينهضُ البَازِى بغير جناحِ

٢ - **العطف :** ويقصد به عطف اسم مفرد على آخر ، مثل (الإرادةَ والتصميمَ) وأيضا (الغشَّ والنّفاقَ) .

وفى هاتين الصورتين يكون الاسم الأول منصوبا بفعل محذوف وجوبا تقديره فى الإغراء (الزَمْ) وفى التحذير (احذرْ) والاسم الثانى توكيد له أو معطوف عليه .

---

(١) الهيجا : الحرب ، ويقال فيها الهيجاء - بالقصر والمد - البازى : نوع من الصقور .

الشاهد : فى البيت الأول (أخاك أخاك) أسلوب الإغراء جاء على صورة التكرار .

وينبغى التنبه هنا إلى مسألة خاصة بأسلوب التحذير وحده وهى استعمال الضمير (إيّاك) - هكذا للمخطاب - سواء أجاء مكررا أم معطوفا عليه أم بدون عطف ولا تكرار ، ومن شواهد ذلك :

* قول الشاعر :

فـإيَّـاكَ إيَّـاكَ الـمِـرَاءَ فـإنَّـه　　　إلى الشَّرِّ دَعَّاءٌ وللشرِّ جالِبُ [(١)]

* وقول الآخر :

فإيَّاكَ والأمْرَ الذى إنْ توسَّعَتْ　　　مَوَارِدُهُ أعْيَتْ عليك مصادرُهْ [(٢)]

وينبغى أيضا معرفة أن العطف فى التحذير مع (إياك) ليس من عطف المفردات - فى أحسن الآراء - بل هو من عطف الجمل ، ففى قول عمر لمعاوية : (إياك والاحتجاب دون الناسّ) يقدّر لكلمة (إياك) فعل تقديره (أحذر) أما كلمة (الاحتجاب) فيقدر لها فعل آخر تقديره (اجتنب) ثم تعطف الجملة الثانية كلها على الأولى .

* * *

(١) المراء : المجادلة بالباطل .

الشاهد : فى قوله (إياك إياك) حيث استخدم فى التحذير كلمة (إياك) مكررة .

(٢) موارده : مصارفه - مصادره : الجهات التى يأتى منها .

يقول : احذر الأمر الذى إن توسعت مصارفه أتعبتك مصادر نفقاته .

والبيت يستخدم فى كل شىء يتوسع فيه أكثر من الطاقة .

الشاهد : فى قوله (إياك والأمر) فإن (إياك) استخدمت فى التحذير بالعطف عليها ، وهو - فى أحسن الآراء - لعطف الجمل لا المفردات .

المفعول المطلق

١ - تمهيد صرفى : عن المصدر وأنواعه ، وإفراده وتثنيته وجمعه .
٢ - المقصود بالمفعول المطلق لدى النحاة ، ومعرفة صوره فى اللغة .
٣ - ما ينوب عن المصدر فى المفعول المطلق
٤ - حذف عامل المفعول المطلق جوازًا ووجوبًا .

* * *

لاحظ الأمثلة الآتية :

لَمَسَ الطبيبُ موضع الألم لَمْسًا رقيقًا ثم فحص المريض فحصًا دقيقًا	} مصدر أصلى
لمس الطبيب موضع الألمِ مَلْمَسًا رقيقا ثم فحص المريض مَفْحَصًا دقيقا	} مصدر ميمى
وبعد أن لقط لمرضه لَقطةً بالأشعة أمره أنْ يشرب الدواء جَرْعَةً كل يوم	} مصدر : اسم مرّة
وطلب منه طِلْبَةَ الحريص على مصلحته أن يعيش مدّةً عِيشَةَ الراحة	} مصدر : اسم هيئة

يأتى المصدر فى اللغة العربية على الصور التالية :

المصدر الأصلى : وهو الذى يدل على مطلق الحدث الموجود فى الفعل المشتق منه ، مثل (لَمْس - فَحْص - شجاعة - اقتحام - عَمَلَ - جِدّ) .

المصدر الميمى : هو الذى بدئ بميم زائدة ودل على الحدث ، مثل (مَلْمَس - مفْحَص - مَوْعِد - مُرْتقَى - مُلْقى - مُعْتَقَد) إذا جاءت فى الجملة بمعنى المصدر الأصلى ، فتكون بمعنى (لَمْس - فَحْص - وَعْد - ارْتِقَاء - الْتِقَاء - اعْتِقَاد) .

اسم المرّة : هو الذى يدل على حصول الحدث مرة واحدة ، مثل (جَرْعَة - لَقْطة - رَمْيَة - ابْتِسَامَة) .

اسم الهيئة : هو الذى يدل على هيئة الحدث حين فعله ، مثل (طِلْبَة - عِيشَة - رِعْشَة - رِعْدَة) .

هذه أنواع المصادر الأربعة ، والثلاثة الأخيرة منها أنواع خاصة من المصدر - وكل هذه الأنواع تصاغ بطرق خاصة يرجع إليها فى كتب الصرف .

المهم هنا أن يعلم أن (اسم المرة والهيئة والميمى) يصح تثنيتها وجمعها فى رأى جمهور النحاة ، فتقول (رَمْيتىْ تماس - رمْيات التَّماسّ) وتقول (جَرْعَتَيْن - جَرْعات) وتقول (رِعْدَتَيْن - رِعْدات) وتقول (ضربت له موعدين أو مواعيد) . أما المصدر الأصلى فحول تثنيته وجمعه كلام طويل وخلاف حاد لا داعى لذكره ، والحق - فيما أظن - يتلخص فى أن المصدر الأصلى يمكن تثنيته وجمعه فى حالتين :

(أ) إذا كان بالتاء فى آخره ، مثل (تجربة - مُقَابلة - مُهادنة) تقول (تجربتين - وتجارب) و (مقابلتين ومقابلات) و (مهادنتين ومهادنات) .

(ب) إذا دل على التنوع مثل (احتمال) تقول (فى هذا الموضوع احتمالان بل احتمالاتٌ) وكذلك (اتجاه) تقول (يحتملُ الرأىُ اتجاهين أو اتجاهات) ومن ذلك أيضًا (إجراء - إنشاء) حيث نسمع كثيرًا (إجراءات - إنشاءات) .

المفعول المطلق :

لاحظ الأمثلة التالية :

ابتهجتْ روحى برؤية البحر ابتهاجا

وجعلتُ أتنفسُ الهواءَ تَنَفُّسًا عميقًا

وفجأة هاج البحرُ هَيَجَانَ الغاضِبِ

وعلَتْ الأمواجُ ارتفاعًا

جاء فى قطر الندى : « هو عبارة عن مصدر فضلة تسلط عليه عامل من لفظه أو معناه » . أ . هـ .

ومن ذلك تعرف الصفات التى تتوافر فيما يقع مفعولا مطلقا وهى :

(أ) أن يكون مصدرا - أىّ نوع من المصادر السابقة .

(ب) أن يكون فضلة ، ويقصد بذلك ما يقع بعد تمام ركنى الجملة الأساسيين (الفعل والفاعل - المبتدأ والخبر) .

(جـ) أن يسبقه فى الجملة فعل أو شبه فعل (كاسم الفاعل والمصدر) بحيث يكون هذا الفعل أو شبهه من لفظ المصدر مثل (ابتهجتْ روحى ابتهاجًا) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [الآية ١٦٤ من سورة النساء] أو يكون من معناه فقط دون لفظه ، مثل (علت الأمواجُ ارتفاعا) وقولك (فرحْتُ جَذَلاً) .

ومن ذلك قول زيد الفوارس عن امرأة تشكو من زوجها :

تَألَّى ابنُ أوسٍ حَلْفَةً لَيَرُدُّنى ... إلى نسوةٍ كأنَّهنَّ مَفَائدُ (١)

الصور اللغوية للمفعول المطلق :

يرد المفعول المطلق على الصور الثلاث التالية :

الصورة الأولى : المؤكّد لعامله :

تلمعُ النجومُ فى الليل لَمَعَانًا

فتهْدى الناسَ فى الظلماتِ هُدًى

يقصد بهذه الصورة ما كان المصدر دالا على الحدث الذى يدل عليه العامل السابق فى الجملة ، فهو لا يفيد شيئا جديدًا عليه ، بل يفيد مجرد التوكيد له ومن هذا قول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الآية ٥٦ من سورة الأحزاب] .

الصورة الثانية : المبيِّن للنوع :

تلمعُ النجومُ فى السماءِ لمعانًا شديدا

---

(١) تألّى : حلف - مفائد : جمع مفأد بكسر الميم وفتح الهمزة ، وهى : الخشبة التى تحرك بها النار فى التنور ، وعادة تكون سوداء قبيحة المنظر .

تقول : إنه حلف ليردنى إلى بيته ، وفيه ضرائر قبيح منظرهن ، كريهة صحبتهن .

الشاهد : فى (تألّى ابن أوس حلفة) حيث نصب المفعول المطلق بفعل من معناه لا من لفظه .

فتهدِى الناس فى الظلمات هُدَى النّجاة

يلاحظ أن (اللمعان) فى المثال الأول قد وصف بالشدة ، إذ تبين لنا صفة اللمعان ونوعه ، ويلاحظ أيضا أن (الهُدَى) فى المثال الثانى قد أضيف إلى (النجاة) فبينت أيضا نوع الهدى وسمته ، ويطلق على هذه الصورة اسم المفعول المطلق المبين للنوع ، حيث يتضح المقصود منه بواسطة الوصف أو الإضافة غالبا .

الصورة الثالثة : المبيّن للعدد :

قَذَفَ اللاعبُ الكرَة نحو الشُّباكِ قَذْفَةً مُحْكمَةً

فضربَها حارسُ المرمى ضربتين ، فأبعدها عن مرماه

يقصد بهذه الصورة أن يكون المصدر دالاً على المرة ، أو يكون مثنى أو مجموعا - كما ترى فى الأمثلة - ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الآية ١٤ من سورة الحاقة] .

ما ينوب عن المصدر فى المفعول المطلق :

ينوب عن المصدر فى المفعول المطلق أمور كثيرة ، من أهمها الأمور الخمسة التالية :

١ - اللفظتان (كلّ - بعض) مضافتين للمصدر ، تقول : (بعد أن نمتُ بعضَ النّوْمِ أرِقْتُ كُلَّ الأرَقِ) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ [الآية ١٢٩ من سورة النساء] .

وقول المجنون :

فيالَيْلَ كَم من حاجَةٍ لى مُهِمَّةٍ ... إذا جئتُكم بالليّلِ لم أدر ما هيا ؟
خليلىّ إلاّ تبكيا لِى ألتمسْ ... خليلاً إذا أنزفْتُ دمعى بَكَى لِيَا
فما أعرِفُ الأبْقَاعَ إلاّ صبابةً ... ولا أُنشدُ الأشعارَ إلاّ تداويًا
وقد يجمعُ الله الشّتيتين بعد ما ... يظنّان كلَّ الظّنِّ أن لا تلاقيا [(١)]

(١) هذه الأبيات من قصيدة للمجنون تسمى (المؤنسة) الأبقاع : التلال - الشتيتين : البعيدين أشد البعد .

الشاهد فى البيت الأخير : فى (يظنان كل الظن) فإن كلمة (كل) نائب عن المفعول المطلق لإضافتها إلى (الظن) .

٢ - أسماء الأعداد المضافة للمصدر أو المميزة به ، مثل قولنا : (اعتدتْ إسرائيلُ على العرب ثلاثة اعتداءات ، وأدانتها الأمم المتحدة خمسين إدانةً) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾ [الآية ٤ من سورة النور] .

٣ - صفة المصدر إذا حذف وأقيمت مقامه ، مثل قولك : (نمتُ كثيرا بعد أن سهرتُ طويلا) .

٤ - المصدر المرادف للفعل وليس من لفظه ، مثل (رجعتُ القهقرى) و (فرحْتُ جَذَلاً) و (كرهْتُه بُغْضًا) .

٥ - الضمير المتصل المنصوب العائد على مصدر سابق ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الآية ١١٥ من سورة المائدة] .

حذف عامل المفعول المطلق :

يحذف عامل المفعول المطلق جوازًا إذا دل عليه سياق الكلام كقولك في التهنئة بالحج : (حَجًّا مبرورًا وذَنْبًا مغفورًا) وكقولك لصديق قابلته : (مرْحَبًا بك) .

لكن يصير هذا الحذف واجبًا في مواضع - أكثر فيها شراح الألفية - من أهمها :

١ - مصادر وردت في اللغة منصوبة دائما دون أن تستعمل معها أفعال أبدًا ، مثل (سبحانَ الله - معاذَ الله - وَيْحَه - وَيْلَه - أيضًا) .

٢ - مصادر استعملت في اللغة في أسلوب الخبر منصوبة - دون أفعال - ودلت القرائن على أفعالها ، كأن يقول من يحمد الله ويشكره : (حَمدًا وشُكرًا لا كُفْرًا) وقول من يُواسي نفسه : (صَبْرًا لا جَزَعًا) .

٣ - المصادر التي تدل على الطلب ، بأن تكون خطابا من شخص لآخر يطلب منه شيئا بواسطة (الأمر - النهي - الاستفهام - الدعاء) ومن ذلك :

• قول أعشى همدان يصف بعض اللصوص :

يمرُّون بالدَّهْنَا خِفَافًا عِيابُهم ... ويَرْجِعْنَ منْ دَارِينَ بُجْر الحقَائبِ
على حين ألْهَى النَّاسَ جُلُّ أمورِهم ... فَنَدْلا - زُرَيْقُ - المالَ نَدْلَ الثعالبِ[١]

---

(١) الدهنا أو الدهناء - كما جاء في القاموس - الفلاة وعين لتميم بنجد - عيابهم « العياب » =

• وما ورد عن العرب فى التوبيخ من قولهم : (أتوانيًا وقد علاك المشيب) .
• ما ورد عن العرب من قولهم فى الدعاء : (سَقْيًا لك ورَعْيًا) .
٤ - المصادر التى تقع بعد (إمَّا : التفصيلية) منصوبة ، كقول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [الآية ٤ من سورة محمد] .
وقول الشاعر :

لأجْـهَـدَنَّ فـإمـا رَدَّ واقِـعَـةٍ ... تُخْشَى وإمَّا بُلُوغَ السُّؤْلِ والأَمَلِ (٢)

٥ - أن يجىء المصدر « مكررا - أو محصورا » وقد تقدمه « مبتدأ اسم ذات » وحين يقدر العامل المحذوف يكون خبرا عن هذا « المبتدأ » مثل (أهرامُ الجيزة دلالةً دلالةً على صبر الإنسان المصرى وإيمانه ، وإنَّما أبو الهول رمزًا للعقل والقوة) بنصب الكلمات (دلالةً ، دلالةً - رمزًا) .

٦ - المصدر الذى يفهم معناه من جملة سابقة عليه ، سواء أكان هذا الفهم نصًّا أم احتمالا - وقد مثّل لذلك صاحب الألفية بالمثالين (له علىَّ ألفٌ اعترافا) و (أنت ابنى حقا) .

٧ - المصدر الذى يدل على معنى متجدّد ، ويحمل معنى المشابهة - فى قوة المشبّه به - وتقدمته جملة كاملة فيها من ينسب له معنى المصدر - صاحب المصدر - وهو أسلوب كثير الاستعمال فى مقام التهويل والتفخيم مثل (كان لهذا الشعب الغاضب هديرٌ هديرَ الموج ، وسمع له زئيرٌ زئيرَ الأسود ، بل إنَّ له إرادةً إرادةَ الله) .

= هى أوعية الثياب كالجراب والحقيبة - دارين : مدينة بالبحرين بها سوق للتجارة - بجر الحقائب : حقائبهم ممتلئة مما سرقوه - ندلا : خطفا فى سرعة وخفة كما هى عادة اللصوص - زريق : اسم واحد من اللصوص وربما كان اسمًا رمزيا .

يصف هؤلاء اللصوص : بأنهم يمرون « بالدهناء » وحقائبهم فارغة ، ويعودون من « دارين » وحقائبهم ممتلئة ، وأنهم حين يسرقون يستغلون انشغال الناس بأمورهم لينادى أحدهم الآخر فيقول له : يا زريق ، اخطف المال فى خفة كخفة الثعالب .

الشاهد : فى (ندلا) فإنه مفعول مطلق بفعل محذوف وجوبًا تقديره (اندل) .

(١) المعنى : لأبذلن غاية جهدى ، ولن يذهب جهدى عبثًا ، لأنى إما أن أدفع ما يخاف منه ، وإما أن أبلغ ما أريده - وكلاهما مفيد .

الشاهد : فى (إما رد واقعة) فإن (رد) مفعول مطلق لفعل محذوف وجوبًا لوقوعه بعد (إما) التفصيلية ، ومثله تماما (وإما بلوغ السؤل) .

ظرفا الزمان والمكان = المفعول فيه

١ - المقصود بالمصطلحات النحوية (اسم الزمان - اسم المكان - المبهم - المختص) .

٢ - صفات ما ينصب على الظرفية = تعريف الظرف لدى النحاة .

٣ - ما ينصب على الظرفية من أسماء الزمان والمكان بالتفصيل .

٤ - من المسائل المهمة التى تتعلق بالظرف ما يلى :

(أ) ما ينوب عن الظرف فى استعمال اللغة .

(ب) الظرف المتصرف وغير المتصرف .

(جـ) حذف عامل الظرف .

• • •

المصطلحات النحوية الأربعة :

لاحظ الأمثلة التالية :

• اليوم - الليلة - غُدوة - بكرة - سحرا - غدا - عَتَمة - صباحا - مساء - أبدا - أمدا - حينا - ساعة - بُرهة - لحظة - دهر - زمان } اسم زمان

• أمام - خلف - قدّام - وراء - فوق - تحت - عند - إزاء - حِذاء - تِلقاء - ثَمّ - هُنا - بين - حيثُ - لَدَى } اسم مكان

• ظهر - عصر - عشاء - برهة - لحظة - يوم - وقت - حين } زمان مبهم

• شمال - خلف - فوق - تحت - إزاء - حيث - لَدَى } مكان مبهم

• يوم الجمعة - صباح السبت - سحرا رائقا - وقتا ممتعا - رمضان - شوال - اليوم - الساعة - شهر - عام - حول - أسبوع } زمان مختص

• البيت - الطريق - الكلية - المدرج - الحديقة - الساحة } مكان مختص

اسم الزمان : يقصد به الكلمات التى وردت فى اللغة ومعناها الزمن .

اسم المكان : يقصد به الكلمات التى وردت فى اللغة ودلت على مساحة من الأرض أو الفضاء .

المبهم : هو - كما يقول ابن هشام - ما لا يختص بزمان بعينه أو مكان بعينه ، بل هو شائع فى الأزمنة والأمكنة .

المختص : وفيه تفصيل على النحو التالى :

أولا : من أسماء الزمان ، يقصد به ما دل على وقت محدد ، وذلك بأن يكون معناه محددا مثل (عام - شهر - أسبوع) أو يكون فيه (ال) مثل (اليوم - الساعة) أو يوصف مثل (يوما جميلا - سحرا رائقا) أو يضاف مثل (عصر الجمعة - ليلة السبت) .

ثانيا : من أسماء المكان ، وهو - كما يقول ابن عقيل - ما له أقْطارٌ تَحْويه ، مثل (البيت - الشارع - المسجد - الكلِّية) .

المقصود بالظرف لدى النحاة :

اسمتعتُ يومَ الجمعةِ بَيْنَ حدائِق القناطر
ركبنا صباحًا قاربا شراعيًّا فى النّيل
ومشينا ظُهرًا بَيْنَ الأشجارِ والأزهار
وعُدْنا مساءً فَوْقَ مركبٍ بخاريّ سريع

نلاحظ فى الأمثلة السابقة أسماء وقعت ظرف زمان أو مكان هى على التوالى (يوم الجمعة - صباحا - ظهرًا - بين - مساء - فوق) وكلها منصوبة على الظرفية حيث استوفت الصفات التى يجب أن تتوافر لما ينصب على الظرفية فى التعريف التالى :

الظرف : هو ما ذكر فضلة لأجل أمر وقع فيه من اسم زمان مطلقا أو مكان مبهم أ . هـ

ومن هذا التعريف يمكن أن نستنتج الصفات التى يجب أن تتوافر فى الاسم الذى ينصب على الظرف « المفعول فيه » وهى :

(أ) أن يكون اسم زمان أو مكان - على التفصيل الذى سيأتى فيما بعد .

(ب) أن يكون فضلة ، ويقصد به - كما سبق - ما يأتى بعد استيفاء الجملة ركنيها الأساسيين .

(جـ) أن يكون بمعنى (فى) .

• ممّا استوفى الشروط النصوص التالية :

قول الله تعالى : ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ [الآية ١٨ من سورة سبأ] .

وقوله : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [الآية ٨٨ من سورة غافر] .

وقوله : ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الآية ٤٢ من سورة الأحزاب] .

• ومما تخلفت فيه بعض الصفات ، فلا ينصب على الظرفية ، بل له إعراب آخر ما يلى :

قول الشاعر :

ما مَضَى فَاتَ والمؤمَّلُ غَيْبٌ ولك السَّاعَةُ التى أنت فيها (١) } فضلة

قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الآية ١٠ من سورة الإنسان] }

وقوله : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الآية ١٢٤ من سورة الأنعام] } ليس بمعنى « فى »

(١) هذا من أبيات التفاؤل السائرة على الألسنة ؛ إذ مضمونه : عش الحاضر ولا شأن لك بالماضى أو الآتى .

وفيه دليل : على أن اسم الزمان إذا لم يكن فضلة لا يكون ظرفا ، بل يعرب كأى اسم آخر ، فقد جاء فى البيت فى (لك الساعة) وهو فى الجملة مبتدأ خبره الجار والمجرور .

ما ينصب على الظرفية من أسماء الزمان والمكان :

أولا : أسماء الزمان :

كل ما كان من أسماء الزمان وانطبق عليه الصفتان الأخريان من صفات تحديد الظرف (فضلة - بمعنى فى) فإنه ينصب على الظرفية سواء أكان مبهما أم مختصا لا فرق بين الاثنين فى ذلك ، تقول : (سيقفُ الظالمون والمظلومون يومًا أمامَ الله ، وحينذاك لن يُفلتَ الظالمون من عدالة السَّماءِ يومَ الحساب) .

ثانيا : أسماء المكان :

ليست كل أسماء المكان صالحة للنصب على الظرفية وإن استوفت الصفتين الأخريين من صفات ما ينصب على الظرفية ، بل ذلك على التفصيل التالى :

(أ) أسماء المكان المبهمة :

هذه هى التى تنصب على الظرفية إذا استوفت الشرطين الباقيين ، وهى كما يلى :

١ - أسماء الجهات الست ، وهى (فوق - تحت - أعلى - أسفل - يمين - شمال - ذات اليمين - ذات الشمال - أمام - خلف - قدام - وراء) تقول : (صَعِدَ المؤذِّنُ فوقَ المئذنة ، ليتمكَّن من رُؤْية الهلال أسفلَ الأُفُقِ) .

٢ - ما ليس اسم جهة ، ولكن يشبهه فى الإبهام ، بمعنى أنه يدل على مكان غير محدّد ولا محصور ، وذلك مثل (أرض - مكان - حيثُ - لَدَى - بين - عند - مع) فمن البين أن هذه الكلمات صالحة لاستعمالها فى مواطن كثيرة فهى هكذا شائعة مبهمة ، تقول : (جلستُ مع المتفرجين حيثُ أشاهد العرض الممتع) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا ﴾ [الآية ١٣ من سورة الفرقان] وقوله : ﴿ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ [الآية ٩ من سورة يوسف] .

٣ - ما كان دالا على مساحة من الأرض يمكن استخدامه فى أية بقعة منها للقياس والمساحة ، مثل (ميل - فَرْسَخ - بَرِيد) [١] فالاسم نفسه محدد المقدار ،

---

(١) الميل - كما نعرف - ١٦٧٠ مترا - البريد - بمقياسنا الحالى - اثنا عشر ميلا - الفرسخ : ستة أميال .

لكن استعماله هو المبهم ، فهو يستخدم فى مواطن كثيرة فى الأرض أو الفضاء أوالماء ، ولعل ذلك المعنى الأخير هو السبب فى اعتباره من أسماء المكان المبهمة - فى رأى بعض النحاة - تقول : (تنتقلُ سفينةُ الفضاء أميالا فى الفضاء قبل أن تنتقلَ الطائرةُ ميلا فى مجَال الأرض) وتقول : (استخدم العربُ قديما الخيول فى نقل الرسائل ، فتسير بريدا من الأرض لتسلمها لغيرها) .

(ب) اسم المكان القياسى :

ويقصد به الذى يشتق بطريقة القياس الصرفى ليدل على المكان مثل (مَوقِف - مَصِيف - مَجْرَى - مَجْلِس - مَرْمَى - مَبْكَى - مُتْحف - مُنْتَجَع) - راجع صياغته فى الصرف .

هذا النوع من أسماء المكان ينصب على الظرفية إذا استوفى أيضا الشرطين السابقين (فضلة - بمعنى فى) ويضاف إلى ذلك أن يكون الفعلِ الذى تقدم عليه فى الجملة من مادته ، أى من معناه وحروفه ، تقول : (جرى النيلُ مَجْرَاه من آلاف السنين) وتقول : (وقفتُ مَوْقِف السيارات) و (جلستُ مَجْلِس العلم) قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ [الآية ٩ من سورة الجن] .

فإن استوفى هذا النوع من أسماء المكان الشرطين الآخرين ، ولم يتقدم عليه فعل من مادته بل مادة أخرى ، ينبغى جره بالحرف (فى) لفظا تقول : (انتظرتُ فى موقِف السيارات) و (سار النيلُ فى مجراهُ من آلاف السنينِ) و (استمعتُ فوائد كثيرة فى مجلس العلم) أو (يسفحُ اليهود دموعهم فى مَبْكَى سُليمان) .

(جـ) اسم المكان المختص :

تقدم أن المكان المختص « ما له أقطار تحويه » مثل (الكلية - المدرج - البيت - الحديقة - الشارع - المسجد) .

هذا النوع من أسماء المكان إذا استوفى الشرطين الآخرين (فضلة - بمعنى فى) فإنه يجر بحرف (فى) لفظا ولا ينصب ، تقول : (تخرّجتُ فى الكلية) و (جلستُ فى المدرج) و (صليتُ فى المسجد) ولا يصح نصبه .

أما ما ورد غير ذلك فهو توسع فى التعبير ، ومن ذلك :

- قولهم : (دخلتُ الدّارَ والمسجدَ) .

● قولهم : (ذهبتُ الشامَ) .

● قول الشاعر يذكر النبى ﷺ وأبا بكر حين هاجرا :

جزى الله ربُّ الناسِ خَيْرَ جزائه   رفيقين قَالاَ خَيْمَتَىْ أمِّ مَعْبَدِ
هما نزَلا بالبرِّ ثم ترحَّلا   فأفلح من أمسى رفيقَ محمدِ
فيا لَقُصَىٍّ ما زَوَى الله عنكم   به من فعالٍ لا تُجازَى وسؤددِ (١)

والشاهد فى (قالا خيمتى أم معبد) وكان حقه أن يقول (قالا فى خيمتى أم معبد) فنصبه على التوسع .

أهم المسائل التى تتعلق بالظرف :

(أ) وردت استعمالات وتعبيرات فى اللغة تعرب الكلمات فيها على أنها نائبة عن الظرف لا ظرف .

● فمن الاستعمالات قولهم :

سرت كل اليوم أو بعض اليوم

وقطعتُ رحلتى ستين ميلا

وقد استرحت فى الطريق قليلا من الوقت

حتى وصلتُ قُربَ المساء

● ومن التعبيرات :

قول العرب : أحَقًّا أنك ذاهب

قول العرب : غيرَ شكٍّ أنك قادم

---

(١) رفيقين : الرسول ﷺ وأبو بكر ، قالا : بمعنى « قيلا » وهو الراحة وقت الظهيرة فى الظل - البر : بكسر الباء وفتحها ومن معانيها : الإحسان - ترحلا : رحلا وسافرا - يا لقصى : « قصى » من أجداد الرسول ﷺ ، والجملة إما أن تفهم كما هى فهى أسلوب استغاثة ، وإما أن يكون المقصود منها « يا آل قصى » وحذف جزء كلمة « آل » - ما زوى الله : أسلوب استفهام القصد منه : أى شىء صرف الله عنكم ؟؟ - سؤدد ، بفتح الدال الأولى أو ضمها : الشرف والنبل .

الشاهد : فى (قالا خيمتى أم معبد) حيث نصب اسم المكان المختص (خيمتى) على التوسع ، والأصل أن يجر بالحرف (فى) .

قول العرب : جُهْدَ رأيى أنه برىءٌ [١]

(ب) تنقسم أسماء الزمان والمكان إلى نوعين :

١ - ما يستعمل ظرفا بشروطه السابقة ، فإذا لم تتوافر الشروط أخذ وظائف نحوية أخرى ، مثل (اليوم - الساعة - اللحظة - الميل) .

ويطلق على هذا النوع اسم (المتصرف) وهو أكثر أنواع أسماء المكان والزمان .

٢ - ما لا يستعمل إلا ظرفا ، مثل (قَطُّ - عَوْضُ) فإذا خرج عن الظرفية ، جُرَّ بحرف الجر ، مثل (قبل - بعد - لَدُنْ - عند) .

ويطلق على هذا النوع اسم (غير المتصرف) وهو أقل من النوع الأول .

(جـ) إذا وقع الظرف (صلة - خبرا) فإنه - فى رأى النحاة - منصوب بعامل محذوف وجوبا - على ما يشرح فى أبوابه .

* * *

(١) إعراب (جهد رأيى أنه برىء) جهد : نائب عن الظرف منصوب بالفتحة ، شبه جملة خبر - رأيى : مضاف إليه ، وياء المتكلم مضاف إلى « رأى » (أنه برىء) أن واسمها وخبرها فى تأويل مصدر مبتدأ مؤخر تقديره (براءته) .

المفعول لأجله

١ - المقصود بالمفعول لأجله لدى النحاة .

٢ - ما يقع علة لغيره من حيث الجر والنصب .

* * *

المفعول لأجله :

لاحظ الأمثلة التالية :

تناولَ المريضُ الدّواءَ رَغْبَةً في الشفاء

وذهبَ المُجْهَدُ إلى الريفِ طَلَبًا للرّاحة

وصامَ المؤمنُ تَهْذِيبًا للنَّفس

في الأمثلة السابقة أسماء وقعت مفعولا لأجله هي (رغبةً - طَلَبًا - تهذيبا) وقد استوفت صفات الجملة التي ينبغي أن تتوافر لما يقع مفعولا لأجله ، وهي في عبارة واحدة (كل مصدر قلبي ذكر علة لحدث سابق واتحد مع هذا الحدث في الزمان والفاعل) أ . هـ

ومن هذه العبارة نستنتج الصفات الآتية في الاسم الذي يقع مفعولا لأجله وهي :

(أ) أن يكون مصدرًا .

(ب) أن يكون هذا المصدر قلبيًا ، أي دالا على معنى من المعاني القلبيّة لا الحسّية .

(جـ) أن يكون علة لحدث سابق .

(د) أن يكون مشاركا لهذا الحدث السابق في الزمان ، إذ يحدثان في وقت واحد .

(هـ) أن يكون مشاركًا لهذا الحدث السابق في الفاعل - فاعلهما واحد .

● قال الله تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾

[الآية ١٩ من سورة البقرة] .

• وقال : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الآية ١٦ من سورة السجدة] .

ما يقع علة لغيره من حيث الجر والنصب :

أشهر حروف الجر التى تستعمل للتعليل فى اللغة هو حرف (اللام) كقولنا : (أنْصَتُّ لِلفهْم) (ونمتُ للرَّاحة) - ومن حروف التعليل أيضا على قلة (من - فى) كقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ [الآية ١٥١ من سورة الأنعام] وقول الرسول ﷺ : (دخلتْ امرأةٌ النارَ من جَرَّاءِ هرَّةٍ حبستْها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتْها تُرَمْرِمُ من خشاش الأرض [١] حتى ماتتْ هَزْلا) .

إذا علم ذلك ، فإن الاسم إذا وقع علة لغيره ، ولكن لم يستوف الشروط الباقية للمفعول لأجله - كلها أو بعضها - ففى هذه الحالة يجب جره بحرف التعليل ، وذلك كقولك : (أحضرتُ الكتابَ لصديقى) وقولك : (بذلتُ جهدًا لفَتْحِ الشُّباك المغلق) وقولك : (أجتهدُ اليومَ لبلُوغِ المجد غدًا) ومن ذلك :

• قول امرئ القيس :

فجئْتُ وقد نضَّتْ لنومٍ ثيابَها　　　لَدى السِّترِ إلا لِبْسَةَ المتفضِّلِ [٢]

فإن (النوم) يختلف فى زمن فعله عن زمن (نَضِّ الثياب) أى : خلعها .

• قول أبى صخر الهذلى :

وإنى لَتَعْرونى لِذكْرَاك هِزَّةٌ　　　كما انتفضَ العصفورُ بلَّلَهُ القَطْرُ [٣]

---

(١) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٢٣ - والخشاش - بفتح الخاء وكسرها وضمها - حشرات الأرض - هزلا - بفتح الهاء وضمها - المصدر من هزل المبنى للمعلوم - ومصدر المبنى للمجهول « هزال » .

(٢) نضت : خلعت - لبسة المتفضل : اللبس الخفيف جدا كجلباب النوم .

الشاهد : فى (نضت لنوم) فإن زمن خلع الثياب يكون عادة سابقا لزمن النوم ، فلم يتحد المصدر مع الحدث السابق فى الزمن ، لذلك جر بلام التعليل .

(٣) تعرونى : تصيبنى - هزة : رعشة - القطر : قطرات المطر .

يقول : حين أذكرك تصيبنى رعشة لذكراك ، فأنتفض انتفاض العصفور بنثر قطرات الماء عن ريشه .

الشاهد : فى (تعرونى لذكراك هزة) فإن الذى « يعروه » هو الهزة ، وإن الذى يذكر حبيبته هو الشاعر ، فاختلف الفاعل ، لذلك جر المصدر بحرف التعليل .

فإن فاعل (الذكرى) يختلف عن فاعل (تعرونى) ففاعل الذكرى هو (الشاعر) والذى يعروه (الهزة) .

أما إذا استوفى الاسم الشروط السابقة للمفعول لأجله ، فإنه يصح نصبه ويصح جره بحرف التعليل ، وكلاهما صحيح فى اللغة ، وهذا معناه أن نصب المفعول لأجله - مع استيفاء الشروط - جائز لا واجب .

كل من النصب والجر إذن جائز ، لكن التفصيل إنما هو فى الأرجح منهما على ما يلى :

١ - المفعول لأجله المجرد من أل والإضافة - النصب أحسنٍ من الجر بحرف التعليل ، تقول : (صلَّى المؤمنُ لربِّه إيمانا واحْتِساباً) ويصح (صلَّى المؤمنُ لربِّه لإيمانٍ واحتسابٍ) .

ومن الجر قول الشاعر :

من أمَّكُمْ لرغْبةٍ فيكم جُبِرَ ومن تكونوا نَاصِريه ينتصر (١)

٢ - المفعول لأجله المقترن « بأل » - الجر بلام التعليل فيه أحسن من النصب ، تقول : (ذهبتُ للقناطر للتَّرويحِ عن النفس) ويصح (ذهبتُ إلى القناطر التَّرويحَ عن النفس) . ومن النصب قول قُرَيْـــط بن أُنيف يذم قومه لجبنهم مع كثرتهم :

لكنَّ قومى وإن كانوا ذَوى عَدَدٍ ليسوا من الشرِّ فى شىءٍ وإنْ هَانَا
يَجزُون من ظُلْمِ أهلِ الظُّلْم مغفرةً ومن إساءةِ أهْلِ السُّوء إحسانَا
كأنَّ ربّك لَم يخلُقْ لخشيته سواهم من جميعِ الخلق إنسانَا
فليت لى بهم قومًا إذا ركبوا شَدُّوا الإغارةَ فُرسَانًا ورُكْبانا (٢)

---

(١) أمكم : قصدكم - جبر : الأصل فيه جبر الكسر ، والمقصود : العون على نواحى الضعف فى الحياة .

الشاهد : فى (أمكم لرغبة) فهذه جملة مستوفاة لشروط المفعول لأجله والمفعول لأجله (رغبة) مجرد من « ال والإضافة » يصح فيه النصب - وهو الأحسن - والجر بلام التعليل ، وقد جاء فى البيت مجرورًا باللام .

(٢) هذه الأبيات من مقطوعة شعرية مغيظة أوردها « ديوان الحماسة » فى بدايته .

الشاهد : فى (شدوا الإغارة) فإن المفعول لأجله فيه « ال » فيصح نصبه وجره بحرف التعليل - والأخير أحسن - وقد جاء فى البيت منصوبا .

٣ - المفعول لأجله المضاف - وهذا يصح فيه الوجهان على حد سواء ، تقول : (قام الطالبُ لأستاذِه احترامَه) ويصحّ (قام الطالبُ لأستاذه لاحترامِه) .

ومن النصب قول حاتم الطائى :

وأغفر عَوْرَاءَ الكريمِ ادِّخَارَهُ   وأُعْرِضُ عن شَتْمِ اللَّئيمِ تكرُّما [1]

وخلاصة هذه الفكرة كلها : أن ما لم يستوف الشروط وهو مذكور علة لغيره يجب جره بحرف التعليل - اللام غالبا - وأن ما استوفى الشروط صح نصبه وجره على التفصيل والترجيح السابقين .

* * *

(١) عوراء الكريم : عيوبه وإساءاته - ادخاره : إبقاء له .

الشاهد : فى (أغفر عوراء الكريم ادخاره) فإن المفعول لأجله (ادخاره) مضاف ، فيصح فيه النصب والجر بلام التعليل على سواء ، وقد ورد فى البيت منصوبا .

المفعول معه

١ - المقصود بالمفعول معه لدى النحاة .

٢ - الاسم الواقع بعد الواو بين العطف على ما قبله والنصب على المفعول معه .

* * *

المفعول معه :

لاحظ الأمثلة التالية :

استيقظ النَّائمُ وأذانَ الفجْر

سارتْ العربةُ وخَطَّ السِّكة الحديد

دَعْ الشَّرِيرَ والزَّمَانَ

في الأمثلة السابقة أسماء وقعت مفعولا معه هي (أذان الفجر - خط السكة الحديد - الزمان) وقد استوفت الشروط التي يجب توافرها في جملة المفعول معه .

جاء في ابن عقيل : « هو كل اسم فضلة وقع بعد واو بمعنى « مع » وتقدمه فعل أو شبهه ، ولم يصح عطفه على ما قبله » . أ . هـ .

ويفهم من هذا التعريف المركز أن المفعول معه ينبغي أن تتوافر له الصفات التالية :

(أ) أن يكون اسما لا فعلا ولا حرفا .
(ب) أن يكون فضلة وقد سبق تحديدها .
(جـ) أن يكون هذا الاسم واقعا بعد واو بمعنى (مع) .
(د) أن يتقدم على هذه الواو والاسم معها فعل أو شبه فعل .
(هـ) ألا يصحّ عطف هذا الاسم على ما قبله لاختلال المعنى - إذ لا تتحقق المشاركة - أو لمانع نحوى ، لتخلف صفة من الصفات التي تشترط لصحة العطف .

وهذه الصفات واضحة فى الأمثلة السابقة ، ومن ذلك ما يمثل به فى كتب النحو من (سرتُ والنيلَ) و (استوى الماءُ والخَشَبَةَ) و (ذاكرتُ والمصباح) قال الله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾ [الآية ٧١ من سورة يونس] .

وعلى ذلك ، فليس من المفعول معه الشواهد التالية :

• قول أبى الأسود الدؤلى :

لا تَنْهَ عن خلُقٍ وتأتىَ مثلَه   عَارٌ عليك - إذا فعلتَ - عظيمُ [(١)]

إذ أن الواقع بعد الواو (تأتى) وهو فعل لا اسم ، وهو منصوب بأن مضمرة وجوبًا بعد الواو .

• قول الآخر :

علفْتُها تبنًا وماءً باردًا   حتى غَدَتْ همَّالَةً عيناها [(٢)]

فإن (ماء) لا يصح نصبه على المفعول معه ، لأن الواو ليست بمعنى (مع) كما أنها لا تصلح لعطف المفردات ، وإنما هى لعطف الجمل .

• قول الراعى النميرى :

إذا ما الغانياتُ برزْنَ يومًا   وَزجّجْنَ الحواجبَ والعُيُونَا [(٣)]

فكلمة (العيون) لا تنصب على المفعول معه ؛ لأن الواو ليست بمعنى (مع) ولا تصلح أيضا لعطف المفردات ، وإنما هى لعطف الجمل كالبيت السابق .

الاسم بعد الواو بين العطف والنصب على المفعول معه :

ينبغى التنبه إلى أن استخدام الواو للعطف فى اللغة العربية هو الأكثر استعمالا

---

(١) تقدم ذكر هذا الشاهد ، وجاء هنا لبيان الفرق فى مجىء واو المعية مع الاسم المنصوب والفعل المنصوب ، الأول مفعول معه ، والثانى ينصب بأن مضمرة كما جاء فى البيت فى (وتأتى) و (أن : المضمرة) والفعل فى تأويل مصدر هو المفعول معه .

(٢) **الشاهد** : فى الشطر الأول (علفتها تبنا وماء باردا) فإن الواو ليست بمعنى (مع) وإنما هى لعطف الجمل ، وتقدير الكلام (علفتها تبنا وسقيتها ماء) .

(٣) الغانيات : الجميلات جمالا طبيعيا - برزن : خرجن وظهرن - زججن الحواجب : جملنها بالتدقيق والتسوية .

الشاهد : فى الشطر الثانى (زججن الحواجب والعيونا) فإن الواو ليست بمعنى (مع) بل هى لعطف الجمل ، وتقدير الكلام (زججن الحواجب وكحلن العيونا) .

وأقرب إلى الذهن ، وأن استخدام الواو للمعية إنما هو أمر محصور في أساليب خاصة في اللغة .

وعلى ذلك ، فإن الاسم الواقع بعد الواو يكون على النحو التالي :

١ - ما يجب فيه العطف :

وذلك إذا صح العطف دون مانع لفظي أو معنوي ، ويتحقق هذا إذا أمكن مشاركة ما بعد الواو لما قبلها دون إخلال بالمعنى أو باللفظ ، مثل (تعيشُ فى الحياة الفضيلةُ والرذيلةُ) و (تجد بين الناس الكريمَ واللئيمَ) .

٢ - ما يجب نصبه على المفعول معه :

وذلك إذا امتنع العطف - أى امتنعت مشاركة الثاني للأول - بسبب الإخلال بالمعنى مثل (غادرتُ القاهرةَ وطلوعَ الشمس) و (دخلت قريتي وطلوعَ القمر) أو بسبب صفات لفظية في العطف ، مثل (سعيتُ وصديقًا لي لإدراك الحفل) (١) .

٣ - ترجح المفعول معه على العطف :

وذلك إذا أوهم العطف معنى لا يريده المتكلم أو معنى بعيدا يحتاج للتأويل ، ومن شواهد ذلك قول الشاعر :

فكونوا أنتم وبَنِى أبيكم ... مكانَ الكُلْيَتَيْنِ من الطِّحَالِ (٢)

فإنه لو قدر العطف يكون المعنى أنه يطلب منهم ومن بنى أبيهم ما طلبه فى الشطر الثانى ، وهذا غير مقصود للشاعر ، وإنما يقصد أن يطلب منهم فقط أن يكونوا مع بنى أبيهم كما صور فى الشطر الثانى ، ومن أجل ذلك ترجح النصب مفعولا معه على العطف على ما قبله .

---

(١) فى هذا المثال لا يصح العطف ، لأن الضمير المتصل المرفوع لا يصح العطف عليه إلا بعد توكيده بضمير منفصل ، بأن يقال (سعيت أنا وصديق لى) وما لم يوجد التوكيد ، لا يصح العطف .

(٢) الكليتين : تثنية كلية بضم الكاف - الطحال : بكسر الطاء - بنى أبيكم : الإخوة وأولاد العم .

الشاهد : فى (كونوا أنتم وبنى أبيكم) إذ يطلب ممن يخاطبهم فقط أن يكونوا مع أبناء أبيهم متماسكين متصلين تماسك الكليتين مع الطحال ، وهذا المعنى يناسبه أن تكون الواو بمعنى (مع) ولو جعلت الواو للعطف لكان مقتضى الكلام أنه يطلب ممن يخاطبهم ومن بنى أبيهم أيضا التماسك والاتصال ، وهذا المعنى لا يريده الشاعر ، بل يريد المعنى الأول ، ولذلك ترجح أن تكون (بنى أبيكم) منصوبة على أنها مفعول معه .

الحال

١ - الحال عند اللغويين والنحاة .

٢ - عامل الحال (الفعل - شبه الفعل - ما فيه معنى الفعل) .

٣ - الحال وصاحبها من حيث التعريف والتنكير .

٤ - يطلق على الحال المصطلحات الآتية :

(أ) المُبيِّنة - وهى الأصل - ويقابلها المؤكِّدة .

(ب) المنتقِلة - وهى الأصل - ويقابلها اللاَّزمة .

(جـ) المشتقَّة - وهى الأصل - ويقابلها المُوَطِّئَة والجامدة .

(د) المتفرّدة - وهى الأصل - ويقابلها المتعدّدة .

(هـ) المفردة - وهى الأصل - ويقابلها الجملة وشبه الجملة .

٥ - من مسائل الحال المهمة ما يلى :

(أ) مجىء الحال من المضاف إليه .

(ب) تقدم الحال على صاحبها أو عاملها .

(جـ) حذف عامل الحال .

• • •

الحال والحالة فى اللغة العربية : ما عليه الإنسان من خير وشر ، ومن ذلك السؤال العادى بين الناس : (كيف حالُك !!) .

وكلمة الحال تستعمل فى اللغة مذكرة ومؤنثة ، فيقال : (هذا حال حسن) أو (هذه حالة حسنة) ومن التأنيث قول الشاعر :

إذا أعجبتْك الدَّهرَ حالٌ من امرئٍ فدعْهُ وواكِلْ أمره واللّياليا [١]

---

(١) يدل البيت على استعمال كلمة (الحال) مؤنثة بدليل تأنيث الفعل لها فى (أعجبتك) .

ومن التذكير قول المتنبى :

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ ‏ ‏ ‏ ‏ فليُسعِدْ النُّطقُ إنْ لم يُسعدْ الحالُ (١)

ومع جواز الأمرين - التأنيث والتذكير - فى لفظة الحال ، فإن التأنيث هو الأفصح فى استعمال اللغة العربية .

أما الحال لدى النحاة فيقصد به - كما جاء فى ابن عقيل - الاسم الوصف الفضلة المبين لهيئة صاحبه ، تقول : (يعيش الذَّليلُ حقيرا ويعيش الحرُّ كريمًا) .

ومن ذلك قول عدىّ بن الرّعلاء :

ليس من ماتَ فاستَراحَ بميْت ‏ ‏ ‏ ‏ إنَّما الميْتُ مَيِّتُ الأحياء
إنَّما الميْتُ من يعيش كئيبًا ‏ ‏ ‏ ‏ كاسِفًا بالُه قليلَ الرَّجَاءِ (٢)

ومن هذا التعريف السابق يتضح أنه يجب أن تتوافر فى الحال الصفات التالية :

(أ) أن يكون الحال وصفا ، والمقصود به - كما سبق - ما دل على معنى وصاحبه ، وهو من المشتقات (اسم الفاعل - اسم المفعول - الصفة المشبهة - اسم التفضيل - أمثلة المبالغة) مثل (ضاحك - مسرور - شَهْم - أهْدأ - لمّاح) فهذه الصفات هى التى تقع حالا ، أما مجىء الحال غير مشتق وغير وصف فله حديث سيأتى .

(ب) أن يكون الحال فضلة ، والمقصود بها - كما سبق - ما تجىء بعد استيفاء الجملة ركنيها الأساسيين من فعل وفاعل أو مبتدأ وخبر ، وليس معنى « الفضلة » أنها من فضول الكلام ويصح الاستغناء عنها من حيث المعنى .

(جـ) أن يكون مبينا لهيئة صاحبه ، أو بعبارة أخرى : للكيفية التى هو عليها ،

---

(١) يدل البيت على استعمال كلمة (الحال) مذكرة بدليل تذكير الفعل لها فى (يسعد) .

(٢) الميت : بسكون الياء مثل « الميت » بتشديد الياء فى المعنى .

يقول : ليس الميت من يفارق الحياة فيستريح ، إنما الميت - فى رأيه - من يموت فى الحياة ، إذ ينسحق تحت أحداثها ، فيعانى الكآبة وخيبة الرجاء .

ولقد احتوى البيت الثانى على ثلاث كلمات وقعت حالا هى على التوالى (كئيبا - كاسفا باله - قليل الرجاء) .

أو بعبارة ابن هشام فى قطر الندى : أن يكون صالحا للوقوع فى جواب السؤال بكلمة (كيف) - وتلك علامة الحال التى نلجأ إليها لمعرفته فى الجملة .

تلك الصفات الثلاث يجب توافرها مجتمعة متضامنة فى الاسم الذى يطلق عليه نحويًا « حال » لتكون الكلمة التى يطلق عليها ذلك منصوبة فى الجملة التى ترد فيها .

عامل الحال :

الاسم المنصوب الذى يقع حالا شأنه شأن الأسماء الأخرى المنصوبة فى أن عامله هو الفعل أو ما يشبه الفعل ، فنقول : (أقبلَ الرّبيعُ منعشا) أو (الرّبيعُ مقبلٌ منعشا) فالعامل فى الجملة الأولى هو الفعل (أقبل) وفى الثانية اسم الفاعل (مقبل) وهو اسم يشبه الفعل .

لكن يضاف هنا عامل آخر خاص بالحال يسمى « العامل المعنوى » ويقصد به : ما تضمن معنى الفعل دون حروفه « كأسماء الإشارة وحرف التمنى وكاف التشبيه » فإنها تتضمن معنى أفعال هي على الترتيب (أشير - أتمنَّى - أشبّه) تقول : (تلك أرضُنا خضراءَ منبسطةً كأنها الجنةُ مصوّرةً) .

والخلاصة أن العامل فى الحال واحد من ثلاثة :

١ - الفعل : بأقسامه الثلاثة الماضى والمضارع والأمر .

٢ - ما يشبه الفعل : وهو ما تضمن معنى الفعل وحروفه من الأسماء كاسم الفاعل والمفعول ... إلخ

٣ - العامل المعنوى : وهو ما تضمن معنى الفعل دون حروفه ، كالإشارة والتشبيه والتمنى .

صاحب الحال من حيث التعريف والتنكير :

صاحب الحال هو الاسم الذى وصفته الحال ، أو بعبارة أخرى : بينت هيئته ووضحت كيفيته .

وفى هذا الموضوع ينبغى أن نتذكر الصلة بين الحال والخبر ، لأن كلاً منهما صفة لما هو له ، أو حكم عليه ، ومن أجل ذلك اشترط هناك فى المبتدأ أن يكون

معرفة ، ولا يكون نكرة إلا بصفات ذكرت فى موضعها من مباحث المبتدأ - وهنا أيضا :

أولا : الأصل فى صاحب الحال أن يكون معرفة ، فنحن نقول : (ركبتُ السيارةَ مزدحمةً) أو (قطعتُ الشارعَ ماشيًا) أو (أقبلَ صديقى مستبشرًا) فأصحاب الحال فى هذه الأمثلة - كما هو واضح - من المعارف .

ثانيا : يأتى صاحب الحال نكرة بمسوغات تشابه تلك التى ذكرت فى باب المبتدأ وهى على التحديد ما يلى :

١ - أن تقع النكرة عامة فى سياق النفى أو الاستفهام ، كقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ [الآية ٢٠٨ من سورة الشعراء] ، وكقول الشاعر :

يا صَاحِ هل حُمَّ عيشٌ باقيًا فترى لنفسك العُذْرَ فى إبْعادها الأَملا (١)

٢ - أن تخصص النكرة بالوصف أو بالإضافة ، كقول الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [الآية ١٠١ من سورة البقرة] وقول الشاعر :

نجَّيتَ يا ربِّ نوحًا واستجبتَ له فى فُلُكٍ مَاخرٍ فى اليمِّ مشحونا
وعاشَ يدعو بآياتٍ مُبيِّنَةٍ فى قومه ألفَ عامٍ غيرَ خمسينا (٢)

وقول الله تعالى : ﴿ فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [الآية ١٠ من سورة فصلت] .

٣ - أن تتقدم الحال على صاحبها النكرة ، كقول الشاعر :

لِمَيَّةَ موحِشًا طَلَلُ يلوحُ كأنَّه خِلَلُ (٣)

---

(١) حم : قدر .

يقول : هل قدر دوام الحياة لأحد فتعلق بالآمال البعيدة !! لا أظن ، والحياة أقصر مما تظن .

الشاهد : فى جملة (هل حم عيش باقيا) فإن صاحب الحال (عيش) وهو نكرة ، سوغها وقوعها فى سياق الاستفهام ، فتفيد العموم .

(٢) فلك - بضم اللام وإسكانها - السفينة - ماخر فى اليم : يشق الماء .

الشاهد : فى الشطر الثانى للبيت الأول (فى فلك ماخر فى اليم مشحونا) فصاحب الحال (فلك) نكرة ، ومسوغ مجيئه نكرة وصفه بكلمة (ماخر فى اليم) .

(٣) مية : اسم الحبيبة - موحشا : خاليا - طلل : آثار الديار - خلل : الثياب الممزقة .

يقول : إن ما بقى من ديار « مية » بعد رحيلها خراب مهدم كالثياب القديمة . =

وقول الآخر :

وبالجسمِ منّى بَيِّنًا لوْ علمتِه
شحوبٌ وإن تستشهِدِى العَيْنَ تَشْهَدِ (١)

ثالثا : يأتى صاحب الحال نكرة بدون أحد المسوغات الثلاثة السابقة وهذا قليل جدًّا ، ومن هذا الحديثُ الذى روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : (صلى رسولُ الله ﷺ فى بيته وهو شاكٍ ، فصلّى جالسًا وصلّى وراءه رجالٌ قياما) .

والخلاصة فى هذا الموضوع : أن الأصل فى صاحب الحال أن يكون معرفة ، ويأتى نكرة بمسوغ من المسوغات ، وهذا خلاف الأصل ، ويأتى نكرة بلا مسوغ على الإطلاق ، وهذا قليل فى اللغة .

الحال من حيث التعريف والتنكير :

الأصل فى الحال أن تكون نكرة ، فلا تكون معرفة ، هذا هو مذهب جمهور النحاة .

وقد وردت عبارات فى اللغة العربية يبدو من لفظها أن الحال فيها معرفة لا نكرة ، لكن النحاة اتفاقًا مع قاعدتهم فى أن الحال لا بد أن تكون نكرة لا يبقون تلك العبارات على ظاهر لفظها المعرف ، بل يؤولونها بالنكرة أو بعبارة أوضح : يتخيلون لفظًا منكرًا من معانى ألفاظ الحال التى وردت معرفة . وهذا التأويل أو التخيل - فى رأى النحاة - هو وسيلة الاتفاق بين القاعدة وبين ما ورد من عبارات مأثورة لا تتفق معها .

والحق أن هذه العبارات المأثورة التى وردت فيها الحال معرفة لا يكاد أكثرها يستعمل الآن ، والقليل منها هو المستعمل فقط ، وإليك هذه العبارات وتأويل النحاة لها :

• ما قرئ من قوله تعالى :

= الشاهد : فى (لمية موحشا طلل) فإن صاحب الحال (طلل) وهو نكرة ومسوغ مجىء الحال منها تقدم الحال عليها ، وأصل الجملة (لمية طلل موحش) .

(١) الشاهد : فى (بالجسم منى بينا شحوب) فإن صاحب الحال (شحوب) وهو نكرة ، وسوغ مجىء الحال منه تقدم الحال عليه وهى (بينا) وأصل الجملة (بالجسم منى شحوب بين) .

﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [الآية ٨ من سورة المنافقون][١] وتأويلها : ذليلا .

- ما نعبر به من قولنا : آمنتُ بالله وحْدَه - وتأويلها : منفردا .
- من كلام العرب : ادْخُلوا الأوَّلَ فالأوّل - وتأويلها : مترتبين .
- ومنه أيضا : أرسلَها العِرَاكَ - وتأويلها : متزاحمة
- ومنه أيضا : جاءُوا الجَمّاءَ الغَفِيرَ - وتأويلها : جميعا .
- ومنه أيضا : جاءوا قَضَّهُمْ بِقَضِيضهم - وتأويلها : جميعا .

وبعد : فلعلنا بعد هذا الحديث المستفيض عن تحديد معنى الحال ، ثم عن الحال وصاحبها من حيث التعريف والتنكير يمكننا أن نفهم وأن نناقش تلك العبارة النحوية المشهورة بين المشتغلين بالنحو التى تقول : (**ولا تكون الحال إلا نكرة ، ولا يكون صاحبها إلا معرفة ، ولا تكون الحال إلا بعد تمام الكلام**) .

المصطلحات النحوية فى باب الحال :

من المفيد أن يذكر هنا أن باب الحال طويل جدا ، وقد خرجت من تأملى لهذا الباب فى الكثير من مراجع النحو أنه مما يعين على دراسة هذا الباب - على طوله - فهم المصطلحات النحوية التى تتردد فى حديث النحاة عنه ، وقد اخترت منها ١٢ مصطلحا تحيط - فيما أعتقد - بأهم ما ينبغى معرفته فى هذا الباب .

الحال المُبَيِّنة (المؤسِّسَة) والحال المؤكدة :

جاء إلىّ صديقى ضاحكا	} جاء إلىّ صديقى مقبلا
جلس الطلابُ كُلُّهم منصتين	} جلس الطلابُ كلُّهم جميعا
هذا أبى مهندسًا	} هذا أبى عطوفًا علىّ

الحال المبينة : هى التى يصدق عليها التعريف الذى ذكر للحال فيما سبق بأنها اسم وصف فضلة مبين للهيئة ، ويتضح من هذا التعريف لماذا سميت « المبينة » إذ تبين صفة صاحبها أو هيئته أو الكيفية التى هو عليها ، ويحدّدها النحاة بقولهم :

---

(١) والقراءة المشهورة (ليخرجن الأعز منها الأذل) بضم الياء وكسر الراء ، وهذه القراءة لا دليل فيها ، فالجملة مكونة من « فعل وفاعل ومفعول » .

هى التى لا يستفاد معناها بدون ذكرها - فهى إذن تعتبر أساسا لمعنى جديد لا يفهم من الجملة قبلها ، ولهذا يطلق عليها أيضا اسم « المؤسِّسَة » .

الحال المؤكدة : هى التى يستفاد معناها من الكلام السابق عليها فى جملتها ، وفائدتها إذن تأكيد هذا المعنى المستفاد ، ولهذا سميت « المؤكدة » ولها الصور الآتية :

١ - المؤكدة لعاملها : وذلك إذا كان معناها فى هذا العامل ، كقول الله تعالى : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا ﴾ [الآية ١٩ من سورة النمل] وقوله : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الآية ٦٠ من سورة البقرة] .

٢ - المؤكدة لصاحبها : وهى التى يستفاد معناها من صاحبها ، كقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [الآية ٩٩ من سورة يونس] .

٣ - المؤكدة لمضمون الجملة : هى التى يستفاد معناها من النسبة بين الخبر والمبتدأ ، على معنى أنه إذا ذكر المبتدأ ونسب له الخبر بعد ذلك ، فُهِمَ معناها دون ذكرها ، إذ تتضمن هذه النسبة معناها عادة ، كما نقول : (الأستاذُ قويٌّ فى مادّته مُفْهِمًا) وكما نقول : (هذا أخوك ناصرًا لك) أو (هذا أبى رحيما بى) ومن ذلك قول الشاعر :

أنا ابنُ دارةَ معروفًا بها نسبى ... وهل بدارةَ يا لَلّناسِ من عَارِ [(١)]

الحال المُنتقِلَة واللّازمة :

يبقَى المسلمون نهارَ رمضان صائمين } خلق الله جسمَ الإنسانِ مستقيما
ويقطعون مُعْظَمَ ليله ساهرين } ومنه العقْلَ مفكّرا
ويتّجهون إلى الله مبتهلين خاشعين } وشرع له الدّينَ الحقَّ هاديًا

تقدم فى تعريف الحال أنها لا بد أن تكون وصفا ، فهى فى الحقيقة صفة

---

(١) دارة : اسم أم الشاعر .

الشاهد فى قوله (أنا ابن دارة معروفا بها نسبى) فإن الحال فى هذه الجملة (معروفا بها نسبى) مؤكدة لمضمون الجملة (أنا ابن دارة) إذ لم تضف الحال شيئا جديدا لمعنى الجملة .

تنسب إلى صاحبها ، وهذه الصفة قد تكون صفة عارضة للمتصف بها ، بمعنى أنها تحدث له ثم تزول عنه ، وقد تكون صفة ملازمة له لا تنفك عنه لسبب عُرفي أو خِلْقيّ ، ويُطلق على النوع الأول اسم « الحال المنتقلة » وهى الأصل فى الحال ، وأكثرها شيوعا فى الكلام العربى - ويطلق على النوع الثانى اسم « الحال اللازمة » ، وهذه أقل من الأولى فى الكلام العربى ، وإن وردت فيه .

وعلى هذا يتحدد معنى المصطلحين السابقين كالآتى :

الحالة المنتقلة : هى ما جاءت دالة على وصف عارض ، يجىء ثم يذهب بالنسبة لصاحبه ، تقول : (نَمَا النَّباتُ مخضرًا) أو (تدلَّتْ فروعُ الأشجارِ مثمرةً) .

الحال اللازمة : كما يقول ابن هشام نصا - هى ما جاءت دالة على وصف ثابت ، كقول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ ﴾ [الآية ١١٤ من سورة الأنعام] أى (مبينا) وقول العرب : (خَلَقَ الله الزرافةَ يَدَيْها أطْوَلَ من رجليها) أ . هـ

ومن الشواهد التى أوردها « ابن عقيل » لهذه الحال الأخيرة - اللازمة - قول الشاعر :

فجاءتْ به سِبْطَ العِظَامِ كأنَّما عمامتُه بين الرجالِ لواءُ (١)

فسبْط العظام - بمعنى طولها وامتدادها - وصف خِلقِي ملازم لصاحبه وهو دليل القوة والهيبة ، يقابله قصر العظام ، وهو دليل القماءة والضعف .

الحال المُشتَقَّة والمُوَطِّئَة والجامدة :

مرة أخرى يذكر أنه اشترط فى تعريف الحال أن تكون وصفًا ، ويقصد به الأسماء التى تؤخذ من مصادر عن طريق الاشتقاق دالة على الصفة « كاسم الفاعل أو اسم المفعول أو أفعل التفضيل أو الصفة المشبهة » .

فالاسم الذى يقع حالا يكون من هذا الصنف غالبا ، لكن ليس ذلك دائما .

---

(١) سبط العظام : طويل العظام مستوى الخلقة - لواء : علم .

يقول : ولدته أمه مستوى الخلقة طويل العظام ، فشب على ذلك ، فإذا سار بين الناس ظهرت عمامته - لطول قامته - كأنها علم منشور فوق الناس .

الشاهد : فى (جاءت به سبط العظام) فإن الحال (سبط العظام) حال لازمة لأن ذلك أمر خلقى .

إذ يأتي أحيانا اسما جامدا موصوفا بمشتق أو غير موصوف بشيء على الإطلاق ، والجامد الموصوف بالمشتق يطلق عليه اسم « الحال الموطئة » في مقابل « الحال الجامدة » التي لم توصف بشيء على الإطلاق .

وعلى ذلك تُحدد المصطلحات الثلاثة السابقة بما يلي :

المشتقة : يقصد بها أن تكون وصفا مأخوذا من مصدر (اسم فاعل - اسم مفعول - صفة مشبهة - اسم تفضيل) كقولنا : (ارتفعت الشَّمسُ متوهِّجةً وأرسلَتْ الحرارةَ مُحْرِقَةً) .

الموطئة : وهي ما كانت اسما جامدا موصوفا بمشتق ، مثل (تساقط الماء من السماء مطرًا غزيرًا) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الآية ٥٢ من سورة المؤمنون] وقوله : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [الآية ١٧ من سـورة مريم] .

ومعنى كلمة « موطئة » ممهدة ، فكأن الحال في الحقيقة هي الكلمة المشتقة التي وقعت صفة ، أما الاسم الجامد فقد مهد لذلك المشتق ، وكان وسيلة له .

الجامدة : هي الحال التي جاءت اسما جامدا ، ويقصد به : ما لم يؤخذ من غيره سواء أكان اسم ذات أم اسم معنى - يلتزم بعض المعربين تأويلها بالمشتق - ومن أهم المواضع التي ترد فيها الحال الجامدة ما يلي :

١ - أن تدل على سعر : مثل (بعتُه القمحَ إردبًّا بعشرة جنيهات [١]) تأويلها : مسعَّرًا .

٢ - أن تدل على المفاعَلة : مثل (بعتُه يَدًا بِيدٍ) أي (مُقابِضا) أو (قابلتُ صديقي وجْهًا لوَجْهٍ) أي (مواجِها) أو (سلمتُ عليه يَدًا بِيَدٍ) أي (مُصافِحا) .

٣ - أن تدل على تشبيه : بأن تكون الحال في قوة « المشبه به » كقولنا : (بدت الأرضُ من الفضاء كرةً) فهي في قوة (مُشابِهةً للكرة) .

ومن ذلك قول هند بنت عتبة تحرض قريشا :

---

(١) أحسن ما يقال في إعراب هذه الجملة أن (إردبا) حال ، وأن الجار والمجرور بعدها صفة للحال - ومثلها تماما (بعته يدا بيد) وما يشبههما .

أفى السّلمِ أعيارًا جَفَاءً وغلظَةً ... وفى الحرب أشْبَاهَ النساءِ العَوارِكِ (١)

وقول أحد أصحاب على :

فما بالُنَا أمسِ أسْدَ العَرين ... وما بالُنَا اليومَ شَاءَ النَّجَف (٢)

٤ - أن تكون الحال مصدرًا ، وذلك كثير فى اللغة العربية ، كقولنا : (تغير الجوُ فجأةً) و (جاء الفرسُ ركْضًا) و (قُتِلَ المجرمُ شنْقًا) .

ومن الغريب أن هذا النوع الأخير مع كثرته يحكم عليه بأنه غير قياسى فى اللغة .

والذى أراه أنه قياسى ، وأن لنا أن نستعمله كما استعمله العرب فنأتى بالحال مصدرًا كما استعملوا ذلك .

الحال المتفرِّدة والمتعدِّدة :

لاحظ الأمثلة التالية :

دعا المؤمنُ ربَّه راكعًا ساجدًا قائما قاعدًا } صاحب الحال واحد
} الحال متعددة

ناجَى المؤمنُ ربَّه غفورًا تائبًا } صاحب الحال متعدد
} الحال متعددة - الدليل معنوى

كَبَّر الحُجَّاجُ لله سميعا مخلصين } صاحب الحال متعدد
} الحال متعددة - الدليل لفظى

---

(١) الأعيار جمع « عير » بفتح العين وسكون الياء وهو : الحمار ، ويقول القاموس : إنه غلب على الوحشى - النساء العوارك : النساء الحائضات تذمهم فى حالتى السلم والحرب ؛ فهم فى السلم كالحمر جفاء وغلظة ، وفى الحرب كالنساء ضعفًا وخوفا .
الشاهد : فى الشطر الأول (أفى السلم أعيارا) فإن كلمة (أعيارا) حال جامدة ، إذ دلت على المشابهة .

(٢) العرين : مكمن الأسد - النجف : حى من أحياء العراق .
الشاهد : فى كلا الشطرين ، الحال فى الأول (أسد) والحال فى الثانى (شاء) والاسمان جامدان لدلالتهما على التشبيه .

انتصر العدلُ على القوةِ مندحرةً قويًا } صاحب الحال متعدد

} الحال متعددة - الدليل لفظى

اختصم الباطل والحق قويًا مقهورًا } صاحب الحال متعدد

} الحال متعددة - لا دليل

سبق فى باب خبر المبتدأ أن الخبر قد يأتى مفردا أو متعددا ، وهذا الأمر الأخير غير العطف ، تقول : (الحقُّ قوىٌّ) وتقول : (الحقُّ قوىٌّ قاهرٌ غلابٌ) .

وهنا أيضًا فى الحال تأتى متفردة ومتعددة على التوضيح التالى :

الحال المتفردة : هى ما كانت وصفا واحدا ، وذلك هو الغالب فى الحال حيث تأتى فى اللغة العربية بكثرة من هذا الصنف : مثل (يدافعُ المؤمن عن قِيَمِه شجاعا) .

الحال المتعددة : هى ما كانت أكثر من صفة ؛ سواء أكانت لواحد فقط أَم لمتعدد ، تقول : (دافع المؤمن عن قِيَمِه مقتنعا شجاعا) بدون عطف .

والحال المتعددة تأتى على الصورتين التاليتين :

الصورة الأولى : أن تكون الحال متعددة وصاحبها واحدًا فقط ، مثل (أحبُّ المرءَ صادقا مستقيما) ومن ذلك ما ينسب قوله للمجنون :

عَلَىّ إذا ما جئتُ ليلى بخفيةٍ زيارةُ بيتِ الله رجْلانَ حافيا
شكورًا لربى حين أبصرتُ وجهها ورؤيتُها قد تسقِنى الشمُّ صافيا [(١)]

الصورة الثانية : أن تكون الحال متعددة وأصحابها متعددون أيضا وتحت هذه الصورة التفصيل التالى :

(أ) أن يكون هناك دليل معنوى يوجه كل حال لصاحبها ، مثل قولك : (تحدث الأستاذ مع الطالبِ مستمعا ناصحا) فمن البين أن (المستمع) هو الطالب عادة ، وأن (الناصح) هو الأستاذ - وحينئذ لا داعى لترتيب الأحوال المتعددة .

---

(١) خفية بضم الخاء وكسرها : دون أن يرانى أحد - رجلان : حافيا ماشيا دون نعل - قد تسقنى : هكذا وردت ، والأصل (تسقينى) وحذفت الياء لضرورة الشعر .

الشاهد : فى البيت الأول : إذ تعددت الحال (رجلان حافيا) لواحد هو ياء المتكلم فى قوله (على) .

(ب) أن يكون هناك دليل لفظي يوجه كل حال لصاحبها - كالتثنية والجمع أو التذكير والتأنيث - كما تقول : (عشق المجنونُ ليلى مدلّهًا عفيفةً) أو تقول : (زار الأصدقاءُ المريضَ ممتنًّا مواسين) - فمن البين أنه فى المثال الأول تُوَجِّه الأحوال المتعددة بالتذكير والتأنيث ، وفى المثال الثانى يوجِّهها الإفراد والتثنية والجمع ، ومن هذا قول الشاعر :

لَقِيَ ابنى أخوَيْه خائفًا مُنجِدَيْهِ فأصابوا مَغْنَمَا (١)

وقول امرئ القيس :

خرجتُ بهَا أمشى تَجُرُّ وراءنا على أثرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ (٢)

وهنا أيضا لا حاجة إلى ترتيب الأحوال المتعددة .

(جـ) ألا يكون هناك دليل يوجه الأحوال المتعددة لأصحابها ، وحينئذ لا بد من الترتيب التالى :

تعتبر الحال الأولى للثانى والثانية للأول ، وهكذا ... وهذا غريب !؟ ومن أمثلة النحو (لقيتُهُ مُصعِدًا مُنْحَدِرًا) فكلمة (مصعدا) حال من ضمير الغائب ، وكلمة (منحدرا) حال من ضمير المتكلم .

والذى أراه - إن لم يجانبنى الصواب - أنه يجب هنا أن ترتب الحال ترتيبا على الأصل ، بحيث تكون الأولى لصاحبها الأول ، والثانية للثانى وهكذا ؛ لأن ذلك هو الذى يتجه إليه الذهن حين النطق ، فَلِمَ نعكس الأمر بهذه الصورة الغريبة !! فإذا قلنا : (عامل الصديقُ صديقَه وَدُودا مخلصًا) كانت (ودودا) للأول (الصديق) وكانت (مخلصا) للثانى (صديقه) ولا داعى لعكس الموضوع .

وخلاصة هذا الموضوع كله : أن الحال المتعددة لمفرد أو المتعددة لمتعدد مع وجود الدليل المعنوى أو اللفظى لنسبتها لمن هى له لا يلزم فيها ترتيب .

---

(١) من البين فى قوله (لقى ابنى أخويه خائفا منجديه) أن (الخائف) هو (الابن) وأن (منجديه) هما (أخويه) فالحال متعددة ، وتوجه لأصحابها بالإفراد والتثنية .

(٢) المرط - بكسر الميم وسكون الراء - ثوب المرأة - مرحل : مخطط .

الشاهد : فى (خرجت بها أمشى تجر وراءنا) هنا حالان جملتان : الأولى (أمشى) والثانية (تجر وراءنا) ومن البين أن صاحب الحال الأولى هو ضمير المتكلم فى (خرجت) وأن صاحب الثانية هو ضمير الغائبة فى (بها) يدل على ذلك التذكير والتأنيث والتكلم والغيبة .

وأما إذا تعددت لمتعدد بلا دليل ، فإنها - فى رأيى - يجب ترتيبها على الأصل .

الحال المفردة والجملة وشبه الجملة :

لاحظ الأمثلة التالية :

وقف الشرطىُّ منظِّما حركةَ المرور ويسهرُ رجالُ الأمن محافظين على المواطنين	} الحال مفردة
يؤدى شرطىُّ المرورِ واجبَه بين مفارق الطرق فى الزّحام	} الحالِ شبه جملة
ويسهرُ رجالُ الأمن والمواطنون نائمون فيطاردون الجريمةَ وهم معرَّضون للخطر	} الحال جملة

تأتى الحال مفردة وجملة وشبه جملة - تماما كما كان الأمر فى خبر المبتدأ - والأصل فى الحال أن تكون مفردة ، ويقابلها فى ذلك شبه الجملة والجملة على التحديد التالى :

الحال المفردة : هى ما كانت غير جملة ولا شبه جملة ، وإن كانت مثناة أو مجموعة ، تقول : (من حقّ العاملِ للمجتمع أنْ يعيشَ مستريحا) وتقول : (من حقِّ العاملين لخير المجتمع أن يعيشوا مستريحين) وكلا المثالين من نوع المفرد .

شبه الجملة : يقصد بذلك أن تكون الحال ظرفا أو جارا ومجرورا ، مثل قولك : (إن الحرمان وقتَ الحاجة أقلُّ أَلَمًا من العطاء مع المَنّ) وتقول : (استعمتُ للنصيحة من لسانٍ مخلص) - قال ابن هشام : ويتعلقان « بمستقر أو استقر محذوفين » .

الجملة : هى ما تكونت من مسند ومسند إليه ، سواء أكانت اسمية أم فعلية ، تقول : (سهرتُ والنّاسُ نائمون) وتقول : (انتشر الناسُ فى الأرْضِ يبتغون الرزق) .

هذا ، ومن أهم شروط الجملة التى تقع حالا - فعلية أم اسمية - أن يكون بها رابط يربطها بصاحبها ، وهذا الرابط واحد من أمور ثلاثة :

(أ) الواو : وتسمى « واو الحال » وعلامتها - كما يقول ابن عقيل - صحة وقوع « إذْ » موقعها ، تقول : (ربَّما يتعبُ الجسم والضميرُ مستريحٌ وربما يرتاحُ الجسمُ والضميرُ مُتْعَبٌ) قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ [الآية ١٥ من سورة يوسف] .

(ب) الضمير وحده : ويقصد بذلك الضمير الذى يرتبط بصاحب الحال ويعود إليه ، تقول : (يعيشُ العلماءُ فى عصرنا حياتُهم لغيرهم) ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [الآية ٣٦ من سورة البقرة] .

(جـ) الواو والضمير جميعا : كقولك : (تتحركُ عينُ المنافقِ وهى قلقةٌ وتستقرُّ عينُ المخلصِ وهى هادئةٌ) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ [الآية ٢٤٣ من سورة البقرة] .

ذلك أصل الموضوع ، أن الرابط فى الجملة قد يكون الواو فقط أو الضمير فقط أو الواو والضمير جميعا ، ويستدرك على هذا الأصل الملاحظتان التاليتان :

الأولى : أن الجملة الفعلية الواقعة حالا إذا كان فعلها مضارعا مثبتا ، وتقدم عليها الحرف « قد » فإنها يجب أن يتقدم عليها « واو الحال » ولا تأتى بدونها ، مثل قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [الآية ٥ من سورة الصف] .

الثانية : أن واو الحال مجيئها مع بعض الجمل التى من أهمها ما يلى :

(١) الجملة الفعلية المبدوءة بمضارع مثبت ، مثل (وقف المنتصرُ يبتسمُ وجلس المهزومُ ينتحبُ) .

(٢) الجملة الفعلية المبدوءة بمضارع منفى بالحرف « لا » كقول الشاعر :

ولو أنَّ قومًا لارتفاعِ قبيلةٍ ... دخلوا السماءَ دخلتُها لا أُحْجَبُ (١)

(٣) الجملة الفعلية المبدوءة بمضارع منفى بالحرف « ما » كقول مسكين الدَّارمى :

---

(١) يفخر بقومه ، وبأنهم أسمى من كل القبائل ، فلو طالت قبيلة السماء ودخلتها لكانت قبيلته .

الشاهد : أن جملة الحال الفعلية (لا أحجب) تقدم عليها حرف النفى (لا) وهذه لا تأتى الواو رابطا معها .

عَهِدتُكَ ما تَصْبُو وفيكَ شَبيبةٌ ... فما لَكَ بعد الشَّيبِ صَبًّا مُتَيَّمًا (١)

(٤) الجملة الحالية التى تأتى مؤكدة لمضمون الجملة قبلها ، كقولنا : (هو الحقُّ لا شكَّ فيه) وقول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الآية ٢ من سورة البقرة] .

مسائل مهمة تتعلق بالحال :

الأولى : مجىء الحال من المضاف إليه :

لاحظ الأمثلة التالية :

من آيات الله إمساكُ الأرضِ فى الفضاءِ مُعَلَّقَةً

ومن أعظم آياته أن يستقرَّ ماءُ الأرضِ عليها مكوَّرَةً

ومن رائع حكمته أن يبقى هواءُ الأرضِ حولها جاذبةً له

من رأى جمهور النحاة أن الحال لا تأتى من « المضاف إليه » فى اللغة العربية إلا إذا جاء « المضاف » على الصفات التالية :

(أ) أن يكون المضاف اسما يقوم بوظيفة الفعل (كالمصدر واسم الفاعل إلخ) مثل (من آيات الله إمساكُ الأرضِ فى الفضاءِ مُعَلَّقَةً) ومن ذلك قول مالك بن الريب :

تقولُ ابنتى إنَّ انطلاقَكَ واحدًا ... إلى الرَّوْعِ يومًا تارِكِى لا أَبَا لِيَا (٢)

(ب) أن يكون المضاف جزءا من المضاف إليه ، مثل (ومن أعظم آياته أنْ يستقرَّ ماءُ الأرضِ عليها مكوَّرَةً) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [الآية ١٢ من سورة الحجرات] .

---

(١) الشاهد : أن جملة الحال الفعلية (ما تصبو) تقدم عليها حرف النفى (ما) وهذه لا تأتى الواو رابطا معها ، فهى ممنوعة .

(٢) الروع : الحرب .

الشاهد : فى الشطر الأول (إن انطلاقك واحدا) فإن الحال (واحدا) جاء من المضاف إليه وهو (ضمير المخاطب) لأن المضاف (انطلاق) مصدر يعمل عمل الفعل ، والضمير مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله .

(جـ) أنْ يكون المضاف كجزء من المضاف إليه ، مثل (ومن رائع حكمته أن يبقى هواءُ الأرضِ حولها جاذبةً له) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [الآية ١٢٣ من سورة النحل] .

هذا ، ومن رأى أبى علىّ الفارسى - وهو إمام نحوى جليل - جواز مجىء الحال من « المضاف إليه » مطلقا دون هذه الصفات السابقة ، ومن ذلك قول تأبّط شرًّا :

سلبتَ سِلاحِى بائِسًا وشَتَمْتَنى ... فيا خيرَ مسلوبٍ ويا شرَّ سالبِ (١)

ويبدو أن لهذا الرأى الأخير وجاهته التى يؤديها الاستعمال ، إذ نقول : (نستقبل أضواءَ الصبَاحِ باكرًا) و (نستقبل أحداثَ اليومِ جديدا) و (نرى كلَّ يوم معالِمَ الحياةِ متجدِّدَةً) .

الثانية : ترتيب جملة الحال :

الأصل فى اللغة العربية أنه يصح تأخر الحال عن عاملها وصاحبها ويصح توسطها بينهما أو تقدمها عليهما معا ، وعلى ذلك فإن الصور الآتية كلها صحيحة لجملة واحدة .

يذهبُ الطالبُ إلى الجامعة نشيطا
يذهب نشيطا الطالبُ إلى الجامعة
نشيطا يذهبُ الطالبُ إلى الجامعة

ومن ذلك قول عروة بن حزام :

حلفتُ بربِّ الراكعين لرَبِّهم ... خُشُوعًا وفوق الراكعين رقيبُ
لئن كان بردُ الماءِ هيمانَ صاديًا ... إلىَّ حبيبًا إنَّها لحبيبُ (٢)

---

(١) **الشاهد** : فى (سلبت سلاحى بائسا) حيث جاءت الحال (بائسا) من المضاف إليه (ياء المتكلم) ولم يكن المضاف على صفة من الصفات التى اشترطها النحاة - وهذا اتجاه مفيد منسوب لأبى على الفارسى .

(٢) هيمان : مشتاق - صاديا : ظمآن - برد الماء : العذب .

يقول : أحلف بالراكعين وربهم إننى مشتاق إليها ظامئ للقاها ، فأنا أحبها حبى للماء وأنا راغب فيه ظمآن .

الشاهد : فى (هيمان صاديا) فهما حالان تقدمتا على صاحبهما ، وهو ضمير المتكلم فى (إلى) .

فالكلمتان (هيمان - صاديا) حالان من ضمير المتكلم المجرور فى (إلىّ) وهو متأخر .

لكن ، يستدرك على هذا الأصل الأمران التاليان :

الأول : إذا كان الحال هو الاسم (كيف) فإنه يجب تقدمه .

هذا ، وينبغى التنبه إلى أن كلمة (كيف) اسم مبنى على الفتح ، وله - كما يقال - صدارة الكلام ، وتستعمل - كما جاء فى « مغنى اللبيب » - كما يلى :

١ - أن تكون أداة شرط غير جازمة ، ويجىء بعدها فعلان متفقان فى اللفظ والمعنى ، مثل : (كيف تصنعُ أصنعُ) .

٢ - أن تكون اسم استفهام - وهو الاستعمال الغالب فيها - فإن كانت الجملة بعدها تحتاج إلى خبر ، أعربت خبرا ، مثل قولنا : (كيفَ حالُك ؟؟) و (كيف كانتْ ليلتُك ؟) و (كيف علمتَ الحقيقةَ ؟) .

فإن كانت الجملة بعدها لا تحتاج إلى خبر ، أعربت حالا - وهذا هو المقصود هنا - ومن ذلك قول حافظ إبراهيم :

كيفَ يَحْلُو من القوىِّ التَّشَفِّى ‏ ‏ ‏ فى ضعيفٍ أَلْقَى إليه القيَادا [1]

الثانى : يجب تأخر الحال فى مواضع ، أهمها أن يكون العامل (فعل تعجب - اسم تفضيل - اسم فعل - عامل معنوى) كما يلاحظ فى الأمثلة التالية :

ما أَجْمَلَ القمرَ فى ليالى الرّيف مشرقًا

هواءُ الرّيف أنفعُ الأشياءِ نقيًّا

فتلك هِبَاتُ الطبيعةِ لنا سخيّةً

الثالثة : حذف عامل الحال :

الأصل - كما سبق غير مرة - ألا يحذف من الكلام العربى شىء ، وأن

---

(١) من قصيدة حافظ إبراهيم فى « مأساة دنشواى » وقد سبق البيت للتمثيل به .

موضع التمثيل : (كيف يحلو من القوى التشفى) فإن كلمة (كيف) اسم استفهام فى محل نصب حال ، ويجب تقديمه على عامله ، لأن له صدارة الكلام .

تكون كل أجزائه مذكورة ، لكن فى صناعة النحو صحة الحذف ، ومن الأشياء التى تحذف أحيانا من جملة الحال عاملُ الحال ، كما يلاحظ فى النصوص التالية :

* قول الله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [الآيتان ٣ ، ٤ من سورة القيامة] .

* قول العرب للقادم من الحج : (راشدًا مأجورًا) .

* قول العرب فى التوبيخ : (أتميميًّا مرة وقيسيًّا أخرى) .

* قولنا بعد الطعام والشراب : (هنيئا لك) .

* * *

التمييز

١ - المقصود بالتمييز لدى اللغويين والنحاة ، والموازنة بينه وبين الحال .

٢ - الأمور المبهمة التي يفسرها التمييز نوعان :

(أ) المفردات الأربعة المبهمة (الأعداد - المقادير - أشباه المقادير - فرع التمييز) .

(ب) النسب الأربعة المبهمة (الفعل والفاعل - الفعل والمفعول - المبتدأ والخبر - النسبة مطلقا) .

• • •

التمييز لدى اللغويين والنحاة :

عاشت حضارةُ العربِ أربعةَ عشر قرنًا
وتأثر بها العالمُ ثقافةً وأخلاقًا
ويقررُ المؤرخون ذلك إنصافًا وعدْلاً
ويشكك أعداءُ العربِ فيها زُورًا وكذبًا

يقول اللغويون : الألفاظ الثلاثة (تمييز - تفسير - تبيين) بمعنى واحد فهي ألفاظ مترادفة تفيد توضيح الشيء وإزالة الغموض عنه ، وبهذا المعنى ورد قول الله تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [الآية ٣٧ من سورة الأنفال] . بمعنى : يفصل كلا منهما عن الآخر ، فيتضح وحده ، ويوم القيامـة يقال : ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الآية ٥٩ من سورة يس] أي : اظهروا وحدكم بلا خفاء ولا اختلاط .

يقول ابن هشام : « التمييز اسم نكرة فضلة جامد يرفع إبهام اسم أو إجمال نسبة » . هـ

إذا تأملنا هذا التعريف اتضح لنا أنه يشتمل على صفات خمس لما يقع تمييزا هي على الترتيب :

١ - أن يكون اسما .

٢ - أن يكون نكرة .

٣ - أن يكون فضلة .

٤ - أن يكون جامدا .

٥ - أن يوضح إبهام ما قبله .

والأمور الأربعة الأولى قد مر تفسيرها - فيما سبق - فنحن قد عرفنا « الاسم والنكرة والفضلة والجامد » فلا حاجة إلى إعادة توضيحها ، أما القيد الأخير ففى حاجة إلى توضيح ، لأن فكرة التمييز تقوم عليه .

إن التمييز - كما فى المعنى اللغوى والنحوى - يبين شيئا مبهما فى جملته أو بعبارة أخرى : يوضح أمرًا غامضًا فى تلك الجملة ، فيرفع الإبهام والغموض وهذا الشيء المبهم أو الغامض هو ما نسميه (المميَّز أو المفَسَّر) ولو أنه ذكر وحده دون التمييز لحارت النفس فيه ، وذهبت بها حيرتها فى كل اتجاه .

إذا عاودنا النظرة إلى الأمثلة السابقة ، وقلنا فى المثال الأول : (عاشت حضارة العرب أربعة عشر) - هكذا دون التمييز - لأثار ذلك تساؤلا هو أىّ شيء هذه الأربعة عشر ؟ (يوما - شهرا - أسبوعا - قرنا) فإذا ذكر التمييز (قرنا) ذهبت تلك الحيرة - وفى المثال الثانى لو قلنا : (تأثر بها العالم) - هكذا دون التمييز - لأثار ذلك تساؤلا هو : بأى شيء تأثر العالم ؟! فى (الحضارة - التخلّف - العقيدة - الثقافة - الأخلاق - التاريخ ؟!) كل هذه احتمالات لا تزول إلا بذكر التمييز ، (فإذا ذكر التمييز (ثقافة وأخلاقًا) زالت هذه الاحتمالات جميعا ، وبان الأمر ، فقرّت النفس .

بين الحال والتمييز :

بالنظر إلى الصفات التى يجبُ توافرها فى كل من الحال والتمييز يمكن الموازنة بينهما نحويا بما يلى :

أولا : يتفق كل من الحال والتمييز فى أمرين :

(١) كل منها نكرة لا معرفة .

(٢) كل منها فضلة لا عمدة .

ثانيًا : يفترقان فى أمرين :

(١) الحال مشتق فى الأصل ، ولا يكون جامدًا إلا فى مواضع خاصة . والتمييز جامد دائما .

(٢) الحال يبين هيئة صاحبه ، ويجيب عن السؤال بكلمة (كيف) . أما التمييز فيوضح المبهم قبله ، ويجيب عن السؤال (من أىّ جهة؟؟) .

الأمور المبهمة وأنواعها :

تنقسم الأمور المبهمة التى يوضحها التمييز إلى صنفين :

الصنف الأول : مفردات مبهمة تحتاج إلى ما يوضحها ، ويسمى التمييز فى هذه الحالة (تمييز المفرد) أو (تمييز الذّات) لأنه يفسر اسما مفردا يدل على ذات مبهمة .

والمفردات التى تحتاج إلى التفسير والتوضيح أمور أربعة هى :

١ - الأعداد من (١١ - ٩٩) - ولو جاءت مع المائة فما فوقها - لأن هذه الأعداد يأتى بعدها التمييز منصوبا ، كقول الله تعالى : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ [الآية ٤ من سورة يوسف] وقول زهير :

سَئِمتُ تكاليفَ الحياةِ ومنْ يَعِشْ ثمانين حولاً - لاَ أبَا لَكَ - يَسأمِ[١]

٢ - أسماء المقادير : ويقصد بها ما يدل على مقدار منضبط وزنًا أو كيلا أو قياسًا تعارف عليه الناس وارتضوه للوزن أو الكيل أو القياس ، ومن ذلك :

- موازين : الطّن - القنطار - الأقة - الكيلو - الرطل - الأوقية - الدرهم - الجرام .
- مكاييل : الإردب - الكيلة - القدح - الجَريب - الصّاع .
- مقاييس : الفدان - القيراط - السهم - القصبة - المتر - الياردة - الكيلو متر .

---

(١) سئمت : مللت وكرهت - لا أبا لك : جملة تستخدم للدعاء على الشخص قدبما ، كأنه قال : عدمت الأب وصرت مضيعا .

الشاهد : فى (ثمانين حولا) فإن المفسر إنما هو اسم العدد (ثمانين) .

كقولنا : (تزنُ القِلادةُ أوقيةً ذهبًا) أو (بعضُ الفلاحين يملك فقط فدانًا أرضا فَيَغِلُّ عليه عددا من القناطير قُطْنًا وعددا آخر من الأرادب قمحًا) .

٣ - أشباه المقادير : ويقصد بها ما تدل على مقدار غير منضبط وزنا أو كيلا أو قياسا ، ولم يتعارف الناس عامة على استعمالها لذلك .

تقول : (شربتُ بعد الإفطار كُوبًا شايًا بعد أن أضفتُ إليه إناء لَبَنًا) . فهذا يشبه الكيل ، ومن كلام أهل الريف : (نَمَا النَّباتُ حتى بلغَ باعًا طولاً ثم نَمَا حتى بلغ قامَةَ رجل ارْتِفَاعًا) فهذا يشبه القياس ، ومن كلام أبناء البلد : (اشتريتُ وَزْنَ حَجَرٍ عِنَبًا) فهذا يشبه الوزن ، وقد جاء من ذلك ما يلى :

○ قول الله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الآية ٧ من سورة الزلزلة] . } يشبه الوزن

○ قول العرب « ما فى السَّماءِ قدرُ راحةٍ سحابًا » } يشبه القياس

(٤) أن يكون الاسم المبهم فرعا للتمييز ، على معنى أن يكون التمييز المفسِّر هو الأصل ، والمفسَّر بعض منه ، كقولنا : (هذا ثوبٌ حريرًا) أو (هذا خاتِمٌ ذَهَبًا) .

الصنف الثاني : النسب المبهمة بين شيئين فى الجملة ، أو بعبارة أخرى العلاقة المجملة - غير المفصلة - بين أمرين في الجملة ، ويسمى التمييز فى هذا الصنف (تمييز النسبة) لأنه قد جاء ليوضح تلك النسبة المبهمة ، وليفصل ويبين تلك العلاقة المجملة بين الشيئين فى الجملة .

والنسب المبهمة أربعة أنواع :

(١) النسبة المبهمة بين الفعل والفاعل ، ويسمى التمييز فى هذه الحالة (محوّلا عن الفاعل) كقولك : (انتصرت قضيتُنا عدْلاً) و (ارتفع طلابُ العلم فى وطننا شأْنًا) ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [الآية ٤ من سورة مريم] .

(٢) النسبة المبهمة بين الفعل والمفعول ويسمى التمييز فى هذه الحالة (محوّلا عن المفعول) كقول الفلاح : (زرعتُ الأرضَ شَجَرًا) وقولى : (شرحتُ الكتابَ نَحْوًا) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [الآية ٢٠ من سورة المزمل] .

(٣) النسبة بين الخبر والمبتدأ كقولنا : (المثقفُ أفضلُ من الجاهل خُلُقا) وأيضا (الأساتذةُ أفضلُ من الناسِ عِلْمًا) ومنه قـول الله تعالى : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَـرًا ﴾ [الآية ٣٤ من سورة الكهف] ويسمى التمييز فى هذه الحالة (محوّلاً عن المبتدأ) .

(٤) النسبة المبهمة مطلقا : وهى النسبة المبهمة فى الجملة غير الأمور الثلاثة السابقة ، ويسمى التمييز فى هذه الحالة مفسرا للنسبة المبهمة فقط ، وهو (غير محول) عن غيره .

وقد ورد هذا النوع الأخير - غير المحول - فى نماذج من الأمثلة ترد غالبا فى موقف التعجب والتأثر ، ومن ذلك :

- قول العرب : (لله دَرُّهُ فارِسًا) أسلوب تعجب سماعى - فارسا : تمييز .
- قولنا : (أكْرِمْ بِهِ أبًا) أسلوب تعجب قياسى - أبا : تمييز .
- قولنا : (ما أشْجَعَهُ رَجُلاً) أسلوب تعجب قياسى - رجلا : تمييز .

ما ينسب للأعشى من قوله :

بـانَـتْ لِـتَـحْـزُنَـنـا عَـفَـارَه   يَا جَارَتَا ما أنتِ جَارَهْ [١]

يقول ابن هشام عن هذا البيت : « (ما) استفهام مبتدأ و (أنت) خبره ، والمعنى (عَظُمْتِ) كما يقال (زيدٌ وما زيدٌ) أى شىء عظيم ، و (جارة) تمييز - وقيل (ما) نافية و (أنت) اسمها و (جارة) خبر ما الحجازية أى : لست جارة ، بل أنت أشرف من الجارة ، والصواب الأول » . أ . هـ .

وبعد : فلعلنا بعد هذا العرض للمفردات المبهمة وأنواعها ، وللنسب المبهمة وصورها يمكننا أن نفهم وأن نشرح عبارة « ابن هشام » المشهورة بين المشتغلين بالنحو وهى : (التمييز يرفع إبهام اسم أو إجمال نسبة) بعد أن مر علينا بالتفصيل الأسماء المبهمة والنسب المجملة .

• • •

---

(١) بانت : بعدت وفارقت - عفاره : اسم الحبيبة .

أساليب الاستثناء

(١) المقصود بأسلوب الاستثناء لغة ونحوا - مع بيان أجزاء جملته التى يتكون منها .

(٢) المقصود بالمصطلحات النحوية الأربعة (الكلام التام - الكلام الموجَب - المستثنى المتَّصِل - المستثنى المنقَطِع) .

(٣) المستثنى بعد الحرف (إلا) يتبع ما قبله أو ينصب بحسب أساليبه المختلفة .

(٤) المستثنى بالاسمين (غير - سوى) مجرورا دائما وتعرب الكلمتان إعراب ما بعد (إلا) .

(٥) المستثنى بالكلمات (خلا - عدا - حاشا) ينصب إذا اعتبرت أفعالا ، ويجر إذا اعتبرت حروفا .

(٦) مسألة تكرار « إلاّ » .

• • •

أسلوب الاستثناء وأجزاؤه :

ينصُرُ المواطنون بلادَهم إلا الخونة

لا يشمتُ الناسُ فى الضّعيف إلا اللؤماء

يحترم الصادقون آراءَهم إلا الكذوب

فى حياتنا العادية الدارجة تتردد كلمات لها صلة بهذا الموضوع ، إذ يقال حين محاباة شخص دون المجموعة بشىء ما : (دا يا عمّ مستثنى من المجموعة) ويقصد بذلك أنه متفرد عنها لا يسرى عليه ما يسرى عليها ، وأشهر العبارات بين المثقفين عن ذلك (الاستثناء يثبت القاعدة) على معنى أن لكل شىء شذوذه ، وأن بعض الأشياء أو الناس قد تخرج عما هو مقرر لأمثالها ، وذلك لا يخل بالقاعدة ، لأنه طبيعى .

يقول اللغويون : الاستثناء فى اللغة هو الإخراج مطلقا بالقول أو بالفعل

فالطالب الذى يطلب منه عدم الاشتراك فى الرحلة ، فيترك زملاءه استثنى من مجموعهم ، وخرج عن زمرتهم .

أما لدى النحاة : فأسلوب الاستثناء هو الأسلوب الذى يتحقق فيه الإخراج بواسطة أداة من أدوات الاستثناء (إلاّ وأخواتها) - ففى المثال (ينصر المواطنون بلادهم إلا الخونة) هذا أسلوب استثناء متكامل ، إذ خرج (الخونة) من (المواطنون) الذين ينصرون وطنهم بواسطة الأداة (إلا) وتتكون جملة الاستثناء المتكاملة من الأمور التالية :

المستثنى : هو الاسم الواقع بعد أدوات الاستثناء ، ويحدد علميا بأنه الاسم المخرَج من أمثاله الذين نقرر لهم حكم خاص فى الجملة قبل أداة الاستثناء وهو فى الأمثلة السابقة على التوالى (الخونة - اللؤماء - الكذوب) .

أدوات الاستثناء : هى كلمات خاصة تستعمل فى الجملة لتفيد إخراج ما بعدها من حكم ما قبلها ، وهى بالتحديد (إلاّ - غير - سوى - خلا - عدا - حاشا) وهناك أداتان أخريان (ليس - لا يكون) وقد مرّ ذكرهما فى النواسخ .

المستثنى منه : ويقع قبل أدوات الاستثناء ، ويحدد علميا بأنه الاسم العام الذى ينسب له الحكم فى الجملة ومنه يكون إخراج المستثنى ، وهو فى الأمثلة السابقة على التوالى (المواطنون - الناس - الصادقون) .

الحكم : هو المعنى الذى ينسب للمستثنى منه - إثباتا أو نفيا - بحيث يكون إخراج المستثنى من المستثنى منه إخراجا من هذا الحكم فى الوقت نفسه وهو فى الأمثلة السابقة مستفاد من (ينصر - لا يشمت - يحترم) .

وهنا ينبغى التنبه إلى أمرين :

الأول : أن أدوات الاستثناء ليست حروفا كلها ، بل منها حروف وأسماء وأفعال - كما سيأتى .

الثانى : أن المستثنى ليس منصوبا دائما ، بل يكون منصوبا ومرفوعا ومجرورًا - كما سيأتى بالتفصيل .

المصطلحات النحوية الأربعة :

الكلام التّام : هو - كما جاء فى كتب النحو - ما كان المستثنى منه

مذكورا فيه ، كقولنا : (أخلص أهل المدينة للرسول إلا اليهود) وتقول : (ينامُ أهلُ القاهرة إلاّ رجالَ الأمن) .

الكلام الموجَب : هو ما لم يتقدمه فى جملته نفى أو نهى أو استفهام كقولك : (سهرتُ الليلَ غير ساعةٍ) فإن تقدمه نفى أو نهى أو استفهام سمى (كلاما غير موجب) كقولك : (لا يشمتُ الناسُ فى الضعيفِ إلا اللؤماء) وأيضا (هل يهابُ الناسُ الأعداءَ إلا الجبناء) .

المستثنى المتَّصل : يقصد به ما كان المستثنى من جنس المستثنى منه بأن يكون المستثنى والمستثنى منه من وادٍ واحد ، بحيث إذا لم يذكر المستثنى فى الكلام كان معناه متضمنا فى المستثنىَ منه ، كقولك : (أدَّيْتُ الصلواتِ فى أوقاتِها إلا الفجر) .

المستثنى المنقطع : يقصد به أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، على معنى أن المستثنى والمستثنى منه ليسا من صنف واحد ، بحيث إذا ذكر المستثنى منه ، ثم ذكر المستثنى بعده ، كان وروده على الذهن غريبا ، كقولنا : (يتحمّلُ الرجالُ مَشَاقَّ الحياةِ إلا المرأة ، وتتحمّلُ النساءُ تربيةَ الأطفالِ إلا الرجل) .

ويمثل النحاة لذلك بمثال يجسد الفكرة ويقربها وهو (شَرِبَ الخيلُ إلا حمارًا) فمن الواضح أن (الحمار) ليس من جنس الخيول .

بعد هذه المقدمة الضرورية لمعرفة جملة الاستثناء وما يطلق عليها من مصطلحات نحوية ندرس أدوات الاستثناء متوالية من حيث كيفية ورود كل منها فى الكلام العربى ، وأحكام المستثنى مع كل منها رفعا ونصبا وجرًا .

الاستثناء بالحرف (إلاَّ) :

يجب التنبه إلى أن (إلا) حرف استثناء مبنى ، وليست فعلا ولا اسما وهى أشهر أداة من أدوات الاستثناء ، والاسم الذى يقع بعدها يختلف الحكم عليه باختلاف الأسلوب الذى ترد فيه .

والجملة التى ترد فيها (إلا) فى الكلام العربى تأتى على صور ثلاث تفصيلها فى الآتى :

الصورة الأولى :

أورقتْ الأشجارُ إلا واحدةً

تُمتِعُنا فصولُ العامِ إلا الصَّيفَ

تحلو فتراتُ العمرِ إلا الشيخوخةَ

أن ترد فى كلام تام موجب ، ومن البين - بعد ما تقدم - أن المراد بهذه الصورة أن يكون المستثنى منه مذكورا والكلام خالٍ من النفى والنهى والاستفهام - وفى هذه الصورة يجب نصب المستثنى ، كما ترى فى الأمثلة السابقة من نصب الكلمات (واحدة - الصيف - الشيخوخة) وجوبا ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ [الآية ٢٤٩ من سورة البقرة] وقوله : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ [الآيتان ٣٠ و ٣١ من سورة الحجر] وقول الشاعر :

لكلِّ داءٍ دَوَاءٌ يُستطَبُّ به ... إلاّ الحماقةَ أعْيَتْ من يُدَاوِيها (١)

الصورة الثانية :

لا تُرى الكواكبُ بالعين المجردة إلا القمر

لا تُرى النجومُ بالعين المجردة إلا القمر

ما بقيتْ فرصُ الحريةِ إلاّ القتال

ما بقيتْ المساعى السّلميةُ إلا القتال

أن يكون الكلام تاما غير موجب ، بأن يكون المستثنى منه مذكورا فى الكلام ، وتقدمه نفى أو نهى أو استفهام - وفى هذه الصورة تفصيل كما يلى :

أولا : إذا كان الاستثناء متصلا - بأن كان المستثنى من جنس المستثنى منه - صح فى المستثنى أمران :

(أ) الإتباع للمستثنى منه فى إعرابه رفعا ونصبا وجرا ، فيعرب - على الرأى الراجح - بدلا منه ، بدل بعض من كل ، والبدل كما سيأتى أحد التوابع .

---

(١) معنى البيت : لكل داء دواء يشفيه ، والحماقة داء ؛ لكن لا دواء لها .

الشاهد : فى (لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة) فإن كلمة (الحماقة) مستثنى واجب النصب ، لأنه ورد مع (إلا) فى كلام تام موجب .

(ب) النصب على الاستثناء ، فيكون ما بعد (إلا) منصوبا كما فى الصورة الأولى .

ففى المثال (لا تُرى الكواكبُ بالعين المجردة إلا القمر) يصح فى كلمة (القمر) الإتباع لكلمة (الكواكب) بدلا منها ، فترفع ، كما يصح نطقها بالنصب على الاستثناء ، ومثله أيضا (ما بقيتْ فرصُ الحريّة إلا القتال) .

كلا الوجهين إذن جائز فى المستثنى المتصل ، لكن الأفصح فى اللغة هو الإتباع ، وعلى ذلك جاء نطق الحجازيين والتميميين ، وأيدته قراءات القرآن .

● قال الله تعالى : ﴿ مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [الآية ٦٦ من سورة النساء] قرئت (قليل) بالرفع والنصب .

● وقال : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ [الآية ٨١ من سورة هود] قرئت (امرأتك) بالرفع والنصب .

قال ابن هشام : « فإن كان متصلا ، جاز فى المستثنى وجهان ، أحدهما – وهو الرّاجح – أن يعرب بإعراب المستثنى منه على أن يكون بدلا منه بدل بعض من كل ، والثانى النصب على أصل الاستثناء ، وهو عربى جيد والإتباع أجود منه » . أ . هـ .

ثانيا : إذا كان الاستثناء منقطعا – بأن كان المستثنى من غير جنس المستثنى منه – فقد ورد عن العرب ما يلى :

(أ) أهل الحجاز يلتزمون نصبه ، ويصف النحاة هذه اللّغة بأنها اللغة العليا .

(ب) بنو تميم يرجحون نصبه ، والإتباع لديهم جائز وهو أقل فصاحة .

ففى المثال (لا تُرَى النُّجومُ بالعين المجرَّدَة إلا القمر) فإن المستثنى (القمر) ينصب وجوبا على لغة أهل الحجاز ، وعلى لغة بنى تميم الأفصح نصبه أيضا لكن يصح رفعه إتباعا لكلمة (النجوم) ومثله أيضا المثال (ما بقيتْ المساعِى السلميةُ إلا القتال) .

ولكل من النطقين ما يؤيده من شواهد اللغة :

فقد وردت قراءات القرآن على لغة الحجازيين فى التزام النصب فى الآيتين :

• ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الآيتان ١٩ - ٢٠ من سورة الليل] .

• ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ [الآية ١٥٧ من سورة النساء] .

لكن ورد على لغة بنى تميم شعر فصيح وفيه الإتباع ، ومن ذلك قول الراجز :

يا ليتنى وأنت يا لَمِيسُ
فى بلدةٍ ليس بها أنيسُ
إلا اليَعافيرُ وإلاَّ العِيسُ (١)

ثالثا : هذا التفصيل السابق إنما هو فى المستثنى المتأخر عن المستثنى منه ، أما إذا تقدم على المستثنى منه ، فيجب نصبه سواء أكان متصلا أم منقطعا لا فرق بين الاثنين فى ذلك ، وقد أوردت معظم كتب النحو الشاهد التالى فى مدح آل البيت ، قال الكميت :

وما لِىَ إلا آلَ أحمدَ شِيعَةٌ ... وما لِىَ إلا مذهبَ الحقِّ مذهبُ (٢)

بنصب كلمة (آل) فى الشطر الأول - ونصب كلمة (مذهب) فى الشطر الثانى .

• الصورة الثالثة :

لا يكذبُ إلا الجبانُ

فلا يَعرفُ القوىُّ إلا الصراحةَ

ولا يتحدّثُ إلا بالصدقِ

أن يكون الكلام غير تام وغير موجب ، والمقصود بهذه الصورة إذن أن يكون

---

(١) اليعافير : البقر الوحش - العيس : الإبل .

أمنية غريبة حبيبة : أن يكون مع حبيبته « لميس » فى بلدة لا أحد فيها إلا البقر الوحش والإبل .

الشاهد : (ليس بها أنيس إلا اليعافير) فهذا كلام تام غير موجب منقطع وقد جاء المستثنى (اليعافير) بالرفع على الإتباع ، وهذا جائز فى لغة بنى تميم .

(٢) الشاهد فى هذا البيت : تقدم المستثنى منه فى كلا الشطرين فيجب نصبه ، وقد ورد منصوبا فى الشطرين (ما لى إلا آل أحمد شيعة) وأيضا (ما لى إلا مذهب الحق مذهب) .

الأسلوب خاليا من المستثنى منه ، وأن يتقدمه نفى أو شبهه - كما ترى فى الأمثلة السابقة .

فى هذه الصورة تصبح (إلاّ) ملغاة لا عمل لها ، ويقول عنها النحاة فى الإعراب : (إلا : أداة استثناء ملغاة لا عمل لها) ويعرب الاسم الذى بعدها بحسب ما يقضى به نظام الجملة ، فإن احتاجت إلى فاعل أو نائب فاعل رفع ، وإن احتاجت لاسم منصوب نصب ، وإن احتاجت لاسم مجرور جاء مجرورا . ففى المثال (لن يُفيدَ إلا النضالُ) كلمة (النضال) فاعل مرفوع - وفى الجملة (هل يخسرُ اللاجِئُ إلا خيمتَه) كلمة (الخيمة) منصوبة مفعول به - وفى الجملة (لا تُنصتْ إلا للكلامِ المفيد) الفعل لازم ، فاحتاج إلى جار ومجرور هو (للكلام) .

وينبغى الإشارة هنا إلى أمرين مهمين :

الأول : أن النحاة يطلقون على هذه الصورة - غير التام وغير الموجب - أحد مصطلحين (الاستثناء المفرغ - أو - الاستثناء الناقص) ولكل من التسميتين تسويغه لديهم ، فهو استثناء مفرّغ - كما يقول ابن هشام - لأن ما قبلها قد تفرغ للعمل فيما بعدها ، وهو استثناء ناقص ، لأن جملة الاستثناء نقصت ركنا مهما من أركانها هو « المستثنى منه » .

الثانى : أن العلامة التى تُعرف بها هذه الصورة من الاستثناء أن تحذف (إلا) مع حرف النفى أو شبهه ويبقى الكلام سليما والجملة متكاملة ، فتقول مثلا فى (لن يفيد إلا النضال) تقول : (يفيد النضال) وهكذا .

المستثنى بالاسمين (غير وسوى) :

ينبغى التنبه إلى أن الكلمتين (غير - سوى) من الأسماء المعربة والأولى معربة بحركات ظاهرة ، والثانية معربة بحركات مقدرة ، لأنها اسم مقصور .

ويتلخص رأى النحاة فى أساليب الاستثناء بهما فى العبارتين التاليتين :

(أ) المستثنى مجرور بهما دائما بالإضافة إليهما .

(ب) الكلمتان (غير - سوى) اسمان معربان ، وحكمهما فى الإعراب حكم الاسم الواقع بعد (إلا) بحسب أساليبه المختلفة التى سبق شرحها .

فلنتأمل الأمثلة الآتية :

أشرقت الشمسُ كلَّ ساعاتِ النّهارِ غيرَ ساعةٍ }
أضاءتْ مصابيحُ الشارعِ سوى مصباحٍ } تام وموجب

ما وَطِئ القمرَ بشرٌ غير بضعةِ رجالٍ }
ما فازَ الكسَالَى سوى المجِدُّ } تام غير موجب

ما فازَ سوى المجِدُّ }
﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ }
غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الآية ٥٥ من سورة الروم] } مفرغ

فى الأمثلة السابقة جاء المستثنى بعد الكلمتين (غير - سوى) مجرورا دائما بالإضافة إليهما ، أما الكلمتان أنفسهما (غير - سوى) فقد خضعتا فى الإعراب لما يخضع له الاسم الواقع بعد (إلا) ، ففى الكلام التام الموجب يجب نصبهما على الاستثناء - وفى الكلام التام غير الموجب يتبعان ما قبلهما أو ينصبان بحسب نوع المستثنى متصلا أو منقطعا ، وما ورد من اختلاف النطق بين الحجازيين والتميمْيين - وفى الاستثناء المفرغ يعربان بحسب ما يقتضيه سياق الكلام قبلهما - ويمكن تطبيق هذا الفهم على هاتين الكلمتين فى الأمثلة السابقة .

وقد ورد من شواهد الاستثناء المفرّغ مع كلمة (سوى) قول الفنْد الزِّمَّانى :

فلما صرَّحَ الشرُّ وأمسى وهْوَ عُريانُ
ولم يبقَ سوى العُدوانِ دِنَّاهُمْ كما دَانُوا

---

(١) صرح الشر : بان وظهر - وهو عريان : كناية عن ظهوره أيضا - العدوان : الظلم - دناهم كما دانوا : عاقبناهم بما يعاقبوننا به .

يقول : حين أعلن الشر بيننا وبين أعدائنا ، ولم يبق غيره ، عاقبناهم كما يعاقبوننا ، وظلمناهم كما يظلموننا .

الشاهد : فى (لم يبق سوى العدوان) وردت (سوى) فى كلام مفرغ فتعرب بحسب ما يقتضيه سياق الكلام ، وسياق الكلام يقتضى أن تكون فاعلا للفعل قبلها - أما المستثنى (العدوان) فهو مجرور .

وقول أبى دهبل الجمحى :

أأتركُ لَيْلَى ليس بينى وبينها سوى ليلةٍ ، إنّى إذنْ لصبورُ (١)

المستثنى بالكلمات (خلا – عدا – حاشا) :

سَيَفْنَى كلُّ شيءٍ فى الحياةِ ما خلا وجهَ الله
وكلُّ ابنِ آدمَ خطّاءٌ ما حاشا الأنبياءَ
ويغفرُ الله كلَّ الذنوبِ ما عدا الشّركَ بالله

يرى النحاة أن هذه الكلمات الثلاث (خلا – عدا – حاشا) تستعمل أفعالا جامدة ماضية أو حروف جر ، وهذا غريب !! إذ كيف تستعمل الكلمة الواحدة فعلا مرة وحرف جر مرة أخرى !!

لكن ، يبدو أن لكلام النحاة توجيها صحيحا ، لأنهم حين استقرأوا الأساليب العربية التى ترد فيها هذه الكلمات ، وجدوا أن الاسم بعدها يرد منصوبا أحيانا ومجرورا أحيانا أخرى ، وفى حالة نصبه بعدها وجدوها تقبل بعض علامات الأفعال ، مثل تاء التأنيث فيقال (خلتْ – عدتْ) ومن ذلك العبارة المأثورة عند العرب من قولهم : (عدتْ القبيلةُ طورها) – كذلك فى حالة نصب الاسم بعدها تتقدم عليها (ما المصدرية) وهى لا تكون إلا مع الأفعال ، بخلاف ما إذا ورد الاسم بعدها مجرورا فإنها لا تقبل هذه العلامات ، فحكموا بأنها أفعال فى الاستعمال الأول وحروف فى الاستعمال الثانى .

والخلاصة : أن الأسلوب الذى ترد فيه هذه الأدوات أفعالا يختلف عن الأسلوب الذى ترد فيه حروفا للجر ، فلا غرابة إذن فى قول النحاة ولا تناقض .

إذا تقرر ذلك ، فإن الذى يلخص أساليب الاستثناء بهذه الكلمات عبارة واحدة هى : **(إنما ينصب المستثنى بعدها إن قدّرتها أفعالا ، ويجر إن قدّرتها حروفا جارة للمستثنى)** وتفصيل هذه العبارة المختصرة يتحقق فى الصور الثلاث التالية :

الأولى : أن يتقدم على هذه الكلمات الثلاث (ما :المصدرية) فتكون أفعالا قطعا ؛ لأن (ما المصدرية) لا تدخل إلا على الأفعال ، وحينئذ يجب نصب

---

(١) **الشاهد** : فى (ليس بينى وبينها سوى ليلة) جاءت (سوى) فى استثناء مفرغ ، فهى اسم (ليس) مؤخر ، إذ تعرب بحسب سياق الكلام .

المستثنى بعدها على أنه مفعول به لهذه الأفعال ، كقولنا : (سيفنى كلُّ شيءٍ ما خلا وجهَ الله) وقولنا : (كلُّ ابنِ آدمَ خطّاءٌ ما حاشا الأنبياءَ) ومن ذلك :

● قول لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ – ما خلا اللهَ – باطلُ وكلُّ نعيمٍ – لا مَحالَةَ – زائلُ (١)

● ما ينسب للرسول ﷺ : « أسامةُ أحبُّ النّاسِ إلَيَّ ما حاشا فاطمةَ » . (٢)

الثانية : ألا يتقدم عليها (ما المصدرية) وتعتبر أفعالا – حينئذ ينصب المستثنى بعدها أيضا على أنه مفعول به ، فنقول : (سيفنى كلُّ شيءٍ خلا وَجْهَ الله) ونقول : (كلُّ ابن آدمَ خطّاءٌ حاشا الأنبياءَ) .

الثالثة : ألا يتقدم عليها (ما المصدرية) وتعتبر حروفا للجر – حينئذ يجب جر المستثنى بعدها بها ، تقول : (سيفْنَى كلُّ شيءٍ خلا وجهِ الله) وتقول : (كلُّ ابنِ آدمَ خطّاءٌ حاشا الأنبياءِ) .

تكرار « إلاّ » :

اخضرّت أشجار الحديقة إلا واحدة إلا أوراقها }
أثمرت أشجار الحديقة إلا شجرة برتقال وإلا شجرة ليمون } المجموعة الأولى
أثمرت أشجار الحديقة إلا شجرة برتقال إلا شجرة ليمون }

ما نضجت الثمار فى الحديقة إلا ثمرة برتقال إلا ثمرة ليمون }
ما نضج من الثمار إلا ثمرة برتقال إلا ثمرة ليمون } المجموعة الثانية

* * *

(١) مر هذا البيت من قبل – وقد جاء هنا شاهدا فى الاستثناء فى (ما خلا الله) تقدمت (ما : المصدرية) على الفعل (خلا) فنصب المستثنى بعده مفعولا به .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده فى مسند عبد الله بن عمر ، وجملة « ماحاشا فاطمة » من كلام ابن عمر . انظر : مجمع الزوائد ٢٨٦/٩ .

تأتى (إلا) مكررة ، إذ يجىء بعد (إلا) الأولى واحدة أخرى أو اثنان أو أكثر ، فيكون حكمها النحوى كالآتى :

أولا : أن يأتى بعد (إلا) المكررة ما يكون «بدلا» مما قبله ، أو «معطوفًا عطف نسق» على ما قبله ، وحينئذ توجَّه الجملة نحويا كما يلئ :

١ - تعامل (إلاّ) الأولى بحسب الأصل فى صوره المختلفة التى سبقت دراستها ، بل إنها لتتعين لذلك .

٢ - تعتبر (إلاّ) المكررة بعد الأولى «ملغاة» تفيد التوكيد فقط ، ويعبر عنها فى الإعراب (إلا : حرف توكيد ملغاة) وما بعدها بدل أو معطوف على ما قبله - كما ترى فى مجموعة الأمثلة الأولى (راجعها وطبّق عليها ما فهمت) .

ثانيا : أن تتكرر (إلا) ولا يكون ما بعدها «بدلا أو عطف نسق» وحينئذ يوجَّه حكمها النحوى كالآتى :

١ - تعامل (إلاّ) الأولى بحسب الأصل فى صوره المختلفة التى سبقت دراستها ، وجاء فى «أوضح المسالك» : إنها لا تتعين لذلك بل تترجّح .

٢ - تعتبر (إلا) المكررة عاملة ، فينصب ما بعدها على الاستثناء واحدًا أو أكثر (راجعْ مجموعة الأمثلة الثانية ، وطبّق عليها ما فهمت) .

* * *

أساليب النداء

تمهيد : النداء ونوع جملته :

النداء فى اللغة معناه : دعوة المخاطب للانتباه والاستماع بأىّ لفظ كان .

والنداء لدى النحاة : الدعوة إلى الانتباه والاستماع بواسطة حروف خاصة يطلق عليها حروف النداء ، وهى (يا : وأخواتها) .

والمنادى : هو الذى وجهت له الدعوة من إنسان أو غيره من الأشياء إذا افترضت فيها الحياة والفهم .

لكن ، لماذا اعتبرت جملة النداء ملحقة بالجملة الفعلية ؟؟

لقد سبق أن الجملة فى النحو إمّا اسمية أو فعلية ، وجملة النداء تؤدى معنى كاملا ، ولا تندرج تحت واحدة من هاتين الاثنتين ، فإذا قلنا (يا محمد) أدّت هذه الجملة معنى كاملا ، وليست فعلية ولا اسمية .

لذلك حاول النحاة قسْرها على الدخول تحت الجملة الفعلية باعتبار المعنى إذ وجدوا أن (يا محمد)تساوى من حيث المعنى (أدعو محمدا) وما دامت بمعناها فهى مثلها ، بل إن بعض النحاة اعتبر الحرف (يا) فى الإعراب بمنزلة الفعل (أدعو) ودرس « ابن هشام » باب « النداء » فى بعض كتبه بعد « المفعول به » مباشرة ، فقال (ومنه المنادى) .

هذا الافتراض السابق يمكن مناقشته ونقضه ، فإن الجملتين (يا محمد) و(أدعو محمدا) مختلفتان لفظيا كالآتى :

- يا محمد : أداة نداء + اسم بعدها .
- أدعو محمدا : فعل + فاعل مستتر + مفعول به .

فجملة النداء بالتحليل اللغوى مستقلة عن الجملة الفعلية ، ولذلك آثرتُ دراستها « ملحقة بالجملة الفعلية » .

• • •

النداء على الأصل

(١) حروف النداء مع ذكر معانيها فى نداء القريب والبعيد وشواهدها من الكلام العربى .

(٢) حرف النداء (يا) يصح حذفه من الكلام - والمنادى قد يحذف فى مواضع خاصة .

(٣) الأسماء التى تنادى هى (المفرد العلم - النكرة المقصودة - النكرة غير المقصودة - المضاف - الشبيه بالمضاف) .

(٤) حكم المنادى المضاف لياء المتكلم والمضاف إلى مضاف للياء .

(٥) كيفية نداء الاسم المعرّف بالألف واللام .

حروف النداء :

أهم حروف النداء ستة أحرف هى (الهمزة - أىْ - يا - أيَا - هَيَا - وَا) وأشهرها تداولا بيننا الحرف (يا) - وإليك هذه الحروف الستة ومعانيها وشواهدها .

١ - **الهمزة** : لنداء القريب ، وقد ذكر السيوطى أنه « قد جمع من كلام العرب أكثر من ثلاثمائة شاهد للنداء بالهمزة ، وأنه قد أفرد هذا الموضوع بتأليف » ومن شواهدها :

● قول امرئ القيس :

أجارتَنا إن الخطوبَ تَنوبُ ... وإنّى مُقيمٌ ما أقامَ عَسيبُ [1]
أجارتَنا إنّا غريبانِ ها هُنا ... وكلُّ غريبٍ للغريبِ نَسيبُ

٢ - **أىْ** : اختلف حولها الرأى فى استعمالها لنداء القريب أو البعيد ، فمن رأى المبرّد - وهو إمام نحوىّ جليل - أنها لنداء القريب ، ومن رأى ابن مالك أنها

---

(١) الخطوب : الأحداث - عسيب : الجبل الذى مات الشاعر عند سفحه فى بلاد الروم .
الشاهد : فى البيتين أن الهمزة للنداء فى (أجارتنا) .

لنداء البعيد ، ورأى المبرد - فيما أرجح - هو الأقرب لاستعمال اللغة ، ومن ذلك :

● قول الرسول ﷺ يناجي ربّه : (أىْ ربٌّ ، إن لم يكنْ بك غضَبٌ عليّ فلا أُبالى) .

● قول أعرابية توصى ابنها : (أىْ بنىّ ، إيّاكَ والنّميمةَ ، فإنها تزرع الضّغينةَ ، وتُفرّقُ بين المحبّين) .

٣ - يَا : يقول ابن مالك : (وللمنادى النّائى أو كالنّائى « يا ») فمن رأيه إذن أنها لنداء البعيد فقط - وهناك آراء أخرى ، فيقول أبو حيان - وهو إمام نحوىّ جليل - « هى أعم الحروف وتستعمل للقريب والبعيد مطلقا » . ويرى ابن هشام هذا الرأى فى قوله : « وأعمها (يا) فإنها تدخل على كل نداء » .

والمتأمل لاستعمال الحرف (يا) فىْ النداء يصح لديه أنها تستعمل حقا للقريب أو البعيد بلا تفريق ، تقول لصديقك (يا محمد) فتناديه سواء أكان قريبا منك أم بعيدا عنك - وشواهدها أكثر من أن تحصى .

● حين ظفر الرسول ﷺ بقريش قال لهم : « يا معشرَ قريش ، ما تظنون أنى فاعلٌ بكم ؟ قالوا : خيرًا ، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطُّلَقَاء » . أ . هـ .

فلا شك أن الرسول ﷺ كان يخاطبهم وهم بالقرب منه ؛ بدليل أنهم أجابوه حين سألهم .

٤ - أيَا : يبدو أنها - كما يقول ابن مالك - لنداء البعيد ، ومن شواهدها :
● قول المجنون :

أيَا شِبْهَ لَيْلَى لا تُراعِى فإننى ... لك اليومَ من وَحشِيّةٍ لصديقُ (١)

٥ - هَيَا : يبدو أيضا أنها تستعمل لنداء البعيد ، وهى تماثل الحرف السابق (أيا) والهمزة والهاء يتبادلان صوتيا فى اللغة العربية ، لأنها من مخرج واحد ، كقولنا : (هَيَا محمدُ تعالَ) .

(١) أيا شبه ليلى : يقصد الظبية - لا تراعى : لا تخافى - وحشية : وحشة وانفراد .
الشاهد : فى (أيا شبه ليلى) باستعمال الحرف (أيا) للنداء .

ويتلخص هذا الموضوع فى الآتى :

(أ) الهمزة : لنداء ما هو قريب ، وكذلك (أىْ) على الرأى الراجح الذى يؤيده الاستعمال .

(ب) يا : لكل من القريب والبعيد على الرأى الراجح الذى يؤيده الاستعمال .

(جـ) أيا - هيا : لنداء البعيد دون خلاف يستحق الذكر .

ويبقى حرف واحد هو (وا) ويستعمل فى أسلوب خاص للنداء هو أسلوب النُّدْبَة ، وسيأتى ذكره هناك .

حذف حرف النداء :

ينبغى التنبّه إلى أن هذا الحكم خاص بالحرف (يا) وحده دون أخواته فالأصل فى حرف النداء أن يكون مذكورا ، وهذا ما ينطبق على كل حروف النداء غير (يا) ، أما هذا الحرف فقد ورد فى استعمال اللغة محذوفا تخفيفا واختصارا ، لكثرة دوران استعماله على الألسنة ، ومن شواهد حذفه :

- قول الله تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ [الآية ٢٩ من سورة يوسف] .
- وقوله : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ [الآية ٣١ من سورة الرحمن] .
- قول الشاعر :

أحقًّا عبادَ الله أن لستُ صادِرًا ولا وارِدًا إلا علىَّ رقيبُ [1]

ففى هذه الشواهد وأمثالها حذف حرف النداء (يا) جوازًا ، ولو ذكر لكان الكلام واردا على الأصل دون اعتراض .

لكن يصبح هذا الحذف واجبا فى كلمة (اللهمَّ) وهى مكونة من لفظ الجلالة (الله) ومن ميم مشدّدة متصلة به جاءت عوضا عن حرف النداء المحذوف ، وهذه الكلمة - بهذه الصورة - هى المستعملة بكثرة فى نداء اسم الله تعالى ، ويقلُّ أن يستعمل لفظ الجلالة وحده دون الميم المشددة .

فإذا استعملت الصورة الأولى (اللهمّ) وجب حذف حرف النداء ويشذ

---

(١) الشاهد : فى (عباد الله) حيث حذف حرف النداء (يا) وأصل الكلام (أحقا يا عباد الله) .

ذكره ، وإذا استعملت الصورة الثانية (الله) وجب ذكر حرف النداء ويشذ حذفه ، فلنتأمل الشواهد الآتية :

• قول الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [الآية ٢٦ من سورة آل عمران] .

• قول أمية بن أبى الصلت :

رضِيتُ بك اللَّهمّ ربًّا فلن أُرَى   أدينُ إلهًا غيرَكَ الله ثانيا (١)

حذف المنادى :

الأصل فى المنادى أن يكون مذكورًا ، لكنه قد ورد محذوفا فى الكلام العربى أحيانا ، وذلك فى الموضعين الآتيين :

أولا : إذا ورد بعد حرف النداء (يا) فعل أمر أو فعل ماض قُصِدَ به الدعاء ، فيلزم حينئذ تقدير منادى بين حرف النداء والفعلِ ، كقولك : (كان الحادثُ مروِّعا يا أجارَكَ الله ، وجئتُ مستغيثا بك يا رَعَاكَ الله) .

ومن ذلك :

• قراءة الكسائى : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾ [الآية ٢٥ من سورة النمل] بنطق (اسجدوا) فعل أمر .

• قول الفرزدق :

يَا أرْغَمَ الله أنفًا أنت حاملُه   يا ذا الخَنَى ومقالِ الزُّورِ والخَطَلِ (٢)

ثانيا : إذا ورد بعد الحرف (يا) أحد الحرفين (ليت - رُبَّ) فيقدر بين حرف النداء وهذين الحرفين منادى محذوف ، ومما ورد لذلك الشواهد الآتية :

• قول الله تعالى : ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴾ [الآية ٢٦ من سورة يس] .

---

(١) هذا بيت من أبيات التوحيد التى كان يقولها « أمية بن أبى الصلت » مع أنه لم يسلم .
الشاهد : استخدم فى الشطر الأول « اللهم » بحذف حرف النداء « يا » وهذا أصل فى تلك الكلمة مع الميم المشددة ، ثم حذف حرف النداء من « الله » فى الشطر الثانى ، وهذا خلاف الأصل ، لأن لفظ الجلالة بدون الميم إذا نودى فإنه يجب ذكر حرف النداء معه .

(٢) تقدم هذا البيت ضمن مقطوعة كاملة - والاستشهاد هنا لدخول (يا) على الفعل (أرغم) فيقدر لها منادى محذوف .

• قول الرسول ﷺ : (يَا رُبَّ كاسيةٍ فى الدّنيا عاريةٌ يوم القيامة) على أنه ينبغى أن نتنبّه للملاحظة المهمة الآتية أخيرا عن حذف المنادى فإن بعض النحاة يرى أن المنادى لا يحذف مطلقا ، وأن (يا) فى الموضعين السابقين إنما هى « حرف تنبيه » ولا علاقة لها بالنداء .

الأسماء التى تنادى :

الأسماء التى تنادى أو أنواع المنادى خمسة ، وإليك هذه الخمسة وحكمها حين تنادى من حيث البناء والإعراب .

المفرد العلم : يقصد هنا بالمفرد - كما هو فى باب لا : النافية للجنس - ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف وإن كان مثنى أو مجموعا ، ويقصد بالعلم - كما مر فى باب المعرفة والنكرة - ما دلّ على مسماه دون واسطة ، وذلك مثل (محمد - خالد - فاطمة) أو (محمدان - فاطمتان) الخ .

النكرة المقصودة : هو الاسم الذى يكون لفظه نكرة ، بحيث يمكن إطلاقها على أفراد كثيرين ، ولكنّ واحدا من هؤلاء الأفراد يتعين بظروف الكلام - أو بتعريف النحاة « هى التى يقصد بها واحد معيَّن مما يصح إطلاق لفظها عليه » . أ . هـ . فلنفترض مثلا محاكمة سياسية ، يشير فيها الادّعاء إلى أحد المتهمين قائلا (يا خائنُ أنت تستحقُّ الإعدام) أو فى محاكمة عادية يقول الادّعاء فيها (يا مجرمُ ، لا بدَّ أنْ يقتصَّ منك المجتمع) فمن الواضح أن لفظتى (خائن - مجرم) نكرتان ، لكن معناهما تحدَّد بظروف الكلام ، فقصد بهما أحد الأشخاص .

هذان النوعان (المفرد العلم - النكرة المقصودة) حين يناديان يبنيان على ما يرفعان به ، فتقول مثلا (يا محمدُ) بالبناء على الضم - وتقول (يا محمدان) بالبناء على الألف و (يا محمدون) بالبناء على الواو .

النكرة غير المقصودة : هى التى تبقى شائعة دون تحديد لفظا ومعنى أو بتعريف النحاة : « هى التى يقصد بها واحد غير معين مما يصح إطلاق لفظها عليه » أ . هـ . ومن ذلك ما يقوله خطيب المسجد - والمسجد غاصٌّ بالناس - (يا غافلاً تنبّهْ ، ويا ظالمًا لك حسابٌ عسير) وما يقوله متسوّلٌ أعمى مثلا (يا مُحْسِنين لله) .

المضاف : هو - كما مر فى باب لا : النافية للجنس - ما كمل معناه بواسطة اسم آخر مجرور هو « المضاف إليه » كقولنا (يا صديقَ العُمرِ) أو (يا طالبَ العلْمِ) أو قول المؤمن داعيا (يا ربَّ السماواتِ والأرض) .

الشبيه بالمضاف : هو - كما مر فى باب لا : النافية للجنس - ما كمل معناه بواسطة ما يأتى بعده مما له صلة به غير صلة المضاف بالمضاف إليه ، كقولنا مثلا (يا متطلّعًا للمجدِ اجتهدْ) أو (يا قارئًا الكفَّ ، هذا دَجَل) أو (يا طيّبًا قلبُه ، لك الجنَّة) .

وحكم هذه الثلاثة (النكرة غير المقصودة - المضاف - الشبيه بالمضاف) أنها تنصب وهى معربة ، فهى إذن تنصب بالفتحة كقولنا (يا طالبَ العلم) أو ما ينوب عنها كالياء ، مثلا فى المثنى إذا قلت (يا طَالِبَيْ العلمِ ، اجتهدا) أو بالألف فى الأسماء الستة كقولنا (يا ذا المالِ ، أنفقْ على المحتاجِين) وهكذا .

فلنحاول التعرّف على نوع المنادى فى النصوص التالية :

● قول الله تعالى : ﴿ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [الآية ٥ من سورة هود] .

● قول العرب قديما : (يا عظيمًا يُرجَى لكلِّ عظيم ، ويا حليمًا لاَ يَعْجَل ، ويا جَوَادًا لا يبخل) .

● قول عبد يغوث الحارثى :

أيا راكبًا إمَّا عرضْتَ فبلِّغَنْ نَدامَاىَ من نجرانَ أنْ لاَ تَلاقِيَا [(١)]

المنادى المضاف لياء المتكلم ، والمضاف إلى مضاف للياء :

المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ، كقولك (يا صاحِبِى) و (يا صديقِى) و (يا حبيبِى) هو نوع من المنادى المضاف ، فهو إذن منصوب ، لكن بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم .

---

(١) عرضت : معناه : مررت عرضا بأهلى وبلدى - ندامای : أصحابى فى أوقات البهجة .

يقول وهو سجين : أيا راكبا ، إن مررت بأهلى وأصدقائى ، فبلغهم رسالة من سجنى فى « نجران » بأننا لن نتلاقى ، لأننى أتوقع النهاية فى هذا السجن !!

الشاهد : فى (أيا راكبا) المنادى نكرة غير مقصودة ، لأنه لا يقصد راكبا معينا ، ولذلك جاء منصوبا .

لكن العرب استخدموا هذا النوع من المنادى بالذّات على خمسة وجوه أو بعبارة أخرى وردت فيه خمس لغات هى :

(١) صورة الأصل وهى إثبات الياء الساكنة : كقولنا (يا صديقِى) ومنه قول الله تعالى : ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الآية ٦٨ من سورة الزخرف] .

(٢) إثبات الياء مفتوحة : كقولنا (ياصديقِىَ) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الآية ٥٣ من سورة الزمر] .

(٣) حذف الياء وإبقاء الكسرة دليلا عليها : كقولنا (يا صديقِ) ومنه قول الله تعالى : ﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الآية ١٦ من سورة الزمر] .

(٤) قلب ياء المتكلم ألفا مع قلب الكسرة قبلها فتحة ، كقول المهمل (يا أسَفَا على ما فات) وقول الله تعالى : ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الآية ٥٦ من سورة الزمر] .

(٥) حذف الألف مع بقاء الفتحة قبلها : كقولنا (يَا صاحِبَ) على أن المراد (يا صاحبِى) .

هذا : والنحاة يلاحظون الصورة الأصلية - التى تثبت فيها الياء - حين يعربون الصور الأخرى ، وبعبارة أخرى أوضح : أنهم يفرضون الصورة الأُصلية على بقية الصور ، ويتحدثون عن تلك الصور صناعة باعتبار أُنها تطور نطقى للصورة الأصلية هكذا :

يا صديقِ : « صديق » منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف .

يا صديقَا : منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفا والمفتوح ما قبلها .

يا صديقَ : منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل المتكلم المنقلبة ألفا المحذوفة تخفيفا والمفتوح ما قبلها .

ولعل أحسن ما يختتم به هذه الفكرة قول « ابن مالك » ملخصا هذه اللغات كلها :

واجعل منادًى صحّ إن يُضَفْ لِيَا ... كَعَبْدِ عَبْدِى عَبْدَ عبْدَا عبدِيَا

أما المنادى المضاف إلى مضاف للياء مثل (يا ابنَ خالِى) و (يا ابنَ أخِى) و (يا صديقَ صديِقِى) فليس فيه إلا لغتان هما إثبات الياء سواء أكانت مفتوحة أم ساكنة .

ويستثنى من ذلك تعبيران فى اللغة العربية هما (ابن عمِّى – ابن أُمِّى) – إذا نوديا – فقد ورد عن العرب فى المضاف للياء فيهما اللغات السابقة فى المنادى المضاف لياء المتكلم ، فلنلاحظ الآتى :

• قول أبى زيد الطائى يرثى أخاه :

يا ابن أُمِّى ويا شُقَيِّقَ نفسِى ... أنت خلَّفْتَنى لدهرٍ شديد (١)

• قرئ قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى ﴾ [الآية ١٥٠ من سورة الأعراف] بفتح الميم وكسرها .

ويلاحظ هنا أيضًا أن الصورة الأولى – بإثبات الياء – تتحكم ذهنيًا فى إعراب الصور الأخرى ، كما حدث فى المضاف إلى الياء .

كيفية نداء الاسم المعرّف بالألف واللام :

من المتعذر نطقا أن يجمع بين حرف النداء (يا) وما فيه الألف واللام من الأسماء ، فمن العسير على اللسان أن ينطق (يا الإنسانُ) أو (يا المُجِدُّ) ومن الواضح أن السبب هنا صوتى هو : تلاقى ساكنين ألف « يا » والحرف الساكن فى الاسم المعرف بالألف واللام .

تخلُّصًا من هذا الثقل لجأت اللغة العربية إلى كلمات تعتبر وسائط بين حرف النداء وما فيه « ال » وهى كما يلى :

(١) إحدى الكلمتين (أىّ – أيّة) فتقول (يا أيُّها المجاهدُ) أو (يا أيَّتُها الزميلةُ) وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الآية ٦ من سورة الانفطار] ، وقوله : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الآية ٢٧ من سورة الفجر] .

---

(١) الشاهد : فى قوله (يا ابن أمى) فالمنادى مضاف إلى مضاف إلى الياء وقد ثبتت الياء فى كلمة (أمى) وهذه إحدى اللغات فى هذه العبارة .

(٢) اسم الإشارة الخالي من كاف الخطاب ، كقول أحد الزّهاد : (يا هذه الدّنيا غُرّى غيرى) .

(٣) كل من الكلمتين (أىّ + اسم الإشارة) كقولك فى خطاب لصديقك : (يا أيّهذا الصديقُ إليك تحياتى) ومنه قول ذى الرّمّة :

ألا أيُّهذا المنزلُ الدَّارسُ الذى   كأنَّك لمَ يعْهَدْ بِك الحَىُّ عَاهِدُ (١)

هذا ، وقد جاء فى الأشمونى نصا عن إعراب ما فيه « ال » بعد (أىّ - أية) ما يلى : « ظاهر كلام ابن مالك أنه صفة مطلقا - وقد قيل عطف بيان - وقيل إن كان مشتقًا فهو نعت ، وإن كان جامدا فهو عطف بيان ، وهذا أحسن » . أ . هـ .

إعراب يا أيُّها المجاهدُ : يا : حرف نداء - أىّ : منادى مبنى على الضم فى محل نصب - ها : حرف تنبيه - المجاهدُ : صفة كلمة (أىّ) على اللفظ مرفوع بالضمة أو عطف بيان - والأول أحسن .

إعراب يا أيُّها الإنسان : كلمة (أيها) مثل السابق - الإنسان : صفة أو عطف بيان - والأخير أحسن (ما فيه « ال » بعد اسم الإشارة مثل السابق) .

• • •

---

(١) الشاهد فى (ألا أيهذا المنزل) فأصله (ألا يا أيهذا المنزل) قبل حذف (يا) وأخذ هذا الأصل فى نداء ما فيه الألف واللام (المنزل) فكانت الوسيلة (أيهذا) المكونة من (أى + اسم الإشارة) .

أسلوب الاستغاثة

(١) المقصود بأسلوب الاستغاثة كما يراه النحاة .

(٢) الصور التى ترد عليها جملة الاستغاثة فى الاستعمال العربى .

• • •

لاحظ الأمثلة الآتية :

يا لَلطَّبيبِ لِلْمَريض

يا لَرجالِ المطافئ لِلْحَريقِ المروِّع

يا عُمَرَا لِلظُّلمِ والطغيان

يا صلاحَ الدينِ للقُدْسِ الضائعة

معنى الاستغاثة :

يقول ابن هشام : « من أقسام المنادى المستغاث به ، وهو كل اسم نودى ليخلِّص من شدة أو يعين على دفع مشقّة » . أ . هـ .

وعلى ذلك فأسلوب الاستغاثة يقصد به : ما اشتمل على منادى القصد من ندائه أن يخلص من شدة أو يعين على دفع مشقّة – ويتضح هذا فى قول عمر بن الخطاب ﷺ : (يا لله لِلمسلمين) فلا شك أن عمر قال ذلك والمسلمون فى شدة أو مشقّة – بعد أن طعنه أبو لؤلؤة – فهو يستغيث بالله ليخلصهم من هذه الشدة أو المشقة – وكما نرى تحقق هذا الأسلوب فى كل الأمثلة السابقة .

صور الاستغاثة :

تأتى جملة الاستغاثة على ثلاث صور هى :

الصورة الأول : وهى الصورة الأصلية فى الاستغاثة ، وتتكون من : حرف الاستغاثة (يا) وبعده المستغاث به مجرورا بلام مفتوحة ، ثم المستغاث له مجرورا بلام مكسورة كقولنا : (يا لَلطبيبِ لِلمريضِ) وكما مر من قول عمر : (يا لَلّه لِلمسلمين) .

وفى هذه الصورة إذا عطف على المستغاث به مستغاث به آخر ، بأن كانت الاستغاثة باثنين لا بواحد ، كان المستغاث به الثانى مثل الأول تماما إن تكرر معه حرف الاستغاثة فيجر بلام مفتوحة مثله ، كقولنا : (يا لَلعربِ ويا لَلمسلمين لِلمقدّساتِ الدّينية) ومن ذلك قول الشاعر :

يا لَقومِى ويا لَأمثالِ قومى   لِأُناسٍ عُتُوُّهم فى ازديادِ (١)

أما إذا لم يتكرر (يا) مع المستغاث به الثانى ، فإنه يجر بلام مكسورة كقولنا فى المثال السابق (يا لَلعربِ ولِلْمسلمين لِلْمقدساتِ الدينية) ومن ذلك قول الشاعر :

يبكيك ناءٍ بعيدُ الدّارِ مغتربُ   يا لَلْكهولِ ولِلشبّانِ لِلْعَجَبِ (٢)

الصورة الثانية : وتتكون جملة الاستغاثة فيها من حرف الاستغاثة (يا) ثم المستغاث به خاليًا من اللام فى أوله لكن يلحقه ألف فى آخره تسمى (ألف الاستغاثة) ثم المستغاث له مجرورا بلام مكسورة .

فهذه الصورة لا تختلف عن الأولى إلا فى المستغاث به ، حيث إنه فى الأولى مجرور بلام مفتوحة ، أما هنا فهو خالٍ من اللام وفى آخره الألف - كما تختلف هذه الصورة عن الأولى فى الاستعمال العربى ، فهى أقل من الأولى استعمالا ، وذلك كقولنا : (يا رَبًّا للشاكين المحزونين) وكقول الشاعر :

يـا يـزيـدَا لآمِـلٍ نـيـلَ عِـزٍّ   وغِنًى بعد فَاقَةٍ وهَوَانِ (٣)

---

(١) عتوهم : طغيانهم وظلمهم .

يقول : إننى أستغيث بقومى وأمثالهم فى النجدة والفتوة لتأديب هؤلاء المتجبرين الطغاة .

الشاهد : فى (يا لقومى ويا لأمثال قومى لأناس) أسلوب استغاثه - تكرر فيه المستغاث به ، وكررت (يا) مع المستغاث به ، وكررت (يا) مع المستغاث به الثانى ، فكان مثل الأول حيث جر بلام مفتوحة مثله .

(٢) ناء : بمعنى : بعيد الدار ومغترب - الكهول : الكهل : ما جاوز الأربعين سنة .

البيت فى الرثاء ومعناه : إنه لعجب أن تموت ، وليبك عليك الغرباء المنقطعون عن أهلهم ومالهم .

الشاهد : فى (يا للكهول وللشبان للعجب) أسلوب استغاثة ، تكرر فيه المستغاث به دون تكرر الحرف (يا) معه ، ولذلك كسرت لام الجر مع المستغاث به الثانى .

(٣) آمل : من عنده الأمل - فاقة : فقر - هوان : ذلة .

يقول : إنك موضع الأمل للغنى والعز بعد الفقر والذل .

الشاهد : فى (يا يزيدا لآمل نيل عز) أسلوب استغاثة ، جاء المستغاث به متصلا بالألف فى آخره .

الصورة الثالثة : وتتكون أيضًا من حرف الاستغاثة (يا) ثم المستغاث به خاليًا من كل من اللام فى أوله أو الألف فى آخره ، ثم المستغاث له مجرورا باللام المكسورة .

ومن البين أن هذه الصورة تختلف عن الصورتين السابقتين فى المستغاث به أيضا ، حيث يخلو من اللام والألف ، ويصبح - من الناحية النحوية - منادى عاديًا وإن أفاد معنى الاستغاثة - وهذه الصورة أقل استعمالا فى الاستغاثة من الصورتين السابقتين كقولنا (يا شعبَنَا الشجاعَ لِلْمعتدين الغزاة) .

يقول ابن هشام عن هذه الصورة نصا : « وحينئذ يجرى على المستغاث به حكم المنادى ، فتقول على ذلك (يا زيدُ لِعمرو) بضم زيد ، و (يا عبدَ الله لِزيدٍ) بنصب عبد الله ، قال الشاعر :

ألاَ يا قومِ لِلْعَجَبِ العَجِيبِ ... ولِلْغَفَلاَتِ تعرِضُ للأريبِ » . [١]

والخلاصة فى الفرق بين الصور الثلاث :

(أن المستغاث به قد يجر بلام مفتوحة أو تلحقه ألف فى آخره أو يتجرد من اللام فى أوله والألف فى آخره) .

• • •

(١) الأريب : العاقل الحكيم .

الشاهد : فى (يا قوم للعجب العجيب) أسلوب استغاثة ، المستغاث به خلا من اللام فى أوله والألف فى آخره ، فعومل معاملة المنادى الأصلى ، وأصله (يا قومى) وحذفت ياء المتكلم .

أسلوب النُّدْبة

(١) المقصود بأسلوب الندبة كما يراه النحاة .

(٢) الصور التى ترد عليها جملة الندبة فى الاستعمال العربى .

• • •

• صاحت السيدة زينب ٱلْقَوْمَ بعد موقعة كربلاء : « وَامُحَمَّدَاه ، هذا الحسينُ بالعَراء ، وبناتُك سَبَايَا ، وذرّيّتُك مُقتّلَة ، تَسفِى عليها الصَّبا » .

• صاحت البسوس حين علمت بقتل ناقتها : « واذُلاَّه يا بنى بكر إنّكم رِعَاع وضيفكم مُضاع » .

• صاحت امرأة مسلمة أسيرة فى وجه من أسروها من الروم : « وامُعْتَصِمَاه وامُعْتَصِمَاه » .

• من العبارات الشائعة : واثكلاه – واإسلاماه – واأُمَّاه – واقلباه – وارأساه – واظهراه – واحسرتاه .

أسلوب الندبة :

جاء فى القاموس المحيط « ندب الميت ، إذا بكى عليه وعدّد محاسنه » ، فالبكاء على الميت والحديث عنه أثناء هذا البكاء يسمى « ندبًا له » وهذا المعنى هو الذى يشير إليه الشاعر بقوله :

رأيتُ رجالاً يكرهون بناتِهم وفيهنَّ – لا تُغْدَمْ – نساءٌ صوالحُ
وفيهن – والأيام يعثرن بالفتى – نـوادِبُ لا يَـمْـلَـلْـنَـهُ ونـوائـحُ

وحتى الآن تسمع فى القرى عن « النّدّابة » وهى التى تغشى المآتم فتشعل قلوب النساء نارا ، وتستدر دموعهن مدرارًا ؛ بما تقوله عن الميت من كلام مؤثر ومثير .

أما أسلوب الندبة لدى النحاة فيحدده ابن هشام بقوله : « المندوب هو المنادى المتفجَّع عليه أو المتوجَّع منه » أ . هـ .

وأسلوب الندبة إذن هو الأسلوب الذى يشتمل على منادى متفجع عليه

أو متوجع منه ، والذى يستعمل له من حروف النداء هو (وا) مطلقا أو (يا) إذا فهم من الأسلوب الندبة .

والمتفجع عليه عادة هو الميت حقيقة كما يقول الحزين لفقد أمه : (واأمّاه) .

وقد يكون المتفجع عليه حيًّا ، لكنه ينزل بمنزلة الميت ، لأنه لم يقم بعمل كان من الواجب أن يقوم به ، فيجعل حينئذ بمنزلة الميت ، كما قال عمر بن الخطاب مِن عن نفسه وقد أُخبِر بجدبٍ أصاب المسلمين : (واعُمَرَاه - واعُمَرَاه) يقول ذلك متفجعا على نفسه ، فكأنه مفقود - وكما قالت المرأة المسلمة فى أسر الروم : (وامعتصماه - وامتعصماه) تعتبره مفقودا - لأسرها وإهانتها من أعداء المسلمين وهو خليفة للمسلمين .

وأما المتوجّع منه فقد يكون مكان الألم ، كقولنا (واقلباه - واظهراه) وقد يكون المتوجع منه ما يثير الألم ، كقولنا (وامصيبتاه - واهزيمتاه) .

صور جملة الندبة :

الصور التى ترد عليها جملة الندبة ثلاث مرتبة فى الاستعمال العربى على الترتيب التالى :

الصورة الأولى : تتكون من حرف الندبة (وا - يا) ثم المندوب متصلة به ألف الندبة التى تقتضى فتح ما قبلها ، ثم تلى الألف هاء تسمى (هاء السكت) ساكنة حين الوقف ومتحركة حين الوصل ! وذلك كقولنا (وارأسَاه - واذُلاَّه) وقول المتنبى :

واحَرَّ قلباه ممّن قَلبُه شَبِمُ ... ومن بجسمى وحَالى عنده سَقَمُ(١)

الصورة الثانية : تتكون من حرف الندبة (وا - يا) ثم المندوب متصلا به

---

(١) الشبم : بكسر الباء - البارد - حالى : ما عليه الإنسان من خير وشر ويقصد : النفس - السقم - بفتح السين والقاف - المرض .

يندب حظه وقلبه ، فقلبه حار متوقد ، وقلب حبيبه بارد خامد ، ويقول إننى سقيم النفس والجسد ولا أحد مثلى .

موضع التمثيل : قوله (واحر قلباه) حيث اتصل بآخر المندوب الألف وهاء السكت ، وأصل العبارة (وأحر قلب) .

ألف الندبة دون هاء السكت ، كقولنا (وارأسَا - واذُلاَّ) ومن ذلك قول جرير يرثى عمر بن عبد العزيز :

حُمّلْتَ أمرًا عظيما فاصْطَبَرْتَ له ... وقمتَ فيه بأمرِ الله يا عُمَرَا [(١)]

وقول المجنون :

فواكبِدا من حُبِّ من لا يحبُّنى ... ومِن عَبَرَاتٍ ما لهنَّ فَنَاءُ [(٢)]

الصورة الثالثة : تتكون من حرف الندبة (وا - يا) ثم المندوب المنادى فقط دون ألف أو هاء ، وحينئذ يعامل المنادى المندوب معاملة المنادى الأصلى تمامًا ، فيبنى على الضم إذا كان مفردا ، كقولنا (وامحمدُ) وينصب إذا كان مضافًا ، كقولنا (وا أميرَ الشعراءِ) وما يمثل به النحاة من قولهم (وا أمير المؤمنين) .

هذه الصور - كما ترى - تختلف فى استعمال المندوب من حيث اتصال الألف والهاء به أو اتصال الألف به فقط ، أو تجرده منهما معا .

والصورة الأولى أكثر استعمالا ، تليها الثانية فى الكثرة ، والأخيرة أقلُّها .

ولعل السبب فى ذلك أن المقام الذى يرد فيه هذا الأسلوب هو - كما سبق - مقام التفجع ، والتوجع ، فيحتاج لإطالة الصوت واتصال الأنين . والصورة الأولى أنسب لذلك ، تليها الثانية ، ثم الثالثة .

• • •

(١) أمرًا عظيما : الخلافة وأمر المسلمين وأمانة الأمة - اصطبرت له : تحملت مشقة حمله .
الشاهد : فى (يا عمرا) حيث أدخل على المندوب ألف الندبة فى آخره دون الهاء .
(٢) العبرات : الدموع الحارة - ما لهن فناء : ما لهن انتهاء .
الشاهد : فى (واكبدا) فالمندوب مكان الألم « الكبد » ، وقد لحق بآخره ألف الندبة فقط .

أسلوب الترخيم

١ - معنى كلمة الترخيم فى اللغة والمقصود به لدى النحاة .

٢ - كيفية ترخيم المنادى ويشمل :

(أ) ترخيم المنادى المختوم بتاء التأنيث وغير المختوم بها .

(ب) حذف حرف أو حرفين أو كلمة كاملة منه .

(جـ) لغة من ينتظر ولغة من لا ينتظر بعد الحذف .

٣ - ترخيم غير المنادى فى ضرورة الشعر .

• • •

معنى الترخيم :

جاء في القاموس : رخُم الكلام ككرم فهو رخيم : لان وسهل كرخَمَ كنَصَر والجارية صارت سهلة المنطق . فهى رخيمة ورخيم ، ومنه الترخيم في الأسماء لأنه تسهيل للنطق بها أ . هـ . وفى أساس البلاغة : كلام رخيم ورخيم الحواشى : رقيق أ . هـ .

ويستخلص من ذلك أن الترخيم فى اللغة معناه : التليين والتسهيل والرقة .

ويبدو أن النحاة قد راعوا هذه المعانى حين حددوا معنى الترخيم اعتبارًا للظروف التى يرد فيها فى المنادى ، إذ يرد فى مقام اللين والرقة ؛ ويقصد به غالبًا التدليل للصغار أو الأحباب أو الأصدقاء ، ويستدعى ذلك تخفيف النطق وتسهيله بحذف آخر الكلام .

لذلك عرف الترخيم بما يقوله ابن هشام : « من أحكام المنادى الترخيم ، وهو حذف آخره تخفيفا » .

ثم علق على ذلك بقوله : « وهى تسمية قديمة ، وروى أنه قيل لابن عباس : إن ابن مسعود قرأ (ونَادَوا يا مالِ) يقصد (مالك) خازن النار ، فقال : ما كان أشغلَ أهلَ النار عن الترخيم » . أ . هـ .

وكأنما يقصد ابن هشام من هذا التعليق ، أن إطلاق لفظ الترخيم على حذف

آخر المنادى تسمية قديمة قبل أن يطلقها عليه النحاة فيما بعد ، فقد أطلقها العرب قبل النحاة ، وهذا أمر يحتاج إلى تحقيق أكثر من ذلك .

كيفية ترخيم المنادى :

ينبغى أولا معرفة ما يرخم من الأسماء التى تنادى بلا شروط وما لا يرخم إلا بشروط ، وهى خطوة ينبغى معرفتها قبل القيام بالترخيم - ثم تأتى خطوة أخرى لمعرفة كمية الحروف التى تحذف من الاسم حين القيام بترخيمه وأخيرًا معرفة شكل آخر الاسم المرخم بعد أن حذف منه ما حذف .

هى إذن خطوات ثلاث ينبغى منطقيًا فهمها بهذا الترتيب ، وينبغى نحويًا معرفتها جميعا متضامنة لفهم الطريقة التى نحصل بها على الاسم المرخم فى صورته النهائية - وإليك شرحها بهذا الترتيب :

(أ) ترخيم المنادى المختوم بالتاء والمجرد منها :

إذا كان المنادى مختومًا بتاء التأنيث جاز ترخيمه مطلقا بلا شروط .

ومعنى ذلك أن المختوم بالتاء يصح ترخيمه سواء أكان مفردا علما كقولنا فى (فاطمة - عائشة) (يا فاطمَ ويا عائشَ) أم كان نكرة مقصودة كقولنا فى (مُهملة ومُسلمة) (يا مُهملَ ويا مُسلمَ) وسواء أكانت التاء واردة بعد ثلاثة أحرف فأكثر كالأمثلة السابقة أم كانت واردة بعد أقل من ثلاثة أحرف مثل (هِبَة) فتنادى مرخمة (يا هِبَ) كما يستوى فى ذلك المختوم بالتاء أن يكون عَلَمًا لمؤنث كما سبق أو عَلَمًا لمذكر كما نقول فى (معاوية - طلحة) (يا معاوىَ - يا طلحَ) - هذا هو المراد بالإطلاق .

ومن شواهد ذلك ما يلى :

قول امرئ القيس :

أفاطمَ مُهلاً بعضَ هذا التدلُّلِ
وإن كنتِ قد أزمَعْتِ صَرْمِى فأجْمِلى (١)

---

(١) التدلل : بمعنى « الدلال » وهو جرأة المرأة على الرجل فى رقة - أزمعت صرمى : عزمت على مقاطعتى وفراقى - فأجملى : فترفقى فى ذلك .

يقول : كفى يا فاطمة هذا التدلل على ، فقد أتعبتنى ، فإن كنت عازمة على الفراق ، فليكن فراقا جميلا .

الشاهد : فى « أفاطم » أصلها « أفاطمة » فهو منادى به تاء التأنيث ، ورخم بحذف التاء .

قول عنترة :

يدعون عنترَ والرِّماحُ كأنها أشطانُ بئرٍ فى لَبَانِ الأدْهَمِ (١)

أما إذا كان المنادى غير مختوم بالتاء ، فقد اشترط النحاة لجواز ترخيمه أن تجتمع له الصفات التالية ، وهى :

(١) أن يكون المنادى علم أو نكرة مقصودة - وفى الثانى منهما كلام طويل لا حاجة إليه هنا .

(٢) أن يكون المنادى مبنيا على الضم ، فلا يصح الترخيم فى نحو (يا محمدان - يا محمدون) والأول يبنى على الألف ، والثانى يبنى على الواو .

(٣) أن يكون على أربعة أحرف فأكثر .

فلا بد إذن لصحة الترخيم من اجتماع هذه الشروط الثلاثة ، وذلك مثل (أحمد - جعفر) تقول فيهما مرخمين (يا أحْمَ - يا جعفَ) وكذلك (سعاد - زينب) تقول (يا سُعَا - يا زَيْنَ) .

ومن ذلك قول الشاعر :

يا حَارِ لا أُرْمَيَنْ منكم بداهيةٍ لم يَلْقَهَا سُوقَةٌ قبلى ولا مَلِكُ (٢)

وقول الآخر :

يا صاحِ إمّا تجدْنى غيرَ ذى جِدَةٍ فما التَّخَلِّى عن الخلاّنِ من شِيَمِى (٣)

---

(١) أشطان بئر : الحبال التى تربط بها الدلاء لتنزح الماء من البئر - لبان : - بفتح اللام والباء - صدر - الأدهم : الفرس .

يقول : إننى أعرف وقت الشدة ، فحين يشتد القتال ، وتصير الرماح فى صدور الجياد كالحبال فى البئر يبحثون عنى وينادون باسمى .

الشاهد : فى « عنتر » وأصله « يا عنترة » حذفت منه « يا » حرف النداء وحذفت تاء التأنيث اللفظى منه للترخيم .

(٢) الداهية : المصيبة العظمى - سوقة : عوام الناس .

الشاهد : فى (يا حار) أصله (يا حارث) ورخم بحذف الثاء ، وقد استوفى الشروط المطلوبة فيها خلا من تاء التأنيث .

(٣) جدة : غنى - الخلان : الأصدقاء والأحباب - شيمى : طبيعتى وخلقى .

يقول : إن أكن غير غنى فأنا شهم ، لا أترك إخوانى وأصدقائى فى وقت الشدة ، وليس هذا من طبيعتى وأخلاقى .

=

(ب) ما يحذف حين الترخيم :

يحذف للترخيم من آخر المنادى حرف واحد أو حرفان أو كلمة كاملة .

أما حذف حرف واحد فهو الأصل فى الترخيم ، وهو الكثير ، ومن ذلك الكلمات (عائشة - فاطمة - نادية - أحمد - خالد)

على الترتيب (يا عائشَ - ويا فاطمَ - ويا نادىَ - ويا أحمَ - ويا خالِ) .

ومن ذلك ما قرئ فى القرآن حكاية عن كلام أهل النار ﴿ وَنَادَوْا يامـالِ ﴾ [الآية ٧٧ من سورة الزخرف] بحذف الكاف ، وقد مرّ قول ابن عباس عن ذلك « ما كان أشغلَ أهلَ النار عن الترخيم » لأنه يأتى فى مقام التدليل ، وأهل النار فى مقام الجزع والندم .

أما حذف حرفين من آخر الكلمة حين الترخيم فلا يتحقق إلا فى الاسم الذى اجتمعت فى حروفه الصفات التالية :

(١) أن يكون الاسم المرخم على خمسة أحرف فصاعدا .

(٢) أن يكون الحرف الذى قبل الحرف الأخير معتلا ساكنا .

(٣) أن يكون هذا الحرف زائدا لا أصليا .

ومن الكلمات التى اجتمعت فيها هذه الشروط (مروان - أسماء - نعمان - منصور) فتقول حين تنادى مرخمة (يا مروَ - يا أسمَ - يا نُعمَ - يا منصُ) ومن ذلك الشواهد الآتية :

• قول الفرزدق :

يا مروُ إن مَطِيَّتى محبوسةٌ ترجو الحِبَاءَ وربُّها لم ييأسِ (١)

- الشاهد : فى (يا صاحِ) أصلها (يا صاحب) فحذفت الباء للترخيم ، وهو مستوف للشروط فيما خلا من تاء التأنيث .

(١) مطيتى : ما يمتطى ويركب من الدواب - محبوسة : واقفة ببابك - الحباء : العطاء - ربها : صاحبها - لم ييأس : لم يصبه اليأس من عطائك .

الشاهد : فى (يا مرو) أصله (يا مروان) فحذف منه حرفان ، وقد استوفى الشروط اللازمة لحذفهما .

• قول لبيد :

يا أسمَ صبْرًا على ما كان من حَدثٍ
إنّ الحوادثَ ملْقِيٌّ ومنتظَرُ [(١)]

أما حذف كلمة كاملة فإنما يكون فى حالة واحدة هى المركب المزجىّ إذا نودى ، فالعرب قديما يقولون فى (معديكرب) (يا مَعْدِى) حين الترخيم .

والخلاصة : أن الأصل فى الاسم حين يرخم أن يحذف منه حرف واحد وذلك بلا شروط ، وأن حذف حرفين منه يكون فى أسماء خاصة تقدمت صفاتها ، وأن حذف كلمة كاملة لا يكون إلا فى المركب المزجىّ فقط .

(جـ) لغة من ينتظر ولغة من لا ينتظر :

(من ينتظر ومن لا ينتظر) هاتان صفتان لاستعمالين عربيين للاسم المرخم بعد أن حذف من آخره ما حذف ، فلأىّ شىء يكون الانتظار أو عدم الانتظار ؟!

من الواضح أن الاسم المنادى بعد أن حذف منه ما حذف صار كلمة مشوهة ناقصة الحروف ، كما أن الحرف الأخير منه بعد الحذف ليس هو الحرف الأخير منه قبل الحذف ، فقولنا مثلا (يا فاطمةُ) قبل الحذف غير قولنا (يا فاطمَ) سواء من حيث الحروف أو من حيث آخر الكلمة .

هذا الاسم المنادى الذى حذف آخره يستعمله العرب بعد هذا الحذف على لغتين هما : لغة من ينتظر ولغة من لا ينتظر ، ويقصد بالانتظار : التوقف عند ما بقى من الكلمة بعد الحذف ، فلا يغير فيها شىء ، لأن ما حذف منها كأنه موجود تقديرا ، فنقول مثلا فى (يا عائشة) (يا عائشَ) بفتح الشين ، ونقول فى (يا أحمد) (يا أحمَ) بفتح الميم .

أما من لا ينتظر : فهو الذى لا يتوقف انتظارا للمحذوف ، بل يعامل ما بقى

---

(١) حدث : نازلة من نوازل الدهر .

يقول : يا أسماء ، لنصبر على أحداث الحياة ، فإنها ستصيبنا حتما ، ونحن منها بين أمرين ، إما أن تحدث وتمضى ، وإما أن تأتى مستقبلا ولا بد أن تأتى .

الشاهد : (يا أسم) أصلها (يا أسماء) فرخم بحذف حرفين منه ، وقد استوفى شروط حذف الحرفين .

من الكلمة على أنه كلمة مستقلة ؛ فيضم آخرها مبنية فيقول فى المثالين السابقين (يا عائشُ) و (يا أحمُ) وعلى ذلك :

فلغة من ينتظر : هى تلك اللغة التى تعامل الاسم المرخم على اعتبار أنه اسم غير كامل الحروف فتتوقف عند ما بقى من حروفه على ما هى عليه دون تصرف فيه انتظار للمحذوف مثل (يا فاطمَ) .

أما لغة من لا ينتظر : فهى تلك اللغة التى تعامل الاسم المرخم على اعتبار أنه اسم مستقلّ قد قطع عما حذف منه ، وحينئذ يتصرف فى آخره بما يقتضيه بناؤه على الضم مثل (يا فاطمُ) .

ولعلنا بعد هذا الشرح يمكن أن نفهم قول ابن هشام نصا :

« الترخيم يجوز فيه قطع النظر عن المحذوف ، فتجعل الباقى اسما برأسه فتضمه، ويسمى لغة من لا ينتظر ، ويجوز ألا تقطع النظر عنه ، بل تجعله مقدرا ، فيبقى ما كان على ما كان عليه ، ويسمى لغة من ينتظر ، فتقول على اللغة الثانية فى « جعفر » (يا جعَف) ببقاء فتحة الفاء ، وفى « مالك » (يا مالِ) ببقاء كسرة اللام – وهى قراءة ابن مسعود – وتقول على اللغة الأولى (يا جعفُ ويا مالُ) بالضم » . أ . هـ .

الترخيم لضرورة الشعر :

الأصل فى الترخيم أنه حكم من أحكام المنادى ، بمعنى أن الاسم الذى يصح ترخيمه هو الاسم المنادى فقط ، فإذا كان الاسم غير منادى لا يصح ترخيمه ، بل يستعمل كاملا دون حذف شيء منه .

هذا هو الأصل : لكن النحاة استثنوا من ذلك ما يضطر إليه الشاعر فى شعره ، ولا يجد مفرًا من حذف بعض الكلمة ، حينئذ يجوز له الحذف مع أن الاسم غير منادى ، لأن مجال الشاعر فى استعمال الكلمات ضيّق ، لحاجته للوزن والقافية والتقديم والتأخير فيباح له ما لا يباح للناثر ، ويطلق على هذا المباح له اسم « ضرورة الشعر » ، ومن ذلك المباح حذف أواخر بعض الكلمات دون أن تكون مناديات .

ومما يستشهد به لذلك قول امرئ القيس :

لَنِعْـمَ الفتى تَعْشُو إلى ضوءِ نارِه
طَرِيفُ بنُ مَالٍ لَيلَةَ الجوعِ والخَصَر (١)

ومن ذلك أيضًا قول جرير :

ألا أضحتْ حبالُكم رِمَامَا   وأضحتْ مِنكَ شاسعةً أُمَامَا (٢)

* * *

(١) تعشو إلى ضوء ناره : تقصدها - الخصر - بفتح الصاد - شدة البرد .

الشاهد : (طريف بن مال) أصله (طريف بن مالك) فرخمت (مالك) مع أنها غير منادى لضرورة الشعر .

(٢) أضحت : بمعنى صارت - حبالكم : يقصد روابط المودة والألفة - رماما : بالية متقطعة - شاسعة : بعيدة عنك بعدا شديدًا - أماما : اسم حبيبته .

يقول : لقد انقطع الود والحب وبعدت أمامة عنى بعدا شديدا ، بعدًا لا لقاء بعده .

الشاهد : فى (أماما) أصلها (أمامة) وهى اسم (أضحى) مؤخر ، فليست منادى ، ورخمت لضرورة الشعر .

تدريبات

(١)

أورد الجاحظ [١] الرسالتين الآتيتين لعمر بن الخطاب قال :

كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية وهو عامله على الشام : « أمّا بعد ، فإنى لم آلُكَ فى كتابى إليك ونفسى خيرا ، إيّاك والاحتجاب دون الناس ، وأْذنْ للضعيف وأدنِه حتّى ينبسط لسانه ويجترئَ قلبه ، وتعهَّد الغريب فإنه إذا طال حبسه ، وضاق إذنه ، ترك حقّه ، وضعف قلبه ، وإنما أَتْوَى حقّه من حبسه » . أ . هـ .

وكتب مرة أخرى إلى أبى موسى الأشعرى : « آسِ بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيْفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، واعلم أن أسعد الناس عند الله تعالى من سعِد به الناس ، وأشقاهم من شقُوا به » . أ . هـ .

(١) (وهو عامله على الشام) هذه جملة حالية ، اذكر نوعها وصاحبها ورابطها .

(٢) من التعبيرات المتعارف عليها فى الرسائل والخطابات (أمّا بعد) حلل هذا التعبير نحويًا .

(٣) (لم آلك خيرا) تصور جملة أخرى مساوية لهذه الجملة فى المعنى ثم اذكر الوظيفة النحوية لكلمة « خيرًا » بعد هذا التصور .

(٤) (إياك والاحتجاب دون الناس) من أى صور التحذير ؟ أعرب التعبير كله .

(٥) من أسماء المكان التى وردت فى النص (بعد - دون - بين - عند) انسبها إلى المبهم أو المختص وإلى التصرف أو عدم التصرف - اذكر السند النحوى لهذه النسبة .

---

(١) رسائل الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - القسم الثانى ص ٣١ - ٣٢ .

لم آلك : لم أقصر فى حقك وأتركك - أتوى : أضاع - آس : اعدل - حيفك : ظلمك .

(٦) الفعلان (أذن – آس) يتفقان من حيث البناء ، ويختلفان من حيث التعدى واللزوم ، اشرح ذلك من استعمالهما فى النص .

(٧) (إنما أتوى حقه من حبسه) حدد فى هذه الجملة الترتيب بين الفعل والفاعل والمفعول ، ثم اذكر سببه .

(٨) انسب إلى باب الفاعل أو المفعول الكلمات الآتية كما وردت فى جملها (لسانه – إذنه – حقه – قلبه) .

(٩) من أبواب النواسخ الفعل (اعلم) اشرح علاقته النحوية بالجملة التى جاءت بعده فى كلام عمر .

(٢)

قال أبو تمام فى رثاء محمد بن حميد الطّوسى [(١)] :

فَتًى مات بين الطّعنِ والضّربِ ميتةً ... تقوم مقام النصر إذ فاته النّصرُ
وما مات حتّى مات مضربُ سيفه ... من الضّرب واعتلّت عليه القنا السُّمْرُ
وقد كان فوت الموت سهلا ، فردّه ... إليه الحِفاظ المرّ والخُلق الوعرُ
ونفس تَعاف العار حتى كأنما ... هو الكفر يوم الرّوع أو دونه الكفرُ
فأثبت فى مستنقع الموت رجله ... وقال لها : من دون إخمصك الحشرُ
غدا غُدوة والحمد نسج ردائه ... فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجرُ
تردّى ثياب الموت حُمرا فما دَجا ... لها الليل إلا وهى من سندسٍ خضرُ
لئن غدرتْ فى الرّوع أيامه به ... فما زالت الأيام شيمتها الغدْرُ
مضى طاهر الأثواب لم تبق روْضة ... غداة ثَوَى إلا اشتهتْ أنّها قبرُ
عليك سلام الله وَقْفًا ، فإننى ... رأيت الكريم الحر ليس له عُمْرُ

• • •

(١) الكلمتان (ميتة – مقام) فى البيت الأول ، من أى الصيغ . انسب كل واحدة منهما إلى أحد المفعولات الخمسة .

---

(١) انظر ديوان أبى تمام ومختارات البارودى جـ ٣ ص ٣٠٣ – والأبيات العشرة المذكورة هنا مختارة من القصيدة .

(٢) الكلمتان (غدوة - غداة) وردتا فى البيتين السادس والتاسع زِنْهما ، ثم اذكر الوظيفة النحوية لكل منهما .

(٣) من أى المشتقات كلمة (مضرب) فى البيت الثانى ، اذكر وظيفتها النحوية فى البيت ، واستعملها بعد ذلك مفعولا فيه فى جملة مفيدة .

(٤) (لم ينصرف إلا وأكفانه الأجر) من أى صور الاستثناء هذه الجملة ، أعرب بالتفصيل ما جاء بعد (إلاّ) فقط .

(٥) أين خبر المبتدأ فى جملة (وهى من سندس خضر) أعرب هذه الجملة كلها كما وردت فى البيت .

(٦) تكررت كلمة (الأيام) مرتين فى البيت الثامن ، لماذا لم تعتبر مفعولا فيه؟ وما موقعها النحوى فى الشطرين ؟

(٧) عين تمييز النسبة فى جملة (عليك سلام الله وقفًا) فى البيت الأخير تصور جملة الأصل وبين كيفية تحويل التمييز عنها .

(٨) أعرب الكلمات الآتية كما وردت فى النص (نفس - الحشر - حمرا - شيمتها الغدر - طاهر الأثواب - عمر) .

(٣)

قال سعد بن ناشب المازنى وكان قد ظلم بهدم داره وحرقها بالبصرة :

سأغسل عنى العار بالسيف جالبًا ... علىَّ قضاءُ الله ما كان جالبا
وأذهَلُ عن دارى وأجعل هدمها ... لعرضىَ من باقى المذمَّة حاجبا
ويصغر فى عينى تلادى إذا انثنت ... يمينى بإدراك الذى كنت طالبا
فإن تهدموا بالغدر دارى فإنها ... تُراث كريمٍ لا يُبالى العواقبا
أخِى غَمَراتٍ لا يريد على الذى ... يُهمُّ به من مقطع الأمر صاحبا
إذا همَّ لم تُرْدَعْ عزيمةُ همّه ... ولم يأت ما يأتى من الأمر هائبا
فيالَرِزامٍ رشِّحوا بى مقدِّمًا ... إلى الحرب خوَّاضًا إليها الكتائبا
إذا هَمَّ ألقى بين عينيه عزمه ... ونكَّب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى رأيه غير نفسه ... ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

* * *

(١) وردت كلمة « جالبا » فى البيت الأول منصوبة مرتين ، وازن بينهما .

(٢) حدد الفاعل وعامله فى العبارات الآتية كما وردت فى النص (جالبا على قضاء الله - إدراك الذى كنت طالبا - مقدما إلى الحرب - خوّاضا إليها الكتائبا) .

(٣) جملة (لا يبالى العواقبا) فى البيت الرابع يجب أن تعرب صفة لا حالا ، وجه ذلك نحويا .

(٤) من أى أساليب النداء (يالرزام) - صف هذا الجملة بطريقة مفصلة .

(٥) طبق صفات المفعول فيه على كلمة (جانبا) فى جملة (تنكب عن ذكر العواقب جانبا) .

(٦) يجب نصب أداة الاستثناء (غير) فى جملة (لم يستشر فى رأيه غير نفسه) - اذكر قاعدة ذلك وطبقها على الجملة .

(٧) يجب نصب المستثنى فى جملة (لم يرض إلا قائم السيف صاحبا) . اذكر سند ذلك وطبقه على الجملة .

(٨) أعرب الكلمات الآتية تفصيلا كما وردت فى النص (حاجبا - أخى - غمرات - عزيمة - هائبا) .

(٤)

قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ
عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ
غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ
ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ
عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الآيات ٢٣ - ٢٩ من سورة
الإسراء] .

(١) حدّد نوع (أنْ) فى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ اذكر المستند النحوى لما تقول .

(٢) استخرج من الآيات (مفعول مطلق مؤكد لعامله - مفعول مطلق مبين النوع - نائب عن المفعول المطلق - مفعول مطلق حذف عامله - مفعول لأجله) .

(٣) ما حكم الترتيب بين الفعل والفاعل والمفعول فى الجملتين (لا تعبدوا إلا إياه - يبلغَنّ عندك الكبر أحدهما) أيد ما تقول نحويا .

(٤) لماذا جاءت الفاء فى جواب الشرط مع الجمل (تقل لهما أف - إنّه كان للأوابين غفورا - قل لهم قولا ميسورا) .

(٥) الفعل (آتِ) بمعنى (أعط) ينصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر - حددهما من الجملة بعده .

(٦) عبارة (ربِّ ارحمهما) أصلها (يا ربِّى ارحمهما) ناقش ما حذف حتى صار المنادى على الصورة التى وردت فى الآية .

(٧) فى الآية الأخيرة جاءت ثلاث كلمات منصوبة هى (فتقعد ملوما محسورا) - قدّم من قواعد النحو ما يسوّغ نصبها .

(٨) صف نوع الاشتقاق للكلمات الآتية (كريم - صغير - أوّابين - مبذرين - كفرا - ملوما - محسورا) ثم زنها جميعا .

(٩) وردت كلمة (إنْ) فى الآيات ثلاث مرات للشرط ، حددها ، ثم بين أجزاء الجملة الشرطية فى كل منها .

* * *

القسم الرابع

ما يتعلق بالجملتين الاسمية والفعلية

يشمل ذلك ما يلى :

١ - حروف الجر

٢ - الإضافة

٣ - التعجب السماعى والقياسى

٤ - التوابع الخمسة وهى :

(أ) النعت

(ب) التوكيد

(جـ) عطف البيان

(د) عطف النّسق

(هـ) البدل

٥ - وظائف الأفعال فى الجملة = عمل الأفعال فى الجملة

٦ - الأسماء التى تقوم بوظائف الأفعال

(أ) اسم الفعل

(ب) المصدر واسم المصدر

(جـ) اسم الفاعل

(د) أمثلة المبالغة

(هـ) اسم المفعول

(و) الصفة المشبهة

(ز) اسم التفضيل

حروف الجر

١ - حروف الجر - كما عدها ابن مالك فى الألفية - عشرون حرفا .

٢ - تقسيم حروف الجر من حيث كثرة الاستعمال وقلته فى اللغة العربية .

٣ - الحروف المتداولة - فى رأى ابن هشام - باعتبار ما تجره من الأسماء الظاهرة والمضمرة .

٤ - زيادة (ما) مع بعض حروف الجر - بينها وبين مجرورها .

٥ - حذف حرف الجر (رُبّ) مع بقاء عمله فى المجرور .

٦ - حرف الجر الأصلى والزائد والشبيه بالزائد .

حروف الجر :

تلك التى تقوم بربط الأسماء بالأسماء ، كقولنا : (الطالبُ فى الكليةِ) أو ربط الأسماء بالأفعال كقولنا : (جئتُ إلى الكليةِ) .

وينبغى ابتداء معرفة الرأى فيما خاضت فيه مطولات النحو من ذكر معانى الحروف العشرين الجارة - ولنأخذ نموذجا الحرف (مِنْ) فإن له سبعة معان - كما جاء فى أوضح المسالك - هى :

١ - التبعيض مثل ﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [الآية ٩٢ سورة آل عمران] .

٢ - بيان النوع مثل ﴿ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ [الآية ١٣ سورة الكهف] .

٣ - ابتداء المكان أو الزمان مثل ﴿ مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الآية الأولى سورة الإسراء] وفى الحديث (مُطِرْنَا من الجمعة إلى الجمعة) .

٤ - العموم مثل ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ [الآية ٩٨ سورة مريم] .

٥ - معنى البدل مثل ﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [الآية ٣٨ سورة التوبة] .

٦ - الظرفية مثل ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ ﴾ [الآية ٩ سورة الجمعة] .

٧ - التعليل مثل ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ ﴾ [الآية ٢٥ سورة نوح] .

وهكذا تورد هذه المطولات معانى كل حرف فتذكر « للام » اثنى عشر معنى و « للباء » مثلها ، وللحرف (فى) ستة معان ، وللحرف (على) أربعة - إلى آخر ذلك .

والحق أن هذه المعانى تفيد دارس البلاغة ، فهو الذى يبحث عن الحروف وما تؤديه من جملة إلى أخرى - أما دارس النحو ، فإن الذى يهمه من هذه الحروف هو معانيها النحوية ، أو بعبارة أخرى : يهمه أن يعرف فقط أن هذه الحروف تجر الأسماء التى بعدها مهما كان المعنى الذى تؤديه فى الجملة .

على أن حصر معانى هذه الحروف - على طولها - ليس حصرا نهائيا لأن هناك قاعدة معنوية عن حروف الجر تقول : (**حروف الجر يتبادل كل منها موضع الآخر كثيرا**) فمثلا الحرف (على) يأتى بمعنى (فى) مثل ﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ ﴾ [الآية ١٥ سورة القصص] والحرف (عن) يأتى بمعنى (على) مثل ﴿ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ﴾ [الآية ٣٨ سورة محمد] فهذه الحروف تتبادل ، فمن غير المفيد كثيرًا حصر معانيها ، إذ يقع بعضها موقع بعض ، والأمر مرجعه أولا وأخيرًا سياق الكلام الذى يحدد لنا معنى الحرف ، ويدل عليه .

وخلاصة الأمر : أنه من السهولة والتيسير ألا تعرض هنا معانى الحروف الجارة ، لأن ذلك لا يفيدنا نحويا ، ولأن ذلك غير منضبط تماما - ومع ذلك فمن أراد معرفة تلك المعانى تفصيلا فليراجعها فى (شرح ابن عقيل - أوضح المسالك - شرح الأشمونى) ليستزيد ويستفيد .

وحروف الجر عشرون حرفا حصرها ابن مالك فى البيتين الآتيين :

هَاكَ حروفَ الجر وهى مِن إلىَ ... حَتَّى خَلاَ حَاشَا عَدَا فى عَنْ عَلَى
مُذْ مُنْذُ رُبَّ اللامُ كَىْ وَاوٌ وتَا ... والكَافُ والبَا ولَعلَّ ومَتَى

ومن هذه الحروف العشرين ثلاثة لن نتحدث عنها هنا ، وهى (خلا - حاشا - عدا) فهى من أدوات الاستثناء ، وقد مر الحديث عنها هناك بالتفصيل ولا حاجة إلى إعادته مرة ثانية .

حروف الجر من حيث كثرة الاستعمال وقلته :

يقصد بالكثرة والقلة هنا نطق العرب أصحاب اللغة ، وبعبارة أقرب أن معظم هذه الحروف قد استعمل فى اللغة العربية المشتركة بين العرب وهذا معنى الكثرة ، وبعض هذه الحروف استعمل فى الفصحى أيضا فى نطق إحدى قبائل العرب فقط ، لكن لم يقدر له الذيوع والانتشار فى نطق جميع قبائل العرب ، وذلك الحرفان (مَتَى - لَعَلّ) .

فالأصل - كما هو مشهور - أن (مَتَى) اسم زمان ، وقد يستعمل ظرفا كقولنا (مَتَى قدمتَ من سفرك) بمعنى (فى أىّ وقت ؟؟) أما استعماله حرف جر فهو لغة قبيلة « هذيل » ، ومن شواهدها :

سُمِعَ أحدُ الهذليّين يتحدث عن بعض اللصوص بقوله : (أخرجها متى كُمِّهِ) بمعنى (أخرجها من كُمّه) .

من شعر أبى ذؤيب الهذلى يصف السحاب :

شَرِبْنَ بماء البحر ، ثم ترفّعتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لهنّ نَئِيجُ (١)

وأما (لَعَلّ) فالمشهور عنها أنها حرف يفيد الترجى من أخوات (إنّ) تنصب المبتدأ وترفع الخبر ، واستعمالها حرف جر لغة قبيلة « عُقَيْل » ويسوق لها النحاة شاهدين أحدهما بيت شعرى قبيح لا داعى لذكره ، والآخر فى قول كعب بن سعد يرثى أخاه أبا المغوار :

وداعٍ دَعَا يا مَنْ يُجيبُ إلى النّدى فلم يستجبْه عند ذاك مُجيبُ
فَقُلتُ ادعُ أخرى وارفعْ الصوتَ جَهْرَةً
لعلّ أبِى المغوارِ منكَ قريبُ (٢)

---

(١) شربن بماء البحر : حملت السحب ماء البحر - ترفعت : علت - لجج : جمع « لجة » وهى المياه الكثيفة - لهن نئيج : صوت مرتفع .

المعنى : لقد حملت السحب ماء كثيفا من مياه كثيفة ، لجج خضراء ذات صوت عال شديد .

الشاهد : فى قول أبى ذؤيب (متى لجج) إذ استعمل (متى) حرف جر بلغة قبيلته ، لكن لم يقدر لهذا الاستعمال الذيوع والانتشار .

(٢) الندى : الكرم - لم يستجبه : لم يجبه .

يقول : لقد كان أبو المغوار كريما ولا كريم غيره ، فإذا دعا الداعى إلى الكرم فهو المجيب لا سواه .

=

والحق أن استخدام هذين الحرفين للجر فى اللغة الفصحى قليل ؛ بل سماه «ابن هشام» شاذا ، فينبغى - بعد معرفتهما - صرف النظر عنهما أيضا ، ليبقى من حروف الجر العشرين خمسة عشر حرفا هى موضع حديثنا الآتى .

حروف الجر وما تجره من الأسماء الظاهرة والمضمرة :

سلك ابن هشام فى كتابيه (شذور الذهب - أوضح المسالك) طريقة رائعة في تقسيمه لحروف الجر باعتبار دخولها على الأسماء الظاهرة والمضمرة ، فتنظيمه لهذه الفكرة فى كتابيه السابقين لا يكاد يدانيه فيه أحد من النحاة ، لذلك كان من المفيد اتباعه فى طريقته مع تصرف يسير .

تنقسم حروف الجر الخمسة عشر المتداولة إلى قسمين رئيسين :

القسم الأول : ما يجر الأسماء الظاهرة والمضمرة جميعا ، وهو سبعة أحرف هى (مِنْ - إلَى - عَنْ - عَلَى - فى - الباء - اللام) .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ [الآية ٧ سورة الأحزاب] و﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ [الآية ٤٨ سورة المائدة] و﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ [الآية ٦٠ سورة الأنعام] ، و﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الآية ١٩ سورة الانشقاق] ، و﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [الآية ١١٩ سورة المائدة] ، و﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [الآية ٢٢ سورة المؤمنون] ، و﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ ﴾ [الآية ٢٠ سورة الذاريات] ، و﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ﴾ [الآية ٧١ سورة الزخرف] ، و ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ [الآية ١٢٦ سورة النساء] ، و ﴿ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ ﴾ [الآية ١٠٧ سورة الإسراء] ، و﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الآية ٢٨٤ سورة البقرة] ، و﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الآية ٢٥٥ سورة البقرة] .

القسم الثانى : ما يجر الأسماء الظاهرة فقط ، وهو يشمل بقية الحروف (حَتَّى - الكاف - الواو - التاء - كَىْ - مُذْ - مُنْذُ - رُبَّ) .

= الشاهد : فى (لعل أبى المغوار) فقد جاءت فى هذا البيت حرف جر ، فجرت الاسم بعدها (أبى المغوار) .

إعراب (لعل أبى المغوار منك قريب) جاء فى ابن عقيل : لعل حرف جر زائد : (أبى المغوار) مبتدأ مرفوع بالواو ومنع من ظهورها الياء التى جاءت من أجل حرف الجر الزائد - قريب : خبر المبتدأ .

لكن ينبغى ألاّ يتبادر إلى الأذهان أن هذه الحروف الثمانية تدخل على كل الأسماء الظاهرة فتجرها ، إنها تتفق فقط فى دخولها على الأسماء الظاهرة ورفض الأسماء المضمرة ، أما ما يدخل عليه كل منها من الأسماء الظاهرة فهو على التفصيل التالى :

١ - (حتى - الكاف - الواو) تدخل على كل الأسماء الظاهرة .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [الآية ٥ سورة القدر] و ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [الآية ٣٥ سورة النور] و ﴿وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾ [أول سورة الفجر] - ومن البين أن الواو معناها القسم .

وينبغى التنبه إلى أن (حتى) تكون حرف جر مثل (إلى) فى المعنى والعمل بشرطين :

(أ) أن يكون المجرور بها ظاهرا لا مضمرا .

(ب) أن يكون نهاية لما قبله - آخرًا له أو متصلا بالآخر .

كقولنا : (سنجاهد حتى الرّمقِ الأخير وسنحرّر أرضنا حتى آخرِ شبرٍ فيها) .

٢ - (التاء) هذا الحرف يجر لفظين فقط من الأسماء الظاهرة هما :

(أ) لفظ الجلالة (الله) مثل ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ [الآية ٥٧ سورة الأنبياء] .

(ب) كلمة (ربّ) مضاف إلى (الكعبة أو ياء المتكلم) مثل قول العرب : (تَرَبِّ الكعبةِ) و(تَرَبِّى لأفعلنَّ كذا) .

ومن البين أن التاء مع هذين اللفظين تفيد أيضا معنى القسم .

٣ - (كَىْ) وقد تقدم عنها أنها حرف لنصب الفعل المضارع مثل (أنْ) لكنها تستعمل حرف جر فى موضعين :

(أ) مع (ما) الاستفهامية : وحينئذ تحذف ألف (ما) ويأتى معها هاء السّكت ، تقول مثلا (سهرتُ أمس) فأسألك عن سبب السهر قائلا (كَيْمَهْ) مماثلة تماما قولى (لِمَهْ) .

(ب) مع (أنْ) التى تنصب المضارع ، وقد سبق فى نواصب المضارع أنه إذا

كانت (كى) ناصبة المضارع ، فلا علاقة لها بالمجرورات - أما إذا كان المضارع منصوبا - كما سبق شرحه - بأن ظاهرة أو مضمرة ، فتكون (كى) حرف جر والمصدر المؤول من (أن والفعل) مجرور بها [راجع ذلك تفصيلا] .

٤ - مُذْ - مُنْذُ :

لاحظ الأمثلة الآتية :

ما كفَّ الإنسانُ عن الشرِّ منذُ فجرِ الحياة	} حرف جر
ومنذُ الصراعُ الدَّامِى بين ابْنَىْ آدمَ والناسُ فى صراع	} اسم مبتدأ
ومذْ تحكَّمتْ الأهواءُ استخدِمَتْ القوة	}اسم ظرف

ترد هاتان الكلمتان فى اللغة حرفين للجر أو اسمين على التفصيل الآتى :

أولا : تكونان حرفين للجر إذا ورد بعدهما اسم يدل على الزمان الماضى أو الحاضر ، كقولك (ما رأيتُ أهْلِى منذُ شهرٍ) أو (ما رأيتُ صديقى مذ يومِنَا) .

ثانيا : تكونان اسمين وذلك فى الآتى :

(أ) أن يقع بعدهما اسم مرفوع ، كقولنا (مُنْذُ الافتراقُ بيننا لم يحدثْ لقاء) - حينئذ تعرب الكلمتان - على الرأى المشهور - مبتدأ والاسم المرفوع بعدهما خبر .

(ب) أن يقع بعدهما جملة تامة - اسمية أو فعلية - فتقول (أحببتُ الجامعةَ مُذْ أنا طالبٌ فيها ، واحترمتُ تقاليدَها منذُ انتسبتُ إليها) حينئذ تعرب الكلمتان ظرف زمان مبنيًّا فى محل نصب .

ومن شواهد دخولهما على الجملة ما يلى :

• قول الأعشى :

وما زلتُ أبْغِى المالَ مُذْ أنا يَافعٌ وَلِيدًا وكَهْلاً حين شِبتُ وأمْرَدَا (١)

---

(١) اليافع : هو الشاب حول العشرين - الوليد : الصبى - الكهل : فى أحسن الآراء - ما جاوز الأربعين - الأمرد : الذى لا شعر فى وجهه .

المعنى : لقد طلبت المال صبيا وشابا وكهلا - ومعلوم أن الأعشى كان ممن يتكسبون بشعرهم .

الشاهد : فى (مذ أنا يافع) حيث جاء بعد (مذ) جملة اسمية ، فتعرب هى ظرف زمان فى محل نصب .

فكلمة (مذ) فى البيت جاء بعدها جملة اسمية هى (أنا يافع) فتعرب ظرفا .

٥ - رُبَّ :

ومعناها التقليل أو التكثير بحسب ما يدل عليه سياق الكلام ، ولا تجر إلا النكرات ، تقول (رُبَّ صَمْتٍ خيرٌ من كَلام) أو (رُبَّ صُدْفَةٍ خيرٌ من ألفِ ميعاد) .

هذا ، وربما دخلت (رُبَّ) على ضمير الغيبة المفرد المذكر ويأتى بعد ذلك تمييز منصوب يفسر الضمير ، كقولنا (لا تحتقِرْ أحدًا فَرُبَّهُ إنسانًا عظيمًا يتفوّق عليك ، ولا تستقلَّ عدوًّا فَرُبَّهُ قوّةً هائلةً تهزمُك) .

ومن ذلك قول الشاعر :

رُبَّـهُ فـتـيـةً دعـوتُ إلـى مـا يُورِثُ المجدَ دائِبًا ، فأجابُوا [١]

زيادة « ما » مع بعض حروف الجر :

لحروف الجر مع المجرور بعدها الخاصيتان الآتيتان :

(أ) أنها تجر الاسم بعدها بالكسرة أو ما ينوب عنها .

(ب) أن الذى يأتى بعدها هو المفرد لا الجملة .

إذا علم ذلك ، فإن (ما) الزائدة - لا الموصولة ولا المصدرية - تجىء مع بعض حروف الجر متوسطة بينها وبين مجرورها ، فلا يكون لزيادتها تأثير فى صورة الجار والمجرور ، بل تبقى الخاصيتان السابقتان لها - وتجىء مع بعض حروف الجر الأخرى ، فتتغير الصورة ، وتزول الخاصيتان السابقتان جميعًا على التفصيل الآتى :

أولا : تزاد (ما) بعد حروف الجر الثلاثة (مِنْ - عَنْ - الباء) فلا تكف هذه الحروف عن جر الاسم بعدها ، ويبقى لها اختصاصها بهذا الاسم المجرور ، ومن ذلك قول الله تعالى :

---

(١) ما يورث المجد : الأعمال المفيدة السامية - دائبا : مستمرا .

الشاهد : فى (ربه فتية) حيث دخلت (رب) على ضمير الغيبة المفرد المذكر المفسر بتمييز منصوب بعده .

• ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ [الآية ٢٥ سورة نوح] .

• ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ [الآية ٤٠ سورة المؤمنون] .

• ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ ﴾ [الآية ١٣ سورة المائدة] .

ثانيا : تزاد (ما) بعد الحرفين (رُبَّ – الكاف) فتكفهما عن جر ما بعدهما ، كما يزول اختصاصهما بالاسم المفرد ، فيدخلان على الجملة الاسمية والفعلية ، ومن شواهد ذلك :

• قول الله تعالى : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ [الآية ٢ سورة الحجر] .

• قول رؤبة رجزًا : (لا تَشْتُمِ النَّاسَ كما لاَ تُشْتَمِ) (١) .

هذا هو الأصل فى هذين الحرفين ، لكن ورد على غير الأصل معهما بعض الشواهد التى جاءت (ما) فيها زائدة بعدهما ، وبقى لهما اختصاصهما وهذا قليل فى اللغة ، ومنه قول عمرو بن براقة الهمدانى :

ونـنـصـرُ مـولانـا ونـعـلـمُ أنـه … كما النّاسِ مجرومٌ عليه وجارِمُ (٢)

حذف « رُبّ » وبقاء عملها :

الأصل فى حرف الجر أن يكون مذكورا ، ولا يصح حذفه مع بقاء عمله ، فإذا حذف ضاع تأثيره ، ولم يعد له وجود فى الكلام لا لفظا ولا تقديرا .

ويستثنى من الأصل السابق الحرف (رُبَّ) إذ يصح حذفه من الكلام مع بقاء تأثيره ، فيكون الاسم مجرورا دون حرف الجر ، ويقال عنه : إنه مجرور (برِبَّ المحذوفة) وقد وردت (ربّ) محذوفة فى اللغة بعد حروف ثلاثة هى (الواو – الفاء – بل) ومن شواهد ذلك :

---

(١) الشاهد : فى (كما لا تشتم) حيث دخلت (ما) على الكاف فكفتها عن العمل ، ودخلت على الجملة الفعلية بعدها (لا تشتم) .

(٢) المولى : فى أحد معانيه : الحليف – مجروم عليه وجارم : مجنى عليه وجان .
يقول – وهو أحد الصعاليك – إننا ننصر من نخالفه ظالما أو مظلوما ، فهو أحد الناس ، وهذا هو شأن الناس .

الشاهد : فى (كما الناس) حيث دخلت (ما) على الكاف ، فبقيت لها خواصها ، إذ جاء بعدها الاسم المجرور بها (الناس) وهذا قليل فى اللغة .

● قول امرئ القيس :

وليلٍ كموجِ البحرِ أرْخَى سُدُولَه   عَلَيَّ بأنواعِ الهُمُومِ ليَبْتَلى (١)

● قول رؤبة :

بل بلدٍ ملْءُ الفجاجِ قَتَمُهْ
لا يُشْتَرَى كِتَانُهُ وجَهْرَمُهْ (٢)

حرف الجر الأصلى والزائد والشبيه بالزائد :

يتردد على ألسنة المعربين قولهم : (حرف جر - حرف جر زائد - حرف جر شبيه بالزائد) وينبغى تحديد المقصود بهذه الثلاثة وما ينطبق عليه من حروف الجر ، وما يترتب على ذلك فى الإعراب مع أخذنا فى الاعتبار أنه إذا قيل (حرف جر) فقط ، فالمقصود بذلك (حرف الجر الأصلى) .

الأصلى : هو ما له معنى خاص فى سياق الجملة ، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه فيها ، كما أنه يرتبط فى الجملة بعامل من فعل أو شبه فعل أ . هـ .

ومعظم حروف الجر أصلية ، يترتب عليها جر الاسم لفظا وتقديرا وأمثلتها أكثر من أن تحصى .

الزائد : ما ليس له معنى خاص فى سياق الجملة بحيث يمكن الاستغناء عنه فيها ، وإنما يؤتى به لمجرد تأكيد الكلام فقط ، كما أنه لا يحتاج إلى عامل يرتبط به من فعل أو شبه فعل أ . هـ .

وهنا فكرة مهمة جدا هى أن حرف الجر الزائد يجر الاسم من حيث اللفظ فقط بالكسرة أو ما ينوب عنها ، لكن الاسم من حيث التقدير يأخذ الوظائف النحوية المختلفة ، كأنما حرف الجر غير موجود ، فتقدر لكل وظيفة الحركة المناسبة لها التى يمنع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد .

والذى أعلمه أن الذى يزاد من حروف الجر - فى بعض الأحيان لا فى كل الأحيان - حرفان هما (مِنْ - الباء) .

---

(١) **الشاهد** : فى البيت حذف (رب) وبقاء عملها فى قوله (وليل) والواو هنا تسمى (واو رب) .

(٢) الفجاج : الطرق والمسالك - القتم والقتام : الغبار - الجهرم : البساط .

يقول : إنه بلد كريه فى جوه وتجارته ، فجوه ملىء بالغبار الذى يسد طرقه وتجارته كاسدة فلا تشترى أبسطته ولا غيرها من تجاراته .

الشاهد : فى (بل بلد) حيث حذفت (رب) وبقى تأثيرها بعد (بل) وأصل الكلام (بل رب بلد) .

• أما (مِنْ) فإنها تزاد إذا جرت اسما نكرة ، وسبقها نفي أو نهي أو استفهام ، كقول الله تعالى : ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ [الآية ١٩ سورة المائدة] .

• وأما (الباء) فتزاد غالبا في المواضع الآتية :

(أ) إذا جاءت خبرًا للفعل (ليس) أو جاءت بعد النفي بالحرف (ما) كما جاء في الحديث (ليس الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ ، إنَّما الشَّديدُ من يملكُ نفسَه عند الغَضَب) .

(ب) مع فاعل الفعل (كَفَى) كقولنا (كَفَى بالصدْقِ نجاةً وكَفَى بالكَذِبِ هلاكًا) .

(جـ) في صيغة التعجب (أفعِلْ به) مثل (أكْرِمْ بالإسلامِ دينًا وأصدِقْ بالقرآنِ حديثًا) .

فلنلاحظ الآيات الآتية :

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم ﴾ } المجرور فاعل تقديرًا

﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ } المجرور مفعول به تقديرًا

﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ }المجرور مبتدأ تقديرًا (في بعض الآراء)

﴿ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ } المجرور فاعل « كفى » تقديرًا

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ } المجرور فاعل فعل التعجب

الشبيه بالزائد : ما له معنى خاص يفهم من سياق الكلام ، لكن ليس له عامل يرتبط به من فعل أو شبه فعل ، ويجر الاسم لفظا ، لكن الاسم يأخذ الوظائف النحوية الأخرى تقديرا بحسب ما يقتضيه سياق الكلام أ . هـ .

هو إذن يشبه الحرف الأصلي في أن له معنى ، ويشبه الحرف الزائد في عدم حاجته إلى عامل يرتبط به ، وفي أنه يجر الاسم لفظا لا تقديرا ، ولغلبة شبهه بالزائد سمي « حرف جر شبيه بالزائد » - والحرف الوحيد الشبيه بالزائد (رُبَّ) وإن كانت محذوفة ، كقولك : (رُبَّ فقيرٍ خيرٌ عند الله من غنيّ) .

• • •

الإضافة

١ - الإضافة لدى اللغويين والنحاة .

٢ - ما يتجرد منه المضاف حين الإضافة .

٣ - الإضافة اللفظية (غير المحضة) والإضافة المعنوية (المحضة) .

٤ - الأسماء الملازمة للإضافة وما تضاف إليه :

(أ) ما يضاف للضمائر ، وهو (وَحْد - لَبّيك وأخواتها) .

(ب) ما يضاف للجمل وهو (حيثُ - إذْ - إذَا) .

(جـ) ما يضاف لاسم ظاهر أو مضمر ، وهو (لَدُنْ - مَعَ - قُصَارَى) .

(د) ما يضاف لمثنى ظاهر أو مضمر وهو (كِلاَ - كِلْتَا) .

٥ - ما يضاف أحيانا ، وما يجب حينئذ إضافته له :

(أ) ما يضاف للجمل وهو أسماء الزمان المبهمة .

(ب) ما يضاف لاسم ظاهر أو مضمر وهو أسماء المكان المبهمة .

• • •

معنى الإضافة :

تأمل الأمثلة الآتية :

- بورسعيد - حضرموت - نيويورك - سيبويه } مركب مَزْجيّ
- جَادَ الله - جَادَ الرّبّ - فتح الله - نحمده } مركب إسنادى
- روعةُ الانتصارِ - ذلّةُ الهزيمةِ - جمالُ الحريّةِ } مركب إضافى
- الكلمات المركبة التى وردت فى اللغة العربية ثلاثة أنواع :

الأول : المركب المزجيّ : وهو ما تكوَّن من كلمتين اندمَجَتا معا حتى كوّنتا كلمة واحدة ويعرَب هذا الصنف إعراب ما لا ينصرف على الجزء الأخير منه فيرفع بالضمة وينصب ويجر بالفتحة دون تنوين ، فإذا ختم بكلمة (وَيْهِ) بنى آخره على الكسر .

الثانى : المركَب الإسْنادِىّ : وهو ما تكون من جملة كاملة سمى بها شخص أو شىء فخرجت من مجال الجملة إلى التسمية بها - وهذا الصنف قليل فى اللغة - ويعرب تفصيلا على أنه جملة كاملة ، ثم تنزل منزل المفرد ، فتشغل الوظائف النحوية بحسب سياقها فى الكلام ، وتقدر عليها علامات الإعراب التى يمنع من ظهورها حكاية الجملة للتسمية بها كما هى .

الثالث : المركب الإضافى : وهو المقصود بالدراسة فى هذا الباب لكثرة أحكامه وتنوع صوره .

فالإضافة فى اللغة : مطلق الإسناد والضم ، فنقول فى حياتنا العادية : (أضفتُ اللبنَ إلى الشّاى) بمعنى ضممته إليه وخلطته به ، ومن ذلك أيضا (الضّيف) لأنه حين ينزل بالقوم ينضاف إليهم وينضم إلى جمعهم ، ويقول امرؤ القيس يصف بيتًا استضافه وأصحابه فأسندوا ظهورهم فيه إلى مساند مخططة :

فلمّا دخلْنَاه ، أضفْنا ظُهُورَنا　　　إلى كلِّ حَارىٍّ جديدٍ مُشَطَّبِ

أما لدى النحاة : فالإضافة ضم اسم إلى آخر مع تنزيل الثانى من الأول منزلة تنوينه أو ما يقوم مقام تنوينه . وبحيث لا يتم المعنى المقصود إلا بالكلمتين المركبتين معا أ . هـ .

ومن نماذج ذلك على كثرته (قسوةُ الظُّلمِ - تَجبُّرُ الطّغاةِ - ذلّةُ الضعفاءِ - نورُ الحرّيةِ - شرفُ الكلمةِ - نبلُ الأقوياءِ - قوّة الروحِ - صفاءُ الذهنِ) .

وينبغى أن يراعى أمران يتعلقان بالمضاف والمضاف إليه :

الأول : أن الاسم الأول من المركب الإضافى يسمى « المضاف » ويكون إعرابه بحسب ما يقتضيه سياق الكلام رفعا ونصبا وجرًا - أما الاسم الثانى فيطلق عليه « المضاف إليه » وهو دائما مجرور بالإضافة .

الثانى : أن كلا من المضاف والمضاف إليه يجب أن يكونا اسمين ، فلا يكون أحدهما فعلا ولا حرفًا ، ويستثنى من ذلك ما إذا جاء المضاف إليه جملة كاملة - وذلك مع كلمات قليلة ستأتى - حينئذ تكون الجملة كلها فى محل جر لوقوعها موقع المفرد .

- ما يتجرد منه المضاف حين الإضافة :

يتجرّد المضاف حين الإضافة من الأمور الثلاثة الآتية :

الأول : التنوين : فالكلمات (سهرٌ - كدحٌ - راحةٌ - هدوءٌ) كلها منونة ، فإذا أضيفت ، حذف منها التنوين ، فنقول (سهرُ الليْلِ - كدحُ النَّهارِ - راحةُ النَّومِ - هدوءُ البالِ) - ومن الواضح أن الحكم السابق خاص بالاسم المنصرف ، أمّا الممنوع من الصرف فهو مجرد أصلا من التنوين فتقول فى (مساجد - مصابيح) حين الإضافة (مساجدُ اللهِ - مصابيحُ الهدايةِ) .

الثاني : نون المثنى وجمع المذكر : ففى الكلمتين (فترتان - متساويتان) حين الإضافة يقال (فترتا الدّراسةِ متساويتا الوقتِ) وفى الكلمتين (نابهون - متفوّقون) حين الإضافة (نابِهُو الطّلبةِ متفوّقُو الامتحانِ) .

الثالث : « ال » أداة التعريف : ففى الكلمات (الحريّة - الأمن - الهدوء - الصفاء) تصير حين الإضافة (حرّيةُ المواطن وأمنُه يحقّقان هدوءَ البالِ وَصَفَاءَ النّفسِ) . ونقول فى (البلاد - الطيّبة - العذبة) حين الإضافة (بلادُنا طيّبةُ الثرى عذبةُ المياهِ) بحذف الألف واللام فى المضاف من هذه الكلمات جميعا .

هذا ، وقد استدرك النحاة على هذا الأمر الأخير - حذف الألف واللام من المضاف - صورتين من الإضافة اللفظية يصح فيهما بقاء الألف واللام مع المضاف حين الإضافة وهما :

الأولى : أن يكون المضاف وصفا وهو مثنى أو جمع مذكر سالم . فلك أن تقول فى (الشاهدان - المقترفان) حين الإضافة (الشاهدا الزُّورِ هما المقْترفا الكبيرةِ) . ولك أن تقول فى (المرتفعون - المنحنون) حين الإضافة (من النّاس المرتَفِعُو رؤوسٍ مظهرًا وهو أذلاء . ومنهم المنْحَنُو ظُهورٍ عَمَلاً وهم شرفاء) ببقاء الألف واللام فى المضاف فى كل الكلمات السابقة ، ومن ذلك قول عنترة :

ولقد خشِيتُ بأنْ أموتَ ولم تَدُرْ ... للحربِ دائرةٌ على ابْنَيْ ضَمْضَمِ
الشاتِمَيْ عِرْضِى ولمْ أشْتُمْهما ... والناذِرَيْنِ - إذا لمْ أَلْقَهما - دمى[١]

---

(١) **الشاهد** : فى البيت الثانى (الشاتمى عرضى) فإن المضاف (الشاتمى) وصف مثنى وجاء بالألف واللام .

الثانية : أن يكون المضاف وصفا غير ذلك ، لكن فى المضاف إليه الألف واللام ، كقولك : (المضبوطُ الموعدِ - المُحْكِمُ الخطةِ - المتوقِّدُ الذكاءِ - الطيبُ القلبِ - النَّاعمُ الشعرِ) أو أن الألف واللام فى المضاف إلى المضاف إليه ، كما تقول فى الأمثلة السابقة : (المضبوط تحديدِ الموعدِ - المُحْكِمُ رَسْمِ الخُطَّةِ - المتوقدُ شعلةِ الذَّكاءِ - الطيبُ سريرةِ القلبِ - الناعمُ ملْمسِ الشعرِ) فقد بقيت الألف واللام فى المضاف فى كل تلك الأمثلة وهى الكلمات (المضبوط - المحكم - المتوقد - الطيب - الناعم) على التوالى .

الإضافة اللفظية والمعنوية :

الإضافة اللفظية : ما كان المضاف فيها اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة والمضاف إليه معمولا لتلك الصفة ، ومن نماذجها (كاتمُ السّرّ - ناصرُ الضَّعيفِ - مُوَاسِى المريضِ - مرفوعُ الرأسِ - طيبُ القلبِ - ليّنُ الجانبِ) .

قال ابن هشام : هى عبارة عما اجتمع فيها أمران ، أمر فى المضاف وهو كونه صفة ، وأمر فى المضاف إليه وهو كونه معمولا لتلك الصفة ، وذلك يقع فى ثلاثة أبواب ، اسم الفاعل كضاربُ زيدٍ ، واسم المفعول كمُعْطَى الدينارِ ، والصفة المشبهة كحَسَنُ الوجهِ أ . هـ .

هذا النوع من الإضافة لا يستفيد منه المضاف تعريفا ولا تخصيصا فالمضاف لا يتعرّف بالمضاف إليه وإن كان معرفة ، وكذلك لا يتخصّص به - بمعنى تقليل إبهامه وتقريبه من المعرفة - بل إن المضاف يبقى نكرة دائما مع هذا النوع من الإضافة .

والدليل على أن المضاف لا يتعرّف فى الإضافة اللفظية أنه يقع فى مواضع النكرة ، ولو استفاد التعريف ، ما صح وقوعه فى هذه المواضع ، ومن ذلك :

(أ) وقوعه صفة للنكرة ، تقول : (لى صديقٌ كاتمُ السرِّ طيبُ القلبِ) .

(ب) وقوعه حالا ، ومعلوم أن الحال لا تكون إلا نكرة غالبا ، تقول : (عشْ فى الحياة محمودَ السِّيرةِ نقىَّ السَّريرةِ) وتقول : (جاء صديقى صارمَ الوجهِ حَادَّ القَسَمَاتِ) .

(جـ) وقوعه مجرورًا بالحرف (رُبَّ) تقول : (رُبَّ شاقِّ الأمرِ هَانَ صَعْبُه ،

ورُبَّ ميسورِ الأمرِ صَعْبَ سَهْلُه) وما جاء فى الأثر من (رُبَّ قارِئِ القرآنِ والقرآنُ يلعَنُه) .

أمّا أن هذه الإضافة لا تفيد التخصيص ، فلأن التركيبين قبل الإضافة وبعد الإضافة متساويان فى المعنى بلا زيادة ولا نقصان ، فقولنا (الله مجيبُ الدّعاءِ) تساوى فى المعنى (الله مجيبٌ الدّعاءَ) .

خلاصة الأمر : أن هذه الإضافة اللفظية لا تفيد التعريف ولا التخصيص فما الذى تفيده إذن ؟؟

قال النحاة : إنها تفيد التخفيف بحذف التنوين من المضاف ، وكذلك نون التثنية والجمع المذكر ، فلا شك أن قولنا : (الإنسانُ المثقفُ مصقولُ العقلِ والضميرِ) أخف مما لو قلنا (مصقولٌ العقلُ والضّميرُ) - وهذا هو السبب فى أن هذه الإضافة سميت (لفظية) لأنها أفادت أمرًا لفظيًا هو التخفيف كما سبق شرحه .

يطلق على هذه الإضافة اللفظية اسم (غير محضَة) ومعنى المحضة : الخالصة ، فهذه الإضافة إذن غير خالصة للإضافة ، أو بعبارة أقرب ، إنها إضافة غير حقيقية ، إذ لا يترتب عليها ما يترتب على الإضافة الحقيقية من تعريف الاسم أو تخصيصه ، ولذلك قالوا : إنها على تقدير الانفصال بين الكلمتين ، فقولنا (الفتاةُ رائعةُ الجمالِ) يساوى تماما (الفتاةُ رائعةٌ الجمالُ) .

قال ابن هشام : وإنما سميت هذه الإضافة غير محضة ، لأنها فى نية الانفصال إذ الأصل (ضاربٌ زيدًا) فى (ضاربُ زيدٍ) وإنما سميت لفظية : لأنها أفادت أمرًا لفظيا وهو التخفيف فإن (ضاربُ زيدٍ) أخفّ من (ضاربٌ زيدًا) أ . هـ .

الإضافة المعنوية : هى ما انتفى منها الشرطان المذكوران أو أحدهما وهذا النوع هو الإضافة الحقيقية ، وهى كثيرة جدا فى اللغة العربية ، مثل (عميدُ الكليةِ - طلابُ العلمِ - روعةُ الانتصارِ - ذلّةُ الهزيمةِ) .

هذا النوع من الإضافة يستفيد منه « المضاف » التعريف أو التخصيص على النّحو التالى :

(١) إذا كان المضاف إليه معرفة كان المضاف معرفة مثل (فى محاضراتِ النحوِ سهولةُ الأسلوبِ وَثراءُ الأفكارِ) .

(٢) إذا كان المضاف إليه نكرة أفاد تخصيصه فقط دون تعريفه مثل (قولُ حقٍّ فى وجهِ ظالمٍ شجاعةُ ضميرٍ ودليلُ حريّةٍ) .

ومن هذا يفهم لماذا سميت (معنوية) لأنها تفيد أمرًا معنويا هو تعريف المضاف أو تخصيصه .

ومن هذا أيضا يفهم لماذا سميت (مَحْضَة) لأنها فى الإضافة حقيقة إنها الإضافة الخالصة التى يترتب عليها الأحكام السابقة ، ولا يمكن فيها فصل المضاف عن المضاف إليه ولو على سبيل التقدير .

هذا وقد درست كتب مسائل النحو العلاقة بين المضاف والمضاف إليه من جهة المعنى فى الإضافة المعنوية وحدها ، لأنها - كما سبق - هى الإضافة حقا التى يتلازم فيها المضاف والمضاف إليه ويتكاملان ، بخلاف اللفظية فإن الإضافة فيها على تقدير الانفصال بين المضاف والمضاف إليه .

وخلاصة ذلك : أن الإضافة المعنوية تأتى فى اللغة العربية على صور ثلاث :

الأولى : ما تأتى بمعنى (فى) وضابطها ما كان المضاف إليه ظرفا للمضاف ، وبعبارة أقرب : أن يصح إحلال المضاف فى المضاف إليه وتقدير (فى) بينهما ، كقولنا : (سهرُ الليلِ ويقظةُ النهارِ) ومن كلام العرب : (عثمانُ شهيد الدارِ ، والحسينُ شهيدُ كربلاء ، ومالِكٌ عالِـمُ المدينةِ) وقول الله تعالى : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ﴾ [الآية ٣٩ سورة يوسف] وقوله أيضا : ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [الآية ٣٣ سورة سبأ] .

الثانية : ما تأتى بمعنى (من) وضابطها - فى تحديد النحاة - ما كان المضاف إليه كلاًّ للمضاف . وبعبارة أخرى : ما كان المضاف جزءا من المضاف إليه ويصح تقدير (منْ) بينهما ، كقولنا : (بدلةُ صوفٍ وقميصُ حريرٍ وخاتمُ ذهبٍ) .

الثالثة : ما تأتى بمعنى « اللام » وهى غير النوعين السابقين ، وهى كثيرة جدا فى اللغة العربية ، مثل (صداقةُ العُمْرِ وأستاذُ المادّةِ وحريةُ الوطنِ وحضارةُ الأمةِ) .

وقد جاء فى « أوضح المسالك » عن ترتيب هذه الصور الثلاث فى الاستعمال العربى ما يلى : « تكون الإضافة على معنى (اللام) بأكثرية وعلى معنى (مِنْ) بكثرة وعلى معنى (فى) بقلّة » أ . هـ .

والحق أن « الكثرة والقلة » لا يمكن ضبطهما هنا تماما ، لأن الشواهد والأمثلة لكل من هذه الصور أكثر من أن تحصى ، والأمر كله مرجعه للذوق اللغوى الذى بمقتضاه يمكن معرفة صورة الإضافة بتقدير (من) أو (فى) أو (اللام) .

الأسماء الملازمة للإضافة وما يجب أن تضاف إليه :

الأصل فى الأسماء العربية أن تكون صالحة لاستعمالها مضافة ، وأن تكون صالحة أيضا لاستعمالها مفردة - أى بغير إضافة .

لكن هناك أسماء فى اللغة خرجت على هذا الأصل ، فلا تستعمل أبدا إلا مضافة ، وأسماء أخرى خضعت لهذا الأصل ، لكنها إذا أضيفت التزمت الإضافة إلى أمور خاصة فى اللغة فوجب التنبيه عليها هنا لهذا السبب .

والحق أن استيفاء هذه الفكرة بفرعيها يحتاج لحديث طويل - موضعه مطولات النحو - ولذلك فإن ما يذكر هنا هو أهم ما يحيط بهذه الفكرة دون أن يشملها جميعا .

وأهم الأسماء الملازمة للإضافة أبدا تتلخص فيما يلى :

أولا : ما تلزم إضافته للضمائر :

(أ) كلمة (وَحْد) وتضاف للضمائر جميعا - الغيبة والخطاب والتكلّم - فتقول : (سَهِرتُ وَحْدِى) و (أَجَبْتُكَ وَحْدَكَ) و(عَبَدْتُ الله وَحْدَه) ومن هذا قول الراجز :

لَمْ يكُ شىءٌ يا إلهى قَبْلَكا وكنتَ إذْ كنتَ إلهى وَحْدَكا [١]

(ب) ما يضاف لضمير الخطاب فقط ، وهى كلمات فى اللغة توصف بأنها « مصادر مثناة اللفظ وتفيد التكرار » وهى (لَبَّيك - سَعْدَيْك - حَنَانيك - دَوَالَيك - هَذَاذَيْك) ومعنى (لبَّيك) إجابة لك بعد إجابة ، والإجابة يتبعها الاستجابة ، ويتّجه الحجاج لله قائلين : (لبّيك اللّهمّ لبّيك) - ومعنى (سَعْدَيْك) إسعادا لك بعد

---

(١) الشاهد : فى « وحدكا » حيث أضيفت كلمة « وحد » إلى ضمير المخاطب وهذه الكلمة تعرب دائما حالا ، وتؤول بالنكرة .

إسعاد ، فلك السعادة الدائمة ، ومن ذلك ما جاء فى الأثر عمن يحج من مال حرام أنه إذا قال : (لبيّك) أجابه من السماء من يقول : (لا لبيّك ولا سَعْدَيْك وحَجُّك مردودٌ عليك) – ومعنى (حنانيْك) حنانا منك بعد حنان ، فهو حنان غامر للمتعب الحزين ، ومن ذلك قول أحد الشعراء المعاصرين يتألم من تربية الصِّغار :

حنانَيْكَ إنّى قد بَرِمْتُ بفتيةٍ أرُوحُ وأغْدُو كلَّ يومٍ إليهمُ
صغارٌ نربّيهم بمثلِ عقولهم ونبنيهمُ ، لكنّنا نتهدّمُ (١)

ومعنى (دَوَالَيْكَ) حدوثا للأمر مرة بعد أخرى ، ومن ذلك العبارة الشائعة (وهكذا دَوَالَيْك) ومعنى (هَذَاذَيْك) إسراعا بعد إسراع فهى سرعة لا تتوقف ، ومن ذلك قول الراجز :

ضَرْبًا هَذَاذَيْك وطعنًا وَخْضَا
يُمْضِى إلى عَاصِى العُروقِ النَّحْضَا (٢)

وهذه المصادر تعرب على أنها مفعول مطلق لفعل محذوف من لفظها أو من معناها ، وجاء فى « أوضح المسالك » وعامل (لبيك – هذاذيك) من معناهما ، والبواقى من لفظها .

ثانيا : ما تجب إضافته إلى الجمل :

(١) كلمة (حيث) وهى اسم مكان مبهم مبنى على الضم ، وتضاف لكل من الجملتين الاسمية والفعلية كما جاء فى الأثر (اجلسْ حيثُ انتهى بك المجلس) .

ومن النصائح المفيدة (اذهبْ إلى الريف حيثُ الحياةُ طلْقَةٌ صافيةٌ مبهجةٌ) .

---

(١) أروح وأغدو : أذهب وأعود .

وموضع التمثيل فى البيتين فى قوله « حنانيك » فهى مصدر مثنى مفعول مطلق منصوب بالياء ، وقد أضيف إلى ضمير المخاطب .

(٢) ضربا هذاذيك : ضربا متتابعا سريعا – طعنا وخضا : طعنا نافذا إلى الحشا – عاصى العروق : ما يسيل دائما حين يجرح ولا يتوقف كالشريان – النحض : اللحم .

يقول : إنه ضرب سريع وطعن نافذ يقطع الشرايين ويخلط اللحم بالدم .

الشاهد : فى (هذاذيك) فهو من المصادر المثناة المضافة إلى ضمير المخاطب وهو مفعول مطلق لفعل محذوف من معناه تقديره (أسرع) .

هذا هو الأصل ، لكن وردتِ بعض الشواهد فى اللغة على غير هذا الأصل ، إذ أضيفت فيها (حيث) إلى المفرد لا إلى الجملة ، وهذه الشواهد تحمل على أنها لغة الشعر الخاصة ، ومن ذلك :

• قول الراجز :

أمَا تَرَى حيثُ سهَيْلٍ طالعًا نجمًا يضىءُ كالشِّهابِ لامِعًا (١)

• قول الآخر :

ونطْعَنُهم حيث الكُلَى بعدَ ضربِهمْ ببيض المَوَاضى حيث لَىّ العَمَائِم (٢)

(ب) كلمة (إذْ) وهى اسم زمان للماضى مبنى على السكون ، وتضاف أيضا لكل من الجملتين الاسمية والفعلية ، كقولك : (فرحتُ إذْ نجحت وإذْ أصدقائى ناجحون أيضا) .

وهنا ينبغى التنبه إلى فكرة مفيدة هى : أن كلمة (إذْ) ساكنة غير منونة فإذا نونت استغنى عن الجملة التى تضاف إليها بالتنوين الذى يطلق عليه « تنوين العِوَض » كقول الله تعالى : ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ [الآية ٨٤ سورة الواقعة] وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الآية ٤ سورة الزلزلة] .

(جـ) كلمة (إذا) وهى - كما سبق فى أدوات الشرط - أداة شرط لما يستقبل من الزمان ، وتضاف لجملة الشرط بعدها ، ولا بد أن تكون جملة فعلية ولا يصح أن تكون جملة اسمية ، كقولك (إذا تواضعتُ فعنْ قدرة ، وإذا سكتُّ عن الكلام فلحكْمة) وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾ [الآية ٨٦ سورة النساء] .

---

(١) سهيل : نجم معين - الشهاب : الشعلة .

الشاهد : فى « حيث سهيل » حيث أضيفت « حيث » إلى كلمة « سهيل » لا إلى جملة ، وهذه لغة الشعر الخاصة ، إذ المفروض أن تضاف إلى جملة .

(٢) الكلى : جمع كلية وهى معروفة ، والمقصود بالطعن حيث الكلى : الطعن فى الصدور والحشا - ببيض المواضى : بالسيوف القاطعة - حيث لى العمائم : حيث لف العمائم ، ومكانه الرأس .

يقول : إن طعننا بالرماح وضربنا بالسيوف كلاهما قاتل ، فنحن نطعن فى الصدور ونضرب على الرؤوس .

الشاهد : « حيث الكلى » فى الشطر الأول ، وأيضا « حيث لى العمائم » فى الشطر الثانى وقد أضيفت « حيث » فيهما إلى كلمة لا إلى جملة وهذه لغة الشعر الخاصة .

ثالثًا : ما تجب إضافته لاسم ظاهر أو مضمر :

وهى ألفاظ أربعة ينبغى التعرف على معانيها وأمثلتها :

(أ) كلمة (لَدُنْ) جاء فى ابن عقيل : هى لابتداء غاية زمان أو مكان ، وهى مبنية عند أكثر العرب أ . هـ .

والأكثر فى استعمالها أن تكون مجرورة بالحرف (مِنْ) كما جاء فى قوله : ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الآية ٦٥ سورة الكهف] وهى فى الآية مضافة إلى الضمير ، ومن إضافتها للاسم الظاهر قول الرّاجز يصف (الملاريا) :

تنتهضُ الرِّعْدةُ فى ظُهيْرى   منْ لَدُنْ الظُّهرِ إلى العصيْرِ (١)

(ب) كلمة (لَدَى) وهى مثل (لَدُنْ) فى المعنى والإضافة ، تقول : (أودعتُ أسرارى لَدَى صديقى ، فحفِظها وصانها ، وأفرغتُ لَدَيْه شكوايَ فخفّفها وواساها) .

(جـ) كلمة (مَعَ) قال ابن هشام : هو اسم لمكان الاجتماع معرب أ . هـ .

فهى إذن تدل على مكان الالتقاء والاجتماع والصحبة ، ومن العبارات الشائعة بيننا (إن الله مع الصابرين) وأيضا (اذهبُوا ومعكم السّلامة) .

وهنا ملاحظة مفيدة هى : أن كلمة (مع) إذا كانت بمعنى (جميعا) فإنها لا تضاف بل تنون وتنصب على الحال ، تماما مثل كلمة (جميعا) تقول : (أجادَ أفرادُ فريقِ الكرةِ معًا) ومن ذلك قول « متمم بن نويرة » يرثى أخاه « مالكا » :

فلمّا تفرّقنا كأنّى ومالكًا   لطولِ افتراقي لم نبتْ ليلةً مَعًا (٢)

(جـ) كلمة (قُصَارَى) جاء فى القاموس : قُصَارَاك أى جهدكَ وغايتك أ.هـ .

---

(١) يقول : إن رعشة الحمى تتحرك فى ظهرى من الظهر إلى العصر .

الشاهد : فى (من لدن الظهر) حيث جرت « لدن » بالحرف « من » وهذا هو الغالب فيها ، وقد أضيفت إلى الاسم الظاهر بعدها .

(٢) يقول : حين مات أخى « مالك » وطال على موته الزمان ، انتهى وانقضى كأنه ما عاش .

الشاهد : فى « معا » فهى بمعنى « جميعا » فتنصب على الحال ولا تضاف ، ويلاحظ أن مضارع « بات » فى قوله « لم نبت » ليس ناسخا بل هو تام فيحتاج لفاعل هو الضمير المستتر .

تقول : (قصاراك أن تحيا سعيدًا) وأكثر ما تستخدم فى نهاية كلام سابق ، فتقول : (قُصَارَى القَوْلِ) ثم تأتى بملخص مفيد لما سبق مع الكلام .

رابعا : ما يجب إضافته لمثنى ظاهر أو مضمر :

وذلك كلمتان (كِلاَ - كِلْتَا) إذ يضافان لمثنى حقيقة ، وهو الاسم الظاهر المثنى ، مثل قوله تعالى : ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ [الآية ٣٣ سورة الكهف] أو مثنى فى المعنى لا فى الحقيقة وهو الضمير الدال على التثنية ، مثل (كلاهما - كلتاهما) أو الضمير الذى يشمل المثنى وغيره ، مثل (كلانا) ، ومن ذلك قول عبد الله الزبعرى :

إنَّ للخيرِ وللشرِّ مدًى وكلا ذلك وَجْهٌ وقَبَلْ [(١)]

الأسماء التى تضاف أحيانا وما تضاف إليه :

الصنف الثانى المشابه للصنف السابق الملازم للإضافة ، وهى بعض أسماء لا تلزم الإضافة دائما ، لكنها إذا أضيفت التزم فى المضاف إليه معها صفات خاصة ، ومن البين أن الفرق بين الاثنين أن الصنف الأول يلازم الإضافة بخلاف ما سنذكره هنا ، فإنه لا يلزم ، ومن البيت أيضا أنهما يتشابهان فى حالة الإضافة فى اشتراط صفات خاصة فى « المضاف إليه » معهما - وإليك كلمات الصنف الثانى وشرح ما تضاف إليه .

أولا : بعض أسماء الزمان المبهمة مثل (حين - وقت - زمان - يوم إلخ) وهذه حين تضاف يجب إضافتها إلى الجمل اسمية أو فعلية بشرط واحد هو « أن تبقى على إبهامها » فتعامل حينئذ معاملة الكلمتين (إذ - إذا) معنى واستعمالا ، تقول : (ذهبتُ إلى المصيف زمنَ الجوُّ حارٌّ) أو (ذهبتُ إلى المشْتَى حينَ جاءَ الشِّتَاءُ) أو (يوم يتهيأ العربُ للوحدَةِ سيتحدون) .

قال علماء النحو - رحمهم الله : وأسماء الزمان المبهمة حين تضاف للجملة فعلية أو اسمية يصح إعرابها فتتغير على حسب ما تشغله من الوظائف النحوية ،

---

(١) مدى : غاية - وجه : طريق وناحية - قبل : بفتح الباء : الحجة .

الشاهد : فى « وكلا ذلك » حيث أضيفت « كلا » إلى « ذلك » وهو مثنى فى المعنى ، لأنه إشارة إلى اثنين مرا فى الشطر الأول هما « الخير - الشر » .

ويصح أيضا أن تبنى على الفتح فلا يتغير شكلها فى التركيب الذى وردت فيه كقولنا : (ليتنا امتلكنا حريّتنا من وِقت قامتْ الثورةُ العرابيّةُ فى القرن الماضى) فيصح أن تشكل كلمة (وقت) بالكسر إعرابا ، ويصح أن تشكل بالفتح بناء .

هذا هو الأصل فى إعراب أسماء الزمان المبهمة حين الإضافة ، والتفصيل فى الترجيح بين الإعراب والبناء أيهما هو الأحسن على الوجه التالى :

(أ) يترجح بناء الاسم المبهم على الفتح إذا كانت الجملة التى « أضيفت إليه » جملة فعلية فعلها ماض - وهو مبنى كما نعرف - أو فعلية فعلها مضارع مبنى أيضا - حينئذ يكون بناء المبهم أحسن حيث يتوافق مع ما أضيف إليه ومن ذلك :

● قول النابغة :

عَلَى حين عاتَبْتُ المشيبَ على الصِّبا
فقلتُ أَلَمَّا تصحُ والشيبُ وازعُ [(١)]

● قول الآخر :

لأجْتَذِبَنْ منهنَّ قلبى تَحَلُّمًا   على حين يستصبِينَ كلَّ حَليمِ [(٢)]

فقد رويت كلمة (حين) فى كلا البيتين بالفتح على البناء - وهو أحسن - وبالكسر على الإعراب وهو مرجوح .

(ب) ترجح إعراب الاسم المبهم على بنائه على الفتح ، وذلك إذا أضيف إلى

---

(١) الصبا : « بكسر الصاد » الميل إلى الشهوات والرغبات - وازع : ناه وزاجر ومانع .

الشاهد : فى (على حين عاتبت المشيب) فإن كلمة (حين) اسم زمان مبهم وبعده جملة فعلية فعلها ماض هى (عاتبت المشيب) وقد أضيفت إليه ، وقد رويت كلمة (حين) بالفتح على البناء - وهو الأحسن - كما رويت بالكسر مجرورة معربة .

(٢) لأجتذبن : لأنزعن بعنف - تحلما : تكلفا للحلم وإظهارًا له - يستصبين : يستملن .

يقول : سأحاول الانصراف عن النساء الفاتنات مظهرا الحلم والهدوء وإن كنّ أقوى من كل حلم وهدوء .

الشاهد : فى (على حين يستصبين) فإن كلمة (حين) من أسماء الزمان المبهمة ، وأضيف إليها جملة (يستصبين) وهى جملة فعلية فعلها مضارع مبنى - وقد رويت كلمة (حين) بالفتح على البناء - وهو الأفصح - وبالكسر مجرورة معربة .

جملة فعلية فعلها مضارع معرب - مضارع غير متصل بالنونين - أو أضيف إلى جملة اسمية - حينئذ يكون الإعراب أحسن ليتوافق مع ما أضيف إليه .

● قال الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [الآية ١١٩ سورة المائدة] . قرئت الآية بضم كلمة (يوم) على الإعراب - وهو أحسن - وبفتحها على البناء وهو مرجوح .

● يقول الشاعر :

تذكَّرَ ما تذكَّرَ من سُلَيْمى على حينِ التّواصلُ غيرُ دَانى (١)

روى البيت بالوجهين فى كلمة (حين) بالكسر على الإعراب - وهو أحسن - وبالفتح على البناء وهو مرجوح .

وخلاصة الأمر فى اسم الزمان المبهم حين الإضافة ما يلى :

أنه يضاف للجملة ، والأفصح أن يتوافق بناء وإعرابا مع الجملة التى أضيفت إليه ، فيبنى على الفتح إذا كانت الجملة فعلية فعلها ماض أو مضارع مبنى - ويعرب إذا كانت الجملة فعلية فعلها مضارع معرب أو كانت الجملة اسمية .

ثانيا : بعض أسماء المكان المبهمة مثل (قبل - بعد - أوّل - دون - أسماء الجهات الست - عَلُ - غير فى قولنا : ليس غير) وهذه الأسماء حين تضاف يجب إضافتها للمفرد سواء أكان ظاهرًا أو مضمرًا أ . هـ . يقال فى المثل : (الرّفيق قبلَ الطريق) ويقال أيضا : (رُبَّ صداقةٍ بعد عداوة) وأيضا (أوّلُ الغَيْثِ قَطْرٌ ثم ينْهَمِرُ) .

هذا ، والكلمات السابقة تأتى فى اللغة على الصور الثلاث التالية :

الأولى : أن تكون منونة ، وهى حينئذ نكرة ومعربة ، كقولنا : (اللهُ موجودٌ من قبْلٍ ومن بَعْدٍ) فهو (قَبْلٌ) بلا بداية وهو (بعْدٌ) بلا نهاية ، ومن ذلك قول يزيد ابن الصّعق :

---

(١) غير دانى : غير قريب بل بعيد .

الشاهد : فى (على حين التواصل غير دانى) فإن كلمة (حين) من أسماء الزمان المبهمة وقد أضيفت إليها جملة اسمية هى (التواصل غير دانى) وقد رويت كلمة (حين) بالكسرة إعرابا - وهو الأحسن - كما رويت بالفتح بناء .

فَسَاغَ لِى الشرابُ ، وكنتُ قَبْلاً   أكادُ أغَصُّ بالماء الحميم [١]

الثانية : أن تكون هذه الكلمات مضافة ، فتعرب أيضا بحسب ما تشغله من الوظائف النحوية ، كقولك : (أخذتُ مكانى فى المدّرج قبلَ دخولِ الأستاذ) أو (قمتُ نشيطا بعدَ نومٍ هَنِىء) .

الثالثة : أن تكون غير منونة وغير مضافة ، وهى حينئذ معرفة ، إذ تدل - بهذه الصورة - على « قبل شىء معين » أو « بعد شىء معين » أو « أوّل شىء معروف » وهكذا - ولعلماء النحو فى شكل آخرها اتجاهان :

(أ) ضم آخرها دائما ؛ وهى مبنية تلزم هذا الضم ولا تتغير ، كقولك : (كُنتُ على وشْك دخولِ الكلية ، ولكنْ رجعتُ من قبلُ) أو (حين تأتى الساعةُ الثامنةُ الليلةَ سأحضرُ إليك بعدُ) - ومن ذلك قول معن بن أوس :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِى وإنى لأوْجَلُ   على أيّنا تَعْدُو المنيّةُ أوّلُ [٢]

(ب) أن تشكل بحسب ما تشغله من وظائف النحو ، فتتغير ، وهى حينئذ معربة ، كقولنا : (إنْ شاء الله ستُحرّرُ قواتُنا سيناء ، فتأتيها من شمالٍ وجنوبٍ وأمامٍ وخلفٍ) ومن ذلك :

قول الشاعر :

ومن قبلٍ نادى كلُّ مَوْلًى قرَابةً   فما عطفتْ مَوْلًى عليه العواطفُ [٣]

وخلاصة الأمر فى أسماء المكان المبهمة ما يلى :

---

(١) ساغ : حل وعذب - الشراب : مطلق ما يشرب ، والمقصود هنا الخمر وكانوا يحرمونها إذا كان لهم ثأر - أغص : أصله وقوف الماء فى الحلق ، والمراد هنا التعبير عن حزنه وكربه فيفقد شهيته ؛ فلا يجد لشىء مذاقا ولا عذوبة حتى الماء .

الشاهد : فى (كنت قبلا) حيث استعمل اسم المكان المبهم بالتنوين فهو نكرة معربة .

(٢) لأوجل : لأخاف - تعدو المنية : يهجم الموت .

الشاهد : فى (أول) فقد جاءت غير منونة وغير مضافة وهى اسم مكان مبهم بنى على الضم .

(٣) كل مولى : كل قريب - فما عطفت مولى عليه العواطف : ما أجابه ولا نصره قريب .

يقول : حين نزلت الشدة ، نادى كل قريب أقرباءه ، فما سمعوه ولا أجابوه لاشتغال كل منهم بنفسه .

الشاهد : فى (من قبل) فقد استعملت غير منونة وغير مضافة ، وهى اسم مكان مبهم ، أعربت وهى مجرورة بالكسرة .

تستعمل هذه الكلمات منونة فتعرب ، وتستعمل مضافة - لاسم ظاهر أو مضمر - فتعرب أيضًا ، وتستعمل غير منونة وغير مضافة فيصح فيها الإعراب والبناء .

وبناء على ذلك يمكن توجيه الآتى :

• قرئ قوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الآية ٤ من سورة الروم] بكسر الكلمتين مع التنوين - وبالكسر دون تنوين - وبالضم دون تنوين .

• حكى أبو على الفارسى : (ابدأ بذا من أوّل) بضم اللام وفتحها وكسرها فى (أوّل) .

• ما روى من قولهم : (قبضتُ عشرة ليس غيرُ) بضم (غير) دون تنوين على أنها اسم (ليس) أو خبرها .

• • •

أساليب التعجب السماعية والقياسية

١ - المقصود بالتعجب لدى اللغويين والنحاة .

٢ - أساليب التعجب السماعية (المقصود بها - نماذج منها) .

٣ - ما يدل على التعجب يأتي على صيغتين هما :

(أ) ما أفْعَلَه .

(ب) أفْعِلْ به .

٤ - الصلة بين فعل التعجب والمتعجب منه ، ومتى يصح الفصل بينهما .

• • •

التعجب لدى اللغويين والنحاة :

نسمع الناس فى حياتنا العادية يرددون فى مواقف خاصة قولهم : (إذا عرف السبب بطل العجب) ومفهوم هذه العبارة بالطبع أن العجب دهشة تثير فضول الناس لأمر غريب عليهم إذا كان السبب فى هذه الغرابة غير معلوم ولا مفهوم - فموقف التعجب لدى الرجل العادى يتحقق إذا توفرت ظروف هى : غرابة فى أمر من الأمور مع جهل السبب بهذه الغرابة ، حينئذ تتحقق الدهشة التى قد يصحبها التعبير عنها بالصفير أو المصمصة أو الكلام .

ولعلنا بذلك نفهم ما يقوله اللغويون عن « التعجب » إذ يعرفونه بقولهم : انفعالٌ يحدث فى النفس عند الشعور بأمر خفى سببه أ . هـ . فهذا الانفعال النفسى - حتى بدون ألفاظ - يطلق عليه أنه « تعجب » لدى اللغويين .

أما النحاة فعرفوا التعجب بقولهم : استعظام زيادة فى وصف المتعجب منه تفرد بها عن أمثاله أو قلَّ نظيره فيها وقد خفى سببها ، مع التعبير عن ذلك بكلام يدل على الدهشة والاستغراب أ . هـ .

فالنحاة فى ذلك يتفقون مع استعمال التعجب فى حياتنا العادية ومع ما رآه اللغويون عنه من حيث وجود الأمر الغريب الذى خفيت أسباب غرابته - لكنهم يتفردون بتخصيص التعجب بنطق كلامى يدل على الدهشة والاستغراب

ويقصدون بذلك صيغ التعجب التى ستأتى تفصيلا ، فالتعجب لا يتحقق لدى النحويين إلا بهذا النطق ، كقولنا : (ما أَرْوَعَ العِلْمَ فى عصرنا) .

أساليب التعجب السماعية :

يقصد بها تلك الأساليب التى هى أصلا لغير التعجب ، ثم تدل عليه بالاستعمال المجازى ، فالألفاظ المنطوقة لهذه الأساليب لا علاقة لها بالتعجب فهى مستعملة فى اللغة لغيره ، ومعانى هذه الألفاظ فى الأصل لا يفهم منها التعجب ، لكنها دلت عليه دلالة عارضة عن طريق المجاز وظروف النطق .

من تلك الأسباب التى وردت عن العرب ما يلى :

● قول الله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الآية ٢٨ من سورة البقرة] فكلمة (كيف) أصلا بلفظها ومعناها للاستفهام ، ولكنها دلت على التعجب دلال عارضة على سبيل المجاز ، ومثل ذلك كل استفهام دلَّ على التعجب .

● قول الرسول ﷺ : « سبحانَ الله !! إنَّ المؤمنَ لا يَنْجَسُ حيًّا ولا ميّتًا » .

فسبحان الله : بلفظها ومعناها للدعاء والعبادة ، ثم استخدمت فى التعجب على غير الأصل .

● قول عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما : (لله درُّ ابن حَنْتَمة أىّ رجل كان !!) .

جاء فى القاموس : لله درّه : أى عمله ، ونسبة العمل لله لا تدل أصلا على التعجب ، ولكنها دلت عليه - فى هذا الموقف - عن طريق المجاز .

● ما ورد من قول العرب : (لله أنتَ من رجل !!) فنسبة المخاطب لله لا تدل على التعجب ، لكن لورود هذا الأسلوب غالبا فى مواقف الإعجاب والدهشة أفاد معنى التعجب .

صيغ التعجب القياسية :

يقصد بها تلك الصيغ التى تدل بلفظها ومعناها على التعجب ، فهى بلفظها معدَّة لذلك صرفيا ، وهى بمعناها تدل على التعجب ، وهكذا استعملتها اللغة .

والصيغ القياسية اثنتان هما :

(أ) ما أفْعَلَه : مثل (ما أعْظَمَ شَعبَنَا وما أرْوَعهُ عند الخطوب وما أوْفَاهُ للمخلصين من أبنائه) .

(ب) أفعِلْ بِهِ : مثل (أكْرِمْ برِجال شعبنا وأهْوِنْ بالخطوبِ مع عَزَماتهم) .

وإليك تفصيل الحديث عن هاتين الصيغتين :

ما أفعَلَه :

تتكون هذه الصيغة من أمور ثلاثة هى ما + فعل التعجب + المتعجب منه ، وفى كل واحد من الثلاثة حديث طويل يمكن تقريبه بما يلى :

(أ) ما : نكرة بمعنى (شىء عظيم) فهى إذن فى قوة الموصوفة ، ولذلك صح الابتداء بها ، فهى إذن مبتدأ - وهذا الرأى السابق أشهر الآراء فيها .

(ب) فعل التعجب : وهو فعل ماض جامد لا يتصرف مثل (ليس - عسى) إذ تدخل عليه نون الوقاية فتقول : (ما أحْوَجَنى إلى الإخلاص ، وما أفْقَرَنى إلى عفو الله) وفيه ضمير مستتر يعود على : (ما) أداة التعجب ، والجملة كلها خبر (ما) - وهذا الرأى السابق أشهر ما قيل عن الفعل ، بصرف النظر عمن قالوا باسميّته .

(جـ) المتعجب منه : وهو الاسم المنصوب الذى يأتى بعد فعل التعجب وهو منصوب على أنه مفعول به مكمل للجملة الفعلية الواقعة خبرا - وهذا أيضا أشهر الآراء فيه .

نقول : (ما أسْهَلَ النَّحْوَ حين يُشرح وما أصْعَبَه مع غُموضِ معناه) ونقول أيضا : (ما أجْملَ الحلْمَ مع المهذّب الكريم وما أقْبحَ الضعْفَ مع السّفيه اللئيم) .

أفْعِلْ به :

تتكون أيضا من أمور ثلاثة هى فعل التعجب + الباء + المتعجَّب منه .

(أ) فعل التعجب : يصفه المعربون بقولهم : (فعل ماض جاء على صورة الأمر) وهى عبارة غريبة !! فكأنما هذا الفعل فى التقدير ماض ، وفى الصورة فعل أمر ، ويترتب على ذلك أمران :

أولهما : أن يعرب هو نفسه على أنه فعل أمر .

ثانيهما : أن يعرب ما بعده على تقدير أنه فعل ماض .

(ب) الباء : حرف جر زائد ، فالاسم الذى بعدها مجرور بها لفظا ، لكنه فاعل تقديرا .

(جـ) المتعجَّب منه : يجر بالباء لفظا ، لكنه فاعل فى التقدير لفعل التعجب باعتباره فعلا ماضيا فى التقدير أيضا .

هكذا حُلِّلتْ هذه الصيغة هذا التحليل الغريب ، ومع ذلك فإنه هو الاتجاه المشهور بين النحاة والمعربين فى تحليلها ، بصرف النظر عن اتجاهات أخرى لا داعى لذكرها - فلنتأمل الآتى :

جملة التعجب	أصلها تقديرا
أَصْدِقْ بكلامِ الرسول فى شئون الحياة	} أَصْدَقَ كلامُ الرسولِ فى شئون الحياة
أعذِبْ بالقرآنِ أدبًا وتهذيبًا	} أَعْذَبَ القرآنُ أدبًا وتهذيبًا
أعظِمْ بالعلمِ فى العصر الحديث نفعًا	} أَعْظَمَ العلْم فى العصر الحديث نفعًا

ويقال : إن الهمزة فى الأفعال الماضية (أَصْدَقَ - أَعْذَبَ - أَعْظَمَ) للصّيْرورة ، فمعنى (أَصْدَقَ كلامُ الرسول) أنه (صار ذا صدق عظيم) ثم حُوّل للأمر ، وزيدت معه « الباء » ، وكذا الباقى أ . هـ .

الصلة بين أجزاء صيغتى التعجب :

الأصل فى صيغتى التعجب مجيئهما على الترتيب الذى سبق شرحه ، فلا يتقدم عليهما معمولهما ، كما لا يصح أن يفصل شىء بين مكونات جملة التعجب بترتيبها السابق ، وبعبارة أقرب : لا يفصل شىء بين « ما » وفعل التعجب ولا بين فعل التعجب والمتعجب منه .

هذا هو الأصل ، لكن استدركت عليه أمور ثلاثة هى :

(أ) جواز الفصل بين « ما » و « فعل التعجب » بكان الزائدة تقول : (ما كانَ أصْبرَ الرسولَ على أذَى المشركين ، وما كانَ أثْبتَ المسلمين على عقيدتهم مع هذا الأذى) وتقول : (ما كان أتْعَسَ شَعبَنا غداةَ الهزيمة ، وما كان أقْواهُ إذ تماسك من جديد) .

(ب) جواز الفصل بين فعل التعجب والمتعجب منه بالجار والمجرور – ومن ذلك :

• قول العرب : ما أحسنَ بالرّجُل أنْ يصْدُقَ وما أقبحَ بِهِ أنْ يكْذبَ .

• قول عمرو بن مَعْدِيكربَ عن بني سُلَيم : لله دَرُّ بني سُلَيْم ما أحسن في الهيْجاءِ لقاءَها وأكرمَ في اللّزَباتِ عطاءَها وأثبتَ في المكرماتِ بقاءَها .

• قول الشاعر :

خليليَّ ما أحْرَى بذى اللُّبّ أنْ يُرى صبُورًا ولكنْ لا سبيل إلى الصَّبر [١]

(جـ) جواز الفصل بين فعل التعجب والمتعجب منه بالظرف ، تقول : (ما أثبتَ لحظَةَ الهوْل المؤمنَ وما أجبنَ ساعة اللقاء المنافقَ) – ومن ذلك قول معْن بن أوس :

أقيمُ بدار الحزْم ما دام حزمُها وأحْرِ إذا حالتْ بأنْ أتحوّلا [٢]

ملاحظة مهمة : صياغة « التعجب » من الأفعال مبحث صرفيّ ، ومع ذلك سيأتي في « اسم التفضيل » إذ يتفقان في شروط تلك الصياغة (انظر ص ٥٤١) مع ملاحظة اختلاف التعجب عن التفضيل .

* * *

(١) ما أحرى : ما أجدر وما أحق – بذى اللب : بذى العقل .

يقول : من اللائق بذى العقل أن يتصف بالصبر ، فهذا مطلوب حقا لكن لا سبيل إليه .

الشاهد : في (ما أحرى بذى اللب أن يرى صبورا) حيث فصل بين فعل التعجب (أحرى) والمتعجب منه وهو المصدر المؤول من (أن يرى صبورا) الجار والمجرور (بذى اللب) – وهذا جائز نحويا .

(٢) بدار الحزم : « الحزم » الحكمة ، ودار الحزم : المكان الطيب الصالح – وأحر : أجدر – إذا حالت : إذا تغيرت وصارت الإقامة فيها عناء – بأن أتحولا : أن أتركها وأرحل عنها .

يقول : إننى أقيم بالمكان الصالح الطيب ، فإذا تغير وضاق به الرزق ، فالجدير بالمرء أن يتركه ويرحل عنه .

الشاهد : في (أحر – إذا حالت – بأن أتحولا) حيث جاء فعل التعجب (أحر) والمتعجب منه (بأن أتحولا) ، وفصل بينهما الظرف (إذا) .

التوابع الخمسة

تمهيد :

تكاد كتب النحو الكبرى تتفق فى تعريف « التابع » على عبارة واحدة هى : « التابع هو الاســـم المشارك لما قبله فى إعرابه الحاصِل والمتجدِّد وليس خبرا » أ .هـ .

والإعراب « الحاصل » يقصد به الإعراب الموجود فعلا فى الجملة - أىّ جملة - وفيها يشارك التابع متبوعه رفعا أو نصبا أو جرا ، وربما أيضا تبعه فى الجزم إذا كان المتبوع فعلا - وهو قليل .

نقول : (المجتمعُ المتحضرُ يراعِى الضميرَ الوازعَ قبل القانونِ الرّادعِ) فمن الملاحظ أن الكلمات (المتحضر - الوازع - الرادع) تتبع ما قبلها فى الإعراب ، الأولى تبعته رفعا ، والثانية تبعته نصبا ، والثالثة تبعته جرًا .

ويقصد « بالمتجدِّد » ما إذا تغيرت الجملة ، فتغيرت وظائف الكلمات المتبوعة فيها ، حينئذ تتغير أيضا وظائف الكلمات التابعة لها ، فإذا غيرنا الجملة السابقة فقلنا : (إنّ المجتمعَ المتحضرَ يُراعَى فيه الضميرُ الوازعُ سابقًا القانونَ الرّادعَ) فإنه يلاحظ تغير التوابع فى إعرابها بعد أن تجدد إعراب المتبوعات فى الجملة الجديدة .

ويبقى هذا القيد الأخير « ليس خبرا » ويقصد به صورة واحدة من صور الخبر هى (الأخبار المتعددة) فنحن نقول مثلا (عصرُنا علْمٌ عملٌ قوّةٌ) فالأخبار المتتالية متفقة فى الإعراب ، فلو غيرنا الجملة اتفقت فى الإعراب أيضًا ، فنقول (أصبح عصرُنا علْمًا عملاً قوةً) كلها أيضا منصوبة ، ومع ذلك لا يعتبر الثانى أو الثالث منها من التوابع مع أنه يتبع ما قبله فى إعرابه الحاصل والمتجدّد ، لأنه خبر ، ومشروط فى التابع ألا يكون خبرًا .

هذا ، ومما يعرض له النحاة فى حديث التوابع البحث عن العامل فيها كما هو الشأن فى بحثهم عن عوامل كل الوظائف النحوية ، ويختلفون فى ذلك اختلافًا كثيرًا ، وهو موضوع غير مفيد نحويا ، لكنه صورة ذهنية لمشاكل العامل

وفلسفته فى النحو ، فليكن العامل فى المتبوع هو العامل التابع ، أو فليكن العامل فى التابع معنويا ، أو فليكن العامل محذوفا مماثلا للمذكور للمتبوع ، فكل ذلك لا يفيد شيئا ، والمفيد حقا أن يذكر أن التابع يماثل ما تبعه فى إعرابه ، وهذا يكفى .

والتوابع خمسة هى :

١ -- النعت = الصفة : كقولنا : مصاحبةُ الأشرارِ المنحرفين تُورثُ سوء الظن بالأبرارِ المستقيمين .

٢ - التوكيد : كقول الله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الآية ٧٣ من سورة ص] .

٣ - عطف البيان : كقولنا : من مفاخر الإسلام عهدُ الصديقِ أبى بكر والفاروقِ عمرَ .

٤ - عطف النسق : كقولنا : التوابع هى النعتُ والتوكيدُ والبيانُ والنسقُ والبدلُ .

٥ - البدل : كقولنا : يحترم المجتمع المرأةَ تعليمَها وأخلاقَها .

• • •

النعت = الصفة

١ – معنى النعت لدى اللغويين والنحاة ، وما يفيده للمنعوت من معانٍ نحوية وبلاغية .

٢ – المقصود بالمصطلحين النحويين (النعت الحقيقى – النعت السببى) وكيفية مطابقتهما للمنعوت .

٣ – ما يُنْعَتُ به هو (المشتق – ما يشبه المشتق – المصدر – الجملة – شبه الجملة) .

٤ – قطع النعت عن المنعوت (معناه – الأسلوب الذى يرد فيه) .

٥ – حذف كل من النعت أو المنعوت .

* * *

معنى النعت :

اختار النحاة كلمة « النعت » دون « الصفة » وإن كان كلاهما بمعنى واحد فى اللغة – فقد جاء فى أساس البلاغة : هو منعوت بالكرم وبخصال الخير ، ومن كلام العرب : هو حُرُّ المنابِت حسَنُ المناعت ، أى : طيّب الأصل حسن الصفات .

فالغالب على تعبير النحاة أن يقولوا (النعت والمنعوت) وتساوى تماما (الصفة والموصوف) لكنّ المعربين – وبخاصة المبتدئين – على العكس من ذلك ، إذ الغالب عليهم أن يستعملوا الصفة والموصوف ، ويقل فى كلامهم أن يستعملوا النعت والمنعوت .

أما لدى النحاة فقد اختلفت الألفاظ التى تحدد النعت ، وإن تلاقت جميعها فى النهاية على معنى واحد ، والذى يستخلص من مجموع كلامهم أن النعت يمكن تحديده بما يلى :

هو الاسم المشتق أو المؤول بالمشتق الذى يكمل به المنعوت ببيان صفة من صفاته أو من صفات اسم آخر له صلة بالمنعوت أ . هـ .

فالذى يجب أن يتوافر للنعت إذن هو الصفات التالية :

(أ) أن يكون مشتقا أو مؤولا بالمشتق - سيأتى بيانهما - كما تقول : (أنا إنسانٌ مُعتزٌّ بعروبته ، قد أكونُ مُواطِنًا مصريًا ، لكننى أتكلم لغةً عربيةً ، وأعيشُ فوق أرضٍ عربيةٍ) .

(ب) أن يكمل به المنعوت ، والمقصود بذلك أن يكون تابعا له ، فيتكامل معناهما ، فالمنعوت فى حاجة إليه ، وهو متمم لمعناه ، كما تقول : (ذاكرتُ مذاكرةً جيدةً بنفسٍ راضيةٍ وعقلٍ متفتّحٍ) .

(جـ) أن يدل على صفة فى المنعوت - وهذا هو الأصل فى النعت - أو صفة لاسم آخر يأتى بعده له صلة بالمنعوت ، فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

انتبه الطّالبُ المتفتّحُ - انتبه الطالبُ المتفتّحُ عقلُه

دخلتُ حديقةً مزهرةً - دخلت حديقةً مزهرةً أشجارُها

المعانى النحوية والبلاغية التى يفيدها النعت :

عبارة واحدة تحدد ما يفيده النعت نحويا هى : (النعت يوضح المعارف ويخصص النكرات) فالنعت إذن يفيد أحد أمرين :

الأول : توضيح المعارف : فإذا كان المنعوت معرفة ، كانت مهمة النعت أن يجلوه أكثر لنا ، تقول : (شوقى الشاعرُ لُقّبَ بأمير الشعراء سنة ١٩٢٧) أو (العقادُ الكاتبُ مفكّرٌ عظيم أجاد كتابةَ العبقريات الإسلامية) .

الثانى : تخصيص النكرات : فإذا كان المنعوت نكرة ، كانت مهمة النعت تخصيصه ، بمعنى التقليل من إبهامه ، وتقريبه نوعا ما من الوضوح ، كقولنا : (يحتاجُ العلْمُ إلى قلبٍ مفتوحٍ وعقلٍ متفتّحٍ) .

فالغرضان السابقان يفيدهما النعت نحويًا ، ولا يخلو أسلوب من أساليبه من واحد منهما ، ومع ذلك فإنه يفيد معانى أُخَر إلى جوارهما ، وهى معانٍ بلاغية لا نحوية ، وهى كثيرة يحددها أسلوب الكلام الذى وردت فيه . وإليك بعض هذه المعانى بصرف النظر عن الخلاف حول عددها ، فهو خلاف لا طائل وراءه ؛ لأنها - كما سبق - معانٍ بلاغية أسلوبية ، ومنها :

(١) المدح : كقولك : (لى صديقٌ كريمُ النفس طيِّبُ الأخلاق) .

(٢) الذم : كقولك : (أحتقرُ الضَّيفَ الثقيل والزائرَ المطيل والمضيف البخيل) ومن ذلك قولنا فى بداية القراءة : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) .

(٣) الترحُّم والاستعطاف : كقول المحامى فى موقف القضاء : (انظروا إلى هذا المتَّهمِ المظلومِ ، فإنه أبٌ لأبناءٍ مساكينَ) .

(٤) التوكيد : إذا كان معنى النعت مستفادا من المنعوت ، كقول العرب : (أمْسِ الدابرُ المنْقَضِى زمانُه لا يعود) وقـــول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ [الآية ١٣ من سورة الحاقة] .

(٥) التعميم : كقولنا : (تُطبَّقُ العدالةُ على الناسِ الفقراءِ والأغنياءِ الصغيرِ منهم والكبير) ومن ذلك ما ورد فى الأثر : (إن الله يرزقُ عبادَه الطائعين والعاصين الساعِيةَ أقدامُهم السَّاكنةَ أجسامُهم) .

(٦) التفصيل : كقولك : (زارنى صديقان قاهرىٌّ وريفىٌّ) أو (قرأت كتابين نحويًّا وأدبيًّا) .

إلى غير ذلك من الأغراض - وهى كثيرة تعرف من سياق الكلام الذى وردت فيه .

النعت الحقيقى والنعت السببى :

« الحقيقى والسببى » مصطلحان نحويان مشهوران ينسبان لباب النعت يصفان الصورتين اللتين يرد عليهما النعت فى اللغة العربية ، وكل منهما فى حاجة إلى فهم أمور ثلاثة عنه هى :

(أ) المقصود بهذه التسمية ، وبعبارة أخرى : لماذا سمى الأول حقيقيا والثانى سببيًّا .

(ب) تصور النحاة لهما ، أو بعبارة أخرى : تحديد النحاة لكلتا الصورتين.

(جـ) صفات التطابق النحوية التى ينبغى أن تصحب كل واحدة من الصورتين - وذلك بالتوضيح التالى :

النعت الحقيقي :

الإجازةُ فرصةٌ طيبةٌ لراحةِ الجسمِ المُجْهَدِ والعقلِ المكدُودِ .

والحياةُ فرصةٌ فريدةٌ للعملِ النافعِ والعيشِ المُرِيحِ .

يسمى هذا النعت « حقيقيا » لأنه بالنسبة للمنعوت صفة حقيقية له من حيث المعنى ومن حيث اللفظ ، ولنتأمل فى الأمثلة السابقة (فرصة طيبة - الجسم المجهد - العقل المكدود - العمل النافع - العيش المريح) حيث نجد الكلمة الثانية أدّت مهمة النعت للكلمة التى سبقتها سواء أكان ذلك من حيث المعنى أم اللفظ - وقد جاء فى تنقيح الأزهرية توضيح ذلك بما يلى : « سمى هذا النعت حقيقيا لجريانه على المنعوت لفظا ومعنى ، أما لفظا فلأنه تابع له فى إعرابه ، وأما معنى فلأنه نفسه فى المعنى » أ . هـ .

لذلك : حدد النحاة هذا النعت بتعريفات متعددة يجمعها كلها الآتى :

النعت الحقيقي : هو ما اتجه لمتبوعه السابق عليه فى المعنى وفى اللفظ فهو من حيث المعنى قد أفاد صفة للمتبوع السابق ، ومن حيث اللفظ يتبعه فى الإعراب وأحوال التطابق الأخرى ؛ فمن كلام الرسول ﷺ : (المؤمنُ القوىُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضّعيف) . ونقول : (القوةُ الجاهلةُ حماقةٌ مهلكةٌ ، والقوةُ العاقلةُ شجاعةٌ مفيدةٌ) .

فالصلة إذن فى هذه الصورة بين النعت والمنعوت صلة قوية جدا ، ومن أجل ذلك يجب التطابق التام بينهما ، بأن يتفق النعت مع المنعوت السابق عليه فى الآتى :

(أ) أوْجُه الإعراب ، الرفع والنصب والجر .

(ب) التعريف والتنكير .

(جـ) الإفراد والتثنية والجمع .

(د) التذكير والتأنيث .

فهذه صفات عشر يحمل النعت ومنعوته أربعا منها فى كل مثال ، حيث يتطابقان تماما فى هذه الأربعة ، فلنطبق ذلك على الأمثلة التالية :

الصديقُ الوفيُّ خيرٌ من أخٍ شقيقٍ

الصديقان الوفيّان خيرٌ من أخوين شقيقين

إنَّ الأصدقاءَ الأوفياءَ خيرٌ من الإخوةِ الأشقَّاءِ

الصديقةُ الوفيةُ خيرٌ من أختٍ شقيقةٍ

ولعلّنا بعد هذا الشرح السابق نفهم تلك العبارة المشهورة بين المشتغلين بالنحو - والمعربين منهم خاصة - عن النعت الحقيقى وهى : **(يتبع النعت الحقيقى منعوته فى أربعة من عشرة)** ويقصدون بذلك أنه يتفق معه فى واحد من أوجه الإعراب الثلاثة - وفى واحد من التعريف أو التنكير - وفى واحد من الإفراد أو التثنية أو الجمع - وفى واحد من التذكير أو التأنيث ، فيجتمع فيه فى وقت واحد أربع صفات من عشر - وهكذا هو دائما .

النعت السببى :

وَيْلٌ لأمَّةٍ سائدٍ جُهَّالُها متحكِّمٍ فيها سفهاؤُها

وَوَيْلٌ لشعبٍ صامتٍ عقلاؤُه متسلطةٍ عليه أهواؤُه

يسمَّى هذا النعت « سببيا » لأنه فى الحقيقة وواقع الأمر ليس تابعا للاسم السابق عليه من حيث المعنى ، فهو لا يتجه إليه ، وإنما يتجه للاسم الذى يأتى بعده ، ففى الأمثلة السابقة مثلا يلاحظ أن (السيادة) متجهة للجُهَّال لا للأمة ، وأن (التحكم) متجه للسفهاء لا للأمة أيضا ، وكذلك (الصمت) للعقلاء لا للشعب ، ومثله (التسلط) للأهواء لا للشعب .

فهذه الصورة إذن - بهذا الاعتبار - خارجة عن مفهوم التوابع لولا أن الاسم المتأخر الذى يتجه إليه الوصف يحمل ضمير الاسم السابق على الوصف كما يلاحظ فى (جهالها - سفاؤها - عقلاؤه - أهواؤه) - فهذا الضمير إذن صلة بين المتبوع المتقدم والموصوف الحقيقى - إنه سفير بينهما - وأدى بالتالى إلى وجود صلة بين الوصف والمتبوع المتقدم ، فهو إذن سبب اعتبار هذه الصورة فى اللغة من باب النعت ، وأطلق عليها النحاة اسم « النعت السببى » بسبب هذا الضمير .

وقد عرف النحاة هذه الصورة من صور النعت تعريفات متعددة يمكن توضيحها بما يلى :

النعت السببى : ما اتجه من حيث المعنى لوصف اسم ظاهر بعده مرفوع واتجه من حيث اللفظ إلى المتبوع السابق عليه ، ووجدت الصلة بين المتبوع المتقدم والموصوف المتأخر بضمير يحمله الاسم اللاحق .

فلنلاحظ الأمثلة التالية :

يحترمُ الناسُ كلَّ فتاةٍ متينةٍ أخلاقُها	فتاة : متبوع متقدم متينة : نعت سببى أخلاقُها : مرفوع متأخر بالنعت وفيه ضمير للمتبوع
فهم يُقبلون على الفتاةِ الشّريفِ اسمُها	الفتاة : متبوع متقدم الشريف : نعت سببى للفتاة اسمها : مرفوع متأخر بالنعت ، وفيه ضمير المتبوع
ويُعرضون عن الأخرى السّيئةِ سمعتُها	الأخرى : المتبوع المتقدم السّيئة : نعت للأخرى سمعتُها : مرفوع بالنعت ، ويحمل ضميرًا يعود إلى كلمة (الأخرى)

فالنعت السببى - كما سبق فهمه - يتنازعه المتبوع السابق عليه والمرفوع به اللاحق له من حيث اللفظ والمعنى ، فكيف يكون موقفه من حيث أحوال التطابق العشرة السابقة فى النعت الحقيقى ؟؟

لقد روعى كلا الجانبين فى هذا النعت من حيث أحوال التطابق على التفصيل التالى :

(أ) يراعى جانب المتبوع السابق فى أحوال الإعراب الثلاثة ، وفى التعريف والتنكير ، فيجب حينئذ أن يطابقه فى الإعراب وفى التعريف والتنكير .

(ب) يراعى جانب الاسم المرفوع به اللاحق فى الأمور الخمسة الباقية وهى الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث ، فيعامل النعت حينئذ باعتباره عاملا رفع الاسم الظاهر بعده (راجع باب الفاعل) فيبقى دائما مفردا فلا يثنى أو يجمع - كما هو شأن الفعل مع الفاعل فى اللغة الفصحى - ويذكر أو يؤنث بحسب التفصيل الذى مر فى باب الفاعل - فلنطبق ذلك على ما يلى :

● قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ [الآية ٧٥ من سورة النساء] .

● قول الشاعر :

لَحَا اللهُ وَفْدَيْنَا وما ارتَحَلاَ بِهِ ... من السَّوْءَةِ البَاقِى عليهم وَبَالُها (١)

هذا : وقد وضع النحاة علامة يمكن بواسطتها التفريق بين الصورتين السابقتين للنعت قالوا :

النعت الحقيقى : ما رفع ضميرا مستترا يعود إلى المنعوت ، نحو (جاء محمد العاقل) .

والنعت السببى : ما رفع اسما ظاهرا متصلا بضمير يعود إلى المنعوت نحو (جاء محمد العاقل أبوه) أ . هـ .

ما يُنعت به :

الذى يقع نعتا أمور خمسة هى : المشتق والمؤوّل به والمصدر والجملة وشبه الجملة - ولكل منها حديث يخصه على التفصيل الآتى :

أولا : المشتق :

هذا هو الأصل فى النعت ، ولا يقصد المشتق عامة ، بل يقصد نوع خاص

---

(١) لحا الله : جاء فى القاموس « لحاه يلحوه » شتمه ، وهذه الجملة تستعمل فى الدعاء على المخاطب بالسب واللعن - السوءة : النقيصة والخزى - وبالها : هلاكها .

المعنى : إن لنا وفدين يستحقان السب والشتم ، فقد ارتحلا بالعار الذى بقيت بعدهما آثاره وشناره .

الشاهد : فى (من السوءة الباقى عليهم وبالها) فإن (الباقى) نعت سببى ومتبوعه (السوءة) والمرفوع به (وبالها) وقد روعى المتبوع فى الإعراب فهو مجرور مثله ، وفى التعريف ، فكلاهما فيه (ال) وروعى فى وجوه التطابق الباقية المرفوع باعتباره فاعلا له ، فبقى النعت مفردًا ومذكرًا ، لأن المرفوع يقتضيه كذلك .

منه هو الوصف ، ويقصد به - كما تقدم فى الحال - ما دل على حدث وصاحبه وذلك :

(١) اسم الفاعل : كما جاء فى الأثر : (الغنىُّ الشاكرُ خيرٌ عند الله من الفقيرِ الصابرِ) .

(٢) اسم المفعول : كقولنا : (شيئان يجلبان العار : الحقُّ المنْهُوبُ ، والشرفُ المسلوبُ) .

(٣) الصفة المشبهة : كقولنا : (لا يستوى فى الميزان الرجلُ الشجاعُ والآخر الجبانُ) .

(٤) أمثلة المبالغة : كقولنا : (قِوامُ الإنسانِ شيئان : لِسانٌ قَوّالٌ ، وقَلْبٌ مِقْدامٌ) :

(٥) أفعل التفضيل : كقولنا فى سجود الصلاة : (سبحانَ ربِّنا الأعْلَى) .

ثانيا : ما يشبه المشتق :

ويقصد به الأسماء الجامدة التى يمكن أن تؤول بمشتق ، أى يمكن أن يتصور من معناها اسم مشتق تدل عليه .

ومن البين أن هذا الصنف على خلاف الأصل ، وهى أمور كثيرة من أشهرها ما يلى :

(١) أسماء الإشارة ، ولا بد أن تكون بعد أسماء معارف ، ليتفق الاثنان فى التعريف ، كقولنا : (قابلتُ صديقى هذا فى الشارعِ ذاك) .

ويؤول ذلك بكلمة (المشار إليه) وهى مشتقة - وأيضا أسماء الموصول المبدوءة بهمزة الوصل ، مثل (القرآن كلام الله الذى أُنزل على محمد) .

(٢) ما كان بمعنى صاحب من الأسماء ، وذلك (ذو) وما تفرع عنها وكذلك (أولو) و(أولات) - وقد تقدم ذكرها جميعا - كقولنا : (شعبُنا شعبٌ ذو تاريخ ، وأمتُنا أمةٌ ذاتُ حضارة ، ففيها فتيانٌ أولو خبرةٍ ، وفتياتٌ أولاتُ أخلاق) .

ويؤول ذلك بكلمة (صاحب) وما يتفرع عنها - وهى مشتقة .

(٣) ما كان من الأسماء مختوما بياء النسب : كقولنا : (مازال الإنسانُ الأوربىُّ يتعالَى على الإنسانِ الإفريقىِّ ويُعادِيه بسبب لونه) .

ويؤول هذا بكلمة (المنسوب إلى كذا) وهى مشتقة - وأيضا كلمة (ابن) ، بين علمين وليست خبرا ، مثل (عاش محمدُ بنُ عبدِ الله فقيرا ومات فقيرا) .

(٤) أسماء الأعداد ، كقولنا : (يتكونُ بَابُ النعتِ من أفكارٍ خَمْسٍ) أو « ألقيتُ المحاضرةَ على الطلابِ التسعين » .

وهذا يؤول بتقدير كلمة (المعدود) وهى مشتقة .

(٥) لفظة (أىّ) إذا أضيفت لنكرة تماثل المنعوت فى المعنى ، كقولنا : (كان عمرُ بنُ الخطابِ عادلاً أىَّ عَدْلٍ) أو (اتَّخَذَ النبى ﷺ أبا بكر صاحبًا أىَّ صاحبٍ) - ومثل ذلك الألفاظ (كلّ - جِدّ - حَقّ) مضافة لاسم جنس يكمل معنى الموصوف ، مثل (هذه هى الحقيقةُ كلُّ الحقيقة) و(أنت صديقٌ جِدُّ وفِىّ) أو (أنت الصديقُ حقُّ الصديق) .

ثالثًا : المصدر : قال ابن مالك :

ونعتوا بمصدرٍ كثيرا　　　فالتزموا الإفرادَ والتذكيرا

ومن البيّن أن المصدر اسم معنى جامد ، فالنعت به على خلاف الأصل . ومن صفته حين ينعت به أن يلتزم دائما الإفراد والتذكير ، فلا يثنى أو يجمع وكذلك لا يؤنث ؛ تقول : (كان الخلفاءُ الراشدون رجالاً عَدْلاً فى حكمهم) ويقال : (شهادةُ امرأتين عَدْلٍ تقوم مقام رجلٍ فَرْدٍ) .

وليس من المفيد التعرض هنا لخلاف العلماء حول علاقة المصدر بالمنعوت « من النعت بلفظه أو تأويله بمشتق أو تقدير مضاف معه » وإنما المفيد أن يعلم أن المصدر يقع نعتًا بكثرة ، تماما كما يقع حالا بكثرة فى اللغة .

رابعا : الجملة الاسمية والفعلية :

نقول : (دعا الإسلامُ إلى أمةٍ كلمتُها واحدةٌ ، وإلى مجتمعٍ يتكافلُ أهلُه ليعيش المسلمون قوّةً لا تُقهرُ وحُبًا لا غِشَّ فيه) .

ففى العبارة السابقة أربع جمل وقعت صفات هى :

كلمتها واحدة　　} جملة اسمية فى محل جر صفة لكلمة (أمة)

يتكافل أهله　　} جملة فعلية فى محل جر صفة لكلمة (مجتمع)

لا تقهر } جملة فعلية فى محل نصب صفة لكلمة (قوة)

لا غش فيه } جملة اسمية فى محل نصب صفة لكلمة (حبا)

وأهم الصفات الواجب توافرها فى الجملة الخبرية - لا الإنشائية - التى تقع صفة - كما يلاحظ على الأمثلة السابقة - ما يلى :

(أ) أن يكون المنعوت نكرة ، فتكون الجملة حينئذ صفة ، أما إذا كان الاسم السابق معرفة فإن الجملة تكون حالا ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الآية ٢٨١ من سورة البقرة] .

قال النحاة : ويصح أن تقع الجملة صفة للاسم الذى اتصلت به (ال) الجنسية (مثل الرجل - الطالب - الإنسان - المرأة) .

ومن ذلك قـول الله تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [الآية ٣٧ من سورة يس] .

وقول الشاعر :

ولقد أمُرُّ على اللئيم يَسبُّنى فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ : لا يَعْنينى
غضبانَ ممتلئًا علىَّ إهابُهُ إنى - وحقِّكَ - سُخْطُهُ يرضينى (١)

(ب) أن تشتمل الجملة على رابط يربطها بالموصوف وهو الضمير ، كما يلاحظ ذلك فى كل الجمل السابقة .

وربما حذف هذا الرابط من جملة الصفة إذا كان معلوما من الكلام وظروفه ومن ذلك قول جرير :

ألا أبلغْ معاتبتى وقَوْلى بنى عمّى فقد حَسُنَ العِتَابُ
وما أدرى أغيّرهم تَنَاءٍ وطولُ الدهرِ أم مالٌ أصَابُوا (٢)

---

(١) إن اللئيم يكرهنى وأنا سعيد بذلك ، فحين أمر عليه يشتمنى استفزازًا فلا أرد عليه احتقارا له ، إنه مغتاظ منى أشد الغيظ ، وأنا - وحياتك - مغتبط بذلك أشد الاغتباط ، راض أحسن الرضا .

الشاهد : فى (أمر على اللئيم يسبنى) فإن جملة (يسبنى) جاءت بعد ما فيه الألف واللام الجنسية ، وقد سبق هذا النوع من الكلمات معرفة ، لكن يعامل أحيانا معاملة النكرة ، لذلك جوز بعض النحاة أن تكون هذه الجملة صفة .

(٢) يحسن العتاب مع الأقارب والأصدقاء ، ويطلب جرير ممن يخاطبه إبلاغ عتابه لبنى عمه ، ومضمون العتاب : أنه متحير من تغيرهم ، أهو البعد أم الأيام أم المال ! =

فأصل الكلام (أصابوه) فحذف الضمير الرابط : لأنه معلوم من الكلام .

خامسا : شبه الجملة :

يقصد بذلك - كما مر فى غير موضع - الظرف والجار والمجرور ، حيث يقعان صفة بعد الاسم النكرة ، كقولك : (شاهدت روايةً فى السينما واستمعتُ إلى تمثيليةٍ فى المذياع) وكذلك قولك : (لنا لقاءٌ يومَ الخميس عندَ بابِ الجامعة) .

قطع النعت عن المنعوت :

معناه : صرف النظر عن صلة النعت بالمنعوت ، فلا يتبعه فى إعرابه - وإنما يكون ذلك إذا كان المنعوت معلوما وصفة بتلك الصفة دون ذكرها تقول : (درسْنا قصيدةً للمتنبِّى الشاعر) أو (قرأنا « عبقريةَ عمر » للعقادِ الكاتب) أو (سرْنا ليلا فى ضوءِ القمرِ المنير) فمن البيّن أن تلك الصفات (الشاعر - الكاتب - المنير) مفهومة بدون ذكرها لأصحابها ، وفى مثل هذه الجمل يجوز قطع النعت عن المنعوت .

فإذا قطع النعت عن المنعوت صح فى إعرابه وجهان :

الأول : أن يرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف .

الثانى : أن ينصب بفعل محذوف وجوبًا ، يكون تقديره مناسبا لسياق الكلام

وخلاصة الأمر : أن إتباع النعت للمنعوت هو الأصل فى الكلام العربى ، ويصح قطعه عنه إذا كان معلومًا بدونه ، وحينئذ يصح فى إعرابه الوجهان السابقان .

فلنطبق ما عرفناه على ما يلى :

● قال سيبويه : سمعنا بعض العرب يقـول : (الحَمْدُ لِلَّهِ رَبُّ العَالَمينَ) [الآية الأولى من سورة الفاتحة] بالنصب ، فسألت عنها يونس ، فزعم أنها عربية .

● وقال تعالى : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ [الآية ٤ سورة المسد] قرأ الجمهور (حمالةُ الحطب) بالرفع ، وقرأ عاصم - أحد القراء السبعة - بالنصب على الذم .

= **الشاهد** : فى (أم مال أصابوا) فإن جملة (أصابوا) صفة لكلمة (مال) وقد حذف منها الضمير ، وأصل الكلام (أم مال أصابوه) .

● قالت الخِرْنِق - شاعرة عربية جاهلية - تمدح قومها :

لا يبْعَدَنْ قومى الذين هم سُمُّ العُدَاةِ وآفَةُ الجُزُرِ
النازلين بكل مُعْتَرَكٍ والطيِّبين معاقدَ الأُزُرِ (١)

فقد رويت الكلمتان (النازلين - الطيبين) بالرفع والنصب .

حذف النعت والمنعوت :

قال ابن مالك :

وما من المنعوتِ والنعتِ عُقِل يجوز حذفُه وفى النّعتِ يقِلّ

ومعنى البيت أنه يصح حذف كلّ من النعت والمنعوت إذا كان معلوما من سياق الكلام ، بمعنى أنه مفهوم من الجملة المنطوقة فيتخيل وجوده ، ويفرض على الكلام المنطوق فعلا - ومما سيق لذلك من الشواهد الآتى :

● قول الله تعالى : ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ [الآية ١١ سورة سبأ] والتقدير (دروعًا سابغاتٍ) .

● ما روى عن العرب : (منّا ظَعَنَ ومنّا أقامَ) والتقدير (فريقٌ ظَعَنَ وفريقٌ أقام) .

● قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الآية ٧٩ سورة الكهف] والتقدير (كل سفينة صالحة) .

● قول العباس بن مرداس يخاطب الرسول ﷺ :

وقد كنتُ فى الحربِ ذا تُدْرَإٍ فلم أُعْطَ شيئا ولم أُمْنَعِ (٢)

---

(١) لا يبعدن : لا يهلكن - سم العداة : يبيدون العداة - آفة الجزر : كرماء يذبحون الإبل كثيرا - الطيبون معاقد الأزر : شرفاء ثيابهم طاهرة .

المعنى : ليبق قومى دائما فلا يهلكون ، فهم شجعان كرماء شرفاء - شجعان يبيدون الأعداء وكرماء ينحرون الإبل للضيوف وشرفاء طيبو الثياب لا يفعلون الفحشاء .

الشاهد : فى الكلمتين (النازلين - الطيبين) فقد رويت الكلمتان بالنصب (النازلين - الطيبين) على النعت المقطوع بتقدير فعل (أمدح) ورويتا أيضا بالرفع (النازلون - الطيبون) على الإتباع .

(٢) ذا تدرأ : ذا قوة وسداد .

الشاهد : فى قوله (فلم أعط شيئا) إذ حذفت الصفة ، وتقدير الكلام (فلم أعط شيئا نافعا) وهذا يقتضيه السياق ، لأنه يعتب على الرسول ﷺ ، فيقول إنه أبلى فى الحرب بلاء حسنا لكن لم يميز بشيء من الغنيمة .

التوكيد

١ - المقصود بالتوكيد فى اللغة وعند النحاة .

٢ - التوكيد اللفظى : معناه ، والفرق بينه وبين التكرار .

٣ - التوكيد المعنوى : معناه ، وألفاظه هى (النفس والعين - كلا وكلتا كلّ وجميع - أجمع وما تفرع عنه) .

٤ - من مباحث التوكيد المهمة المسائل الآتية :

(أ) توكيد الضمائر توكيدًا لفظيا .

(ب) توكيد الحروف توكيدًا لفظيا .

(جـ) توكيد الضمير المرفوع المتصل باللفظين (النفس والعين) .

(د) توكيد النكرة توكيدًا معنويا .

* * *

معنى التوكيد :

جاءت هذه الكلمة فى اللغة على ثلاث صور هى (التوكيد) بالواو و(التأكيد) بالهمزة و(التاكيد) بتخفيف الهمزة إلى الألف ، وأكثرها شهرة فى الفصحى الأولى ، ولذلك جاء فى القاموس قوله : « التوكيد والتأكيد والأول أفصح » وإن كانت الثانية « التأكيد » أكثر استعمالا فى حياتنا العادية الدارجة .

ومعنى « التوكيد » فى اللغة : التثبيت والتقوية ، ويستعمل فى الحياة العادية الدارجة بهذا المعنى نفسه ، ومن التعبيرات الشائعة بيننا (أنا متأكد من كلامى) بمعنى : متثبت منه مقتنع به ، و(تأكدت منه أنه سيجىء) بمعنى تثبت ، و(أكّدت عليه الكلام) بمعنى كررته عليه تقوية له وتثبيتا فى ذهنه .

هذا المعنى نفسه هو الذى روعى فى استخدام النحاة للكلمة ، إذ يقصدون بالتوكيد : استخدام طرق خاصة لتقوية الكلام السابق وتثبيته سواء بإعادة اللفظ نفسه أم استعمال كلمات خاصة لتثبيت المعنى ودفع الشبه عنه - وذلك كقولنا :

(النفاقُ غشٌّ غشٌّ) . أو قولنا : (سنقاتل سنقاتل ولن نستسلم) . أو قولنا : (الجبانُ لا يستحق الحياةَ نَفْسَها) .

وقد ورد التوكيد فى اللغة - بالمعنى السابق - على صورتين : صورة التوكيد اللفظى ، وصورة التوكيد المعنوى .

التوكيد اللفظى :

هو - كما جاء فى قطر الندى - إعادة اللفظ الأول بعينه أ . هـ - ويقصد بذلك أن يعاد المؤكَّد نطقا ومعنى ، بقصد التقرير أو خوف النسيان أو عدم الإصغاء أو عدم الاعتناء ، وقد يكون هذا اللفظ المعاد اسما أو فعلا أو حرفا أو جملة .

● ففى الاسم نقول : (المروءةَ المروءةَ) و(النفاقَ النفاقَ) وقول الجندى لزميله : (انتبه ، فقد هاجمتْنا الطائراتُ الطائراتُ) .

وما روى من قول الرسول ﷺ : (أيّما امرأةٍ قاصرٍ أنكحتْ نفسَها بغير إذْنِ وَلِيّها فنكاحُها باطلٌ باطلٌ) .

● وفى الفعل نقول : (صَمَّمَ صَمَّمَ شعبُنا على تحرير أرضه بعد ما تَألَّمَ تَألَّمَ لضياعِها) .

ومن ذلك قول الشاعر :

فأينَ إلى أينَ النجاةُ ببغلتى
أتاكِ أتاكِ اللاّحقون احبِسِ احبِسِ (١)

● وفى الحرف تردّ مثلا على من يسألك (هل أنت منتبه ؟) فتقول : (نعمْ نعمْ أنا منتبه) وكثيرًا ما يسمع مثل هذا التعبير فى تعليق المذيعين على الأخبار (لا . لا يُهانُ شرفُنا أو تُستذلُّ أرضُنا) .

---

(١) اللاحقون . المطاردون - احبس احبس : اثبت اثبت ، يقول ذلك لنفسه تشجيعا لها .
المعنى : أين أهرب ببغلتى لأنجو ، لا سبيل لذلك ، لقد أدركنا المطاردون ولن ينفع غير الثبات .
الشاهد : استخدم فى الشطر الثانى توكيدا لفظيا لفعلين ، الأول (أتاك أتاك) والثانى (احبس احبس) .

ومن ذلك قول جميل :

لا لا أبوحُ بِحُبِّ بَثْنَةَ إنّها أخذتْ عليَّ مَوَاثِقًا وعُهودا [١]

● وفى الجملة تعاد الجملة بألفاظها ، وربما اقترنت الثانية بحرف من حروف العطف ، وقد وردت كثيرا فى اللغة ، ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [الآيتان ٤ - ٥ سورة النبأ] .

وقول الرسول ﷺ وقد بلغه نقض قريش للعهد : (واللهِ لأغْزُوَنَّ قريشا واللهِ لأغزُوَنَّ قريشا) .

وفى خاتمة هذه الفكرة ينبغى التنبه للفرق بين أمرين كثيرا ما يختلطان هما : التوكيد اللفظى والتكرار .

فالتوكيد اللفظى - كما سبق - هو إعادة اللفظ بعينه ، أى بنطقه ومعناه تماما .

أما التكرار : فهو إعادة اللفظ بنطقه وما يشبه معناه لا بمعناه نفسه فالأول إذن شىء واحد وقد استخدم له اللفظ مرتين ، أما الثانى فهو شىء تكرر مرتين أو أكثر واستخدم له فى كل مرة نفس اللفظ - فلتتأمل الآتى :

دخلَ إلى المدرَّجِ طالبٌ طالبٌ } أسلوب توكيد : لأن الطالب واحد } وأعيد اللفظ

دخل الطلابُ للمدرَّجِ طالبًا طالبًا } تكرار : لتعدد الطلبة وإن اتحد اللفظ

● ● ●

اقتحمَ موقِعَ الأعداءِ جندىٌّ جندىٌّ } توكيد : لأن الجندى واحد واللفظ } هو المعاد

سارتْ الكتيبةُ متراصّةً جنديًّا جنديًّا } تكرار : لتعدد الجنود وإن اتحد اللفظ

---

(١) أبوح : أفشى - المواثق : العهود .
يقول : حبها سر لن أبوح به ، وقد عاهدتها على ذلك - والعجيب أنه بذلك قد باح .
الشاهد : فى (لا لا أبوح) فقد كرر الحرف (لا) مرتين ، والثانى توكيد لفظى للأول .

وعلى ذلك يفهم ما جاء فى قطر الندى لابن هشام من قوله نصًا :

« وليس من تأكيد الاسم قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الآيتان ٢١ - ٢٢ من سورة الفجر] - خلافا لكثير من النحويين - لأنه جاء فى التفسير أن معناه : دكا بعد دكّ ، وأن الدّكَّ كرر عليها حتى صارت هباء منبثا - وأن معنى (صَفًّا صفًّا) أنه تنزل ملائكة من كل سماء فيصطفون صفا بعد صفّ محْدِقين بالجن والإنس ، وعلى هذا فليس الثانى فيه تأكيدًا للأول ، بل المراد به التكرير ، كما يقال : (علّمتُه الحسابَ بَابًا بَابًا) .

وكذلك ليس من تأكيد الجملة قول المؤذن : (الله أكبر - الله أكبر) - خلافا لابن جنى - لأن الثانى لم يؤت به لتأكيد الأول ، بل لإنشاء تكبير ثان ، بخلاف قوله : (قد قامتْ الصلاةُ ، قد قامتْ الصلاةُ) فإن الجملة الثانية خبر ثان جىء به لتأكيد الأول » أ . هـ .

التوكيد المعنوى :

فى عبارة واحدة يمكن تحديد التوكيد المعنوى بأنه تثبيت معنى المتبوع بدفع الاحتمالات عنه أ . هـ .

فنحن نقول مثلا : (اجتمعَ الرؤساءُ العربُ أنفُسُهم) فلو اقتصر الأمر على المؤكَّد لاحتمل الأمر أن الذين اجتمعوا هم مندوبوهم ، فإذا ذكر لفظ التوكيد (أنفسهم) ارتفع ذلك الاحتمال .

نحن نقول أيضًا : (درسْنا النحوَ كلَّه) فلو اقتصر على المؤكَّد (النحو) لاحتمل الأمر أن الذى درس معظمه أو أبواب منه ، فحين يذكر لفظ التوكيد (كله) يرتفع ذلك الاحتمال .

وحول هذا المعنى السابق جاءت التعريفات النحوية التى سيقت لهذه الصورة من صور التوكيد ، ومعظمها بألفاظ غامضة تؤدى فى النهاية للتحديد السابق ، ومن نماذجها :

يقول ابن عقيل : هو ما يرفع توهم مضاف إلى المؤكد أو توهم عدم إرادة الشمول .

ويقول ابن هشام : هو تابع يقرر أمر المتبوع فى النسبة أو الشمول .

ويقول الأشمونى : التابع الرافع احتمال إرادة غير الظاهر .

ألفاظ التوكيد المعنوى :

يمكن أن تصنّف ألفاظِ التوكيد المعنوى التى استقرئت من استعمال اللغة فى مجموعات أربع تتفق ألفاظ كل مجموعة منها من حيث الصفات التى تتصف بها حين تستعمل فى التوكيد ، وبيانها فى الآتى :

المجموعة الأولى : النّفس والعَيْن :

تشترك هاتان الكلمتان حين استخدامهما للتوكيد فى الصفات التالية :

(أ) أنهما يستعملان للمفرد والمثنى والجمع ، ويكون لفظهما مفردًا مع الفرد ، ويجمعان على وزن (أفْعُل) مع المثنى والجمع كليهما .

(ب) أن يضافا إلى ضمير يطابق المؤكَّد إفرادًا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا ، تقول : (شاهدَ الصحابةُ الرسولَ نفسَه) و (تدارَكَ صَاحِباهُ أبو بكر وعمرُ أنْفُسُهما وَحْدَةَ المسلمين يوم السّقيفة) و(اغتيلَ ثلاثةٌ من الخلفاء الراشدين أعْيُنِهم ظُلما) .

(جـ) إذا استدعى الموقف استعمال كلتا الكلمتين معا فى تعبير واحد قدّمت كلمة (النفس) على كلمة (العين) ولا يصح العكس ، تقول : (مَشى رجالُ الأرض فوق القمرِ نفسِه عينِه) . ويقال : (نزل الملائكةُ أنْفُسُهم أعْيُنُهم يُقاتلون مع المسلمين يوم بدر) .

وهنا فكرة جانبية مهمة هي : أن الكلمتين (النفس والعين) قد تردان فى اللغة مجرورتين بحرف الجر (الباء) وحينئذ تعتبر هذه الباء زائدة ، تقول : (إنَّ اليهودَ هم الخبثُ بنفسِه والحقدُ بعينِه) ، ومن ذلك قول الشاعر :

هذا - لَعَمْرُكم - الصَّغارُ بعينِه   لا أمَّ لى إن كان ذاكَ ولا أبُ [١]

المجموعة الثانية : كِلاَ وكِلتاَ :

تستعمل الكلمة الأولى لتوكيد المثنى المذكر فقط ، وتستعمل الكلمة الثانية

---

(١) لعمركم : أسلوب قسم - الصغار - بفتح الصاد : الأعمال التافهة الحقيرة .

الشاهد : فى الشطر الأول ، حيث دخلت الباء على لفظ التوكيد (عين) فهى حرف جر زائد جرت الكلمة لفظا ، لكن الكلمة توكيد لكلمة (الصغار) الواقعة خبرا ، فهى مرفوعة بالضمة المقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد .

لتوكيد المثنى المؤنث فقط ، وحين استخدامهما فى التوكيد يتصل بهما ضمير مطابق للمؤكَّد ، فيلحقان حينئذ بالمثنى فى إعرابه – كما تقدم ذكره – تقول : (زرتُ صديقَىَّ كِلَيهما) و (ذهبت مع زملائى فى الرّحلتين كلْتَيهما) .

المجموعة الثالثة : كلّ وجَميع :

يرد هذان اللفظان حين استخدامهما للتوكيد على الصفات التالية :

(أ) أنهما يستعملان فى اللغة للمفرد – ذى الأجزاء – والجمع ، ولا يستعملان للمثنى .

(ب) أن يُضافا إلى ضمير يطابق المؤكَّد إفرادا وجمعا وتذكيرا وتأنيثا تقول : (البلادُ العربية كلُّها متّحدةُ المشاعر وإنْ اختلفتْ فيها النُّظُمُ والحكومات ، والعربُ جميعُهم إخوةٌ ، لغتُهم واحدةٌ وتاريخهم واحدٌ) .

(جـ) قال ابن هشام عن الكلمة (جميع) : والتوكيد « بجميع » غريب ومنه قول امرأة ترقص ابنها :

فـدَاك حَـيُّ خَـوْلاَنْ ... جـمِـيـعُـهـم وهَـمْـدان
وكـلُّ آلِ قَـحْـطَـانْ ... والأقـرمـون عَـدْنَـانْ (١)

(د) مثل (كلّ) كلمة (عامّة) وقد ذكرها سيبويه ، تقول : (حضر المدعوّون عامتُهم) وجاء فى « ابن عقيل » : وقلّ من ذكرها من النحويين .

وعلى ذلك يفهم ما جاء فى أوضح المسالك نصا قال : « وليس منه – أى التوكيد – ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [الآية ٢٩ سورة البقرة] خلافا لمن وَهَم ، ولا قراءة بعضهم : (إِنَّا كلاًّ فِيهَا) [الآية ٤٧ سورة غافر] خلافًا للفراء والزمخشرى ، بل (جميعًا) حال و (كلاًّ) بدل » . أ . هـ .

فمن البين أن الآيتين لم تكونا من باب التوكيد لأن اللفظين (جميع – كلّ)

---

(١) خولان : بسكون الواو وهمدان بسكون الميم وقحطان وعدنان أسماء لقبائل عربية ، فابنها أعز عليها وأعلى من كل هذه القبائل – وهذا طبيعى .

الشاهد : حيث جاء (جميع) توكيدا لكلمة (حى) الواقعة خبرا أو فاعلا ، وذلك – فيما رأى ابن هشام – غريب ، لأن لفظ (جميع) لديه لا يكاد يستعمل وحده للتوكيد .

لم يضافا فيهما إلى الضمير ، فخرجا من هذا الباب إلى أبواب أخرى فى الإعراب .

المجموعة الرابعة : أجْمَع وما تفرع عنه :

يقصد بما تفرع عنه (جَمْعَاء) للمفردة المؤنثة و (أجمعون) لجماعة الذكور و (جُمَع) لجماعة الإناث .

ومن الصفات التى تأتى عليها هذه الألفاظ حين التوكيد بها ما يلى :

(أ) أنها تستعمل لتوكيد المفرد والجمع فقط فلا تستعمل فى المثنى .

(ب) أنها لا تتصل بضمير يعود على المؤكَّد ، بل يكتفى بصيغها المفردة والمجموعة – عن هذا الضمير ، بخلاف (كلّ – جميع) حيث تبقى على صورة واحدة وتوجّه للمؤكَّد بواسطة الضمير .

(جـ) أن الغالب فى هذه الصيغ أن تستعمل « لزيادة التوكيد » أو بعبارة أخرى « لتوكيد التّوكيد » وذلك بأن ترد بعد لفظ (كل) فى الكلام تقول : (قَرُبتْ أجهزةُ الإعلامِ العالَمِ كلَّهُ أجْمَعَ) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الآية ٣٠ سورة الحجر] .

وربما استعملت هذه الكلمات وحدها دون لفظ (كلّ) وهذا قليل فى اللغة ، ومع ذلك فقد ورد فى نصوص صحيحة فصيحة ، ومن ذلك :

- قول الله تعالى حكاية عن إبليس : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الآية ٨٣ سورة ص] .
- قول الرسول ﷺ : (إذا صلَّى الإمامُ جالسًا فصَلُّوا جلوسا أجمعون) .

توكيد الضمائر لفظيًا :

سبق أن الضمائر نوعان : مستترة ، وبارزة ، وأن النوع الأخير صنفان : منفصلة ، ومتصلة ، وينبغى أن نتبين الطريقة التى يؤكد بها كل من هذه الضمائر توكيدًا لفظيا فى الآتى :

(أ) الضمائر المستترة : وتؤكد بالضمير البارز المنفصل ، فتقول : (أجِبْ أنتَ يا غافلُ دعوة الحقّ) أو (أَأَلْهُو أنا والحياةُ جَادّةٌ !!) .

(ب) الضمائر البارزة المنفصلة : وهذه أيضا تؤكد بضمير بارز منفصل مناسب ، فتقول مثلا مشيرا للمجرم : (أنت أنتَ القاتلُ) ومن ذلك ما كان يقوله جماعة الرافضة فى شوارع الكوفة مشيرين لعلىّ : (أنت أنت اللهُ) فأمر بهم فحُرِّقُوا بالنار .

ومن ذلك قول الشاعر :

فـإيَّـاكَ إيَّـاكَ الـمِـرَاءَ فـإنـه إلى الشَّرِّ دعَّاءٌ وللشَّرِّ جالِبُ [(١)]

(جـ) الضمائر البارزة المتصلة : هذه أيضا تؤكد بضمير بارز منفصل مرفوع فتقول : (استَمعتُ أنا للنَّصيحةِ منكَ أنتَ ، فاتبعْتُها هى ، فسعدت ونجحت) وعن هذه الصورة الأخيرة يقول ابن مالك :

ومُضْمَرُ الرفعِ الذى قد انفَصَلْ أكّدْ به كلَّ ضميرٍ اتَّصَلْ

والخلاصة : أن الضمير البارز المنفصل يأتى توكيدًا لفظيا لكل أنواع الضمائر مستترة أو بارزة ومتصلة أو منفصلة .

توكيد الحروف لفظيا :

هناك حروف يطلق عليها اسم « حروف الجواب » [(٢)] ، إذ يجاب بها عن كلام سابق غالبا ما يكون سؤالا ، ومن أشهرها فى العربية (نَعَمْ - لا - بَلَى) ويشبه الحرف (نعم) حروف أخرى استعملت فى الفصحى هى (أَجَلْ - إى - جَيْرِ) .

● هذه الحروف السابقة إذا أكدت تأكيدا لفظيا تعاد ألفاظها نفسها يقول لك السائل : (هل تنبه العربُ لضرورةِ وَحْدَتِهِم !!) فتجيب : (نَعَمْ نَعَمْ تنبهوا لذلك) .

---

(١) تقدم ذكر هذا البيت ومعناه فى باب (التحذير) ويستشهد به هنا على توكيد الضمير المنفصل (إياك) بضمير منفصل آخر مثله ، فكرره فى قوله (فإياك إياك) .

(٢) حروف الجواب على ثلاثة أقسام :

(أ) ما يقع بعد الإيجاب والنفى (نعم - جير - أجل - إى) ويقصد بها تصديق المخبر أو إعلام المستخبر أو إيعاد الطالب .

(ب) ما يقع بعد الإيجاب فقط وهو (لا) ويقصد به إبطال ما أوجبه المتكلم .

(جـ) ما يقع بعد النفى فقط ، وهو (بلى) ويقصد به إثبات المنفى السابق .

أو يقول السائل : (هل استسلَم العربُ لنكسَةٍ عارضةٍ فى حياتهم ؟) فتجيب : (لا ، لا ، لم يستسلموا لذلك) ومن هذا ما مرّ من قول جميل :

لا ، لا أبوح بِحُبّ بَثْنَةَ إنها أخذتْ عليّ مَوَاثِقًا وعُهُودا

● فإذا كان الحرف من غير حروف الجواب وهى كثيرة - فإنه يؤكّد لفظيا بطريقة خاصة هى : أن يعاد الحرف مرة أخرى لكن بشرط أن يتصل بحرف التوكيد ما اتصل بالحرف المؤكّد ، كقول المتهم أمام القاضى : (إنّنى إنّنى برىءٌ) وقوله وهو يحكى حياته : (فى حياتى فى حياتى قصةٌ مروّعة) .

وما ورد على غير ما سبق من الشواهد فهو نادر أو شاذ ، ومن ذلك قول الشاعر :

إنَّ إنَّ الكريمَ يحلُمُ ما لم يَرَيَنْ مَنْ أجَارَه قد ضِيمَا (١)

وقول مسلم بن معبد وقد نهبت إبله فى الصَّدَقَة :

بكتْ إبلى وحُقَّ لها البكاءُ وفرَّقَها المظالِمُ والعَدَاءُ
فَلاَ واللهِ لا يُلْفَى لِمَا بى ولا لِلِمَا بهِمْ أبدًا دواءُ (٢)

توكيد الضمير المرفوع المتصل بالنفس والعين :

هذه صورة خاصة من صور التوكيد المعنوى تجتمع فيها الصفتان التاليتان :

(أ) أن يكون المؤكّد ضميرا متصلا مرفوعا .

---

(١) من أجاره : من حماه - قد ضيما : قد ظلم وأهين .

يقول : الإنسان الأبى الكريم يستعمل الأناة والرفق ما لم يظلم من فى حماه فإذا ظلم ترك الرفق والأناة واستعمل القوة والشدة .

الشاهد : فى (إن إن الكريم) حيث أكد الحرف (إن) بإعادة لفظه وهو من غير حروف الجواب ، والتوكيد بهذه الطريقة شاذ ، ولو جاء على الوجه الصحيح لقال : (إن الكريم ، إن الكريم) .

(٢) العداء - بفتح العين - هو العداوة - لا يلفى : لا يوجد .

يقول : إن إبلى نهبت ظلما ، فهى تبكى لظلمها ومن حقها البكاء ، كما أبكى أنا أيضا لذلك ومن حقى البكاء ، وإنى لأقسم أن ما بينى وبين من نهبوها لن ينتهى وجرحه لن يلتئم ، فإنه لا دواء له .

الشاهد : فى البيت الثانى (ولا للما بهم) حيث أكدت « لام الجر » وهى من غير حروف الجواب بإعادة لفظها فقط ، وهذا شاذ .

(ب) أن يكون التوكيد من ألفاظ المجموعة الأولى وهي (النَّفْس - العَيْن) .

حينئذ لا يصلح التوكيد المباشر بهذين اللفظين ، بل لابد أن يؤكَّد أولا الضمير المتصل بضمير منفصل ، ثم يؤتى بعد ذلك بلفظ من هذين اللفظين (النفس - العين) - فلنلاحظ :

قَاوِمُوا أنتم أنفسُكم عَدوَّكم وتمسَّكُوا } كلام صحيح - لوجود الضمير
أنتم أعينُكم بحريتكم وأرضكم } المنفصل

وتَلاَقَوْا أنفسُكم حَولَ رغبة الجهاد } كلام خطأ - لعدم وجود الضمير
} المنفصل

وتجَمَّعُوا كلُّكم حولَ رايةِ الجهاد } كلام صحيح - لأنه لا يشترط معه
} الضمير المنفصل

توكيد النكرة توكيدًا معنويًا :

لقد اشترط في مجموعات ألفاظ التوكيد المعنوى - كما سبق - أن تكون مضافة لضمير يعود للمؤكَّد ، وما لا يضاف منها إلى ضمير - كالمجموعة الأخيرة - اعتبر - لدى النحاة - مضافا تقديرًا ، ومعنى ذلك أن هذه الألفاظ من المعارف ، ولكى تتطابق مع ما تؤكده يجب أيضا أن يكون معرفة مثلها .

وعلى هذا يمكن أن يقال : إن الأصل في المؤكَّد أن يكون معرفة ولا يكون نكرة ، وهذا اتجاه له أنصاره بين النحاة .

لكن .. هناك اتجاه آخر من رأيه أن النكرة يمكن أن تؤكَّد بشرط أن يتصف أسلوب توكيدها بالصفتين التاليتين :

(أ) أن يكون المؤكَّد النكرة دالا على زمن محدود ، بمعنى أنه موضوع لمدة لها ابتداء وانتهاء ، مثل (أسبوع - شهر - حول - سنة - عام - يوم) .

(ب) أن يكون التوكيد لفظ (كلّ - جميع) فقط .

وقد استند هذا الرأى الأخير على ورود ذلك فى الشعر والنثر الفصيح ومن ذلك :

● قول عبد الله بن مسلم :

لكنّه شَاقَهُ أنْ قِيلَ ذا رَجَبُ يا ليتَ عِدَّةَ حَوْلٍ كلّه رَجَبُ (١)

● قول عائشة عن رسول الله ﷺ : (ما صَامَ رسولُ الله ﷺ شهرًا كلّه إلاّ رمضانَ) .

ولورود ذلك فى الشعر والنثر قَبِلَه من يعتدّ بهم من النحاة بالصفتين السابقتين .

يقول ابن مالك :

وإنْ يُفِدْ توكيدُ منْكورٍ قُبِلْ وعن نُحاةِ البَصرة المنْعُ شَمِلْ

ويقول ابن هشام أيضا : وإذا لم يفدْ توكيد النكرة ، لم يجز باتفاق وإن أفاد جاز عند الكوفيين ، وهو الصحيح . أ . هـ .

* * *

(١) شاقه : بعث الشوق فى نفسه ، فغمره السرور والفرح - ويبدو أنه كان يلاقى حبيبته فى ذلك الشهر ، لذلك تمنى أن يكون هذا الشهر مستغرقا العام كله - مجرد أمنية !!

الشاهد : فى (يا ليت عدة حول كله) حيث أكدت النكرة (حول) لأنها زمان محدود ، ولأن لفظ التوكيد هو (كل) فالبيت مؤيد لمن أجازوا توكيد النكرة بالشرطين السابقين .

عطف البيان

١ -- المقصود بعطف البيان لدى اللغويين والنحاة وما يفيده لمتبوعه من معانٍ نحوية وبلاغية .

٢ - ما يتطابق فيه عطف البيان مع متبوعه فى وجوه التطابق العشرة .

٣ -- الموازنة بين عطف البيان والنعت .

٤ - الموازنة بين عطف البيان والبدل .

• • •

معنى عطف البيان :

كان الصدِّيقُ أبو بكر نحيلَ الجسم ، لكنه ذو إرادةٍ قوية .

وكان أميرُ المؤمنين عمرُ من أعدلِ العادلين ، ومع ذلك ماتَ مظلومًا .

ويُعتبر الخليفةُ معاويةُ أوّلَ من خرج على سَنَن الخلفاء الراشدين فى الحكم .

فى حياتنا الدارجة تقول : (اعطف عليّ) بمعنى : عدْ إليّ حنونا رحيما .

ونقول أيضا : (عنده عطف على أبنائه وأقاربه) بمعنى : أنه ينظر فى شئونهم ويعاملهم بالرفق والرحمة ، فكأن اللفظ يفيد فى الاستعمال العادى النظر إلى شخص أو شيء لإصلاح شأنه وكفايته .

يقول القاموس : العطف هو الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه ، ومن ذلك قولهم : (عَطَفَ الفارسُ على قِرْنِه) بمعنى : عاد إلى من يساويه فى الشجاعة بقصد الصراع والغلبة أ . هـ . وفى هذا أيضا عود لآخر للنظر فى أمره من حيث الشجاعة أو غيرها .

أما لدى النحاة فيقصد به : التابع الجامد الذى يكشف قصد المتكلم من المتبوع ببيانه وشرحه أ . هـ .

ومن ذلك فى الأمثلة السابقة (الصدِّيق أبو بكر - أمير المؤمنين عمر - الخليفة معاوية) فكلمة (أبو بكر) عطف بيان لكلمة (الصدِّيق) وكذلك كلمة

(عمر) عطف بيان بعد (أمير المؤمنين) وأيضا كلمة (معاوية) عطف بيان بعد (الخليفة) ومن البين أن الكلمات (أبو بكر - عمر - معاوية) أسماء جامدة جاءت بعد متبوعها ، فبيّنته تماما ، ووضحت المقصود منه وشرحته . ولهذا يسمى هذا التابع « عطف بيان » لأنه يكشف المقصود من الاسم الأول ويبينه ، أو بعبارة بعض المحدثين : « لأن الثانى يشبه أن يكون مرادفا ، لأن الذات المدلول عليها باللفظين واحدة ، وإنما يؤتى بالثانى لزيادة البيان » أ . هـ .

ومن استعمالات عطف البيان التى تتردد على ألسنتنا (خليل الله إبراهيم - كليم الله موسى - المسيح عيسى ابن مريم - خاتم الأنبياء محمد - ذو النورَيْن عثمان - الإمام على بن أبى طالب - سيد الشهداء الحسين - السيدة أم هاشم - السيد أحمد البدوى - المرسى أبو العباس - أم المؤمنين عائشة - ذات النّطاقين أسماء - ربة الجمال فينوس - حيّة النيل كليوباترة - المعرّى أبو العلاء - المتنبى أحمد بن الحسين - شاعر الرسول حسّان - أمير الشعراء شوقى - شاعر النيل حافظ - كاتب الشرق العقاد - عميد الأدب العربى طه حسين - الإمام مالك - الشيخ الرئيس ابن سينا) .

● ومن شواهده :

قول الله تعالى : ﴿ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ ﴾ [الآية ٦٥ سورة المائدة] .

وقوله : ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ [الآية ١٦ سورة إبراهيم] .

قول أحد الرجاز يتحدث عن عمر بن الخطاب :

أقسمَ باللهِ أبو حَفْصٍ عُمَرْ
ما مَسَّها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ
فاغفِرْ له اللّهمَّ إن كان فَجَرْ (١)

---

(١) نقب : جرح يصاب به البعير فى خفه أو ظهره - دبر : كما يقول القاموس : « قرحة الدابة » فهو أيضا بمعنى الجرح - فجر : أثم .

يقال فى سبب هذه الأبيات : إن أعرابيا شكا لعمر أن دابته التى يركبها جريح مجهدة ، وطلب منه أن يعطيه ناقة من إبل الصدقة ، ليركبها ، فلم يصدقه عمر ، فانطلق بناقته الجريح ، وهو ينشد هذا الرجز .

الشاهد : فى (أقسم بالله أبو حفص عمر) فإن كلمة (عمر) عطف بيان بعد (أبو حفص) .

ما يفيده عطف البيان نحويًا وبلاغيًا :

يفيد عطف البيان نحويا غرضين رئيسين هما :

الأول : توضيح المعرفة : تقول : (مدحَ القرآنُ المسيحَ عيسى ابن مريم وذمَّ اليهودَ ، إذْ آذَوْا كليمَ الله موسى) .

الثاني : تخصيص النكرة : تقول : (نحن الآن فى جَوٍّ ربيعٍ ، وكنا قبل ذلك فى طَقسٍ شتاءٍ) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ ﴾ [الآية ٣٥ سورة النور] .

هذان الغرضان السابقان لا يخلو عطف البيان من أحدهما فى أى جملة تحتوى عليه ، لكنه - مع ذلك - يفيد أغراضا أسلوبية أخرى تُهِمُّ دارس البلاغة لا دارس النحو ، ومن هذه الأغراض مثلا :

(١) المدح : كما تقول : (كان من شهداءِ أُحُدٍ حمزةُ عَم الرسول) .

(٢) الذم : كما تقول : (كان من قتْلَى بدْرٍ أبو جهل رأسُ الكفر) .

إلى غير ذلك من الأغراض التى يدل عليها سياق الكلام والأسلوب الذى وردت فيه .

ما يتطابق فيه عطف البيان مع متبوعه :

يتطابق عطف البيان مع متبوعه فى الأمور الآتية :

(أ) أوجه الإعراب الثلاثة : الرفع والنصب والجر ، فيتبعه فى واحد منها.

(ب) التعريف والتنكير : فإن كان المتبوع معرفة كان عطف البيان معرفة ، وإن كان المتبوع نكرة كان عطف البيان نكرة مثله .

(جـ) الإفراد والتثنية والجمع : فيتطابق معه فى العدد إفرادًا أو تثنية أو جمعا .

(د) التذكير والتأنيث ، فيتطابق معه فى النوع .

فلنطبق وجوه التطابق السابقة على النصائح التالية :

يا صديقى الطالب الحياةُ فرصة فاغتنمْها

يا صديقتى الفتاة زينتُك الأخلاقُ ، فتمسكى بها

يا أصدقائى الطلاب ، المستقبلُ لكم ، فاعملوا له

وعلى ذلك ، يمكن أن يقال : إن عطف البيان يتوافق مع متبوعه فى أربعة من عشرة ، بمعنى أن أىّ مثال يحمل دائما أربع صفات من صفات التطابق العشرة ، واحدة من أوجه الإعراب الثلاثة - والثانية من التعريف والتنكير - والثالثة من الإفراد والتثنية والجمع - والرابعة من التذكير والتأنيث ، فيصدق عليه ما سبق أن عرفناه عن « النعت الحقيقى » تماما .

الموازنة بين عطف البيان والنعت :

من العرض السابق تتضح - بأدنى تأمل - وجوه الموازنة بين النعت وعطف البيان ، فهما يتفقان فى أمرين ، ويفترقان أيضا فى أمرين - فهما يتفقان فى الآتى :

١ - الأغراض التى يفيدها كل منهما لمتبوعه نحوا وبلاغة .

٢ - وجوه التطابق بين النعت الحقيقى ومتبوعه تماثل وجوه التطابق بين عطف البيان ومتبوعه .

وهما يفترقان فى الآتى :

١ - أن النعت اسم مشتق أو مؤول به - أما عطف البيان فاسم جامد دائما .

٢ - أن النعت يوضح المتبوع ببيان صفة من صفاته ، أما عطف البيان فيكشف قصد المتكلم من المتبوع ببيانه .

الموازنة بين عطف البيان والبدل :

هناك علاقة وثيقة بين البدل وعطف البيان ، فكل اسم صح إعرابه « عطف بيان » يصلح فى الوقت نفسه أن يكون « بدل كلّ من كلّ » .

جاء فى « قطر الندى » نصا : « كل اسم صح الحكم عليه بأنه عطف بيان مفيد للإيضاح أو للتخصيص ، صح أن يحكم عليه بأنه بدل كلّ من كلّ » . أ . هـ .

تقول : (إن هذا الوطنَ حبيبٌ إلينا ، ففوق هذه الأرضِ عاش آباؤنا ، وتحت هذه السماءِ تعاقبتْ أجيالُنا) .

وتقول : (من أئمةِ النحو الأعلام سيبويهِ عَمْرُو بن قنبر وجلالُ الدّين عبدُ الرحمن السّيوطى) .

هذا هو الأصل ، كل ما صلح عطف بيان صلح بدل كلّ من كلّ .

لكن يستثنى من هذا الأصل ما عُبِّر عنه بقولهم : (إن لم يمتنع إحلالُه مَحَلَّ الأوّل) .

ومعنى هذه العبارة : أن الاسم الثانى - التابع - لا يمكن وضعه موضع الأول - المتبوع - حينئذ يكون هذا الاسم عطف بيان ، ولا يصح بدلا ويندرج تحت هذا الأصل العام الأمثلة والشواهد التالية :

● قولنا : (يا ربنا الرّجاء) أو (يا علىّ الرّضا) وما يرد فى كتب النحو من (يا زيدُ الحارث) .

● قول المرّار بن سعيد :

أنا ابنُ التارِكِ البكرىِّ بِشْرٍ ... عليه الطيرُ ترقُبُه وُقُوعًا [1]

● قول طالب بن أبى طالب :

أيَا أخَوينَا عبدَ شمسٍ ونَوْفَلاً ... أعيذُكُما باللهِ أنْ تُحْدِثَا حَرْبَا [2]

ففى الأول لا يصح وضع الكلمات (الرجاء - الرضا - الحارث) موضع المنادى ، لأن فيها (ال) .

وفى الثانى لا يمكن وضع (بشر) موضع (البكرى) إذ يترتب عليه إضافة الوصف المقترن « بأل » للخالى منها .

---

(١) التارك : الجاعل المصير - البكرى بشر : رجل من قبيلة (بكر) اسمه (بشر) .

يقول : لقد قتلت بشرا البكرى ، وتركته ملقى على الأرض تتطلع إليه الطيور الجارحة ، وتقع فوقه لتأكل لحمه .

الشاهد : فى (أنا ابن التارك البكرى بشر) فإن كلمة (بشر) تعرب هنا عطف بيان ولا يصح أن تكون بدلا ، إذ لا يصح أن توضع هذه الكلمة موضع (البكرى) فيقال (أنا ابن التارك بشر) لأنه يترتب عليه إضافة الوصف المفرد المتصل بالألف واللام للخالى منها ، وهذ لايصح كما سبق فى باب الإضافة - ولذلك تعرب الكلمة عطف بيان لا بدلا ، فإن البدل - كما يدل اسمه - يصح وضعه موضع المتبوع .

(٢) الشاهد : فى البيت (يا أخوينا عبد شمس ونوفلا) إذ يجب أن يعرب (عبد شمس) عطف بيان للمنادى (يا أخوينا) ولا يصح أن يكون بدلا ، لأن البدل يصح وضعه فى مكان المبدل منه ، فيقال (يا عبد شمس ونوفلا) وهذا لا يصح ، لأن (نوفلا) منصوبة ويجب أن تبنى على الضم ، فيقال (يا عبد شمس ونوفل) لكنها وردت منصوبة فى البيت ، وهذا ما منع أن يجعل (عبد شمس) فيه بدلا ، بل وجب إعرابه عطف بيان فقط .

وفى الثالث : لا يمكن وضع (عبد شمس ونوفلا) موضع المنادى ، لأن الثانى منصوب ، وكان يجب بناؤه على الضم .

خاتمة : بعض استعمالات عطف البيان فى الكلام العربى :

من مواضع عطف البيان فى الكلام العربى ما يلى :

• الاسم المقترن « بأل » بعد أسماء الإشارة : تقول : (إن هذه الأمةَ العربية واحدة ، يربطُ بينها هذا اللسانُ المبين وتلك العواطفُ المشتركة) .

• استعمال الاسم العلم مع اللّقَب : تقول : (من النساء الشهيرات فى الإسلام الصِّدِّيقةُ عائشةُ وذاتُ النِّطاقَين أسماءُ ، وكلتاهما من ولد الصّدِّيقِ أبى بكر) .

• استعمال الاسم العلَم مع الكنية تقول : (من النساء الشهيرات فى عصرنا الحاضر أمُّ كلثوم فاطمةُ) .

• استعمال الكلمة مفسرة لغيرها ، سواء مع استعمال الحرف « أىْ » أو بدونه ، تقول وأنت تفسر بعض كلمات أحد النصوص : يقصد بالخِبّ : الخدّاع - الأنام أى : الناس ، فكل من الكلمتين (الخدّاع - الناس) عطف بيان لما فسرته .

* * *

عطف النسق

١ - المقصود بعطف النسق لدى اللغويين والنحاة .

٢ - حروف العطف ومعانيها ، وهى (الواو - الفاء - ثُمّ - حتى - أم - أو - بل - لكنْ - لا) .

٣ - من مسائل عطف النسق ما يلى :

(أ) العطف على الضمائر بأنواعها المختلفة .

(ب) العطف فى الأفعال .

* * *

عطف النسق :

مصطلح نحوى مكون من كلمتين « عطف ونسق » والمقصود بالعطف - كما سبق - الرجوع إلى الشيء للنظر فى شأنه - أما النسق فيقصد به هنا « النظم » فإن الاسم المعطوف يُنظم مع المعطوف عليه فى طريقة واحدة من حيث الإعراب والمعنى .

ويصف النحاة عطف النسق بقولهم : هو التابع الذى يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف أ . هـ .

ومن البين أن فهم اللغويين له يتكامل مع فهم النحاة ، فبينما يصف النحاة الصورة اللفظية التى يرد عليها ، يتضح من التسمية اللغوية - عطف النسق - ما يترتب على الصورة اللفظية من أحكام نحوية هى المشاركة فى الإعراب والمعنى .

فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

يتحمل اليهودُ والعربُ معًا مسئوليةَ مأساةِ فلسطين

ضاعت من العرب تحت الضغطِ والفرقةِ

بينما قام اليهود برسمِ الهدفِ فالهجرةِ فالاحتلالِ

ففي هذه الأمثلة أسماء معطوفة في المثالين الأولين بحرف « الواو » وفي المثال الأخير بحرف « الفاء » وكل اسم معطوف يتحقق له ما سبق ذكره من أنه يشارك ما قبله في الإعراب والمعنى .

من ذلك التفسير السابق تُفهم العبارة النحوية المشهورة عن جملة العطف وهي : (أن تصلح لصنع جملتين مستقلتين منها) نظرًا لاشتراك كل من المعطوف والمعطوف عليه في الأمرين السابقين - الإعراب والمعنى - ولعلّ هذا يفسر تسمية سيبويه لهذا الباب في كتابه بأنه (باب الشَّرِكَة) .

حروف العطف ومعانيها :

تمهيد :

حروف العطف - على ما هو مشهور - عشرة أحرف هي (الواو - الفاء - ثُمَّ - حتَّى - أمْ - بَلْ - لكنْ - لاَ - إمَّا) لكن الحرف الأخير (إمَّا) موضع أخذ ورد كثير ، ومثاله ما ورد في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [الآية ٤ من سورة محمد] فقد فقال ابن عقيل بعد أن أورد الآية : وليست (إمَّا) هذه عاطفة خلافا لبعضهم ، وذلك لدخول الواو عليها وحرف العطف لا يدخل على حرف العطف أ . هـ .

وعلى هذا النهج سار كثير من النحويين ، فتركوا هذا الحرف ولم يتعرضوا له في حروف العطف واعتبروها تسعة أحرف فقط .

هذا وقد أسهبت كتب مسائل النحو في الحديث عن معاني هذه الحروف التسعة ، والمناقشات حول هذه المعاني ، بحيث إنَّ هذا الباب كله يمكن اعتباره حديثا عن معاني هذه الحروف .

والحق أن المعاني التي تذكر لهذه الحروف كقولهم مثلا : (ثُمَّ : للترتيب والتَّراخِي) أو قولهم : (حتَّى : للتدريج والغاية) دراسة أسلوبية حيث يتضح من خلالها معنى هذه الحروف في الأساليب التي وردت بها ، فهي إذن من اختصاص دارس البلاغة لا دارس النحو .

وعلى ذلك ، كان من المنتظر أن يترك هنا - في دراستنا النحوية - الحديث عن هذه القضية التي شغلت الكثير من الصفحات في غير اختصاصها إذ يكفي

دارس النحو أن يعلم أن هذه الحروف المذكورة تشرك ما بعدها مع ما قبلها فى الإعراب والوظيفة النحوية .

والحق أننى هممت أن أترك هذا البحث تماما ، لولا أن بعض هذه المعانى يرتبط به أحيانا أمور نحوية فى الجملة التى بها العطف أو فى العطف بها وذلك مثل الحروف (أمْ - أوْ - بَلْ - لكِنْ) حيث يعطف بعضها بعد النفى أو الإيجاب - وهذه معانٍ نحوية - كما أن بعضها الآخر يكون عاطفا أو غير عاطف مثل (أمْ) وأن ذلك مرتبط بمعانيها كما سيأتى .

من أجل ذلك نسوق هذه المعانى - دون إسهاب ولا اضطراب - مع ذكر أمثلة وشواهد لهذه الحروف التسعة . وربما كان ذكر هذه الأمثلة والشواهد أهم - فى نظرى - من ذكر معانى هذه الحروف - وإليك إذن هذه الحروف ومعانيها .

١ - الواو : مطلق الجمع :

المقصود من ذلك أنها تجمع بين المعطوف والمعطوف عليه فى حديث واحد وهذا معناها فقط ، فلا يفهم منها تأخر المتأخر ولا تقدم المتقدم ولا العكس ولا تصاحبهما معا .

قال السيرافى : أجمع النحويون واللغويون من البصريين والكوفيين على أن الواو للجمع من غير ترتيب أ . هـ .

تقول : (ذاكرتُ النّحوَ والأدبَ) . وتقول : (يَوْمِى مُوَزَّعٌ بين اللَّعِبِ والجدِّ والهدوءِ والحركةِ والعملِ والراحةِ) .

فلنتأمل الشواهد التالية :

- قول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الآية ٢٦ سورة الحديد] } الترتيب على الأصل

- وقوله :

﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [الآية ٦٥ سورة الزمر] } الترتيب على خلاف الأصل

• وقوله :

﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [الآية ٤٣ سورة آل عمران] } الترتيب على خلاف الأصل

• وقوله :

﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾ [الآية ١٥ سورة العنكبوت] } المعطوف والمعطوف عليه متصاحبان

٢ – الفاء : الترتيب والتعقيب :

معنى « الترتيب » أن المعطوف عليه يحدث أولا ، والمعطوف يحدث بعده ، ومعنى « التعقيب » أن الثانى يحدث بعد الأول مباشرة بحسب ظروفه تقول : (طريقُ الشاب الناجح واضحٌ ، الدراسةُ فالتخرجُ فالعملُ) جاء فى قطر الندى : « وتعقيب كل شيء بحسبه ، فإذا قلت (دخلتُ البصرةَ فبغدادَ) وكان بينهما ثلاثة أيام ، ودخلت بعد الثالث ، فذلك تعقيب فى مثل هذا عادة ، فإذا دخلت بعد الرابع أو الخامس ، فليس بتعقيب ، ولم يجز الكلام » . أ . هـ .

٣ – ثُمَّ : الترتيب والتَّراخِي :

أما « الترتيب » فقد سبق معناه ، وأما « التراخى » فمعناه أن هناك مهلة بين المعطوف والمعطوف عليه ، تقول : (ينحصرُ العام الدراسى بين بَدءِ الدّراسة ثم الامتحانِ) وتقول : (حضرتُ للكلية فى الصباح ثم عدتُ لمنزلنا فى المساء) .

٤ – حتَّى : التَّدْرِيج والغاية :

ومعنى « التدريج » أن ما قبلها ينقضى شيئا فشيئا إلى أن يبلغ إلى الغاية وهو الاسم المعطوف ، ومعنى « الغاية » آخر الشيء ونهايته ، تقول : (وَسِعَ قلبُ الرسول كلَّ الناس حتى العصاةَ ، وشملَ عدلُ عمرَ كلَّ الرعيةِ حتى الظلمةَ) – وجاء في « مغنى اللبيب » : « وتكون حرف عطف مثل (الواو) فى المعنى والعمل بشرط أن يتحقق لجملتها الصفات الآتية :

(أ) أن يكون المعطوف بها اسما ظاهرا – كما هو واضح فى الأمثلة السابقة .

(ب) أن يكون المعطوف بها جزءا من المعطوف عليه – كما ترى فى الأمثلة السابقة .

(جـ) أن يكون المعطوف بها غاية فى الزيادة أو القلة ، أى نهاية فى الكمال أو النقص – وقد يكون كل منهما حسيا أو معنويا ، كما ترى فى الأمثلة التالية :

● فالغاية فى الزيادة الحسية كقولنا : (تصدّقَ المحسنُ بالأعدادِ الكثيرةِ حتّى الألوفِ) .

● والغاية فى الزيادة المعنوية كقولنا : (ماتَ الناسُ حتى الأنبياءُ) .

● والغاية فى القلة الحسية كقولنا : (اللهُ يحصِى الأشياءَ حتى مثقالَ الذّرّة) .

● والغاية فى القلة المعنوية كقولنا : (غلبكَ الناسُ حتى الصبيانُ) .

وقد اجتمعت الغايتان – الزيادة والقلة – فى قول أبى دؤاد الإيادى :

قَهَرْناكُمُ حتّى الكُمَاةَ فأنتم تَهابونَنا حتى بَنِينَا الأصَاغِرَا [(١)]

٥ – أمْ : المتّصلة والمنقطعَة :

يأتى هذا الحرف (أمْ) على الصور التالية :

الأول : أن يتقدم الجملة التى وردت فيها « همزة الاستفهام » ويكون القصد من الجملة تعيين واحد من اثنين فيها ، تقول : (آلواجبَ الشاقَّ تفِضّلُ أم الراحةَ الرخيصةَ ؟ وأعَنْ حبِّ الناس تبحثُ أم عن احترامِهم ؟؟) .

وتسمى همزة الاستفهام هذه « همزة التعيين » – والحرف (أم) لعطف المفرد غالبا – ويأتى بعد الهمزة ما يُسأل عنه ، وبعد (أمْ) ما يقابله .

الثانية : أن يتقدم الجملة التى وردت فيها « همزة الاستفهام » على أن تسبق الهمزة بكلمة « سواء » ويكون القصد من الجملة استواء أمرين متقابلين فيها تقول : (الإنسانُ النظيف يؤدى الواجبَ سواءٌ أثقلَ عِبئُه أم هانَ وهو يبحث عن

---

(١) الكماة : جمع « كمى » وهو الرجل الفائق الشجاعة .

يقول : لقد غلبناكم حتى الشجعان منكم غلبوا ، ففى قلوبكم الرعب منا ، بل من أبنائنا الصغار .

الشاهد : فى الشطر الأول (قهرناكم حتى الكماة) إذ جاءت (حتى) للغاية فى الزيادة .

وفى الشطر الثانى (تهابوننا حتى بنينا الأصاغرا) جاءت (حتى) للغاية فى النقص .

الاحترام سواءٌ أكرِهَهُ الناسُ أمْ أحبُّوه) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ [الآية ٦ من سورة البقرة] ، وقول متمم بن نويرة فى رثاء أخيه « مالك » :

ولستُ أبَالِى بعد فَقْدِىَ مالِكًا ... أَمَوْتِىَ نَاءٍ أم هو الآن وَاقِعُ (١)

فإن جملة (لست أبالى) تساوى تمامًا كلمة (سواء) فى المعنى .

وتسمى همزة الاستفهام هنا « همزة التسوية » - والحروف (أم) لعطف الجمل الاسمية أو الفعلية التى تؤول بعد ذلك - فيما يقال - بمصادر متعاطفة .

الثالثة : ما كانت فى غير الصورتين السابقتين ، ويكون القصد من الجملة التى وردت فيها صرف النظر عن الكلام السابق عليها ، والاتجاه إلى ما ورد بعدها ، كقولك : (هل يستوى السموُّ والخسّةُ أم هل يستوى النفعُ والضررُ) ، وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾ [الآية ١٦ سورة الرعد] . وقول عمر بن أبى ربيعة :

ألا ليت أنّى يومَ تُقْضَى مَنِيَّتِى ... لَثَمْتُ الذى ما بين عينيك والفَمِ
وليت طَهُورِى كان ريقَكِ كلُّهُ ... وليتَ حَنُوطِى من مُشَاشِك والدَّمِ
وليت سُلَيْمَى فى المنام ضَجيعتى ... هنالك أم فى جنةٍ أم جهنّمِ (٢)

---

(١) ناء : بعيد الوقوع .

يقول : لا أبالى متى يأتى الموت بعدما فقدت أخى ، فلم يعد للحياة طعم دونه .

الشاهد : فى (لست أبالى) فإنها بمنزلة (سواء) فى المعنى ، وجاء بعدها همزة التسوية و(أم) التى عطفت جملة على جملة فى (أموتى ناء أم هو الآن واقع) وكلا المتعاطفين جملة اسمية .

(٢) يوم تقضى منيتى : يوم موتى - لثمت : قبلت - حنوطى : الطيب الذى يوضع على جسد الميت - مشاشك : المشاش : العظام اللينة - ضجيعتى : مشاركة فى المضجع .

المعنى : أمنية غريبة يصور بها شدة حبه ، إذ يتمنى حين يموت أن يقبل ما بين عينيها وفمها ، وأن يكون ريقها طهوره ومشاشها ودمها طيبه ، بل إنه ليتمنى ما هو أكثر ، بأن يضاجعها فى نومه أو بعد موته فى الجنة أو النار لا يهم ما دامت هى بجانبه .

الشاهد : فى قوله (هنالك أم فى جنة أم جهنم) فإن (أم) فى هذا الشطر منقطعة تفيد (الإضراب) فهى بمعنى (بل) ولذلك يعتبر ما بعدها جملة كاملة وهى هنا كذلك ، فالجار والمجرور بعدها خبر (ليت) المحذوفة مع اسمها وتقدير الكلام (ليت سليمى ضجيعتى هنالك أم ليتها فى جنة أم ليتها فى جهنم) .

والحرف (أم) فى هذه الصورة (حرف ابتداء) ويعبر عنه المعربون بقولهم : (حرف يفيد الإضراب) ومعناه الإضراب عما سبقه والاتجاه لما بعده ، ولذلك تعتبر الجملة التى بعده جملة جديدة مستقلة .

وبناء على ما سبق يمكن فهم المقصود من وصف (أم) بأنها متصلة أو منقطعة .

فالمتصلة : هى ما كان الكلام بعدها ذا صلة بما قبلها ، ويتحقق هذا فى الصورتين الأولى والثانية - وهذه عاطفة كما سبق .

والمُنْقَطِعَة : ما كان الكلام بعدها لا صلة له بما قبلها ، لصرف النظر عما قبلها ، ويتحقق هذا فى الصورة الأخيرة ، وهذه حرف ابتداء لا صلة لها بالعطف .

٦ - أوْ :

وتأتى بالمعانى الخمسة الآتية :

أولا : **التخيير** : كقولنا فى موقف النصيحة (كنْ شجاعًا أو جبانًا وعشْ كريمًا أو بخيلاً) وكقولك لصديقك : (إذا عدتَ من الكلية للبيت فقُمْ بالمذاكرةِ أو النّومِ) ويمثل النحاة لذلك بقولهم : (تزوّجْ هندًا أو أختَها) .

ثانيًا : **الإباحة** : كقول الخطيب الواعظ : (أشفِقْ على المساكينِ أو الضعفاءِ واحتقرْ المنافقين أو الأدعِياءَ) وكما تقول لصديقك : (اذهبْ إلى الحديقةِ أو السّينما) ويمثل النحاة لذلك بقولهم : (جالسْ العلماءَ أو الزّهادَ) .

قال ابن هشام عن التخيير والإباحة : « والفرق بينهما أن التخيير يأبى جواز الجمع بين ما قبل (أو) وما بعدها ، والإباحة لا تأباه » أ . هـ .

وهذان المعنيان تأتى لهما (أو) بعد الطلب ؛ وبخاصة ما دل منه على الأمر .

ثالثًا : **الشك** : كقولك (قمت من النوم مروّعا على صوت أنينٍ أو استغاثةٍ وحِرْتُ فى تحديد ذلك بين الوهْم أو الحقيقةِ) وتقول لصديقك : (زرتُك أمس حوَالى الثانيةِ أو الثالثةِ) ويحكى القرآن عن أهل الكهف قولهم حين استيقظوا من نومهم الطويل : ﴿ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [الآية ١٩ سورة الكهف] .

رابعًا : **التشكيك أو الإبهام** : لنفترض محاورة بين أحد العلماء المسلمين وأحد الأجانب الباحثين عن المعرفة ، يذكر فيها العالم المسلم فى بداية حديثه ما يلى :

- يا سيّدى ، يدعو الإسلام إلى العلْمِ والتدبير أو الجهلِ والتسليم .
- والقرآن من عند الله أو من كلام محمد .
- سنتناقش فى ذلك لنعرف الحقَّ أو الباطلَ .

فلا شك أن العالم المسلم يعرف حقيقة الأمر فيما ردده من أمور متقابلة لكنه - فى موقف المحاورة - يعمّى الأمر على المخاطب ، بقصد الاستدراج له إلى النقاش ، ثم الوصول معه إلى الحقيقة .

قال النحاة : والفرق بين الشك والتشكيك ، أن الشك يكون من المتكلم ، أما التشكيك فهو قصد المتكلم إيقاع المخاطب فى الشك .

خامسا : الإضراب : ويقصد به صرف النظر عما سبقها ، والاتجاه لما يأتى بعدها ، فتكون « حرف ابتداء » كقول جرير يخاطب هشام بن عبد الملك :

ماذا تَرَى فى عيال قد بَرِمْتُ بهم   لم أُحصِ عِدَّتَهم إلاّ بعدّادِ
كانوا ثمانين أوْ زادوا ثمانيةً   لولا رجاؤُك قد قتّلتُ أولادِى [١]

والمعانى الثلاثة الأخيرة تأتى لها « أو » بعد الخبر لا الطلب .

٧ - لكِنْ :

ويعطف بها بعد النفى والنهى - ويكون معناها حينئذ إقرار الكلام قبلها على ما هو عليه من نفى أو نهى . وإثبات نقيضه لما بعدها ، تقول : (ما سافرتُ يومَ الخميس لكنْ يومَ الجمعة) وتقول أيضا : (لا تُصاحبْ الأشرارَ لكنْ الأخيارَ) ومن المعلوم أن ضد النفى الإثبات وضد النهى الأمر .

هذا إذا جاء بعدها مفرد ، فإن جاء بعدها جملة كاملة ، فهى حينئذ حرف ابتداء لا عطف - وعلى ذلك ورد قول زهير بن أبى سلمى :

---

(١) عيال : عيال المرء من يعوله من الأولاد والأقارب - برمت بهم : ضقت بهم - عداد : تعداد متعمد .

يقول : إن لى أقارب وأولادا أعولهم ، وهم كثيرون لا يحصون إلا بالتعداد وقد أحصيتهم ، فوجدتهم ثمانين بل ثمانية وثمانين ، هؤلاء قد ضقت بهم وبنفقتهم ، فهم يستحقون عطفك ومعونتك .

الشاهد : فى (كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية) فإن « أو » تفيد الإضراب فهى « حرف ابتداء » بمعنى « بل » .

إنَّ ابنَ وَرْقَاءَ لا تُخْشَى بَوَادِرُهُ   لكنْ وقائعُه فى الحربِ تُنْتَظَرُ (١)

٨ - لاَ :

وهى على العكس تماما من (لكنْ) إذ يعطف بها بعد الإثبات والأمر ويكون معناها إقرار ما قبلها على ما هو عليه من إثبات أو أمر ، وإثبات نقيضه لما بعدها ، تقول : (سافرتُ صباحًا لا مساءً) و(اسمعْ النصيحةَ الصَّادقةَ لا الرِّياءَ الكاذبَ) .

٩ - بَلْ :

وتأتى فى صورتين :

الأولى : أن تكون مثل (لكنْ) تماما بمعنى أن يعطف بها بعد النفى أو النهى ، ويكون معناها حينئذ إقرار ما قبلها على ما هو عليه من نفى أو نهى وإثبات نقيضه لما بعدها ، تقول : (لا يغش الصديقُ بل المنافقُ) وتقول : (لا تُنصتْ للغشاشين بل المخلصين) .

الثانية : أن تأتى بعد الإثبات أو الأمر ، وتفيد حينئذ ما يطلق عليه (الإضراب) ومعناه صرف النظر عن الكلام السابق عليها لتقرير هذا السابق عليها نفسه لما بعدها ، تقول : (زارنى صديقى أحمدُ بَلْ صديقى محمدٌ) وتقول (ليحضرْ إلىَّ منكم اثنان بل ثلاثة) .

ويتلخص أمر هذه الحروف الثلاثة فيما يلى :

- **لكنْ** : يعطف بها بعد النفى أو النهى - فيكون لما بعدها ضد ذلك وهو الإثبات والأمر .
- **لاَ** : يعطف بها بعد الإثبات والأمر - فيكون لما بعدها ضد ذلك وهو النفى والنهى .
- **بَلْ** : يعطف بها بعد النفى والنهى فتكون مثل (لكن) تماما - ويعطف بها بعد الإثبات والأمر فتفيد معنى (الإضراب) .

---

(١) ابن ورقاء : من يمدحه الشاعر ، و « ورقاء » أمه - بوادره : مفاجآته المسيئة عند الغضب ، والمقصود وصفه بالحلم - وقائعه : ما ينزله بالأعداء من الضر ، والمقصود أنه شجاع .

الشاهد : فى (لكن وقائعه فى الحرب تنتظر) حيث جاء بعد (لكن) جملة اسمية ، فهى (حرف ابتداء) أو (إضراب) بمعنى (بل) وليست حرفا للعطف .

وبعد :

فلعله قد اتضح بعد هذا الشوط الطويل مع حروف العطف ومعانيها ما سبق أن قلته من أن الحديث عن هذه المعانى دراسة أسلوبية لولا ما يترتب عليها من حديث نحوى سواء فيما يتعلق بالجملة قبلها أو العطف بها .

العطف على الضمائر المختلفة :

سبق - غير مرة - أن الضمائر مستترة وبارزة ، وأن البارزة منها المتصلة والمنفصلة ، والمتصلة تأتى مرفوعة ومنصوبة ومجرورة ، أما المنفصلة فمنها ضمائر رفع وضمائر نصب فقط .

المهم هنا أن يذكر أن معظم الضمائر فى عطف النسق حكمها حكم الأسماء الظاهرة ، فكما تقول : (الإنسان الحقُّ من له عقلٌ صريحٌ وضميرٌ نظيفٌ) تقول أيضًا : (أنا وصديقى نتعاملُ بفكرٍ مستنيرٍ وقلبٍ مفتوحٍ) ويقول الله تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الآية ٣٨ سورة المرسلات] .

لكن يستثنى من ذلك صور خاصة فى العطف على الضمير لا بد أن تتوافر فى جملتها صفات معيّنة حين العطف عليها ، وهى ما يلى :

الصورة الأولى : أن يكون الضمير المعطوف عليه مستترا ، وحينئذ يسبق حرف العطف توكيده بضمير منفصل ، تقول : (أبذلُ أنا والزملاءُ غايةَ الجهد فى الفهمِ والمذاكرة) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [الآية ٣٥ سورة البقرة] .

هذا هو الأصل فى الضمير المستتر ، أن يؤكد بضمير منفصل قبل العطف عليه ، ومع ذلك فقد وردت شواهد لا تتحقق لها هذه الصفة ، إذ عطف فيها على الضمير المستتر دون توكيد ، وهذا نادر فى اللغة وضعيف فى الاستعمال ، ومن ذلك :

- ما ورد عن العرب من قولهم : مررتُ برجل سواءٍ والعَدَمُ (١) .
- قول جرير يهجو الأخطل :

---

(١) معناه « حياته كموته » وكلمة (سواء) مصدر وقع صفة لكلمة (رجل) فهو بمعنى (مستوى) وفيه ضمير مستتر يعود على الرجل ، وقد عطف عليه دون توكيد بضمير منفصل ، وهذا نادر فى اللغة .

ورَجَا الأُخَيْطِلُ من سفاهةِ رأيِه ما لم يكنْ وأبٌ له لِيَنَالاَ (١)

الصورة الثانية : أن يكون الضمير المعطوف عليه متصلا مرفوعا ، وحينئذ يسبق حرف العطف أيضا توكيده بضمير منفصل ، تقول : (ذهبتُ أنا والأسرةُ للمصيف فى الإسكندرية) قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الآية ٥٤ سورة الأنبياء] .

قال النحاة : ويصح فى هذه الصورة أن يكون الفاصل بين المعطوف والمعطوف عليه شيء آخر غير الضمير المنفصل ، وهذا ما عبَّر عنه ابن مالك بقوله : (أو فاصلٍ ما) ومن ذلك :

● قول الله تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ [الآية ٢٣ سورة الرعد] .

● وقوله : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الآية ١٤٨ من سورة الأنعام] .

هذا هو الأصل فى الضمير المرفوع المتصل حين العطف عليه أن يؤكَّد بضمير منفصل أو يفصل بينه وبين ما عطف عليه بغير هذا الضمير ، ومع ذلك فقد وردت نصوص من الشواهد لا تتحقق لها هذه الصفة ؛ إذ عطف على الضمير المرفوع المتصل دون توكيد ولا فصل ، وذلك نادر فى اللغة وقليل فى الاستعمال .

● روى عن ابن عباس قال : إنى مع قوم ندعو الله لعمر بن الخطاب - وقد وضع على سريره - إذا رجل من خلفى مرفقه على منكبى يقول : رحمك الله ، إنى لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك ، لأني كثيرًا ما كنت أسمع الرسول ﷺ يقول : « كنتُ وأبو بكر وعمر وانطلقتُ وأبو بكر وعمر » . قال ابن عباس : فالتفتُّ فإذا هو علىّ بن أبى طالب .

الصورة الثالثة : أن يكون الضمير متصلا مجرورًا ، وحينئذ لا يصح العطف عليه إلا بإعادة الجار ، تقول : (الله غفورٌ رحيمٌ فاتجهت إليه وإلى رحمته) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [الآية ١١ من سورة فصلت] .

---

(١) الشاهد فى البيت : قوله (ما لم يكن وأب له) ففى الفعل (يكن) ضمير مستتر يعود على الأخطل ، وقد عطف عليه دون توكيده بضمير منفصل ، وهذا نادر فى اللغة .

هذا هو الأصل أن يعاد الخافض مع المعطوف حين العطف على الضمير المتصل المخفوض ؛ ومع ذلك فقد وردت بعض الشواهد لا تتحقق لها هذه الصفات ، فورد العطف على الضمير المتصل المخفوض دون إعادة الخافض وذلك قليل فى اللغة ، ومن ذلك :

● ما ورد من قراءة الآية ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [الآية الأولى من سورة النساء] بجر كلمة (الأرحامِ) .

● قول الشاعر :

فاليومَ قَرَّبْتَ تَهجونا وتشتمُنا فاذهبْ فما بكَ والأيامِ من عَجَبِ[١]

والخلاصة فى هذا الموضوع كله ما يأتى :

أولا : أن الضمير بأنواعه المختلفة حكمه فى العطف عليه كالاسم الظاهر لا فرق فى ذلك بين الاثنين .

ثانيا : يستثنى من ذلك ما يلى :

(أ) الضمير المستتر حين العطف عليه ، وهذا يؤكَّد قبل العطف عليه بضمير منفصل ، وما ورد غير ذلك نادر .

(ب) الضمير المرفوع المتصل حين العطف عليه ، وهذا يؤكد قبل العطف عليه بضمير منفصل أو فاصل آخر ، وما ورد غير ذلك نادر .

(جـ) الضمير المجرور المتصل ، وهذا يعطف عليه مع إعادة الجار ، وما ورد غير ذلك قليل فى اللغة .

العطف فى الأفعال :

من المعلوم أن الأفعال ثلاثة (ماض ومضارع وأمر) وأقدم هنا الملاحظات التالية حولها فى عطف النسق :

---

(١) المعنى : إنك تسيء إلينا بالهجاء والشتم ، ولا عجب فى الإساءة منك فهى متوقعة منك كما أنها متوقعة من الأيام .

الشاهد : فى قوله (فما بك والأيام من عجب) حيث عطف على الضمير المجرور المتصل دون إعادة الجار ، وهذا قليل فى اللغة .

(أ) إذا عطف فعل أمر على أمر آخر فليس من عطف الأفعال أو بعبارة أخرى: ليس من عطف المفردات ، بل هو من عطف الجمل أقول : (ذاكِرْ واجتهدْ واتركْ الباقِيَ لله) فهذا من عطف الجمل ومن عطف المفردات ، وكذلك الشّأن فى كل فعل يستتر فيه الضمير وجوبا .

(ب) قال ابن هشام نصا : « ويعطف الفعل على الفعل بشرط اتحاد زمانيهما سواء اتحد نوعاهما أم اختلفا » . أ . هـ .

ومعنى ذلك أنه يعطف ماض على ماض ومضارع على مضارع أو يعطف مضارع على ماض والعكس بشرط أن يتحدا فى الزمن وإن اختلفا فى الصيغة . تقول : (تَدَثَّرَ فنامَ المُجْهَدُ) وتقول : (يُحيى ويُميتُ ربُّ النّاس) ومن ذلك :

• قول الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾ [الآية ١٠ من سورة الفرقان] .

• وقوله : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ [الآية ٩٨ من سورة هود] .

(جـ) يمكن العطف بين الفعل وما يشبه الفعل من الأسماء - كاسم الفاعل أو المفعول - تقول : (يسمعُ الحاكم العادلُ رأىَ الرعيّةِ ومستجيبٌ لطلباتهم) . ومن ذلك :

• قول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾ [الآية ١٩ من سورة الملك] .

• قول الراجز (جندب بن عمرو) :

يا ليتنى علِقْتُ غيرَ خارِجْ
قبل الصبّاحِ ذاتَ خَلْقٍ بارِجْ
أمْ صبىّ قدْ حَبَا أو دارِجْ [(١)]

* * *

(١) علقت : أحببت وعشقت - غير حارج : غير مذموم ولا آثم - ذات خلق بارج : ذات خلق جميل حسن - قد حبا : حبو الطفل : زحفه وهو قاعد - دارج : مشى متقارب الخطو .

المعنى : أمنية غريبة أن يحب امرأة جميلة الخلقة ، لها صغير يحبو أو يدرج .

الشاهد : فى قوله (قد حبا أو دارج) حيث عطف على الفعل (حبا) اسما يشبه الفعل (دارج) فهو اسم فاعل - وهذا جائز فى اللغة .

البدل

١ - المقصود بالبدل لدى اللغويين والنحاة .

٢ - صور البدل التى يرد عليها فى اللغة هى :

(بدل الكلّ من الكلّ - بدل البعض من الكلّ - بدل الاشتمال - بدل البَدَاء - بدل النّسيان - بدل الغلط) .

٣ - البدل والمبدل منه من حيث الإظهار والإضمار .

٤ - البدل فى الأفعال والجمل .

* * *

معنى البدل :

دوَّخ سيفُ الله خالدٌ قُوادَ عصرِه ، ومات على فراش بيته

كان ذو النّورين عثمانُ رقيقَ القلبِ ، فطمِعَ فيه أقرباؤه

وضربَ سيدُ الشهداء الحسينُ مَثَلاً رائعا لاحترام المبدأ

تتردد كلمة « البدل » ومشتقاتها بيننا فى الحياة العادية ، فتقول لمن أعطاك شيئا ، فضاع منك (سأعطيك بَدَلَه) أى شيئا يساويه فى القيمة يعوضك عن فقده ، وتقول حين الرغبة فى إرسال إنسان فى بعض الأمور ولم يحضر (سأذهب بَدَلاً منه) أى : سأقوم بالمهمة عوضا عنه .

فكلمة « البدل » فى اللغة معناها (العِوَض) جاء فى القاموس : « بدل الشىء وبديله : الخلف منه ، وبادله مبادلة : أعطاه مثل ما أخذ منه » . أ . هـ . ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ ﴾ [الآية ٣٢ من سورة القلم] . بمعنى : يعوضنا وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ [الآية ٢٧ من سورة إبراهيم] بمعنى : استعاضوا عن الإيمان بالكفر ، فضلّوا وأضلّوا قومهم .

أما تحديد البدل لدى النحاة ، فتكاد كتب النحو تتفق على عبارة واحدة هى : « البدل هو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة » . أ . هـ .

ومن هذه العبارة السابقة تفهم الصفتان للاسم الذى يقع بدلا وهما :

(أ) أن البدل – فى حقيقة الأمر – هو الذى يتجه إليه المعنى الذى فى الجملة ، والمبدل منه ما هو إلا تمهيد له وطريق إليه ، فالمقصود بالحكم فى الأمثلة السابقة هو (خالد – عثمان – الحسين) ومهد لكل منها على التوالى (المتبوع) وهو (سيف الله – ذو النُّورين – سيد الشهداء) .

وبالصفة السابقة يفترق البدل عن النعت والتوكيد وعطف البيان ، فإن المعنى فى الجمل التى ترد فيها يتجه إلى المتبوع ، وهى مكملة له ، بخلاف « البدل » فإن المعنى يتجه إليه هو نفسه – فلنطبق ذلك على الأمثلة الآتية :

دوّخ سيفُ الله خالدٌ قُوادَ عصره ومات على فراشِ بيته أسلوب البدل

دوّخ سيفُ الله المسلولُ قوادَ عصرِه ومات على فراش بيته أسلوب النعت

دوخ سيفُ الله نفسُه قوادَ عصره ومات على فراش بيته أسلوب التوكيد

مع ملاحظة أن المثال الأول يصلح أيضا أن يكون لعطف البيان لكن يكون المعنى متجها للاسم الأول « سيف الله » والثانى « خالد » موضح له ، بعكس البدل – كما قدمنا – فإن المعنى متجه للثانى والأول تمهيد له – وبذلك نفهم تحديد النحاة له (المقصود بالحكم) .

(ب) أن البدل يكون بعد المبدَل منه بغير واسطة ، وهذا بخلاف العطف بالحروف إذ يتحقق بواسطة هى حرف بين المعطوف والمعطوف عليه فالمعطوف وإن كان مقصودا أيضا بمعني الجملة إلا أنه بواسطة هى حرف العطف – بخلاف البدل ، فحين نقول مثلا : (ألْتَقِى مع الزملاء فى الكلية صباحًا ومساءً) تكون كلمة (مساء) مقصودة أيضا بمعنى الجملة كالبدل فى جملته ، لكن بواسطة حرف العطف – ومن ذلك نفهم ما جاء فى تحديده من أنه (بلا واسطة) .

وخلاصة الأمر : أن البدل يتميز عن غيره من التوابع بهاتين الصفتين : قصده بالحكم ، وبغير واسطة .

وعلى ذلك ينبغى فهم الملاحظتين التاليتين عنه :

الأولى : أنه ما دام مقصودا بالمعنى ، فإنه يمكن الاستغناء عن (المبدل منه) ووضع (البدل) موضعه ويستقيم معنى الجملة ، تقول : (شكرتُ الصديقَ معروفَه)

فيمكن الاستغناء عن الكلمة الأولى ووضع الثانية موضعها ، فتكون الجملة (شكرتُ معروفَ الصديق) ولا خلل فيها ، وتقول : (تأمَّلْتُ الحديقةَ أشجارَها) فيمكن أن تقول (تأملتُ أشجارَ الحديقة) بالاستغناء عن المبدل منه ووضع البدل موضعه - وهذه الطريقة - الاستغناء عن المبدل منه ووضع البدل مكانه - هي العلامة الذهنية المميزة للتعرف على أسلوب البدل .

الثانية : أنه ما دام المقصود بالمعنى هو الكلمة الثانية فما فائدة الكلمة الأولى فى هذا الأسلوب ؟؟ - إن الفائدة من ذكر المبدل منه فى الكلام هو التمهيد والتهيئة لذكر الثانية ، فكأنك ذكرت الجملة مرتين ، مرة مجملة ومرة أخرى واضحة محددة ، فيكون المقصود النهائى من الجملة أرسخ فى الذهن ، وهذا هو السر فى قولهم : (البدل فى حكم تكرير العامل) .

صور البدل فى اللغة :

باستقراء النحاة للغة وجدوا أن البدل يرد على الصور التالية :

بدل الكُلّ من الكُلّ : وهو بدل الشيء مما هو طِبْق معناه ، ولهذا يسمى أحيانا (البدل المطابق) بأن يكون الاسم الثاني - البدل - هو عين الاسم الأول ، تقول : (نَظَمَ أبو عبد الله محمدٌ بن مالك ألفيته الشهيرة فى النحو) أو (ضربَ أبو الشهداءِ الحسينُ مَثَلاً رائعا للتضحية في سبيل المبدأ) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الآيتين ٥ - ٦ من سورة الفاتحة] .

بدل البعض من الكلّ : يقصد به أن يكون البدل جزءا من المبدل منه تقول : (قطعت الطريقَ نصفَه) أو (ذاكرت الليلَ ثُلُثَيه) أو (ارتفعتْ العمارةُ دوران منها) ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾ [أول سورة المزمل] .

وفى هذه الصورة يكون فى البدل ضمير يعود على المبدل منه .

بدل الاشتمال : يقصد به - كما يقول ابن عقيل - الدال على معنى فى متبوعه . ومعنى ذلك أن متبوعه يشتمل على معناه ، وأن هذا المعنى قائم به تقول : (أفادنى الأستاذُ علمُه) وتقول : (هدانى القمرُ ضوؤه) فمن البين أن

« الأستاذ » تنسب له معان كثيرة ومنها « العلم » فهو يحمل العلم ، والعلم قائم به ، ومن البين أن « للقمر » معانى كثيرة ومنها « الضوء » فهو مصدر الضوء للأرض ، والضوء منسوب إليه – وفى هذه الصورة يكون فى البدل ضمير المبدل منه .

هذا هو معنى الاشتمال الذى يسمى به هذا البدل ، فالبدل معنى من المعانى يشتمل عليه متبوعه – ولا داعى بعد ذلك لذكر ما خاض فيه النحاة عن معنى هذه الكلمة « الاشتمال » فإن لذلك حديثا طويلا لا يضر جهله .

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [الآية ٢١٧ من سورة البقرة] وأيضا قولـه : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴾ [الآيتان ٤ – ٥ من سورة البروج] .

بدل البَدَاء : البداء : معناه اللغوى الظهور والوضوح ، ويقصد بهذا النوع من البدل إذن : ظهور أمر آخر للمتكلم بعد أن لم يكن ظاهرا له فيصرف النظر عن الأمر الأول بعد قصده إلى ذلك الأمر الجديد الذى بدا له ، تقول مثلا (قصد الظمآنُ ماءً سَرابًا) وتقول : (غَفَوْتُ الليلةَ ساعتين ساعةً) – فمن البين أن المتكلم قصد الاسم الأول فى المثالين ، ثم بدا له غير ذلك ، فعدل عنه إلى الاسم الأخير ، ولهذا يطلق على هذا البدل اسم (بدل الإضراب) .

بدل الغَلَط : يقصد به أن يقصد المتكلم أمرا من الأمور ، فيسبق لسانه إلى أمر آخر ، ثم يتبين له غلطه ، فيعدل عنه إلى الصحيح ، تقول مثلا : (قابلت أستاذَ النحوِ الأدبِ) إذا كنت قد قصدت (الأدب) فسبق لسانك إلى (النحو) وتقول أيضا : (أضاءتْ لى النجومُ القمرُ) إذا كنت قد قصدت (القمر) فسبق لسانك لذكر (النجوم) ثم تبين لك الغلط – وهذا أمر كثيرا ما يحدث لنا فى حياتنا أثناء الكلام العادى .

بدل النِّسْيان : يقصد به أن يذكر الإنسان شيئا نتيجة السهو الذهنى ثم يتبين له وجه الصواب فيذكره أيضا ، فيسمى هذا « بدل النسيان » أى بدلا من اللفظ الذى ذكر سهوا ، تقول : (حضرت من طنطا الإسكندريةِ) إذا كان ذكر (طنطا) كان عن طريق السهو ، ثم تبين السهو فذكرت (الإسكندرية) .

يقول « ابن هشام » عبارة مفيدة للتفريق بين النوعين الأخيرين وهى : « وقد ظهر أن الغلط متعلق باللسان ، والنسيان متعلق بالجنان » . أ . هـ . (الجنان : العقل) .

البدل والمبدل منه من حيث الإظهار والإضمار :

تصور كل من البدل والمبدل منه ظاهرًا أو ضميرًا يتحصل منه أربع صور : بأن يكونا ظاهرين أو مضمرين أو مختلفين الأول مضمر والثانى ظاهر أو العكس ، فهذه أربع صور ، لكن الذى استعملته اللغة من هذه الأربع صورتان فقط هما :

الأولى : إبدال الظاهر من الظاهر – كما مر من الأمثلة – وكقولنا : (ممن ناصروا الرسولَ عمُّه أبو طالب وزوجُه خديجةُ ، وممن آذوه عمُّه أبو جهل وجارتُه حمّالةُ الحطب) .

الثانية : إبدال الظاهر من الضمير ، وفيه التفصيل الآتى :

(أ) إذا كان الضمير للغيبة جاز البدل مطلقا ، كقولك : (أحترمهم جميعا الزّملاءَ والزّميلاتِ) ومن ذلك :

• قول الله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [الآية ٣ من سورة الأنبياء] – الذين : بدل من واو الجماعة ، بدل بعض من كل (فى بعض الآراء) .

• وقوله : ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [الآية ٦٣ من سورة الكهف] – « أن أذكره » مصدر مؤول بدل من ضمير الغيبة فى (أنسانيه) بدل اشتمال .

(ب) إذا كان الضمير للمتكلم أو المخاطب ، والبدل بعض أو اشتمال جاز البدل أيضا ، ومما ورد تأييدا لذلك قول النابغة الجعدى فى حـضرة الرسول ﷺ :

بَلَغْنَا السماءَ مَجْدُنا وسَنَاؤُنا ... وإنَّا لنرجو فوق ذلك مَظهَرا [١]

فإن (مجدُنا) بدل من ضمير المتكلمين فى (بلغنا) بدل اشتمال .

(جـ) إذا كان الضمير للمتكلم أو المخاطب ، فلا يصح أن يأتى منه بدل الكل من الكل إلا إذا دل على إحاطة ، بمعنى أن يبين البدل المقصود من الضمير بيانا شاملا لكل أفراده ، عندئذ فقط يصح مجىء بدل الكلّ من ضمير المتكلم

---

(١) سناؤنا : السناء هو الشرف وعلو المنزلة – مظهرًا : ظهورًا ورفعة .

الشاهد : فى (بلغنا السماء مجدنا) فإن (مجدنا) بدل اشتمال من ضمير المتكلمين الفاعل فى (بلغنا) – وهذا جائز فى اللغة .

والمخاطب ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ [الآية ١١٤ من سورة المائدة] .

البدل فى الأفعال والجمل :

لعلّه أمر غير جديد أن يكرر هنا مرة أخرى أن الأصل فى التوابع أن تكون فى الأسماء المفردة ، وما خرج عن هذا الأصل يشار إليه فى مكانه كمجىء التوكيد اللفظى فى الحروف والأفعال والجمل ، وكذلك العطف فى الأفعال والجمل ، وهنا أيضا فى « باب البدل » .

(أ) يمكن إبدال الفعل من الفعل ، تقول : (إن تصمْ تمتنعْ عن المفْطِراتِ تَنَلْ ثواب الله) وتقول : (إنْ تُصَلِّ تسجدْ لله فتلك عبادة) ، ومن ذلك ما أورده سيبويه من قول الشاعر :

إنَّ علىَّ اللهَ أن تُبايِعَا ... تُؤخَذَ كَرْهًا أو تَجىءَ طائعا (١)

(ب) تجىء الجملة أيضا بدلا من الجملة ، ومن ذلك قول الشاعر :

أقولُ له : ارْحَلْ ، لا تُقِيمَنَّ عندنا ... وإلاَّ فكُنْ فى السرِّ والجهرِ مُعْلنا (٢)

فجملة (لا تقيمنّ) بدل من جملة (ارحلْ) وهى بمعناها كما ترى .

• • •

(١) الشاهد فى البيت : إبدال الفعل ، إذ أبدل الفعل (تؤخذ) بدل اشتمال من الفعل (تبايع) والأول منصوب بالحرف (أن) والثانى بدل منه منصوب مثله .

(٢) يقول لمن يخاطبه : كن صريحا سرك مثل جهرك وإلا فارحل وفارقنا ولا تبق معنا .
الشاهد فى البيت : إبدال الجملة من الجملة ، فقد أبدل جملة (لا تقيمن عندنا) وهى جملة فعلية بدل اشتمال من جملة (ارحل) .

عمل الأفعال فى الجملة

(١) المقصود بالمصطلحات النحوية الأربعة (الناقص - التام) و(اللازم - المتعدّى) .

(٢) ما يتفق كل من اللازم والمتعدى فى أدائه فى الجملة نحويًا .

(٣) الأفعال المتعدّية مع المفعول به واحدا أو أكثر .

(٤) الأفعال اللازمة والنصب على نزع الخافض .

• • •

الناقص : هو مصطلح خاص بنوعين من النواسخ - مر الحديث عنهما - (كان وأخواتها - كاد وأخواتها) ويقصد به - كما سبق - ما لا يكتفى بمرفوعه إذ لا بد له من المنصوب وهو خبره ، كقولنا : (صار الصّعبُ سهلا) وكذلك ما نسب إلى علىّ رضى الله عنه : (كاد الفقرُ أن يكونَ كُفرا) .

التام : هذا المصطلح يطلق على الأفعال باعتبارين :

أحدهما : ما يطلق عليه الناقص من الأفعال النواسخ ، ومعناه - كما سبق أيضا - ما يكتفى بمرفوعه ولا يحتاج لمنصوب ، كما جاء فى الأثر : (كان اللهُ ولا شيءَ معه فخلق السماواتِ والأرض) وتقول أيضا : (انتهيتُ من العمل أو أوْشَكْتُ) .

ثانيهما : ما يقابل الناقص من الأفعال ، ومعناه حينئذ هو : ما كان من الأفعال غير ناقص ، مثل الأفعال (قام - جلس - انتصر - التقى - فهم - سمع) .

وينبغى أن يلاحظ أن الناقص لا شأن له بما نحن بصدده من الحديث عن عمل الأفعال ، لأنه يدخل على المبتدأ والخبر فيرفع أحدهما وينصب الآخر فهو صورة خاصة مرّ الحديث عنها فى مكانها .

كما ينبغى أن نلاحظ ثانيا أن الفعل الناقص إذا استعمل تاما ، فإنه حينئذ يدخل فى باب الفعل اللازم الذى يكتفى بمرفوعه - كما سيأتى - فيكون جملة مكونة من فعل وفاعل .

كما ينبغى أن يلاحظ ثالثا أن معنى « التام » على الاعتبار الأخير يشمل المصطلحين التاليين (اللازم - المتعدى) إذ تندرج الأفعال اللازمة والمتعدية كلها تحت مصطلح (التمام) .

اللازم : يسمى أيضا « القاصر » والمراد ما يقتصر على الفاعل ولا يتجاوزه إلى المفعول به لينصبه ، أو ما يأتى معه بعد الفاعل جار ومجرور له صلة به تقول مثلا : (التقى الجمعان فانتصرتْ الشجاعةُ والمبدأ وانهزم الجبنُ والتخاذُلُ) وتقول أيضا : (التقيتُ بصديقى وذهبنا للنزهة) .

المتعدّى : ويسمى أيضا « المجاوِز » وهو ما ينصب بعده المفعول به واحدًا أو أكثر من واحد ، كقولك : (أرسلت خطابا وجاءنى الرد) وكذلك (رأيتُ الهدى حقًّا فاتبعته ، وعلمتُ الباطلَ ضلالاً فاجتنبته) .

ما يتفق اللازم والمتعدى فى أدائه فى الجملة :

كلا الفعلين اللازم والمتعدى يشتركان - أو يتفقان - فى أنهما يؤديان فى الجملة الفعلية التى يردان فيها الأمرين التاليين :

أولا : أنهما يرفع بعدهما الفاعل ما داما واردين على صيغتهما الأصلية فتقول : (أقلَعَتْ السفينةُ من الميناء ، وأخذتْ طريقها فى البحر) .

فإذا بنى الفعل للمجهول رفع النائب عن الفاعل ، تقول : (أُعلنَتْ النتيجةُ وزُفَّ الخبرُ إلىّ) ويمثل ذلك كله قول الله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الآية ٤٤ من سورة هود] .

ثانيا : أن كلا من اللازم والمتعدى يأتى معه الأسماء المنصوبة - ما عدا المفعول به - فكل منهما يأتى بعده المفاعيل الأربعة الباقية - المفعول المطلق المفعول لأجله - المفعول معه - وكذلك الحال والتمييز والمستثنى .

تقول مثلا : (فرحتُ فَرِحًا لا يُوصف ابتهاجًا بصديقى يومَ عَوْدَتِه من الخارج بعد غُربة طويلة) وكذلك تقول : (ذاكرتُ مذاكرَةَ المتأنّى رغبةً فى الفهم والتحصيل مستعينا على ذلك بالصبر والاستمرار) .

فمن البين أن الفعل الأول (فرح) فعل لازم ، وقد جاء فى جملته - على

الترتيب - مفعول مطلق (فرحا) ثم مفعول لأجله (ابتهاجا) ثم مفعول فيه (يوم) و(بعد) - وفى المثال الثانى الفعل متعد وهو (ذاكر) وقد جاء فى جملته - على الترتيب - مفعول مطلق (مذاكرة) ومفعول لأجله (رغبة) وحال (مستعينا) وكلها - كما نعلم - أسماء منصوبة جاءت مع الفعل اللازم والمتعدى .

والخلاصة : أن كلا الفعلين - اللازم والمتعدى - يأتى بعدهما الأسماء المرفوعة وكذلك الأسماء المنصوبة ما عدا المفعول به فإنه خاص بالمتعدى .

الأفعال المتعدية مع المفعول به :

قال ابن هشام في شذور الذهب نصا : « وقد قسمت الفعل بحسب المفعول به تقسيما بديعا » . أ . هـ . والحق أنه تحدث عن هذا الموضوع بطريقة رائعة بحيث يمكن أن أضيف إلى كلمته السابقة القول : « بأن هذا التقسيم لم يُسْبَقْ به ولم يلْحَقْ به » وفى هذه الفكرة ينبغي الاعتراف بمتابعته بصورة عامة وإن اختلف منهج العرض وأسلوبه وأمثلته .

فالفعل المتعدى - بحسب المفعول به - يأتى فى أقسام ثلاثة رئيسة ويندرج تحت كل قسم منها صور من الأفعال وهى :

الأول : ما ينصب بعده مفعول به واحد فقط .

الثانى : ما ينصب بعده مفعولان .

الثالث : ما يُنصب بعده ثلاثة مفعولات .

ما يُنصَب بعده مفعول واحد :

يأتى على الصور الثلاث الآتية :

(١) ما يأتى بعده مفعول دائما ولا يتخلف عنه ، وذلك كثير جداً من الأفعال ، مثل (سمع - أجاب - صلى) كقولك : (سمعتُ الأذانَ فأجبتُ الدُّعاءَ ، وصليتُ الفريضةَ) .

(٢) ما يأتى بعده مفعول به ينصب أحيانا ويجر بحرف الجر أحيانا أخرى ، ومن ذلك (شكر - نصح - قصد) تقول : (شكرتُ المعروفَ) أو (شكرتُ للمعروفِ) . وتقول : (نصحتُ الصديقَ) أو (نصحتُ للصديقِ) . ومن ذلك قول

الله تعالى : ﴿ وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [الآية ١١٤ من سورة النحل] وقوله : ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [الآية ١٥٢ من سورة البقرة] .

(٣) ما يأتى بعده مفعول به منصوب ، وقد لا يوجد المفعول بالمرة فيكون الفعل حينئذ لازما ، ومن ذلك (فَغَر) نقول : (فَغَرَ فاه) إذا فتحه أو (فَغَر فُوه) انفتح .

ما يُنصب بعده مفعولان :

ويأتى أيضا على الصور الثلاث الآتية :

(١) ما يأتى بعده مفعولان منصوبان ، وقد ينقطع عنهما فيستعمل فعلا لازما ، ومن ذلك الفعلان (زاد - نقص) تقول : (زدتُ الوزنَ قنطارا) وأيضا قول الله تعالـى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الآية ٦ من سورة الجن] ، وتقول : (زاد ماءُ النيل فزاد الخيرُ وعمَّ) وتقول أيضا : (نقص قدْرُ البخيلِ بين الناس) و(نقصتُ الغاشَّ درجاتٍ) .

(٢) ما يأتى بعده مفعولان أولهما منصوب دائمًا ، وثانيهما قد يأتى منصوبًا وقد يأتى مجرورا بحرف الجر ، والمشهور من ذلك عشرة أفعال هى (أمَرَ - استغْفَرَ - اختَارَ - صَدَّقَ - زَوَّجَ - كَنَى - سَمَّى - دَعا - كَالَ - وَزَنَ) فلنطبق ذلك على الشواهد التالية :

● قول عمرو بن معديكرب :

أمرتُكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمِرتَ به   فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ (١)

● قول الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [الآية ٤٤ من سـورة البقرة] .

● قول الآخر :

أستغفرُ اللهَ ذنبًا لستُ مُحصِيَه   رَبَّ العبادِ إليه الوَجْهُ والعملُ (٢)

---

(١) ذا نشب : النشب - كما جاء فى القاموس - المال الأصيل من الناطق والصامت .
كأنما البيت وصية لابنه ، بأن يفعل الخير كما أمره أبوه ، وقد تركه ذا مال وعقار يعينه على فعله .
الشاهد : فى (أمرتك الخير) فإن الفعل (أمر) نصب مفعولين ، أولهما ضمير المخاطب ، والثانى (الخير) - ولو قال فى غير الشعر (أمرتك بالخير) لصح أيضا .

(٢) الشاهد : فى (أستغفر الله ذنبا) فإن الفعل (أستغفر) نصب مفعولين (الله) و (ذنبا) ، ولو قال فى غير الشعر (أستغفر الله من ذنب) لصح أيضا .

● قول الشاعر :

وسمَّيتهُ يحيى لِيَحْيَا فلم يكنْ لأمرِ قضاهُ اللهُ في الناسِ من بُدِّ (١)

● قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الآية ١٥٣ من آل عمران] .

● وقوله : ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الآية ٥٤ من سورة الدخان] .

(٣) ما يأتي بعده مفعولان منصوبان دائما وهو نوعان :

الأول : ما ليس أصل المفعولين المبتدأ والخبر ، وهي الأفعال (كَسَا - ألبَسَ - أعْطى - مَنَح) تقول : (أعطيتُ الوفاءَ حقَّه ومنحتُ الواجبَ شرَفه) وتقول : (ألْبَسَتْ الفتاةُ الجمالَ خلُقًا فكستْهُ جَلالاً) .

الثاني : ما أصل المفعولين المبتدأ والخبر ، وذلك باب (ظنَّ وأخواتها) سواء الأفعال الدالة على القلوب أو التَّصيير - وقد سبق الحديث عن هذا الباب في نواسخ المبتدأ والخبر .

ما ينصب بعده ثلاثة مفعولات :

وهو الأفعال (أعْلَم - أرَى - أنبأ - نَبَّأ - أخْبَر - خبَّر - حدَّث) وقد تقدم ذكر هذا الباب في النواسخ أيضًا .

النَّصبُ على نزع الخافض :

هذا تعبير شائع بين المعربين ، إذ يصفون أحيانا بعض الكلمات المنصوبة بقولهم : (منصوب بنزع الخافض) ولهذا التعبير أصل يتعلق بما نحن بصدده في دراسة اللازم والمتعدى .

لقد مرَّ في معرفة الفعل اللازم أنه قد يقتصر على الفاعل بعده ، كقولنا : (ارتقى المجدُّ) و(انتصرَ المثابرُ) وقد يأتي بعده الجار والمجرور ، كقولك : (ارتقى المجدُّ إلى غايته) و (انتصرَ المثابرُ على كلِّ صعب) .

---

(١) سميته يحيى : « يحيى » علم منقول من الفعل - ليحيا : ليعيش .

يقول : لقد سميت ابنى « يحيى » ليعيش وتطول حياته ، فمات ، ولا دافع لقضاء الله .

الشاهد : فى (سميته يحيى) فإن الفعل (سمى) نصب مفعولين ، أولهما « ضمير الغائب » والثانى « يحيى » - ولو قال فى غير الشعر (وسميته بيحيى) لصح أيضا .

وفى هذه الصورة الأخيرة - الجار والمجرور - يمكن أن يستغنى عن حرف الجر ، وينصب المجرور بعده - ويطلق عليه حينئذ أنه (منصوب على نزع الخافض) .

ويتحقق النصب على نزع الخافض فى النثر والشعر على النحو التالى :

أولا : التوسع فى الكلام المنثور - وأكثر ما يأتى ذلك فى أسماء المكان المختصة - كقولك : (ذهبتُ الشّامَ) و(دخلتُ الدارَ) و(صلّيتُ المسجدَ) و(سرتُ الطريقَ) .

ثانيا : لغة الشعر الخاصة وما تفرضه من ترك حرف الجر ، ومن ذلك الشواهد التالية :

● قول جرير :

تـمرُّون الـدِّيارَ ولـم تَـعُوجُـوا كلامُكُـم علىَّ إذنْ حَرَامُ (١)

● قول عمر بن أبى ربيعة :

غضبتْ أن نظرتُ نحو نساءٍ ليس يعرفْنَنى مَرَرْنَ الطريقَا (٢)

هذا ، ويقول النحاة عن النوعين السابقين بأن ذلك سماعى لا يقاس عليه - والحق أنه لا حاجة لهذا التضييق والتوقف على ما ورد عن العرب لأن حاجة الناثر للتوسع وحاجة الشاعر للغته الخاصة لا تتوقف على عصر دون عصر ، ولا قائل دون آخر ، فالأحسن - إن لم يجانبنى الصواب - أن يباح ذلك لأصحاب الحاجة إليه نثرا أو شعرا .

ثالثًا : يطرد ترك حرف الجر مع الحروف المصدرية الثلاثة (أنْ - أنَّ - كى) تقول : (تألمتُ أنْ أصبتَ وفرحتُ أنّك نجوتَ وجئت لكى أهنئك) .

---

(١) لم تعوجوا : لم تنعطفوا إلينا للزيارة .

الشاهد : فى (تمرون الديار) فإن (الديار) منصوب على نزع الخافض ، وأصل الكلام (تمرون بالديار) فحذف الجار وأوصل الفعل ، وهذه لغة الشعر الخاصة .

(٢) الشاهد : فى (مررن الطريقا) فإن كلمة (الطريق) منصوبة على نزع الخافض وأصل الكلام (مررن فى الطريق) فحذف الجار وأوصل الفعل ، وهذه لغة الشعر .

ومن ذلك :

● قول الله تعالى : ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الآية ٦٣ من سورة الأعراف] .

● قول الفرزدق :

وما زرتُ ليلى أن تكونَ حبيبةً إليَّ ولا دينٍ بها أنا طَالِبُه [(١)]

وتؤول هذه الحروف المصدرية مع ما بعدها بمصدر منصوب على نزع الخافض (طبق هذا على الأمثلة والشواهد) .

يقول ابن عقيل عن هذا الموضوع كله : « وحاصله أن الفعل اللازم يصل إلى المفعول بحرف الجر ، ثم إن كان المجرور غير (أنّ وأنْ) لم يجز حذف حرف الجر إلا سماعا ، وإن كان (أنّ وأنْ) جاز قياسا عند أمْن اللَّبْس » . أ . هـ .

---

(١) **يقول** : ما زرت ليلى لحب ولا دين لى عندها ، كانت زيارتى بريئة مجرد زيارة !

الشاهد : فى قوله (أن تكون حبيبة) فإن (أن والفعل) مؤولان بمصدر مجرور بالخافض المحذوف ، والتقدير (لكونها حبيبة) بدليل أنه عطف بالجر فى قوله (ولا دين) فهو عطف على المصدر المؤول المجرور تقديرا ، والمنصوب على نزع الخافض .

الأسماء التى تقوم بعمل الأفعال
اسم الفعل

(١) المقصود باسم الفعل لدى النحاة ، والغرض من استعماله فى اللغة .

(٢) اسم الفعل باعتبار ما سمى به (ماض - مضارع - أمر) وشواهده من الكلام العربى .

(٣) اسم انفعل باعتبار صيغته (مُرْتَجَل - مَنقول) و(سماعىّ وقياسىّ) .

(٤) صفات الجملة التى يرد فيها اسم الفعل = أحكام اسم الفعل فى جملته .

(٥) خاتمة عن أسماء الأصوات .

• • •

اسم الفعل والغرض من استعماله :

اسم الفعل فى عبارة مختصرة هو : « ما ناب عن الفعل معنى واستعمالا ولم يقبل علامته » . أ . هـ.

ويتضح من هذه العبارة السابقة أن اسم الفعل ما تتحقق له الصفات التالية :

(أ) أن يكون معناه معنى الفعل ماضيا أو مضارعا أو أمرا .

(ب) أن يستعمل استعمال الفعل لازما أو متعديا .

(جـ) ألا يقبل علامات الأفعال التى ينوب عنها .

فلنلاحظ الأمثلة الآتية :

قول الرسول ﷺ : « إذا قلتَ لصاحبك يوم الجمعة والإمامُ يخطب : صَهْ فقد لَغَوْتَ » .

قول شوقى : أوَّاهُ منك وآهِ ما أقساكِ

قول العقاد : أوَّاهُ من يَومِى ومن أمْسى معا

فمن البين أن قول الرسول ﷺ (صَهْ) بمعنى (اسكتْ) وكل منهما - كما

ترى - فعل أمر لازم ، وكلمة (صه) لا تقبل علامة الأمر وهى قبول ياء المخاطبة وإن دلت على الطلب ، والكلمتان (أَوَّاهُ - آهٍ) من شعر العقاد وشوقى كلتاهما بمعنى (أتوجع) وكل منهما تستعمل استعماله من حيث إنه فعل مضارع لازم ، وهما لا تقبلان علامة المضارع من دخول حرف الجزم (لم) عليهما ، وهكذا .

ولعل السر فى استعمال اللغة لأسماء الأفعال - مع وجود الأفعال التى بمعناها - أن اسم الفعل - كما يقول أحد الدارسين المحدثين - يدل على المبالغة فى المعنى الأصلى أكثر من الفعل الذى هو بمعناه ، فإذا قلت (آه) كانت أبلغ من (أتوجّع) فكأنك قلت (أتوجّع جدًّا) وهكذا - ويبدو أن هذا الكلام صحيح ، وإن كان الأمر مرجعه أولا وآخرا لاستعمال اللغة التى جاء فيها كلا النوعين : أسماء الأفعال والأفعال .

اسم الفعل باعتبار ما سُمِّى به :

من الواضح أن اسم الفعل يسمَّى به الماضى والمضارع والأمر ، وينبغى التعرف على معظم الكلمات التى جاءت عن كل واحد من هذه الثلاثة وشواهد ذلك من الكلام العربى .

ما سُمِّىَ به الأمر :

وهو أكثر الأنواع استعمالا فى اللغة العربية ، ومعظم ما ورد من اسم الفعل منه ومن ذلك :

(صَهْ) بمعنى : اسكت (مَهْ) بمعنى : كُفّ عن الحديث (آمين) بمعنى استَجِبْ (هَيَّا) بمعنى : أسرِعْ (حَيَّهَلْ) بمعنى أسرِعْ (هَلُمَّ) - على رأىْ - بمعنى : أقبلْ (رُوَيْدَ) بمعنى : أمهِلْ (بَلْهَ) بمعنى : اترُكْ (عَلَيك) بمعنى : الزَمْ (إليك عنى) بمعنى : تَنَحَّ (مَكانَك) بمعنى اثبتْ (أمامَك) بمعنى : تَقَدَّمْ (وَرَاءكَ) بمعنى : تأخَّرْ (دُونك الشىءَ) بمعنى : خُذه .

ومن هذا النوع كل ما جاء على وزن (فَعَالِ) من كل فعل ثلاثى تام مثل (نَزالِ) بمعنى : انزلْ (شَرَابِ) بمعنى : اشربْ وهكذا .

ومن شواهد ذلك ما يلى :

● قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [الآية ٦٥ من سورة المائدة] .

● قول الرسول ﷺ : (إذا قلتَ لصاحِبك يوم الجمعة والإمامُ يخطبُ : صَهْ ، فقد لغوْت) .

● ما ورد عن العرب : (إذا ذُكر الصالحون ، فَحَيَّهلْ بعُمر) .

● قول عمرو بن الإطنابة يصف جلده في الحرب :

أَبَتْ لى عفَّتى وأبى بَلائى وأخْذِى الحمدَ بالثمن الرَّبيحِ
وإمساكى على المكروه نفسى وضرْبى هامةَ البطل المُشيحِ
وقولى كلما جشَأتْ وجَاشَتْ مكانكِ تُحمدى أو تستريحى
لأدْفعَ عن مآثِرَ صالحاتٍ وأحْمى بعدُ عن عِرْضٍ صحيحِ (١)

ما سُمِّى به الماضى :

وهو أقل من السابق استعمالا فى اللغة ، وألفاظه تكاد تكون محصورة ، ومن ذلك (هَيْهَاتَ) بمعنى : بَعُدَ (شَتَّانَ) بمعنى : افترَقَ (سرعانَ) بفتح السين أو ضمها أو كسرها - بمعنى : أسرعَ .

ومن شواهده ما يلى :

● قول جرير :

فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ ومَنْ به وهيهاتَ خِلٌّ بالعقيقِ نُواصِلُه (٢)

---

(١) بلائى : يقال : بلا فى الحرب يبلو : إذا أحسن القتال - البطل المشيح : البطل الحاد الحذر - كلما جشأت وجاشت : حديث عن نفسه ، أى كلما فزعت وخافت - مآثر صالحات : صفات طيبة وأخلاق عالية .

يقول : لقد ثبت فى القتال ولم أهرب حفاظا لصفات طيبة اشتهرت بها وحماية لشرفى ، ومن هذه الصفات العفة وحسن القتال وحمد الناس لى بما أستحق والجلد على المكروه والشجاعة فى الحرب بضرب رؤوس الأبطال والإقدام - فكلما حدثتنى نفسى بالفرار زجرتها لتبقى ، فإما النصر والثناء ، وإما الموت والفناء والراحة .

الشاهد : فى البيت الثالث قوله (مكانك تحمدى) فإن (مكانك) اسم فعل أمر بمعنى (اثبتى) .

(٢) العقيق : اسم موضع به حبيبته أو « خله » كما قال فى الشطر الثانى .

الشاهد : فى استعمال (هيهات) اسم فعل ماض معناه (بعد) وتكررت فى البيت بهذا المعنى ثلاث مرات .

• قول الآخر :

شتَّان هـذا والعِنـاقُ والنَّـوْمْ والمشربُ الباردُ فى ظِلِّ الدَّوْمْ (١)

ما سُمِّى به المضارع :

وهو أقل الثلاثة استعمالا ، ومن أشهر ألفاظه (وَىْ - واهًا) بمعنى : أعجب (أوَّه - أوَّاهُ) بمعنى : أتوجَّع (أُفّ) بمعنى : أتضجر .

ومن شواهده ما يلى :

• قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الآية ٢٢ من سورة الإسراء] .

• وقوله : ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الآية ٨٢ من سورة القصص] .

اسم الفعل باعتبار صيغته :

ينبغى التعرف على المصطلحات النحوية الأربعة (المُرْتَجَل) ويقابله (المنْقول) و(السّماعىّ) ويقابله (القِياسىّ) وإليك هذه المصطلحات الأربعة وأمثلتها :

المرتجل : يقصد به - كما مر فى العَلَم المرتجل - ما وضع من أول الأمر اسم فعل دون أن ينقل عن غيره ، مثل (صَهْ - مَهْ - وَىْ) .

المنقول : ما استعمل قبل اسم الفعل استعمالا آخر ظرفا أو مجرورا أو مصدرا - مثل (دُونَك - عَلَيْك - بَلْهَ) فالأول منقول عن ظرف والثانى عن جار ومجرور ، والثالث عن مصدر .

السماعى : يقصد به الاقتصار على الكلمات التى نطقها العرب الفصحاء من أسماء الأفعال ، وذلك يشمل معظم أسماء الأفعال التى تقدمت نماذج منها فيما سبق .

القياسى : يقصد به استخدام كلمات جديدة قياسا على ما نطق به العرب

---

(١) الدوم . ضخام الشجر .

يقول : هناك فرق بين ما أنا فيه من حرمان وتعب وما كنت فيه من وصل وراحة ، من العناق والنوم والشراب العذب فى ظل الأشجار الضخمة ، حقا هناك فرق !!

الشاهد : (شتان هذا) إذ استعملت اسم فعل ماض بمعنى (افترق) .

وهذا فى صورة واحدة فقط من اسم الفعل – وذلك ما جاء على وزن (فَعَالِ) من كل فعل ثلاثى تام متصرف ، مثل (نَزالِ) بمعنى : انْزِلْ و(قَرَاءِ) بمعنى : اقْرَأ ، و(كَتَابِ) بمعنى : اكْتُبْ ، وهكذا – فهذا هو الصنف الوحيد القياسى فقط ، والباقى يقتصر فيه على السماع عن العرب الفصحاء .

أهم صفات الجملة التى يرد فيها اسم الفعل :

هذا ما يطلق عليه – بتعبير النحاة – « أحكام اسم الفعل » وهى أحكام يقصد بها غالبا ما يتميز به وحده عن كل من الأسماء والأفعال ، باعتباره – كما سبق – شبيها بهما ، وليس واحدا منهما – ومن هذه الأحكام ما يلى :

(١) أنه لا يضاف ، تماما كما أن الفعل لا يضاف .

(٢) أنه لا يأتى معه الضمير البارز ، فالكلمة (صَهْ) مثلا تستخدم هكذا للمفرد والمثنى والجمع المذكر من ذلك والمؤنث – ويمكن موازنة ذلك بالفعل (اسكتْ) إذ تقترن به الضمائر البارزة بحسب الأحوال السابقة .

(٣) أن اسم الفعل إذا نُوِّن فهو نكرة ، وإذا لم ينون كان معرفة .

ولنتأمل ما يلى :

صَهْ عن الحديث	} اسكتْ عن هذا الحديث الخاص ولك الكلام فى } غيره
صَهٍ عن الحديث	} اسكتْ تمامًا عن كل حديث
إيهِ حديثا	} زدْنى من هذا الحديث الخاص الذى تحدثنى عنه
إيهٍ حديثا	} زدْنى من أىّ حديثٍ تتحدث فيه

(٤) يرى جمهور النحاة أن المفعول بعد أسماء الأفعال لا يتقدم عليها وهذا طبعا بخلاف الأفعال ، إذ يمكن أن يتقدم عليها مفعولها أو يتأخر ، وعلى ذلك يقال : (خُذْ الكتابَ) أو (الكتابَ خُذْ) ولكن فى اسم الفعل يقال : (دُونَك الكتابَ) لا غير .

هذا هو الاتجاه العام ، وتفرد عنه إمام نحوى جليل هو « الكسائى » فمن رأيه أنه يصح أيضًا أن يتقدم المفعول على اسم الفعل مستدلاً بالآتى :

● قول الله تعالى : ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ [الآية ٢٤ من سورة النساء] .

● قول أحد الرجاز :

يا أيُّها المَائِحُ دلوى دُونَكَا (١)
إنى رأيتُ النّاس يَحْمَدُونَكا

ويبدو أن لهذا الرأى الأخير - رأى الكسائى - وجاهته ويقبله ذوق المتحدث باللغة ، مع التنبه إلى أن هذين الشاهدين السابقين موضع أخذ وردّ بين النحاة مما لا داعى لذكره هنا .

(٥) أن المضارع يجزم فى جواب ما يدل منه على الأمر (٢) ، تقول (مَكانَكَ يَأتِكَ النَّصر) و(أمَامَكَ تَقتحمْ) .

لكن لا ينصب المضارع بعد فاء السببية مع أسماء الأفعال (٣) - وهذا هو الاتجاه العام ، فلا تقل (مَكانَكِ فتُحْمَدِى) - خلافا أيضا للكسائى حيث يصح فى رأيه النصب أيضًا بعد فاء السببية - وهذا ما أرجّحه فهو رأى له وجاهته ويقبله ذوق المتحدث باللغة .

أسماء الأصوات :

يقصد بأسماء الأصوات ما يدل على الأمرين التاليين :

الأول : ما يستخدم لخطاب ما لا يعقل مما يشبه اسم الفعل أ . هـ .

قال ابن هشام : كقولهم فى دعاء الإبل لتشرب : (جِئْ جِئْ) : وفى دعاء الضَّأن : (حَاحَا) وفى دعاء الماعز : (عَاعَا) ، وفى زجر البغل : (عَدَسْ) ومن هذا قول يزيد بن مفرغ الحميرى فى خطاب فرسه وهو يهرب به :

عَدَسْ ما لِعَبَّادٍ عليكِ إمارةٌ ... أمِنْتِ وهذا تحملين طليقُ (٤)

---

(١) المائح : من ينزل البئر ليملأ الدلاء - الدلو « الجردل » .
الشاهد : فى (دلوى دونكا) فإن (دونك) اسم فعل بمعنى « خذ » وتقدم عليه المفعول وهو « دلوى » - وهذا شاهد للكسائى على جواز تقدمه .

(٢) هو ما سمى فى جوازم المضارع « الجزم فى جواب الطلب » - راجع جزم المضارع .

(٣) النصب مع فاء السببية بعد الطلب أو النفى - راجع نصب المضارع .

(٤) عدس : اسم صوت لزجر الخيل أو البغال - عباد : عباد بن سليمان حاكم سجستان ، وكان الشاعر قد هجاه ، ثم هرب منه - طليق : حر بعد نجاته .
الشاهد : « عدس » استعملها الشاعر اسم صوت لزجر فرسه ، وهو اسم صوت مبنى لا محل له من الإعراب .

الثاني : ما حكى به من صوت ما لا يعقل من الحيوان أو الأشياء أ . هـ .

قال ابن هشام : « وذلك مثل (غَاق) لحكاية صوت الغراب و(طَاق) لصوت الضرب و(طَقْ) لصوت وقع الحجارة و(قَبْ) لصوت وقع السيف على الضريبة » .أ .هـ .

وهذه كلمات قَلَّ أن ترد فى اللغة ، وهى مبنية لا محل لها من الإعراب ولا يُرفع أو يُنصب بعدها شىء .

* * *

المصدر

(١) المقصود بالمصدر فى رأى الصرفيين .
(٢) العلاقة الذهنية والصفات السلبية للمصدر الذى يعمل عَمَل فعله .
(٣) صور استعمال المصدر فى جملته كما وردت فى الكلام العربى .
(٤) اسم المصدر والمصدر الميمى .

* * *

معنى المصدر :

- قرّ - جاهد - أفاد - تقدم - ارتقى - استراح } الأفعال
- قرار - جهاد - إفادة - تقدُّم - ارتقاء - استراحة } مصادرها

جاء فى قطر الندى فى تحديد المصدر : « هو الاسم الدال على الحدث الجارى على الفعل » . أ . هـ .

ومن هذا التحديد - وبتأمل الأمثلة السابقة - يفهم ما يلى :

(أ) أن المصدر يشارك فعله فى معناه ، فكل منهما يدل على الحدث .

(ب) أن المصدر يشارك فعله فى حروفه ، فالحروف الموجودة فى الفعل توجد أيضًا فى المصدر بلا نقصان .

(جـ) ينفرد الفعل بأنه يدل على الزمن ولا يدل عليه المصدر .

المصدر الذى يقوم بعمل الفعل :

ليست كل المصادر التى ينطبق عليها التعريف السابق يمكن أن تؤدى عمل أفعالها من الرفع والنصب ، لكن الذى يتفرد بذلك ما يتوافر له صفات خاصة فى الجملة التى يرد فيها ، وبعض هذه الصفات يعود إلى القيام بعمل ذهنى - تجربة - يتخيلها الذهن فيحدد على أساسها ما يصلح من المصادر للقيام بعمل الأفعال وما لا يصلح لذلك - كما أن بعض هذه الصفات سلبىّ ، بمعنى أنه يجب تجرد المصادر التى تقوم بعمل الأفعال منه حتى تصلح لأداء هذه المهمة . وإليك تفصيل كلا النوعين :

أولا : التجربة الذهنية :

المقصود بها تصور أن يحل محل المصدر فى جملته أحد أمرين :

(أ) « أنْ » المصدرية والفعل ماضيا أو مضارعا .

(ب) « ما » المصدرية والفعل .

فإذا لم يصلح المصدر لهذه التجربة فى جملته ، فإنه - كما قلنا - لا يؤدى عمل الفعل مما سبق شرحه بالتفصيل فى (عمل الأفعال فى الجملة) .

وعلى ذلك فلنلاحظ الأمثلة التالية :

من عوامل السلامة تدبُّرُكَ الأمورَ بهدوء = من عوامل السلامة أن تتدبَّرَ الأمورَ بهدوء

ومن عواملِ النّدامةِ تَعَجُّلُكَ الغايةَ بانفعال = ومن عوامل النّدامة أن تتعجَّلَ الغايةَ بانفعال

فرح المتأنّى بتحقيق رغبته ابتهاجًا } لا يمكن القيام بالعمل الذهنى السابق

وحزن المتعجّل لضياع الفرصة ندمًا } المصدر لا يعمل عمل العمل

ثانيا : الصفات السلبية :

المقصود بها أن يتجرّد المصدر الذى يقوم بعمل الفعل منها ، ومن المفيد قبل ذكرها أن نعلم أن كل صفة من هذه الصفات موضع أخذ وردّ كثيرين بين علماء النحو ، مما لا داعى لذكره هنا - وإليك إذن أهم هذه الصفات :

(١) ألا يكون المصدر مصغّرا ولا مجموعا ، والحق أن المصدر - كما سبق فى المفعول المطلق - لا يكاد يرد فى اللغة مصغرًا أو مجموعًا - مثل (تجارِب - مواعيد - إنشاءات) ومع ذلك يرى بعض النحاة صحة قيام المصدر المجموع بعمل الفعل ، ومن ذلك قول الشاعر :

وَعَدْتَ ، وكان الخُلْفُ منك سَجِيَّةً   مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أخَاهُ بِيثْرِبِ [1]

---

(١) سجية : طبعا وخلقا - عرقوب : اسم رجل يضرب به المثل بين العرب فى إخلاف المواعيد - يثرب : مدينة الرسول ﷺ .

(٢) ألا يكون المصدر ضميرا ، بأن يكون ضميرا يعود على مصدر سابق أو متخيل من الكلام ، والحق أن المصدر يقل وروده في اللغة ضميرا كقول الله تعالى : ﴿ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الآية ١١٥ سورة المائدة] فالضمير في (أعذبه) يعود على (العذاب) السابق في الآية .

(٣) ألا يكون المصدر دالا على المرّة ، مثل (رَمْيَة – جَرْعَة – نَوْبَة – لَقْطَة) – وخالف في ذلك بعض النحاة ، فأعلموا المصدر الدال على المرة استدلالا بقول الشاعر يصف الصحراء :

وَدَاوِيَّةٍ قَفْرٍ يَحَارُ بِهَا القَطَا ... أدلَّةُ رَكْبَيْهَا بناتُ النّجائِبِ
يُحَايِي بها الجَلْدُ الذى هو راكبٌ ... بضَرْبَةِ كفَّيه المَلاَ نَفْس رَاكِبِ (١)

ويبدو أن لهذا الرأى الأخير وجاهته ، والذوق اللغوى يقبله ، إذ تقول : (أفادتْ رَمْيَةُ حارسِ المرمى الكرةَ فريقَه) وتقول : (جاءت لقطةُ آلةِ التصويرِ الصورةَ محكمةً) .

(٤) ألا يوصف المصدر قبل أن يؤدى عمله في الجملة – وخالف في ذلك بعض النحاة ، فأعملوا المصدر الموصوف مطلقا ، ومن ذلك قول الشاعر :

إنَّ وجْدِى بك الشديدَ أرانى ... عاذرًا فيك من عَهِدْتُ عذولا (٢)

= **يقول** : لقد وعدت وأخلفت ، وهذا من طبعك ، مواعيدك لا يوثق بها كمواعيد عرقوب أخاه يثرب ، إذ كان دوما يخلف فيها !!

الشاهد : في قوله « مواعيد عرقوب أخاه » إذ أعمل المصدر « مواعيد » وهو جمع « موعد » وهذا اتجاه لبعض النحاة .

(١) الداوية – بتشديد الياء – الصحراء الشاسعة – قفر : جرداء – القطا : من طيور الصحراء التي تعرف فيها – بنات النجائب : النياق النجيبة – بها : بالصحراء – الجلد : الصبور : القادر على احتمال المكاره – بضربة كفيه الملا : التيمم .

يقول : رب صحراء شاسعة يضل سالكها من الإنسان والطيور حتى القطا سلكتها مع صاحبي بدون دليل سوى ما نركبه من النياق النجيبة ، فلما عطشت وأشرفت على الهلاك ، قدم لى صاحبي الماء الذي معه فأحيانى به ، وتيمم إذ لم يجد الماء .

الشاهد : في قوله (بضربة كفيه الملا) إذ أعمل المصدر « اسم المرة » فأضافه للفاعل ، ونصب بعده المفعول به .

(٢) عاذرا : من يقدم تعاطفا ومودة – عذولا : لائما شامتا.

الشاهد : في قوله (إن وجدى بك الشديد) حيث وصف المصر « وجدى » بصفة هى =

ولهذا الرأى المخالف وجاهته ، والذوق اللغوى يقبله ، إذ تقول : (قدّمتْ مشاركتى الجادّةُ الأصدقاءَ معاونةً أكيدةً لهم) وتقول : (كان توقّعى الشديدُ الخطرَ نجاةً لى) .

هذا ، وأرى أن يترك الحديث عن بقية الصفات السلبية ، فكلها موضع أخذ وردّ لا يدرى معه وجه اليقين ، خصوصا أن هذه الصفات السلبية وكذلك التجربة الذهنية وسائل غير لغوية ، لكن ذكرت هنا من باب « العلم بالشىء » لا من باب « العلم باللغة » .

صور استعمال المصدر فى الكلام العربى :

يأتى المصدر الذى يقوم بعمل الفعل فى الكلام العربى على الصور الثلاث التالية :

الصورة الأولى : المصدر المضاف :

وهذه الصورة أكثر ما ترد فى استعمال الكلام العربى ، ولها فى اللغة مظهران :

(أ) أن يضاف المصدر للفاعل ، كقولنا : (مجاهدةُ المرءِ نفسَه جهادٌ عند الله) و (كسْبُ الإنسانِ احترامَ الناس ثمرةُ جهدٍ عظيم) ، ومن شواهده ما يلى :

● قول الله تعالى : ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ ﴾ [الآية ١٦١ سورة النساء] .

● قول عمرو بن معديكرب :

أعاذلُ ، إنما أفْنَى شَبَابِى إجَابَتِىَ الصَّرِيخَ إلى المُنادِى [(١)]

= « الشديد » وقام بعمل الفعل ، فأضيف إلى فاعله وهو ياء المتكلم ، وتعلق به الجار والمجرور « بك » .

(١) الصريخ : المستغيث بالصراخ - المنادى : من يدعو الناس لنجدته .

يقول : لقد قضيت عمرى فى أعمال المروءة والشجاعة ، بإجابة المستغيث الملهوف وطالب النجدة .

الشاهد : فى « إجابتى الصريخ » فقد أضيف المصدر « إجابة » إلى ياء المتكلم من إضافة المصدر إلى فاعله ، ونصب بعده المفعول به وهو « الصريخ » .

(ب) أن يضاف المصدر للمفعول به كقولنا : (احتمالُ المكارِهِ بِجَلدٍ دليلُ الصَّبرِ والإرادة) وقولنا : (معاقبةُ الأشرارِ سلامةٌ للمجتمع) - ومن ذلك الشواهد التالية :

● قول الشاعر :

ألا إنَّ ظُلْمَ نفسِه المرءُ بَيِّنٌ
إذا لم يصُنْها عن هَوًى يغلبُ العقْلا (١)

● قول الفرزدق يصف ناقته :

تنْفي يداها الحَصَى فى كُلِّ هاجِرَةٍ نَفْيَ الدَّراهيمِ تنْقادُ الصَّياريفِ (٢)

الصورة الثانية : المصدر المقترن « بأل » :

توصف هذه الصورة بأنها نادرة فى اللغة جدا ، حتى لتكاد تصل إلى حدّ الشذوذ .

ومن شواهدها قول الشاعر :

عَجِبْتُ من الرِّزْقِ المسيءَ إلهُه ومن تَرْكِ بعضِ الصالحين فقيرا (٣)

الصورة الثالثة : المصدر المُنَوّن (المجرد من « أل » والإضافة) :

هذه الصورة توصف بأنها كثيرة فى اللغة أيضا ، وإن لم تصل فى كثرتها إلى

---

(١) **الشاهد** : فى (ظلم نفسه المرء) حيث أضيف المصدر « ظلم » إلى المفعول به « نفسه » من إضافة المصدر للمفعول ، وجاء الفاعل بعد « المرء » .

(٢) تنفى : تنثر - يداها : رجلاها الأماميتان - هاجرة : وقت الظهر مع اشتداد الحر - الدراهيم : هى « الدراهم » - تنقاد : إعطاء النقود - الصياريف جاء فى القاموس : الصيرفى : المحتال فى الأمور كالصيرف وصراف الدراهم جمعه صيارفة ، والهاء للنسبة ، وقد جاء فى الشعر « صياريف » .

الصورة التى تضمنها البيت هى : الناقة تنثر الحصى أمامها وقت الظهيرة ، كما ينثر الصيرفى الدراهم حين يعطيها .

الشاهد : فى قوله (نفى الدراهيم تنقاد الصياريف) حيث أضيف المصدر « نفى » إلى المفعول به « الدراهيم » من إضافة المصدر للمفعول ، وجاء الفاعل بعده وهو « تنقاد الصياريف » .

(٣) الشاهد : فى (الرزق المسىء إلهه) حيث جاء المصدر مقترنا « بأل » « الرزق » ونصب بعده المفعول « المسىء » ثم جاء الفاعل « إلهه » .

حد المصدر المضاف ، كقولك : (من حُسْنِ الخُلقِ نطْقٌ صِدْقًا وعملٌ معروفًا) - ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ [الآيتان ١٤ - ١٥ من سورة البلد] .

اسم المصدر والمصدر الميمى :

هذان نوعان خاصان من المصادر يؤدّيان عمل المصدر الأصلى ، وكل واحد منهما في حاجة إلى معرفة معناه ، وتقديم بعض شواهد له فى كلام مفيد .

اسم المصدر :

قال ابن عقيل عنه : « المراد باسم المصدر ما ساوى المصدر فى الدلالة وخالفه بخلوّه لفظا وتقديرا من بعض ما فى فعله » . أ . هـ .

ومعنى هذه العبارة يتلخص فى أمرين :

(أ) أن اسم المصدر يدل على ما يدل عليه المصدر وهو « الحدث » وهذا موضع الموافقة بينهما .

(ب) سبق أن المصدر الأصلى يشتمل على حروف فعله وأكثر أما اسم المصدر فتقل حروفه عن حروف فعله ، وهذا موضع المفارقة بينهما .

الفعل : اغتسل	} اغتِسَالاً : المصدر
	} غُسْلاً : اسم المصدر
الفعل : أعطى	} إعْطَاء : المصدر
	} عَطَاء : اسم المصدر

واسم المصدر يقوم بعمل المصدر - على حسب التفصيل السابق عن المصدر - ومن شواهد ذلك ما يلى :

● قول الشاعر :

إذا صحّ عوْنُ الخالقِ المرْءَ لم يجدْ عسيراً من الآمالِ إلاَّ مُيسَّرا [1]

---

(١) يقول : إذا تحقق عون الله للإنسان ، تيسر له كل صعب . =

● قول الشاعر :

بعِشْرتِكَ الكرامَ تُعدُّ منهم   فلا تُرَيَنْ لغيرهم أُلوفا (١)

المصدر الميمى :

يقصد به صرفيا : ما بدئ بميم زائدة ودل على الحدث مثل (مَوْعِد) بمعنى (وعْد) وكذلك (مُعتقد) بمعنى (اعْتقاد) ومن أشهر شواهده قول الحارث المخزومى :

أظلُومُ إنَّ مُصَابَكم رجُلاً   أهدى السَّلامَ تحيةً ظُلْمُ (٢)

● ● ●

= الشاهد : فى (عون الخالق المرء) فإن « عون » اسم مصدر ، ومصدره « إعانة » وقد أدى عمله ، فأضيف إليه الفاعل « الخالق » ونصب المفعول به « المرء » .

(١) لا تصاحب إلا الكرام ، فمن صاحب الكرام عد منهم .

الشاهد : فى (بعشرتك الكرام) فإن « عشرة » اسم مصدر بمعنى « المعاشرة » وقد قام بعمل الفعل ، فأضيف إليه الفاعل « ضمير المخاطب » ونصب المفعول به « الكرام » .

(٢) الشاهد : فى (إن مصابكم رجلا) فإن المصدر الميمى « مصاب » قام بعمل الفعل ، فأضيف إليه الفاعل « ضمير المخاطبين » ونصب المفعول به « رجلا » .

اسم الفاعل

١ - المقصود باسم الفاعل وكيفية صياغته من الفعل .

٢ - صور استعمال اسم الفاعل الذى يقوم بعمل الفعل كما وردت فى الكلام العربى .

* * *

اسم الفاعل وكيفية صياغته :

جاء فى قطر الندى : « هو الوصف الدال على الفاعل الجارى على حركات المضارع وسكناته » . أ . هـ .

وفى هذه العبارة يلاحظ أن ما يطلق عليه اسم الفاعل له الصفات التالية :

(أ) أن يكون وصفا ، والمقصود بذلك - كما سبق غير مرة - ما دل على حدث وفاعله أو مفعوله .

(ب) أن يكون دالا على فاعله ، وبذلك يتميز عن اسم المفعول ، فهو أيضًا وصف .

(جـ) أن يكون موازنًا لمضارع فعله فى حركاته وسكناته ، وبهذه الصفة يتميز تماما عن بقية الأسماء الصفات .

لاحظ ما يلى :

- جدّ - سهر - حصد - راقب - اجتهد - استعدّ } فعل ماضى
- يجدّ - يسهر - يحصد - يراقب - يجتهد - يستعدّ } مضارعه
- جادّ - ساهر - حاصد - مُراقِب - مُجتهِد - مستعدّ } اسم الفاعل مثل } المضارع فى } حركاته وسكناته

ويصاغ اسم الفاعل من فعله على النحو التالى :

أولا : اسم الفاعل من الفعل الثلاثى يأتى على وزن (فاعل) مثل (عالم - قارئ - فاهم - عالٍ - سامٍ - راقٍ) .

ثانيا : اسم الفاعل من غير الثلاثي يؤتى به على وزن الفعل المضارع مع قلب حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل آخره ، فكأنما نقوم بعملية ذهنية تمر أولا بالفعل المضارع ، ليصاغ بعد ذلك اسم الفاعل ، تقول في :

استقام	يستقيم	مُستقِيم
أفاد	يُفيد	مُفِيد
ذاكر	يُذاكر	مُذاكِر

صور استعمال اسم الفاعل في الكلام العربي :

المقصود بذلك اسم الفاعل الذى يقوم بعمل الفعل ، إذ يأتى فى اللغة على الصورتين الآتيتين :

الصورة الأولى : أن تقترن به « أل » :

فى هذه الصورة يؤدى اسم الفاعل عمل الفعل بلا شروط ، أو كما يرد فى كتب النحو « يعمل عمل فعله مطلقا » ، تقول : (المستبدُّ بالرأى هالكٌ والمشاورُ أهلَ الرأى ناجٍ) وتقول : (النّاطقُ الحقَّ فى موقف الظلمِ شجاعٌ إنْ عاش وشهيدٌ إنْ قُتل) .

ويقول امرؤ القيس عن قتل أبيه وقتلته :

والله لا يذهبُ شيخى باطلا   حتى أُبير مالكًا وكاهلاَ
القاتلين المَلِكَ الحُلاَحِلاَ   خيرَ مَعَدٍّ حَسَبًا ونائلا (١)

الصورة الثانية : التجرد من « أل » :

وفى هذه الصورة لا يقوم اسم الفاعل بعمل الفعل فى الجملة التى يرد فيها إلا بتحقيق أمرين له ، أحدهما خاص بمعنى الجملة ، والثانى خاص بكلماتها على التفصيل التالى :

---

(١) شيخى : المقصود « أبى » - باطلا : هدرا - أبير : أهلك - مالكا وكاهلا : قبيلتان من بنى أسد - الملك الحلاحل : بضم الحاء الأولى وكسر الثانية : السيد الشجاع - حسبا : نسبا - نائلا : عطاء .

الشاهد : فى (القاتلين الملك الحلاحل) حيث قام اسم الفاعل المتصل بالألف واللام (القاتلين) بعمل الفعل ، ونصب بعده المفعول به (الملك) وفاعله ضمير مستتر .

(أ) أن يكون معنى الجملة - بما فيها اسم الفاعل - مما يتحقق فى الوقت الحاضر أو المستقبل فقط دون الماضى .

(ب) أن يتقدم على اسم الفاعل فى الجملة واحد مما يلى :

١ - إحدى أدوات النفى أو الاستفهام أو النداء .

٢ - اسم يأتى اسم الفاعل خبرًا له أو صفة له .

فلنطبق الشرطين السابقين على الأمثلة التالية :

ما مُطمئنٌ قلبُ المنافق ولا هادئةٌ قسماتُ وجهه
أراضٍ ضميرُك عن عملك ، إذن لا تبحثْ عن نتيجته
الحقُّ قوةٌ قاهرةٌ الباطلَ إذا توافرت لها الحرية والإرادة

ومما استوفى الشرطين من الشواهد ما يلى :

● قول القائل :

ما راعٍ الخلاَّنُ ذِمَّةَ ناكثٍ ... بلْ مَنْ وَفَى يجدْ الخليلَ خليلا [(١)]

● قول الأعشى :

لأعرفنَّك إن جدَّ النفيرُ بنا ... وشُبَّتْ الحربُ بالطُّواف واحتَمَلُوا
كناطحٍ صخرةً يومًا ليُوهِنَهَا ... فلم يَضِرْها وأوْهَى قَرنَه الوَعِلُ

وفى هذا الشاهد الأخير يوجد موصوف محذوف تقديره (كوعل ناطح) [(٢)] .

---

(١) يقول : لا يفى الأصدقاء لمن لا يفى بالعهد ، فالوفاء أصل الصداقة ، فإذا تحقق ، كان الأصدقاء أصدقاء حقا .

الشاهد : فى (ما راع الخلان ذمة ناكث) حيث جاء اسم الفاعل (راع) مجردا من (أل) واستوفى شرطيه : كونه للاستقبال واعتماده على نفى سابق هو (ما) ولذلك قام بعمل الفعل ، فرفع الفاعل (الخلان) ونصب المفعول به (ذمة ناكث) .

(٢) جد النفير : المقصود به ، أعلنت الحرب - الطواف : بضم الطاء المشددة يبدو أن معناها : المقاتلون إذ يطوفون بالميدان ، ويطوف كل منهم بالآخر - ليوهنها : ليضعفها ، ورواية ديوان الأعشى : ليفلقها - لم يضرها : لم يؤثر فيها - الوعل : ذكر الماعز والظباء .

يقول : حين تعلن الحرب وتشب بين المقاتلين سنرى ما تفعل !! إنك لن تنال منا شيئا رغم ما تكابده من مشقة ، ستكون كالوعل الذى ينطح الصخرة ليفلقها إنه سيكسر قرنه ولن يؤثر فيها - والبيت الأخير يضرب مثلا لمن يجهد نفسه مع من هو أقوى منه . =

وبعد : فإنه ينبغى بعد معرفة اسم الفاعل وصوره اللغوية التنبه للنواحى الجانبية التالية :

أولا : أن بعض النحاة لم يشترط فى الصورة الثانية - المجرد من « أل » - ما اشترطه الجمهور فى معنى الجملة أو فى ألفاظها ، وأطلق الأمر فيها كالصورة الأولى ، وفى ذلك حديث طويل ومناقشات مجهدة لا داعى لذكرها .

ثانيا : المفعول الذى يرد بعد اسم الفاعل يصح لك نصبه ويصح لك إضافته إليه ، سواء أكان اسم الفاعل من الصورة الأولى أم من الثانية - الإضافة فيه لفظية على ما تقدم شرحه - فلنطبق ذلك على ما يلى :

• قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ ﴾ [الآية ٣ من سورة الطلاق] .

قرئت هذه الآية على وجهين بتنوين كلمة (بالغٌ) ونصب كلمة (أمرَه) وبغير تنوين لكلمة (بالغُ) وجر كلمة (أمرِه) .

• قول الله تعالى : ﴿ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ [الآية ٣٨ من سورة الزمر] .

قرئت هذه الآية أيضًا على وجهين : تمامًا كالآية السابقة .

ثالثا : أن اسم الفاعل سواء أكان مفردًا أم مجموعا جمع مذكر أو مؤنث فإنه ينطبق عليه ما سبق شرحه من معناه وصوره - كما هو واضح فى الآية السابقة .

وكقولك : (أحب صديقىَ الحافظَىْ الغيبةِ الغافِرَىْ العثرةِ وأكره أدعياءَ الصداقة الثَّالبين الأعراضَ المُطْلقين ألسنتَهم بالسّوء) .

* * *

= **الشاهد** : فى (كناطح صخرة) فإن اسم الفاعل « ناطح » قام بعمل الفعل فنصب المفعول به « صخرة » معتمدا على موصوف محذوف تقديره « كوعل ناطح » .

أمثلة المبالغة

١ - المقصود بالكلمتين (أمثلة - مبالغة) .

٢ - أوزان المبالغة الخمسة وشواهدها من الكلام العربى .

• • •

لاحظ الأمثلة الآتية :

سَمَّاع - كَرَّار - مِجْذَاب - مِقْدَام - جَمُوح - عَذُول

هذه الكلمات السابقة يطلق عليها (أمثلة المبالغة) ويمكن تحديد الكلمتين نظريا بما يلى :

أمثلة : تعنى نماذج لما تكون عليه الكلمات التى تفيد المبالغة ، فكأن هذه الأمثلة - التى تذكر - صور لما ينبغى أن يأتى عليه غيرها - وبعبارة أقرب : هى صيغ خاصة تفيد معنى المبالغة - وسيأتى عدّها .

المبالغة : جاء فى قطر الندى نصا : « كلها تقتضى تكرار الفعل ، فلا يقال (ضَرَّاب) لمن ضرب مرة واحدة ، وكذا الباقى » . أ . هـ .

ومعنى ذلك أن المبالغة تأتى من إفادة هذه الأوزان تكرار معناها بحيث يصبح هذا المعنى للمتصف به عادة دائبة له تتكرر كثيرا

وهذا وينبغى التنبه قبل عدّ هذه الأمثلة للأمرين التاليين :

الأول : أن هذه الأمثلة تصاغ من الثلاثى ومن غير الثلاثى على الأوزان نفسها وإن كان الأغلب فيها هو صياغتها من الثلاثى - ومما يذكر للتمثيل لغير الثلاثى - كما جاء فى الأشمونى - الكلمات (درّاك - سَأّر - مِعْطاء - مِهْوان - سميعٌ - نذير - زهُوق) وهى على الترتيب مصوغة من الأفعال (أدرك - أسأر - أعطى - أهان - أسمع - أنذر - أزهق) وكلها غير ثلاثية .

الثانى : أن هذه الأمثلة تؤدى تماما عمل اسم الفاعل بالتفصيل السابق الذى مرّ عنه ، بل إن بعض كتب النحو تذكر أن هذه الصيغ محولة عن اسم الفاعل بقصد إفادته المبالغة - وهذا كلام لا معنى له ، فهى صيغ مستقلة مأخوذة من الأفعال دون أن تحول عن غيرها .

أوزان المبالغة وشواهدها :

هي خمسة أوزان ، أكثرها استعمالا في العربية الثلاثة الأولى ثم الرابع ثم الخامس ، وهي :

(١) فعّال : مثل (حمّال - صبّار - سبّاق) تقول : (كان الرسولُ حمّالاً المكروهَ وصبّارًا على الأذى وسبّاقًا لتقديمِ المواساة) ومن ذلك أيضا (طمّاع - قتّال) ومن شواهده :

● قول العرب : (أما العسلَ فأنا شرّاب) .

قول الشاعر :

أخا الحربِ لَبّاسًا إليها جِلالَها وليس بوَلّاجِ الخَوَالِفِ أعْقَلا [١]

(٢) مِفْعَال : مثل (مِقْدام - مِضْياف - مِتْلاف - مِزْواج) تقول : (من صفات المدنيّ الكريم أن يكون مِقْدامًا في الحرب مضيافًا في منزله ، ومن صفات المتخلّف السفيه أن يكون مِتْلافًا لأمواله مزْواجًا للنساء دون حاجة) . ومن ذلك :

● قول العرب في الوصف بالكرم : (إنه لَمِنحَارٌ بَوَائِكَها [٢]) .

(٣) فَعُول : مثل (صَدُوق - كَذُوب - جَهُول - زَهُوق) تقول : (إن الرجلَ يصدقُ ، فيكون ذلك عادةً له ، فيصير دائما صَدُوقًا في أقواله ، وإن الرجل ليكذُب فيكون ذلك عادة له ، فيصير دائما كَذُوبًا في أقواله) .

ومن ذلك قول الراعي النميري :

عَشِيّةَ سُعْدى لو تراءتْ لراهبٍ بدُومَةَ تَجْرٌ دونه وحَجِيجُ

---

(١) لباسا إليها جلالها : الجلال : ملابس الميدان - ولاج : كثير الدخول - الخوالف : أعمدة الخيام - أعقلا : الشديد الجبن .

يقول : إنني شجاع محارب أجيد ارتداء ملابس الميدان ، ولست نذلا جبانا أتسرب بين أعمدة الخيام للاعتداء على الجارات .

الشاهد : قوله (لباسا إليها جلالها) فإن (لباس) صيغة مبالغة على وزن (فعال) قامت بعمل الفعل ، ونصب بعدها المفعول (جلالها) وفاعلها ضمير مستتر .

(٢) البوائك : سمان الإبل ، ومن يكثر ذبح سمان الإبل فهو كريم .

قَلَى دينَه ، واهتاجَ للشوقِ ، إنها　　على الشوقِ إخوانَ العزاءِ هَيُوجُ [١]

(٤) فَعِيل : مثل (سميع - شبيه - عليم - خبير - بصير - حميد) .

ومن ذلك :

● قول العرب : (إن الله سميعٌ دعاءَ مَنْ دعاه) .

● قول ابن قيس الرقيات فيما أنشده سيبويه :

فتاتان ، أمّا منهما فشبيهةٌ　　هِلالاً ، وأُخرى منهما تُشبهُ البدْرَا [٢]

(٥) فَعِل : مثل : (جَدِل - حَذِرٍ - أَكِل - عَجِل - خَصِم) تقول : (أحبُّ كلَّ امرئٍ حَذِرٍ مضارَّه ، وأحتقر كل إنسانٍ جدِلٍ فى حديثه) .

ومن ذلك قول الشاعر :

حَذِرٌ أمورًا لا تضيرُ وآمِنٌ　　ما ليس مُنْجيه من الأقدار [٣]

هذا وقد وصف هذا الوزن الأخير بأنه قليل فى اللغة .

● ● ●

---

(١) دومة . اسم سوق للعرب يجتمعون به - تجر : تجار - قلى دينه : كرهه - إخوان العزاء : الصابرون المتجلدون .

يقول : إن « سعدى » جميلة جمالا فائقا يؤدى للخبال ، فلو تراءت لراهب فى سوق به كثير من الناس التجار والحجاج ، لسبته ، وأهاجت أشواقه ، فكره دينه وتبعها .

الشاهد : فى (إخوان العزاء هيوج) فإن (هيوج) من أمثلة المبالغة على وزن (فعول) وقام بعمل الفعل ، ففاعله ضمير مستتر ، ومفعوله مقدم هو (إخوان العزاء) .

(٢) **الشاهد** : فى قوله (شبيهة هلالا) فهى مثال للمبالغة على وزن (فعيل) ونصب بعدها المفعول به (هلالا) .

(٣) لا تضير : لا تضر .

يقول : عجيب ضعف الإنسان وقصور إدراكه ، فهو يحذر ما لا يضر ويغفل عما يأتى منه الهلاك من القدر .

الشاهد : (حذر أمورا) فإن (حذر) على وزن (فعل) من أمثلة المبالغة وقامت بعمل الفعل ، والفاعل ضمير مستتر ، والمفعول به (أمورا) .

اسم المفعول

١ - المقصود باسم المفعول لدى الصرفيين ، وكيفية صياغته .

٢ - عمل اسم المفعول فى الجملة .

٣ - موازنة بين اسم الفاعل والمفعول من الناحيتين الصرفية والنحوية .

• • •

اسم المفعول وكيفية صياغته :

يقصد به لدى الصرفيين : « الوصف المشتق من الفعل المبنى للمجهول للدلالة على من وقع عليه الفعل » . أ . هـ .

ومن ذلك يفهم أن اسم المفعول هو ما تحققت له الصفات التالية :

(أ) أن يكون وصفا ، وهو بذلك يشترك مع كل الأسماء المشتقة الدالة على الوصف .

(ب) أن يكون مأخوذا من الفعل المبنى للمجهول ، وبذلك يتميز عن اسم الفاعل .

(جـ) أن يكون دالا على من وقع عليه الفعل ، وبذلك يتميز عن كل أسماء الأوصاف مثل (مَحْمُود - مَكْرُوه - مَذْمُوم - مُنْتَقَى - مُكَرَّم) .

أما كيفية صياغته من الفعل فتكون على النحو التالى :

أولا : من الفعل الثلاثى يصاغ بوزن (مفعول) مثل : (مكْتُوب - مقْروء - مصُون - ملُوم - مَعِيب - مجِىء) .

ثانيا : من غير الفعل الثلاثى يصاغ بوزن المضارع مع قلب حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر ، مثل (مُقَدَّم - مُشَارَك - مُعَاد - مُستَفَاد - مُقَام) .

عمل اسم المفعول فى الجملة :

علم فى معنى اسم المفعول أن من أهم صفات صياغته مجيئه من الفعل

المبنى للمجهول ، ومعنى ذلك أنه يقوم بعمل الفعل المبنى للمجهول ، وما يرد بعده فى الجملة يكون نائب فاعل على النحو التالى :

أولا : إذا كان اسم المفعول مأخوذا من الفعل المتعدّى يكون نائب الفاعل أصله المفعول به ، تقول : (أمسموعٌ صوتُ الحقّ فى عالَمٍ فَقَدَ ضميرَه) وتقول : (ما مُضَيَّعَةٌ حقوقٌ يُطالِبُ بها أهلُها) .

ثانيا : إذا كان اسم المفعول مأخوذا من الفعل اللازم يكون نائب الفاعل معه هو المصدر أو الجار والمجرور أو الظرف (راجع : نائب الفاعل) .

تقول : (الكلامُ الرّدىءُ مسكوتٌ عنه) و(العملُ الجادُّ مُنْصَرَفٌ إليه) .

هذا .. وينبغى التنبه إلى أن كل ما قيل فى اسم الفاعل - من حيث تقسيمه إلى ما فيه « أل » فيقوم بعمل الفعل دون شروط ، وإلى المجرد منها ولا بد من الشروط السابقة هناك - هذا كله أيضا يصدق على اسم المفعول تماما كما هو هناك فى اسم الفاعل .

الموازنة بين اسْمَى الفاعل والمفعول :

بمعاودة النظر على ما سبق من حديث اسمى الفاعل والمفعول ؛ يمكن - دون عناء كبير - الموازنة بينهما من حيث الصياغة والنحو على التفصيل التالى :

أولا : من الناحية الصرفية :

يتفق كل من اسم الفاعل والمفعول فى أنهما يصاغان من كل من الفعل المتعدى واللازم ، فتقول فى اسم الفاعل من (شاهد - استراح) : (مُشاهِد - مُستريح) وتقول فى اسم المفعول منهما : (مُشاهَد - مُستَراح له) .

ويختلفان فى أن اسم الفاعل يصاغ من الفعل المبنى للمعلوم ، أما اسم المفعول فإنه يصاغ من الفعل المبنى للمجهول ، أو بعبارة أخرى : يأتى اسم الفاعل فى موضع الفعل المبنى للمعلوم واسم المفعول فى موضع الفعل المبنى للمجهول ، فأنت تقول : (ما نائمةٌ عينُ الجبان) وتقول أيضا : (ما مُسَهَّدةٌ عينُ الشّجاع) . ومن البين أنه يمكن وضع الفعل (تنَام) موضع اسم الفاعلِ فى المثال الأول وهو مبنى للمعلوم - كما يمكن وضع الفعل (تُسهَّدُ) موضع اسم المفعول - فى المثال الثانى - وهو مبنى للمجهول .

ثانيا : من الناحية النحوية :

يتفق كل من اسم الفاعل والمفعول فى التفصيلات والشروط التى ذكرت فى اسم الفاعل ، بمعنى أن كلا منهما إن كان بـ « أل » قام بعمله النحوى بلا شروط - وإن كان بغير « أل » فإنه لا يقوم بهذا العمل إلا بالصفات التى ذكرت فى معنى الجملة وألفاظها - كما سبق شرحه .

أمّا افتراقهما نحويا فيتمثل فى أن اسم الفاعل يرفع الفاعل - أما اسم المفعول فيرفع النائب عن الفاعل - وهذا أمر مفهوم مما سبق .

• • •

الصفة المشبهة

١ - المقصود بالصفة المشبهة ، ووجه تسميتها مشبهة .
٢ - ألفاظ الصفة المشبهة بين القياس والسماع .
٣ - الصورة اللغوية لجملة الصفة المشبهة ، مع بيان إعراب الاسم بعدها .

• • •

الصفة المشبهة :

لنلاحظ أولا الأمثلة التالية للصفة المشبهة :

● نقول : (حسَن الوجه - طلْق المحيا - رقيق القلب - طيِّب المعاشرة - شَهْم المعاملة - جمّ المروءة - ليّن الجانب - رَزّان النَّفس) .

ونقول : (إنها جميلة الوجه - بضَّة الجسم - عذْبة الروح - سوداء العينين - هيفاء القوَام - عفيفة السلوك - حرة الخلق - حَصَان النفس) .

فى كل هذه الأمثلة السابقة أسماء مما يطلق عليه « الصفة المشبهة » ومنها (حسن - طلق - رقيق - طيِّب - شهْم - جمّ - لَيّن - رَزّان - جميلة - بَضّة - عذْبة - سوداء - هيفاء - حُرّة - حَصَان) . وغير ذلك كثير جدا وسيأتى .

وقد اختلفت أقوال العلماء حول تحديد معنى الصفة المشبهة اختلافا متغايرًا تماما ، والحق أن ما ورد عن ذلك لا تناقض فيه ، وإنما هو اختلاف فى النظرة إلى الصفة المشبهة بين الناحيتين الصرفية والنحوية ، فاتجه بعض علماء النحو فى بيانها على أساس الصيغة الصرفية ، فأوردوا قيودها بناء على ذلك - واتجه آخرون لبيانها على أساس الناحية النحوية ، فأوردوا قيودها بناء على ذلك ، وهذان الاتجاهان يمكن أن يمثلهما التعريفان التاليان :

الأول :- كما جاء فى قطر الندى والأشمونى : « هى الصفة المصوغة لغير تفضيل من فعل لازم لإفادة نسبة الحدث إلى الموصوف بها دون إفادة معنى الحدوث » . أ . هـ .

ومن البين أن هذا التعريف صرفى ، وجهته تحديد الصفة المشبهة من حيث صيغتها - وإن تعرض أيضًا للمعنى - فهو يأخذ فى اعتباره القيود التالية :

(أ) أنها وصف - لغير تفضيل - إذ تدل - كما سبق غير مرة - على حدث وصاحبه ، مثل (فَرِح) تدل على شخص موصوف بالفرحة ، ومثل (بَطَل) إذ تدل على إنسان متّصف بالبطولة .

(ب) أنها تصاغ من فعل لازم ، وهذا هو الغالب فيها ، فمثلا كلمة (ضَخْم) من الفعل (ضَخُم) وهو لازم ، وأيضا كلمة (شريف) من الفعل (شَرُف) وهو لازم .

(جـ) أنها تفيد نسبة الصفة لموصوفها ، ولا تفيد حدوثها ، بمعنى أنها تدل على ما هو موجود فعلا بالنسبة لصاحبها ، ولا تدل على شيء حدث بعد أن لم يكن ، كما هو واضح فى (جَبَان - شُجاع - بَطَل) فهى صفات موجودة فى صاحبها قبل الحديث عنها ، وربما استمرت أيضا بعد هذا الحديث .

الثانى : - كما جاء فى الألفية وشروحها : « هى الصفة التى استحسن أن تضاف لما هو فاعل فى المعنى » . أ . هـ .

ومن البين أن هذا التعريف يأخذ فى اعتباره الناحية النحوية من أن الصفة المشبهة تضاف لما هو فاعلها فى المعنى ، أى أن المضاف إليه معها وإن كان مجرورا لفظا لكنه هو الفاعل الحقيقى لها ، مثل (نقِيّ الثوبِ) و(طاهرُ العِرض) فإن الكلمتين (الثوب - العرض) مضافتان للصفة وهما فى الوقت نفسه الفاعلان فى الذهن ، فالثوب ينسب له النقاوة ، والعرض ينسب له الطهارة ، وهذه الطريقة هى التى تحدد بها الصفة المشبهة .

والحق أن التحديد الأول أدق وأشمل من الثانى الذى عارضه من يُعتدّ بهم من النحاة .

لماذا سميت مشبهة ؟

لاحظ الأمثلة التالية :

كان الرسولُ ﷺ شريفًا النفسَ طيبًا الأخلاقَ

وكان أبو بكر ﷺ ضَئيلاً جسمَه شُجاعًا رُوحَه

فى المثالين السابقين نجد فى المثال الأول صفتين مشبهتين هما (شريف - طيب) والاسم الذى بعدهما يمكن نصبه فينطق (النفسَ - الأخلاقَ) كذلك فى

المثال الثانى صفتان مشبهتان هما (ضئيل - شجاع) وبعدهما أيضا اسمان منصوبان هما (جسمَ - روعَ) .

إن المعنى الذى يخطر هنا على الذهن هو : أن الصفة المشبهة تؤخذ من الفعل اللازم - كما سبق القول فى تعريفها - فكيف إذن أتى بعدها الاسم منصوبا فى الاستعمال اللغوى مع أن الفعل اللازم لا ينصب الاسم بعده ؟

هذه هى المشكلة التى واجهت النحاة ، فتخلصوا من ذلك بإطلاقهم على هذه الصفات أنها « مشبهة » ومعنى ذلك فى - رأيهم - أنها مشبهة باسم الفاعل المتعدى لواحد الذى ينصب بعده المفعول ، وما دامت مشبهة به فيصح أيضا أن يأتى بعدها المنصوب ، أما وجوه المشابهة بينها وبين اسم الفاعل فتتلخص فى أمرين :

الأول : أنها تدل مثله على معنى وصاحبه ، فهى وصف مثله تماما ، فكما أن (مُكْرِم) اسم فاعل تدل على شخص ينسب له الكرم ، كذلك (كَريم) صفة مشبهة تدل على المعنى السابق نفسه .

الثانى : أن كلا منهما يكون مفردًا ومثنى ومجموعًا ، مذكرًا ومؤنثًا فكما يقال : (عاقل - عَاقِلان - عَاقِلون - عاقِلة - عاقلتان - عاقلات) يقال أيضا فى الصفة المشبهة : (فَرِح - فَرِحان - فَرِحون - فَرِحَة - فَرِحَتان - فَرِحات) .

من أجل هذين الأمرين السابقين اللَّذَيْن يتعلق أحدهما بالمعنى والآخر باللفظ سميت هذه الصفة مشبهة ، والذى دعا إلى عقد هذه المشابهة وجود الاسم المنصوب فى الجملة التى ترد فيها .

والذى أراه أن الأمر مرجعه أولا وأخيرًا استعمالُ اللغة ، فقد ورد الاسم مع هذه الصفة منصوبًا ، وكان وصفه - كما ورد - كافيا دون عقد هذه المشابهة وإطلاق هذه التسمية ، فهى تراكمات صناعية دعا إليها البحث عن علة المنصوب ثم عقد المشابهة ، ثم التسمية - وما كان أغناهم عن ذلك كله لو اقتصروا على الوصف اللغوى وحده .

ألفاظ الصفة المشبهة بين السماع والقياس :

ينبغى باختصار التعريف على المقصود بالقياس والسماع :

فالقياس : يقصد به ذكر قاعدة عامةٍ تنطبق على كل ما يندرج تحتها من الأمثلة ؛ كما تقول مثلا : (يصاغ اسم الفاعل من الثلاثى على وزن فاعل) فهذه قاعدة عامة يندرج تحتها (ساهر - نائم - قائم - راكع - ساجد - عالم - جاهل) .

أما السماع : فيقصد به أن ذلك المسموع لا يدخل تحت قاعدة عامة ، بل سمع عن العرب هكذا ، فنقل فى كتب اللغة والنحو كما سمع ، كقولنا : (اسم المكان المختص الذى ورد منصوبا فى اللغة سماعى لا يقاس عليه) مثل (دخلت الدار والمسجد) .

تحت أىّ هذين القسمين إذن تأتى ألفاظ الصفة المشبهة ؟؟

إن ألفاظ الصفة المشبهة سماعية ، ومن الصعب حصرها ، فهى كثيرة جدا ولا تندرج تحت قواعد حاسمة تجمعها - وكل ما يذكر من قواعد لصياغتها من الثلاثى ومن غيره (راجعها فى كتب الصرف) إنما هدفه التقريب لا الحصر ويقصد منه المعاونة على معرفتها لا القياس .

من أجل ذلك أرى من الأفضل إيراد مجموعة من الكلمات الآتية للصفة المشبهة دون إيراد قواعد لصياغتها ، فهى غير حاسمة من جهة ، وموضعها كتب الصرف من جهة أخرى .

- أشيَب - شيْخ - طيّب - جَوَاد - عفيف - ضيّق .
- فَرِحَ - أَشِر - بَطِر - لَبِق - فَطِن - نَهِم - جَشِع - شَرِه - لَيِن - غِرّ - حُرّ .
- أعْرَج - أحْمَق - أهْوَج - أخضَر - أصفَر - أَحمر - أغْيد - أهْيَف - غيداء - هيفاء - سمراء - شقراء - حسناء .
- ريّان - عطشان - شبعان - جوْعان - ظمآن - غضْبان .
- بخيل - عَمِيل - سقيم - مريض - طبيب - لبيب - ذكىّ - غبىّ - تَقِىّ - نَقِىّ - طَرِىّ - رهيب - عجيب - نبيه - وضىء - عميق - صفيق .
- بطَل - حسَن الوجه - شهْم - ضخْم - نذْل - طلْق المحيّا - صُلْب العود .

- حَصَان - رَزَان - جبان - شجاع - عُضال .
- كريم - عظيم - رقيق - جميل - نبيل - لئيم .
- ضامر البطن - حادّ الذهن - جامد الإحساس - طاهر السيرة .

جملة الصفة المشبهة وإعراب الاسم بعدها :

ينبغي في عرض هذه الفكرة تجنب ما خاضت فيه كتب النحو من الأعمال الذهنية المجهدة المتشعبة لإيراد صور جملة الصفة المشبهة ، فقد أوصلها « الأشمونى » إلى ٧٢ صورة و« ابن عقيل » إلى ٣٦ صورة ، فهذا عناء يشق فهمه على الدارس العادى (فارجع إليهما في ذلك إن أردت) .

فالمهم هنا هو التصور المفيد لجملة الصفة المشبهة من ناحيتين :

الأولى : الصور الثلاث لجملتها بحسب الاسم الذى يقع بعدها .

الثانية : إعراب الاسم الواقع بعدها رفعا ونصبا وجرًّا .

الناحية الأولى : صور جملة الصفة المشبهة :

الصورة الأولى : لاحظ الأمثلة التالية :

يستحقُّ احترامَنا الأستاذُ الطيِّبُ قلبُه الشهْمُ معاملتُه

ويثيرُ اشمئزازَنا الأستاذُ الضعيفةُ شخصيتُه الشرِسةُ معاملتُه

فهذه الصورة تتكون - كما ترى في الأمثلة - من الصفة المشبهة معربة بحسب ما يقتضيه نظام الجملة قبلها + الاسم بعدها متصلا بضمير يعود على الموصوف بها .

الصورة الثانية : لاحظ الأمثلة التالية :

يستحق حبَّنا الطالبُ النظيفُ الأخلاق الحرُّ العقل

ويثيرُ احتقارَنا الطالبُ النّذلُ الأخلاق البليدُ العقل

فهذه الصورة تتكون - كما ترى في الأمثلة - من الصفة المشبهة معربة بحسب ما يقتضيه نظام الجملة قبلها + الاسم بعدها متصلا بالألف واللام .

الصورة الثالثة : لاحظ الأمثلة التالية :

يستحق احترامنا كلُّ جنديٍّ شجاعٍ قلبًا صلبٍ عودًا

ويثير احتقارَنا كلُّ جنديٍّ جبانٍ قلبًا فَشِلٍ تصرفًا

فهذه الصورة تتكون - كما ترى فى الأمثلة - من الصفة المشبهة معربة بحسب ما يقتضيه نظام الجملة قبلها + الاسم بعدها خاليًا من الضمير ومن « أل » .

الناحية الثانية : إعراب الاسم بعدها :

ورد الاسم بعد الصفة المشبهة فى اللغة مرفوعا ومنصوبا ومجرورًا ، والقصد هنا توجيه هذه الوجوه الثلاثة من الناحية الإعرابية .

توجيه الرفع : لاحظ المثال التالى :

من الرجولة أن يكون الشابُّ نبيلاً قلبُه ذكيًا عقلُه

فكل من الكلمتين بعد الصفة المشبهة - وهما (قلبه - عقْلُه) مرفوع على أنه فاعل - وهناك رأى آخر يقول : إنه بدل من الضمير المستتر فى الصفة ، وهو رأى لا شهرة له .

توجيه النصب : لاحظ المثالين :

من الأنوثة أن تكون الفتاةُ رقيقةً قلبَها لبِقةً حديثَها

ومن صيانة الأنوثة أن تكون الفتاةُ حُرَّةً نفسًا عفيفةً سلوكًا

فكل من الكلمتين (قلبَها - حديثَها) فى المثال الأول ، ثم (نفسًا - سلوكا) فى المثال الثانى منصوبة - وفى المثال الأول الكلمتان معرفتان ، وفى المثال الثانى نكرتان .

قال النحاة : الاسم المنصوب المعرَّف بعد الصفة المشبهة يعرب على أنه (شبيه بالمفعول به) لأن الصفة المشبهة من الفعل اللازم ، فلا يصح أن يعرب الاسم بعدها مفعولا به ، بل هو شبيه بالمفعول به - أما الاسم المنصوب النكرة بعد الصفة المشبهة فيعرب على أنه (تمييز) . وذلك أحسن ما قيل فى هذا الموضوع .

توجيه الجر : لاحظ المثالين التاليين :

من الأنوثة أن تكونَ الفتاةُ رقيقةَ القلبِ لبقةَ الحديثِ

ومن الرجولة أن يكون الشابُّ نبيلَ القلبِ ذكيَّ العقْلِ

كل من الكلمات (القلب - العقل - الحديث) فى المثالين السابقين مجرورة بعد الصفة المشبهة على أنها (مضاف إليه) .

وتتلخص جملة الصفة المشبهة وإعرابها فى الآتى :

(أ) يأتى بعد الصفة المشبهة اسم مضاف إلى ضمير المتصف بها أو به « أل » أو مجرد من « أل » والإضافة .

(ب) تعرب الصفة المشبهة فى جملتها بحسب ما يقتضيه سياق الجملة .

(جـ) الاسم بعدها يجىء مرفوعا على أنه فاعل أو منصوبا على أنه « مشبه بالمفعول به » إن كان معرفة ، أو « تمييز » إن كان نكرة ، كما يأتى مجرورا على أنه « مضاف إليه » .

• • •

اسم التفضيل

١ - المقصود باسم التفضيل وما يتفرع على صيغته ومعناه .

٢ - صفات الفعل الذى يصاغ منه اسم التفضيل .

٣ - الصور اللغوية لجملة اسم التفضيل وعمله النحوى فيها .

اسم التفضيل :

لاحظ الأمثلة التالية :

العربىُّ أكرَمُ النّاسِ لضيوفه .

والمصرىُّ أظرفُ الناسِ حديثا .

والوطنُ أهمُّ من المالِ والوالد .

والدّفاعُ عنه أرْوَعُ الأعمال بطولة .

فى كل الأمثلة السابقة اسم يدل على التفضيل ، والمراد به - استخلاصا من كلام النحاة - كل وصف على وزن « أفْعَل » يدل على أن اثنين اشتركا فى صفة ، وزاد أحدهما على الآخر فى تلك الصفة أ . هـ .

ومن البين أن « اسم التفضيل » هو ما توافر له الصفات التالية :

(أ) أن يكون وصفا ، وقد مر أن المقصود بذلك ما دل على معنى وصاحبه .

(ب) أن يكون هذا الوصف على وزن (أفْعَل) بأن تكون صياغته من الفعل على هذا الوزن ، كالكلمات (أكرم - أظرف - أهمّ - أرْوَع) فى الأمثلة السابقة .

(جـ) أن يدل على شيئين اشتركا فى صفة وزاد أحدهما على الآخر فيها كقولنا : (الحريّةُ أغْلَى قِيَم الحياة) و(العِلْمُ أقرَبُ طريقٍ للحضارة) . لكن يتفرع على هذا التحديد المسألتان التاليتان :

الأولى : وردت ثلاث كلمات فى اللغة بدون الهمزة وتفيد التفضيل ، وهى (خَيْر - شَرّ - حَبّ) إذ تفيد ما يفيده (أخْيَر وأشَرّ وأحَبّ) ومما يساق لذلك الشواهد التالية :

● قول الله تعالى على لسان إبليس متفضلا على آدم : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [الآيــة ١٢ من سورة الأعراف] .

● وقولـــه : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الآية ٢٢ من سورة الأنفال] .

● قول الشاعر :

وزادني كَلَفًا بالحبّ أنْ مَنَعَتْ   وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعا (١)

ويبدو أن الكلمتين الأوليين يستعملان حقا - كما قال النحاة - بدون الهمزة ، لكثرة الاستعمال نثرًا ونظمًا ، أما الكلمة الأخير فيبدو أنها تستعمل على الأصل (أحَبّ) ووردت بذلك في القرآن والنثر الفصيح - ومن ذلك .

● قـول الله تعالــى : ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [الآية ٣٥ من سورة يوسف] .

● قول عليّ ﷺ : (لأَنْ أصومَ يومًا من شعبانَ أحبُّ إليّ من أن أُفطرَ يوما في رمضان) .

أما البيت الذى استُشهد به على استعمال (حَبّ) دون همزة فله رواية أخرى ، فقد ورد الشطر الثاني هكذا (أحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعَا) وعليها لا شاهد فيه .

الثانية : أن وزن (أفْعَل) قد يستخدم في الكلام ولا يقصد به المفاضلة بين شيئين ، وذلك يرد في صورتين :

(أ) ما كان على وزن (أفْعَل) من أوزان الصفة المشبهة ، فيدل على مجرد الصفة ولا مفاضلة فيه، مثل (الإنسانُ الأحمقُ من يتكلمُ قبل أن يَعْرِفَ ، ويندفعُ قبل أن يَتثبَّتَ) .

---

(١) كلفا : تمسكا شديدا .

يقول : الممنوع محبوب ، لقد زادني تمسكا بها تمنعها .

الشاهد : قوله في الشطر الثاني (حب شيء إلى الإنسان ما منعا) إذ جاءت (حب) اسم تفضيل بدون الهمزة : وهي من الكلمات الثلاث التي تأتي كذلك لكن للبيت رواية أخرى (أحب شيء إلى الإنسان ما منعا) باستعمال الكلمة بالهمزة على الأصل ، وعلى ذلك لا شاهد فيه .

(ب) ما يطلق عليه فى النحو (أفعل التفضيل على غير بابه) بأن يقصد منه المبالغة فى الصفة دون التفضيل ، ويفهم ذلك من ظروف الكلام الذىَ ورد فيه ، تقول : (الله أَرْحَمُ بعباده) فالمقصود هو المبالغة فى الرحمة دون المفاضلة ، وتقول (الحقُّ أحَقُّ أن يُتَّبع) فالمقصود هو المبالغة فى جدارة الحق بالاتباع .

وقد ورد من ذلك قول الفرزدق :

إن الذى سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا بيتًا دَعَائمُه أَعَزُّ وأَطْوَلُ (١)

ما يصاغ منه اسم التفضيل :

قال ابن مالك عن صياغة كل « من صيغتى التعجب واسم التفضيل » من الأفعال :

وصُغْهما من ذى ثلاثٍ صُرِّفَا قابِلِ فَضْلٍ تمَّ غيرِ ذى انْتِفا
وغيرِ ذى وصف يُضَاهِى أَشْهَلا وغيرِ سالكٍ سبيلَ فُعِلاَ

ففى هذين البيتين الصفات التى ينبغى توافرها فى الفعل الذى يصاغ منه اسم التفضيل - ومثله صيغتا التعجب - وهى - كما وردت فى البيتين بالترتيب - سبع صفات :

(١) أن يكون الفعل ثلاثيًا .

(٢) أن يكون متصرِّفًا .

(٣) أن يكون الفعل قابلا للمفاضلة ، لكى يحقق معنى « اسم التفضيل » .

(٤) أن يكون الفعل تامّا - وقد سبق تحديد التام والناقص .

(٥) ألا يكون الفعل منفيا .

(٦) ألا تكون الصفة المشبهة منه على « أَفْعَل » الدال على الألوان أو العيوب والحلى مثل (أَشْهَل - أَسْوَد) .

---

(١) سمك السماء : - كما جاء فى القاموس رفعها - دعائمه : أعمدة البيت التى يقوم عليها .
يقول مفتخرا : إن الله الذى رفع السماء جعل لنا شرفا عاليا رفيعا لا يدانيه أحد فى العز والرفعة .
الشاهد : قوله (دعائمه أعز وأطول) فقد جاء اسم التفضيل على غير بابه ، فالمقصود به المبالغة فى الصفة ، والمعنى (دعائمه عزيزة طويلة) .

(٧) ألا يكون مبنيا للمجهول .

فلنلاحظ الأمثلة التالية :

● أفعال استوفت الشروط فيأتى منها اسم التفضيل :

(كَرُمَ - ساءَ - ضَبَطَ - هَدَى - ضَلّ - نَبُه - شَرُف) .

● أفعال لم تستوف الشروط فلا يبنى منها اسم التفضيل :

(تجمع - استمع - ليس - نِعْم - بئس - غربت الشمس - مات - كان - أصبح - ما ضلّ وما غَوَى - سَوِدَ - خَضِرَ - قُرِئَ - سُئِلَ) .

هذه صفات ما يبنى منه اسم التفضيل من الأفعال ، فما لم يستوف هذه الصفات مجتمعة - بأن نقص منها واحدة أو أكثر - فلا يبنى منه اسم التفضيل على صورته التى سبق شرحها ، بل تسلك اللغة طريقتين للإتيان باسم التفضيل منها على التفصيل التالى :

الطريقة الأولى : لاحظ الأمثلة التالية :

الشعبُ المتحضرُ أسْمَى إحْسَاسًا من المتخلِّف .

الظلمُ أشَدُّ سوادًا من الظلام .

تستخدم هذه الطريقة للتفضيل مع صنفين من الأفعال هما : ما زاد على ثلاثة مثل (أحَسَّ) وما كان الوصف منه على أفعل مثل (سَوِدَ) .

وتتكون جملة التفضيل فيها - كما ترى الأمثلة - من الإتيان (باسم مناسب على وزن أفْعَل + المصدر الصريح للفعل منصوبا على التمييز بعده) .

الطريقة الثانية : لاحظ الأمثلة التالية :

الظُلمُ أوْقَعُ ما يكونُ مؤلما مع رؤيةِ الظالمِ والعجز عنه .

الكلامُ المفيدُ أحَقُّ أنْ لا يُترَك والكلام الرَخيصُ أولى أنْ لا يُسمَعَ .

المحسنُ أحَقُّ أنْ يُكَافَأ والمسيءُ أوْلَى أنْ يُعاقَبَ .

تستعمل هذه الطريقة مع ثلاثة أنواع من الأفعال هى (الناقصة - المنفية - المبنية للمجهول) وتتكون جملة التفضيل فيها - كما ترى فى الأمثلة - من الإتيان (باسم مناسب على وزن أفْعَل + المصدر المؤول بعده) .

أما الأفعال الجامدة والأفعال التى لا تفاضل فى معناها ، فلا يأتى منها اسم التفضيل مطلقا .

جملة اسم التفضيل وعمله النحوى فيها :

ينبغى فى عرض هذه الفكرة التعرض لناحيتين هما :

(أ) الصور الأربع لجملة التفضيل .

(ب) الوظيفة النحوية لاسم التفضيل فى جملته .

الناحية الأولى : صورة جملة التفضيل :

تأتى جملة التفضيل على الصور الأربع التالية :

الصورة الأولى : لاحظ الأمثلة التالية :

قد يكون الصمتُ أقْوَى من الكلام .

وربما كان الساكتون أبلَغَ من الناطقين .

وفى هذه الجملة يكون اسم التفضيل مجردًا من الألف واللام (أل) والإضافة - كما ترى فى المثالين السابقين الكلمتين (أقوى - أبلغ) وحينئذ توصف جملة التفضيل بما يلى :

(أ) يبقى اسم التفضيل دائما مفردا مذكرا .

(ب) يُؤتى بعد اسم التفضيل بحرف الجر (من) جارًا للمفضل عليه .

الصورة الثانية : لاحظ الأمثلة التالية :

إن قولَ الصّدقِ هو النهجُ الأمْثلُ للنجاة .

وإن سيادةَ العدالة هى الطريقةُ المُثلى لأمْنِ النّاس .

فهاتان الصفتان تحققان النّهجين الأمْثلين للنجاة والأمْن .

وفى هذه الصورة يكون اسم التفضيل مقترنا بالألف واللام - كما ترى فى الأمثلة السابقة (الأمثل - المثلى - الأمثلين) - وحينئذ يطابق ما جاء لتفضيله إفرادًا وتثنية وجمعا ، وتذكيرًا وتأنيثًا .

الصورة الثالثة : لاحظ الأمثلة التالية :

التصميمُ أوّلُ مرحلةٍ لبلوغ الغاية .

والتصميمُ ثم التنفيذُ أهمُّ طريقين لتحقيقِ الغاية .

وفى هذه الصورة يكون اسم التفضيل مضافا لنكرة - كما ترى فى الكلمات (أوّل - أهمّ - أقرب) - وحينئذ توصف جملة التفضيل بما يلى :

(أ) يبقى اسم التفضيل دائما مفردًا مذكرا - تماما كالمجرد .

(ب) النكرة التى أضيفت إليه تطابق ما جاء اسم التفضيل له فى الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث .

الصورة الرابعة : لاحظ الأمثلة التالية :

يقال : أذكياءُ الناسِ أحْسَنُهم أخلاقًا .

ويمكن : أذكياءُ الناسِ أحاسِنُهم أخلاقًا .

فالذكاءُ أقْصَرُ الطرقِ للمعرفة والفضيلة .

وفى هذه الصورة يكون اسم التفضيل مضافا لمعرفة - كما ترى فى الأمثلة السابقة (أحسن - أحاسن - أقصر) - وحينئذ توصف جملة التفضيل بما يلى :

(أ) اسم التفضيل يمكن أن يطابق من هو له ، ويمكن ألا يطابقه ، فيلزم الإفراد والتذكير .

(ب) المعرفة التى أضيفت إليه لا تلزم فيها المطابقة .

فلنطبق ما قيل فى الصورة الأخيرة على ما يلى :

- قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ [الآية ١٢٣ من سورة الأنعام] } طابق من هو له
- وقوله : ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ [الآية ٢٧ من سورة هود] } فى التذكير والجمع
- وقوله : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ [الآية ٩٦ من سورة البقرة] } لم يطابق فبقى مفردًا مذكرا

• قول الرسول ﷺ : (ألا أُخبركم بأحبِّكم إلىّ وأقربِكم منى منازلَ يومَ القيامة : أَحَاسِنُكم أخلاقا ، المُوطَّئونَ أكنَافًا الذين يأْلَفُون ويُؤْلَفُون) .

} لم يطابق فى (أحب - أقرب)
} طابق فى (أحاسن)

وخلاصة هذا الموضوع كله تتلخص فى الأمور التالية فى المطابقة :

(أ) اسم التفضيل المجرد والمضاف لنكرة يجب إفراده وتذكيره .

(ب) اسم التفضيل المقترن بالألف واللام تجب مطابقته لما هو له .

(جـ) اسم التفضيل المضاف لمعرفة تصح فيه المطابقة وعدم المطابقة .

* * *

الناحية الثانية : العمل النحوى لاسم التفضيل :

المقصود بذلك بيان ما يأتى بعده من الأسماء مرفوعا ومنصوبا وتوجيه الرفع والنصب - تفضيل ذلك كما يلى :

ما يرفع مع اسم التفضيل :

لاحظ الأمثلة التالية :

الإنسانُ أذكَى من كلِّ المخلوقات .

ذكاءُ الإنسانِ أذْنَى منه ذكاءُ كلِّ المخلوقات .

ما أذْكَى أنت من زميلك ، بل أنتما متساويان .

فى المثال الأول فاعل اسم التفضيل ضمير مستتر يعود على كلمة (الإنسان) فالأصل فى اسم التفضيل أن يرفع الضمير المستتر - أما رفع الاسم الظاهر والضمير البارز - كما فى المثالين الأخيرين - فهو - كما وصفه ابن هشام - لغة ضعيفة .

قال النحاة : ويستثنى من ذلك « مسألة الكحل » فإنه يصح رفع الاسم الظاهر فيها بعد اسم التفضيل قياسا مطردا بلا ضعف .

وضابط هذه المسألة : أن يتقدم على اسم التفضيل نفى بعده اسم نكرة

موصوف باسم التفضيل ، بعده اسم مفضَّل على نفسه باعتبارين - فلنتأمل فى ذلك الشواهد التالية :

● مثال المسألة : ما رأيتُ فتاةً أحسنَ فى عينها الكحلُ منه فى عين هند .

● ما ورد فى الأثر : « ما من أيامٍ أحَبُّ إلى الله فيها الصومُ منه فى عشر ذى الحجة » .

● قول الشاعر :

ما رأيت امرءًا أحَبَّ إليه البذلُ منه إليك يا ابنَ سنان [1]

ومن البين أن كل هذه الشواهد مستوفاة للشروط التى سبق ذكرها .

ما ينصب مع اسم التفضيل :

لاحظ الأمثلة الآتية :

الإنسانُ أعظمُ المخلوقاتِ ذَكَاءً .

وهو أَفْضَلُها عند الله كرامةً .

ولكنه أقْسَاهَا جُحُودًا ونُكرانًا .

الأسماء المنصوبة بعد اسم التفضيل فى هذه الأمثلة (ذكاء - كرامة - جحودا - نكرانا) منصوبة على التمييز ، فاسم التفضيل لا ينصب المفعول به فى رأى معظم النحاة .

وخلاصة هذا الموضوع كله تتلخص فى الآتى :

(أ) اسم التفضيل يرفع الضمير المستتر ، كما يرفع الاسم الظاهر فى مسألة « الكحل » فقط ، أما رفعه غير ذلك من الأسماء الظاهرة والضمائر المنفصلة فلغة ضعيفة .

(ب) تجىء بعد اسم التفضيل الأسماء منصوبة على « التمييز » .

● ● ●

---

(١) هذا البيت كله وصف لغوى متكامل لمسألة الكحل - فاسم التفضيل (أحب) وصف نكرة (امرءا) بعده اسم مفضل على نفسه باعتبارين هو (البذل) فإن البذل من « ابن سنان » أحب من غيره - ومع هذا الوصف اللغوى يرفع اسم التفضيل الاسم الظاهر فاعلا ، وفاعل اسم التفضيل فى البيت هو « البذل » .

تدريبات

(١)

قال دِعْبل الخزاعى يعاتب عتابا مرّا ساخرا : [١]

أما آن أنْ يُعتِبَ المذنبُ ويرضى المسيء ، ولا يغضبُ
وغُول اللجاجة غرّارةٌ تَجِدّ ، وتحسبها تلعب
أبعد الصَّفاءِ ومَحْضِ الإخاء يُقِيم الجفاءُ بنا يخطب
وقد كان مشربنا صافيا زمانًا ، فقد كدِرَ المشرب
وكنّا نزعنا إلى مذهب فسيح ، فضاق بنا المذهب
ومَنْ ذا المُواتِي له دهره ومن ذا الذى عاش لا يُنكب
فإن كنتَ تعجب مما ترى فما سترى بعده أعْجب
فعودك من خُدع مورِقٌ وواديك من علل مخصب
فإن كنتَ تحسبنى جاهلا فأنت الأحقّ بما تحسب
فلا تَكُ كالراكبِ السَّبْعِ كى يُهاب ، وأنت له أهيب
ولو كنت أملك عنك الدفاع دفعتُ ، ولكنّنى أغْلَبُ

• • •

(١) ما الفرق الصرفى والمعنوىّ بين الفعل (يعتب) بضم ياء المضارع أو فتحها ، أترى لذلك تأثيرا فى تعدى الفعل ولزومه – وجه ما تقول .

(٢) كلمة (غرّارة) فى البيت الثانى ، من أىّ الأسماء التى تؤدى عمل الفعل ؟؟ اشرح كيفية أدائها لذلك ، ثم أعربها كما وردت فى البيت .

(٣) كلمة (مشرب) فى البيت الرابع – من أىّ المصادر ؟؟ اشرح أداءها لعمل الفعل كما وردت فى البيت .

(٤) (لا تك كالراكب السبع) يؤدى اسم الفاعل هنا عمل الفعل مطلقا طبق على هذه الجملة القاعدة السابقة .

---

(١) ديوان دعبل الخزاعى – طبع بيروت ١٩٦٢ ص ٢٤ .

(٥) (يقيم الجفاء بنا يخطب) لو غيرت كلمة (الجفاء) فنطقت (جفاء) فهل يتغير موقع الجملة بعدها - اذكر القاعدة التي تحكم ذلك .

(٦) (من ذا المواتى له دهره) أعرب هذه الجملة تفصيلا باعتبار (ذا) اسم إشارة أو اسم موصول - ثم وجه الجملة الاسمية بعدها على الاعتبارين .

(٧) (فأنت الأحقّ بما تحسب) و(أنت له أهيب) خاطب بالجملتين السابقتين المفردة والمثنى والجمع بنوعيهما - راجع قبل ذلك حكم اسم التفضيل فى المطابقة .

(٢)

قال طرفة :

إذا كنتَ فى حاجة مُرسلا ... فأرسلْ حكيما ولا تُوصِه
وإنْ ناصحٌ منك يومًا دَنَا ... فلا تَنأَ عنه ، ولا تُقصِهِ
وإن بابُ أمر عليك الْتَوَى ... فشاورْ لبيبا ولا تَعصِهِ
وذو الحق لا تنتقصْ حقَّه ... فإنّ القطِيعة فى نَقصِهِ
ولا تذكر الدهرَ فى مجلس ... حديثا إذا أنت لم تُحصِهِ
ونُصّ الحديثَ إلى أهله ... فإن الوثيقة فى نصِّهِ
ولا تحرصَنّ ، فربّ امرئٍ ... حريصٍ مضاعٌ على حرصِهِ
وكم من فتى ساقطٍ عقلُه ... وقد يُعجَبُ الناسُ من شخصِهِ
وآخر تحسبه أحمقا ... ويأتيك بالأمر من فصِّهِ
لَبِسْتُ الليالى ، فأفْنَيْنَنِى ... وسَرْبَلَنى الدهرُ فى قُمْصِهِ

(١) هل يصلح اسم الفاعل (مرسلا) فى البيت الأول لأداء عمل الفعل ؟ وجه ذلك نظرا وتطبيقا .

(٢) أين المنعوت فى الجملتين (أرسل حكيما - شاور لبيبا) أعرب هاتين الصفتين بتقدير المنعوت أو بدونه .

(٣) (رُبَّ امرئٍ حريص مضاعٌ على حرصه) اذكر الخواص النحوية للحرف (رُبَّ) مطبقا على هذه الجملة .

(٤) (كم من فتى ساقطٍ عقلُه) ما نوع النعت فى هذه الجملة ؟ أيد ما تقول تفصيلا ، ثم أعرب الجملة كلها باعتبار (كم) خبرية مبتدأ .

(٥) (نُصَّ الحديث إلى أهله) ما معنى هذه الجملة ؟؟ أعربها باعتبار (نص) فعل أمر ، ثم انطقها باعتباره فعلا ماضيا .

(٦) (لبست الليالى) أدخل الهمزة على الفعل (لبس) للإتيان بجملة جديدة ، ثم وازن بين الجملتين نحويا .

(٧) وجّه جزم الأفعال (لا تنأ - لا تقصِه - لا تحرصَنَّ - لم تُحصِه) ثم زنها كما وردت فى النص .

« ٣ »

من شعر المتنبى :

ذلَّ من يغبط الذليل بعيش رُبَّ عيش أخف منه الحِمام
كلّ حلْم أتى بغير اقتدار حجّة لاجئٌ إليها اللّئام
من يهن يسهل الهَوان عليه ما لجرح بميِّت إيلام

(١) (ربَّ عيش أخف منه الحمام) يمكن نطق الجملة فى النثر (ربَّ عيش أخف من حمام) وازن بين الجملتين معنى وإعرابا .

(٢) ابدأ الجملة السابقة بقولك (ربَّ أحياء ...) ثم أكملها باسم تفضيل مناسب مع المحافظة على معنى الشطر الثانى فى البيت الأول .

(٣) عين من البيت الثانى ركنى الجملة الاسمية الأساسيين .

(٤) فى البيت الثانى نعتان ، جملة ومفرد ، عينهما ، ثم وجّه الثانى باعتباره حقيقيا أو سببيًا .

(٥) ما الذى تغيره فى البيت الثانى لتصير جملة (أتى بغير اقتدار) حالا ؟؟ اذكر ما يؤيد ذلك من القواعد .

(٦) استعمل المصدر (اقتدار) فى جملتين ، يعمل فيهما عمل الفعل منوّنا فى واحدة ومضافا للفاعل فى الثانية .

(٧) (من يهن يسهل الهوان عليه) غيِّر فعل الجواب بكلمة (سهْل) ثم وازن بين الجواب إعرابا واستعمالا .

(٨) (ما لجرح بميت إيلام) ما الموقع النحوى لكل من الجار والمجرور (لجرح بميت) أيد ما تقوله بالقاعدة .

(٩) المصدر (إيلام) استعمله عاملا مضافا في جملتين مختلفتين .

(١٠) كيف يأتى التفضيل من المصدر (إيلام) حقق ذلك عمليا بجملتين مختلفى المعنى .

* * *

القسم الخامس

دراسة لأبواب خاصة بالنحو

يشمل ذلك ما يلى :

١ - الاشتغال

٢ - التنازع

٣ - الحكاية

٤ - العدد

٥ - كِنايات العدد

الاشتغال

١ - وصف جملة « الاشتغال » وبيان أركانها الثلاثة .

٢ - بيان إعراب « المشغول عنه » تفصيلا كما يلى :

(أ) وجوب النصب .

(ب) وجوب الرفع .

(جـ) ترجّح النصب على الرفع .

(د) ترجّح الرفع على النصب .

(هـ) جواز الرفع والنصب على السواء .

• • •

الاشتغال وأركان جملته :

الفكاهة يقدّمُها الإنسانُ الودودُ تسليةً ومتعة .

السخرية يلجأ إليها اللئيمُ الحقودُ انتقامًا وخسّة .

الشفقة يكره قبولَها الإنسانُ الكريم تعفُّفًا وأنَفَة .

جاء فى « ابن عقيل » : الاشتغال أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل قد عمل فى ضمير ذلك الاسم أو فى سببيّه ا.هـ .

ومن تأمل التعريف السابق والأمثلة قبله يمكن تحديد أركان جملة الاشتغال الثلاثة وتوضيحها فيما يلى :

• **المشغول عنه** : وهو الاسم المتقدم الذى شُغل عنه الفعل بضميره أو سببيّه ، وهو فى الأمثلة السابقة (الفكاهة - السخرية - الشفقة) .

• **المشغول** : وهو الفعل - وما يشبهه - الذى يشغله عن الاسم السابق عليه الضميرُ الذى يعود على الاسم السابق ، أو اسم آخر له صلة بالاسم السابق وهو ما أطلق عليه « سببيّه » . والأفعال المشغولة فى الأمثلة السابقة هى (يقدّم - يلجأ - يكره) .

● **المشغول به** : هو ما شُغِلَ به الفعل من ضمير أو سببيّ ، مما يترتب عليه بداهة ألا يتجه للاسم السابق - وبتأمل الأمثلة السابقة نجد أن ما شُغل به الفعل فى المثالين الأولين « الضمير » (يقدمها - يلجأ إليها) وفى المثال الأخير « السببى » (يكره قبولها) .

هذا الاسم السابق « المشغول عنه » يمكن إعرابه على وجهين :

الأول : مبتدأ مرفوع - وتكون الجملة بعده خبرًا له .

الثانى : مفعول به منصوب ، ويقدر له فعل محذوف وجوبا يفسّره الفعل المذكور « المشغول » - وتكون الجملة بعده مفسرة لا محل لها من الإعراب .

قال علماء النحو : ويقدر الفعل المحذوف من لفظ « المشغول » ومعناه إذا كان « المشغول » متعدّيا ناصبا للضمير بنفسه (كالمثال الأول) ويقدر من المعنى فقط إذا كان « المشغول » لازما وبعده الضمير مجرورا (كالمثال الثانى) أو متعدّيًا ناصبا للسببىّ (كالمثال الأخير) - انظر الهامش (١) .

هذا هو الأصل فى إعراب « المشغول عنه » يجوز فيه الأمران - الرفع والنصب - لكن جملة الاشتغال يجىء بها من الصفات اللغوية ما يجعل « المشغول عنه » مرفوعا فقط أو منصوبا فقط ، أو ما يرجّح واحدا منهما على الآخر ، أو ما يسوّى بينهما - على التفصيل الآتى :

وجوب النصب :

هل السّلامةَ ترجوها مع الإخلاص للحقّ والعمل به !!

فإنّ الحقَّ آثرتَه ، فتهيّأْ للباطل وغدره .

---

(١) (الفكاهة يقدمها الإنسان الودود) .

الإعراب الأول : الفكاهة : مبتدأ - يقدمها : فعل مضارع مرفوع بالضمة وضمير الغائبة فى محل نصب مفعول به - الإنسان : فاعل مؤخر مرفوع بالضمة - الودود : صفة مرفوع بالضمة ، والجملة الفعلية (يقدمها الإنسان الودود) فى محل رفع خبر المبتدأ .

الإعراب الثانى : الفكاهة : مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور - يقدمها : فعل مضارع مرفوع بالضمة ، وضمير الغائبة فى محل نصب مفعول به - الإنسان الودود : فاعل مؤخر وصفته - والجملة الفعلية (يقدمها الإنسان الودود) مفسّرة لا محل لها من الإعراب .

(حاول إعراب الجملتين الأخريين بعد هذا المثال قياسا عليه) .

ألّا هذه التضحيةَ تتحملها فى سبيل المبدأ وسموّه .

وهلّا الباطلَ تدفعه درءًا للفساد وأهله .

يجب نصب « المشغول عنه » إذا وقع بعد أداة لا يجيء بعدها إلا الفعل وتلك أدوات (الاستفهام غير الهمْزة - الشرط - العرْض - التحضيض) .

ففى الأمثلة الأربعة السابقة يجب نصب الكلمات (السلامة - الحق - هذه التضحية - الباطل) إذ جاءت الأولى بعد أداة الاستفهام (هل) والثانية بعد أداة الشرط (إنْ) والثالثة بعد حرف العرْض (ألا) والرابعة بعد حرف التحضيض (هلاّ) .

وجوب الرفع :

توقعت الخير ممّا أحبّه فإذا الشرُّ جنيته .

وتوجسّتُ الشرّ ممّا أكرهه فإذا الخيرُ حقّقته .

السلامةُ هل ترجوها مع الإخلاص للحق والعمل به .

الحقُّ إنْ آثرَته فتهيأ للباطل وغدره .

يجب رفع « المشغول عنه » فى موضعين :

١ - أن يجيء (المشغول عنه) بعد أداة لا يجيء بعدها إلا الاسم وتذكر كتب النحو (إذا : الفجائية) كما ترى فى المثالين الأولين ، وفيهما يجب رفع الكلمتين (الشرّ - الخير) .

٢ - أن يجيء (الفعل المشغول) بعد أداة لها صدارة الكلام ، إذ هى - فيما يقال - لا تسمح لما بعدها بنصب ما قبلها ، وأهم ذلك أدوات (الاستفهام - الشرط - العرْض - التحضيض - لام الابتداء - ما : النافية) كما ترى فى المثالين الأخيرين وفيهما يجب رفع الكلمتين (السلامة - الحق) .

ترجّح النصب :

آلسلامة ترجوها مع الإخلاص للحق والعمل به ؟؟

السلامة لا ترجُها مع الإخلاص للحق والعمل به .

ضَحّيتُ بالسلامة والحقّ نصرتُه .

يترجح نصب (المشغول عنه) على رفعه فى مواضع ثلاثة :

١ - أن يجىء (المشغول عنه) بعد أداة يغلب أن يجىء بعدها الفعل وأهم ذلك (همزة الاستفهام - ما : النافية - لا : النافية) كما ترى فى المثال الأول ، حيث يترجح نصب كلمة (السلامة) وإن كان الرفع جائزًا .

٢ - ما جاء فى (قطر الندى) من قوله : أن يكون الفعل المذكور فعل طلب - وهو الأمر والنهى والدعاء - كقولك (زيدا اضربْه) و (زيدا لا تهنْه) و (اللهم عبدك ارحمْه) . وكما ترى فى المثال الثانى ، حيث يترجح نصب كلمة (السلامة) فيه ، لأن بعدها جملة النهى (لا ترجها) .

٣ - أن يكون « المشغول عنه » مسبوقا بعاطف ، وقبل العاطف جملة فعلية ، إذ يحقق النصب التجانس فى عطف جملة فعليّة على فعليّة - كما ترى فى المثال الثالث ، فإن كلمة (الحق) الأرجح نصبها بفعل محذوف ، فتكون جملة فعلية تقديرها (نصرت الحق نصرته) معطوفة على الجملة الفعلية قبلها (ضَحّيت بالسلامة) .

ترجُّح الرفع :

السعادة يحقّقُها أن يعيش المرء فى سلامٍ مع نفسه .

يترجح الرفع فى صورة الأصل التى تخلو من موجبات النصب والرفع ومن مرجحات النصب ، ومما يسوّى بينهما - وسيأتى هذا الأخير - كما ترى فى المثال السابق ، إذ يترجح رفع الكلمة (السعادة) على نصبها .

قال النحاة : لأنه الأصل ، ولا مرجّح لغيره ، وعدم الإضمار أرجح من الإضمار ا.هـ .

ومعنى ذلك أن جعلها مبتدأ هو المتفق مع موضع الكلمة فى الجملة ولا يستدعى تقدير محذوف كما فى النصب ، وهذا كلام وجيه !!

استواء الرفع والنصب :

السعادةُ تتحقّقُ بسلام المرء مع نفسه والتعاسة يجلبها الأحمق لنفسه .

جاء فى « قطر الندى » : وأما الذى يستويان فيه فضابطه أن يتقدم على الاسم - المشغول عنه - عاطف مسبوق بجملة فعلية مخبر بها عن اسم قبلها أ.هـ

فلنطبق ذلك على الجملة السابقة - إن الاسم « المشغول عنه » فيها هو (التعاسة) وهو مسبوق بعاطف هو « الواو » ، وقبل « الواو » جملة فعلية هى الفعل (تتحقق) وفاعله الضمير المستتر ، وهذه الجملة الفعلية مخبر بها عن الاسم (السعادة) .

حينئذ يصح نصب « المشغول عنه » وهو (التعاسة) بالفعل المحذوف فتتكوّن « جملة فعلية » تعطف على جملة الخبر السابقة (تتحقق والضمير المستتر) وكلتاهما فعليتان .

كما يصح رفع « المشغول عنه » فيكون مبتدأ وما بعده خبر ، فهى جملة اسمية تعطف على الجملة السابقة كلها (السعادة تتحقق بسلام المرء مع نفسه) وكلتاهما اسميتان - وكل من الوجهين يساوى الآخر بلا ترجيح .

* * *

التنازع

١ - جملة التنازع وشروط تحققها .

٢ - رأى البصريين والكوفيين فى توجيه العوامل المتنازعة .

٣ - ما تنفرد به (ظن وأخواتها) خاصة فى التنازع .

• • •

جملة التنازع وشروطها :

لاحظ النصوص الآتية :

﴿ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الآية ٩٦ من سورة الكهف] .

﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الآية ١٩ من سورة الحاقة] .

« تُسبِّحون وتُحمِّدون وتُكبرون دُبُرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين » .

عُهِدتَ مُغيثًا مُغْنِيًا من أجَرْتَه فلم أتَّخِذْ إلاَّ فِناءَك مَوْئِلَا

جاء فى « قطر الندى » نصا : « ضابطه : أن يتقدم عاملان أو أكثر ، ويتأخر معمول أو أكثر ، ويكون كلٌّ من المتقدم طالبا لذلك المتأخِّر » . أ . هـ .

ومن هذا التحديد المركَّز تفهم الصفات الواجب توافرها لتحقق التنازع - ممَّا أفاضت فيها وفى تخريجها مطوَّلات النحو - وهى ما يلى :

(أ) أن تتقدم العوامل المتنازعة على ما تنازعت عليه - فلا يتوسط المتنازَع فيه بينها أو يتقدم عليها .

(ب) أن تكون العوامل المتنازعة مرتبطة لا متناقضة - ويحدث الربط بينها غالبا بالعطف أو مجىء المتأخر جوابًا للمتقدم .

(جـ) أن تتجه العوامل المتنازعة للمعمول ، بحيث يصح اتجاهها له لفظا ومعنى - وهذا أمر بدهى ، وإلاَّ فليس هناك تنازع .

وبمراجعة النصوص السابقة كلها نجدها محققة لشروط التنازع ودليلا عليه

ففى الآية الأولى الفعلان (آتونى - أُفرِغْ) يطلبان (قِطْرا) مفعولا به - وفى الآية الثانية اسم الفعل (هاؤُم : خذوا) والفعل (اقرؤا) يطلبان (كتابِيَه) مفعولا به - وفى الحديث الأفعال (تسبِّحون - تحمدون - تكبرون) كل منها يطلب الكلمتين (دُبُر - ثلاثا وثلاثين) الأولى ظرف مكان ، والثانية نائبا عن المفعول المطلق - وفى البيت كل من اسمَىْ الفاعل (مُغِيثا - مُغْنِيًا) يطلب اسم الموصول (مَنْ أجرْتَه) مفعولا به .

توجيه العوامل المتنازعة :

استمع واهتدَوا الراغبون فى الحق والخير	}
وصدَّ الكِبْرُ وأضلَّهم العنادُ الراغبين عن الحق والخير	} اختيار الكوفيين
فتمادَوا ثم أوغلوا فيهما فى الشر والضَّلال	}
استمعوا واهتدى الراغبون فى الحق والخير	}
وصدَّ الكبرُ وأضلَّ العنادُ الراغبين عن الحق والخير	} اختيار البصريين
فتمادَوا ثم أوغلوا فى الشر والضلال	}

لا خلاف بين البصريين والكوفيين فى جواز إعمال أىّ العاملين أو العوامل المتنازعة متقدمة أو متأخرة ، لكن الخلاف بينهما فى الأحسن والأولى .

جاء فى أوضح المسالك : اختار الكوفيون إعمال الأول لسَبْقِه والبصريون الأخير لقُرْبِه أ . هـ .

ويترتب على هذا الاختيار والمفاضلة ما يلى :

أولا : عند اختيار الأول - وهو رأى الكوفيين - يُضمر فى العوامل المتأخرة كل ما تحتاجه من ضمائر مرفوعة ومنصوبة ومجرورة .

ثانيا : عند اختيار الأخير - وهو رأى البصريين - يضمر فى العوامل السابقة ما تحتاجه من ضمير للرفع فقط - فاعل أو نائب فاعل - ويصرف النظر عما تحتاجه من ضمائر منصوبة أو مجرورة - راجع تطبيق الرأيين على الأمثلة السابقة .

ويقال فى ترجيح رأى البصريين : إن رأيهم يتفق مع ما جاء فى القرآن الكريم ، ففى الآيتين اللتين بدأ بهما حديث الباب ما يشهد بذلك وهما :

} العمل للثانى - ولو كان العمل للأول لأضمر

• آتونى أُفرغْ عليهِ قِطْرا } فى الثانى وقال (أُفْرِغْه)

} العمل للثانى - ولو كان العمل للأوّل لأضمر

• هاؤم اقرؤا كتابِيَه } فى الثانى ، وقال (اقرءوه)

ما تنفرد به (ظن وأخواتها) :

تفردت (ظن وأخواتها) بمسألتين فى هذا الباب ، والحق أننى هممت بتركهما لأنهما مما يطلق عليه (التمارين غير العملية) وهى ما صَرَف هذا المؤلِّف « النحو المصفى » النظر عنه فى كل أبوابه ، فذكْرهما هنا - باختصار شديد - من باب التعرف على نمط من (الجهد الذهنى) لا (الجهد اللغوى) فليقرأهما من أراد ، وجهلهما لا يضر !!

المسألة الأولى : إذا كان التنازع فى فعلين من باب (ظن) فأُعْمِل الثانى واحتاج الأول منهما إلى منصوب يقع مفعولا ثانيا له ، أضمرته مؤخرا ولا يحذف على مقتضى قاعدة التنازع .

لاحظ :

خلتُ ما علمتُه وخلتُ رأيَك الصدقَ } جملة الأصل

خلتُ ما علمتُه وخلت رأيَك الصدقَ إياه } (إيَّاه) أضمر مؤخرا

المسألة الثانية : إذا كان التنازع فى فعلين من باب (ظن) فأعمِل الأوّل واحتاج الثانى منهما إلى منصوب يقع مفعولا ثانيا له ، وأدّى إضماره إلى عدم مطابقته لما تنازع العاملان فيه ، فإنه يجب إظهاره ، ولا يضمر على مقتضى قاعدة التنازع - لاحظ :

حسبتُ وحسبانى الصديقين قادمين } جملة الأصل

حسبت وحسبانى قادما الصديقين قادمين } (قادما) اسم ظاهر لا ضمير

قال ابن عقيل : ولا تكون المسألة - حينئذ - من باب التنازع ، لأن كلا من العاملين عمل فى ظاهر ا.هـ .

الحكاية

(١) المقصود بالحكاية لغة ونحوا .

(٢) حكاية الكلمات (الأسماء - الأفعال - الحروف) .

(٣) حكاية الجمل (مقول القول - العلَم المركّب - الإسنادى - الجمل مطلقا) .

(٤) الحكاية للنكرات بأدَاتَىْ الاستفهام (أىّ - مَنْ) .

* * *

الحكاية :

جاء فى القاموس : حكَيتُ عنه الكلام : نقلتُه ، وحكيت فلانا وحاكيته : شابهته وفعلت فعله أو قوله سواء ا.هـ .

ويؤخذ من هذا النص أن اللفظ يقصد منه « النقل والمشابهة » وهذا المعنى روعى فى تحديد الحكاية نحويا ، فهى : إيراد اللفظ المسموع على هيئته من غير تغيير فيه ، أو إيراد صفته بمحاكاته بلفظ آخر مماثل له فى الإعراب والتذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع ا.هـ .

فالحكاية إذن تتحقق فى اللغة بطريقتين :

الأولى : حكاية الكلمات والجمل بنقلها كما هى - وهذه كثيرة الاستعمال .

الثانية : محاكاة لفظ سابق بلفظ مماثل له فى الإعراب والنوع والعدد . وهذه لا تكاد تستعمل فى اللغة - وهى التى اهتم بها النحاة .

حكاية الكلمات :

لاحظ إعراب الجملة (أضاءَ نورُ الإسلامِ الضمائِرَ والعقول) .

أضاءَ : فعلٌ ماضٍ ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب .

نورُ : فاعلٌ مرفوع بالضمة .

الإسلامِ : مضافٌ إليه مجرورٌ بالكسرة .

الضمائرَ : مفعولٌ به منصوب بالفتحة .

العقولَ : معطوفٌ على « الضمائر » منصوبٌ بالفتحة .

هذا الإعراب السابق كلام عربى حكيت فيه كلمات الجملة كلها حين الإعراب بنقلها كما هى - بصورتها فى الجملة - والحديث عنها فى الإعراب فهذه الكلمات كلها - أسماء وأفعالا - فى الإعراب مبتدأ مرفوع بالضمة مقدرة منع من ظهورها حركة الحكاية - ومن ذلك قول أمية بن أبى الصلت لابنه :

وسَمَّيْتَنى باسم « المُفَنَّدُ رَأْيُه » وفى رأيِكَ التَّفْنِيدُ لو كنتَ تَعْقِلُ (١)

فإن (المفنّدُ رأيه) بمعنى (الأحمق) حكيت مرفوعة بالصورة التى كان يقولها ابنه العاق الطائش للناس عن أبيه ، فهى فى البيت (مضاف إليه) مجرورة بكسرة مقدرة منع منها حركة الحكاية .

هذا .. وأكثر ما تحكى الكلمات فى شرح النصوص الأدبية وفى الإعراب .

حكاية الجمل :

﴿ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الآية ٧٥ من سورة الزمر] .
يُسمّى المصريون أبناءهم (جَادَ الرَّبُّ) و(فَتَحَ الله) .

مكتوبٌ على خاتِم النبىّ (محمدٌ رسولُ الله) .

تحكى الجمل فى اللغة ، فتنتقل الجملة كما هى ، وتأخذ الوظيفة النحوية التى يقتضيها سياق الكلام من « فاعل أو مبتدأ أو مفعول الخ » ويكون إعرابها بحركة مقدرة منع من ظهورها صورة الحكاية التى نقلت بها الجملة - طبق ذلك على الأمثلة الثلاثة السابقة .

---

(١) المفند رأيه : الأحمق ، جاء فى القاموس . فنده تفنيدا : كذبه وعجزه وخطأ رأيه - والمفند الرأى : من يوصف رأيه بالكذب والعجز والخطأ ، ولا يكون ذلك إلا للأحمق .

يقول لابنه : لقد وسمتنى بالحمق فسميتنى « المفند رأيه » مع أن رأيك هذا هو الكذب والخطأ .

الشاهد : فى (المفند رأيه) إذ حكيت فى البيت مرفوعة بالصورة التى كان يقولها الابن عن أبيه للناس ، فهى مضاف إليه مجرورة بكسرة مقدرة منع من ظهورها حركة الحكاية .

هذا .. وقد استعملت الجمل المحكية فى اللغة كالآتى :

(١) بعد القول : وهذا موضع مطرد ، وقد سبق شرحه فى « ظن وأخواتها » .

(٢) العلم المركب الإسنادى : وهذا مطرد أيضا ، وقد سبق شرحه فى باب الإضافة .

(٣) الجمل مطلقا : غير النوعين السابقين ، إذ يمكن حكاية كل جملة إذا اقتضى الموقف ذلك ، لكن أكثر ما نحتاج إليه لحكاية الجملة حين الشرح الأدبى للنصوص وفى الإعراب .

حكاية النكرات بالأداتين (أىّ - مَنْ) :

قال ابن هشام بالنص : أما فى الاستفهام ، فإن كان المسئول عنه نكرة والسؤال بـ « أىّ وَمَنْ » حُكِىَ فى لفظ (أَىّ) وفى لفظ (مَنْ) ما ثبت لتلك النّكرة المسئول عنها من رفع ونصب وجر ، وتذكير وتأنيث ، وإفراد وتثنية وجمع ا.هـ .

ومعنى ذلك أن يحاكى السائل النكرة المسئول عنها المتقدمة بهاتين فى الإعراب والعدد والنوع ، فتأتى كل منهما كما يلى :

- أىّ - أيّة - أيَّان - أيّتان - أَيّون - أَيَّات .
- مَنُو - مَنَة - مَنَان - مَنَتان - مَنُون - مَنَات .

فلنطبق ذلك على النموذج التالى :

الجملة	الكلمة المحاكاة	الكلمة المحاكية
لى صديق ودودٌ طيّب	صديق	مَنُو ؟؟
عرفتُه فى شدَّة لا أنساها	شدَّةٍ	أيّةٍ ؟؟
وعرفتُه أكثر فى ساعاتٍ حرجة	ساعاتٍ	أيَّاتٍ ؟؟
وله أحيانا هَفَواتٌ مؤسِفَات	هفواتٌ	أيَّاتٌ ؟؟
لكن يغفِرُها مواقفُ وفاءٍ كثيرة	مواقِفُ	أيّون ؟؟

ومن المفيد أن يعرف الفرق بين هاتين الأداتين ملخصا فى الآتى :

(أ) أن (أىّ) يحكى بها العاقل وغيره ، أما (مَنْ) فيحكى بها العاقل فقط .

(ب) أن (أىّ) تجىء فى حالة وصل الكلام أو الوقف عليها ، أما (مَنْ) فلا تجىء إلا مع الوقف عليها .

ولا حاجة بنا بعد ذلك إلى الخوض فى تفاصيل أكثر عن هذه الطريقة فهى – كما سبق – لا تكاد ترد فى نطقنا للغة .

* * *

العدد

١ - الأعداد والمعدودات من حيث (التذكير والتأنيث - الإفراد - الجمع - الإعراب) .

٢ - ملاحظات مهمة حول الفكرة السابقة ، وتشمل :

(أ) تمييز الأعداد (٣ - ٩) بكلمة (مائة) مفردة استثناء من القاعدة .

(ب) تمييز الأعداد (٣ - ١٠) بأسماء الجموع ، بمراعاة مفردات الجموع المميِّزة .

(جـ) استخدام أداة التعريف « أل » مع العدد المفرد والمضاف والمركب والمعطوف .

٣ - صياغة اسم الفاعل من الأعداد (٢ - ١٠) واستعماله مع المساوى له والأقل منه .

٤ - صياغة اسم الفاعل من الأعداد (١١ - ١٩) واستعماله مع المساوى له فقط .

* * *

العدد مع المعدود :

دعا النبىُّ ﷺ إلى الإسلام فى مكّة ثلاثَ عشرةَ سنةً .

ثم قضى عشر سنواتٍ أخرى فى المدينة .

ومات عليه السلام عن ثلاثةٍ وستين عاما .

العدد : يقصد به الكلمات المصطلح عليها فى اللغة للدلالة على كميات الأشياء التى يرمز إليها الرياضيون بالأرقام الحسابية (ثلاث عشرة - عشر - ثلاثة وستين) فى الأمثلة السابقة ، وترمز لها الأرقام (١٣ - ١٠ - ٦٣) مع ملاحظة أن اللغة تهتم بأسماء الأعداد نفسها لا برموزها الحسابية وهذا طبيعى ، فاللغة كلمات لا رموز للكلمات .

المعدود : ويطلق عليه أيضا (تمييز العدد) أو (تفسير العدد) وهو ما يوضح المقصود من (العدد) فيبين نوع الكمية التى تدل عليها أسماء الأعداد مثل (سنة - سنوات - عاما) فى الأمثلة السابقة .

هذه مقدمة ضرورية لوصف استعمال اللغة للأعداد والمعدودات من جهتين :

أولا : حكم الأعداد من حيث التذكير والتأنيث بالنظر إلى المعدودات .

ثانيا : حكم المعدودات من حيث الإفراد والجمع ، وأيضا الإعراب بالنظر إلى الأعداد ، وتفصيل الأمرين السابقين يتضح فيما يلى :

١ - العددان (١ - ٢) :

استعملتهما اللغة مذكرين للمذكر فيقال (واحد - اثنان) ومؤنثين للمؤنث فيقال (واحدة - اثنتان) .

وهذان العددان لا يستعمل معهما المعدود فى اللغة العربية ، فلا يقال (واحد رجل) أو (اثنان شجر) بخلاف بعض اللغات الأجنبية ، إذ يقال فى الإنجليزية مثلا (On man) و (Two trees) وغالبا ما يستغنى عنهما بالمعدود المفرد والمثنى ، فيقال (رجل ورجلان) أو (شجرة وشجرتان) .

٢ - الأعداد (٣ - ١٠) الأعداد المضافة :

وهذه تخالف المعدود ، فتذكر مع المؤنث ، وتؤنث بالتاء مع المذكر .
أما المعدود فالأصل فيه أن يأتى معها وله الصفات الآتية (جمع مضاف إليه مجرور) تقول : (مثَّل فرقتَنا فى اتحاد الكلية خمسةُ طلابٍ وثلاثُ طالباتٍ) وجاء فى قوله تعالـى : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الآية ٧ من سورة الحاقة] .

٣ - الأعداد (١١ - ١٩) الأعداد المركبة :

هذه مكونة من عددين مركبين مبنيين على فتح الجزءين - ما عدا اثنى عشر - يعامل الأول منهما (١ - ٩) من حيث التذكير والتأنيث وهو مركب مع العشرة معاملته قبل هذا التركيب ، بمعنى أن (١ - ٢) يوافقان وأما (٣ - ٩) فتخالف - أما العشرة حين تركب مع هذه الأعداد ، فإنها وهى مركبة توافق المعدود تذكيرًا وتأنيثًا .

أما المعدود فإنه يأتي مع هذه الأعداد وله الصفات الآتية (مفرد منصوب على التمييز) تقول : (يتكونُ فريق الكرةِ من أحدَ عشرَ لاعبًا وفى وطننا من نوادى الدرجة الأولى حوالى خمسةَ عشر ناديًا) .

٤ - الأعداد (٢٠ - ٩٠) أسماء العقود - الأعداد المتعاطفة :

إذا استعملت هذه الأعداد وحدها (عشرون - ثلاثون - أربعون - خمسون - ستون - سبعون - ثمانون - تسعون) تسمى (أسماء العقود) ويستعمل مع كل منها الأعداد من (١ - ٩) سابقة عليها ، وتعطف عليها أسماء العقود ، بأن يقال : (واحد وعشرون - اثنان وعشرون - ثلاثة وعشرون وهكذا) فتسمى هذه الأعداد (الأعداد المتعاطفة) .

وأسماء العقود لا تتغير تذكيرا وتأنيثا ، أما الأعداد التى تسبقها مما يطلق عليه نحويا (النّيف) فإنها تذكر وتؤنث بحسب استعمالها قبل مجيئها مع أسماء العقود ، بمعنى أن (١ - ٢) يوافقان ، وأما (٣ - ٩) فتخالف .

أما المعدود فإنه يجىء مع هذه الأعداد وله الصفات الآتية (مفرد منصوب على التمييز) تقول : (بعض الشهور العربية تسعةٌ وعشرون يوما ، وبعضها الآخر ثلاثون يوما ، وتصل بعض الشهور الميلادية إلى واحد وثلاثين يوما) .

٥ - الأعداد (١٠٠ - ١٠٠٠) العدد المضاف (أيضا) :

وهى الأعداد (مائة - ألف - مليون) وهذه لا تتغير تذكيرا وتأنيثا ويستعمل معها الأعداد (١ - ٩٩) بحسب ما لها من حكم التذكير والتأنيث قبل استعمالها مع (المائة - الألف - المليون) .

أما المعدود فيأتى مع هذه الأعداد (مفردا مجرورًا على أنه مضاف إليه) تقول : (تضم الأمم المتحدةُ الآن حوالى خمس وعشرين ومائةِ دولةٍ) وقال الله تعالـى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [الآية ١٤ من سورة العنكبوت] .

ملاحظات حول ما سبق :

اتضح من العرض السابق التصور العام لكيفية النطق بالعدد والمعدود منظورًا إلى الأول من جهة التذكير والتأنيث ، ومنظورًا إلى الثانى من حيث الإفراد والجمع والإعراب ، ولاستكمال هذا التصور يلاحظ الآتى :

(أ) سبق أن الأعداد من (٣ - ٩) تميز بجمع مجرور ، ويستثنى من ذلك تمييز هذه الأعداد بكلمة (مائة) فإنها تبقى مفردة ولا تجمع ، فيقال (ثَلاثُمائة - أَرْبَعُمائة - خَمسُمائة - سِتُّمائة - سَبعُمائة - ثَمانُمِائة - تِسعُمائة) - بالرسم السابق - فلا يقال فيها (مئات) وهذا خلاف الأصل .

(ب) لاحظ الأمثلة الآتية :

جاء فى إحدى النشرات الجوية :

ظلتْ الرؤية متعذرةً لمدة خمس ساعات

أصدر المطار خلالها ستة تحذيرات

وامتنع عن الإقلاع منه تسعُ طائرات

وارتفعتْ أمواجُ البحرِ ثمانية أمتار تقريبا

وضلَّتْ به سبعٌ من سفن الصيد

إذا كان المعدود جمعا - أىّ جمع - فإنه يراعى فى العدد من حيث التذكير والتأنيث مفرد هذا الجمع ، وأدق ما يكون ذلك فى الأعداد من (٣ - ١٠) لأنها تخالف المعدود - كما سبق - ويمكن تطبيق هذه الفكرة على ما جاء فى الأمثلة السابقة من (إحدى النشرات - خمس ساعات - ستة تحذيرات - تسع طائرات - ثمانية أمتار - سبع سفن) .

(جـ) دخول أداة التعريف (أل) ورد فى اللغة كما يلى :

• العدد المفرد مثل (واحد - اثنان) تتصل به (أل) فى أوله ، فيقال (الواحد - الاثنان) وهذا بدهى .

• العدد المضاف (ثلاثة إلى عشرة - مائة وألف) تجىء (أل) مع المضاف إليه ، فيقال (ثلاثة الأفدنة - عشرة الجنيهات - مائة المتر - ألف القطعة) وهذا أحسن الآراء فيه .

• العدد المركب (أحد عشر - إلى - تسعة عشر) تجىء (أل) مع الكلمة الأولى منهما ، فيقال : (الثلاث عشرة دولة - الخمسة عشر طالبا) وهكذا .

• العدد المعطوف (أسماء العقود المعطوفة على ما يسبقها من الأعداد) تجىء

« أل » مع كلتا الكلمتين المتعاطفتين ، فيقال : (الثلاثة والعشرون - التسعة والتسعون) وهكذا .

وقد نظم بعض العلماء ما سبق شعرا بقوله :

وعـددًا تـريـد أن تـعـرّفـا   فـ « ال » بجزءيه صِلَن إنْ عُطِفَا
وإنْ يَـكُـنْ مُـركَّـبًـا فـالأولُ   وفى مضافٍ عكسُ هذا يُفعلُ

صياغة (فاعِل) من الأعداد (٢ - ١٠) :

- ثان - ثالث - رابع - خامس - سادس - سابع - }
  ثامن - تاسع - عاشر } مذكر
- ثانية - ثالثة ·· رابعة - خامسة - سادسة - سابعة - }
  ثامنة - تاسعة - عاشرة } للمؤنث

يصاغ من أسماء الأعداد (٢ - ١٠) على وزن (فاعِل) مذكرًا مع المذكر ومؤنثًا مع المؤنث مستعملا فى الجملة على الصور الثلاث التالية :

الأولى : يأتى فى الجملة وحده دون أن تأتى معه أسماء الأعداد على الإطلاق - فنلاحظ الأمثلة :

- ظهرتْ النتيجةُ وكان ترتيبى الثالثَ وترتيبُ صديقى العاشر .
- كنت الأوَّل طوال السِّباق ، وقرب النهاية أبطأْتُ فأصبحتُ الثانىَ .

فى هذه الصورة يقصد به وصف من هو له بمعناه فقط ، ببيان ترتيبه العددى ولا شىء غير ذلك ، ويعرب الاسم بحسب ما يقتضيه سياق الكلام .

الثانية : يأتى فى الجملة مع أسماء الأعداد التى اشتق منها المساوية له فى المعنى - لنلاحظ من النصوص :

- العقادُ ثالثُ ثلاثة أثَّروا تأثيرًا عظيمًا فى الفكر العربى الحديث .
- وقال تعالى : ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ [الآية ٤٠ من سورة التوبة] .

فى هذه الصورة يقصد بالمشتق أنه واحد مما دل عليه العدد بعده ويعرب اسم العدد بعده على أنه « مضاف إليه » فهما معا « مركب إضافى » .

الثالثة : يأتى فى الجملة مع أسماء الأعداد الأقل منه مباشرة - فلنلاحظ من الأمثلة :

- إن فرنسا رابعة ثلاث دول عرفت أسرار الذرة .
- كان الدينُ الإسلامى ثالث اثنين من الأديان الكبرى لهداية البشر .

فى هذه الصورة يقصد بالمشتق إكمال العدد الأقل بعده إلى معناه - ولك فى اسم العدد بعده أن تجره بالإضافة ، فهما معا (مركب إضافى) ولك أن تنون المشتق ، وتنصب اسم العدد بعده على أنه (مفعول به) .

صياغة (فاعل) من الأعداد (١١ - ١٩) :

قرأت الجزءَ الثامنَ عشرَ من القرآن الكريم .

كتبت نقدا على المقامةِ الخامسةَ عشرةَ للحريرى .

يصاغ على وزن (فاعل) من المركبات (١١ - ١٩) بمجيء الكلمة الأولى على وزن (فاعِل) مركبة مع كلمة (عشرة) وكلتاهما مبنيّتان على فتح الجزءين ، وكلتاهما أيضا تذكران مع المذكر ، وتؤنثان مع المؤنث .

يقول ابن هشام : (الوصف المشتق على وزن (فاعِل) من الأعداد المركبة يفيد الاتصاف بمعناه بمصاحبة العشرة) . ا.هـ .

وهذا واضح تماما فى المثالين السابقين من وصف (الجزء) بأنه (الثامن عشر) ومن وصف (المقامة) بأنها (الخامسة عشرة) - وهذا يتفق مع ذوق اللغة فى الإفهام السهل الميسر .

أما ما خاضت فيه مطولات النحو من استخدام المشتق من الأعداد المركبة لإفادة أنه بعض مما اشتق منه واستخدام طرق مجهدة لمركبات لا يستعملها غير النحاة ، ففى رأيى - إن لم يجانبنى الصواب - أن ذلك كله مما يطلق عليه (التمارين غير العملية) وينبغى صرف النظر عنه ، فإنه لا ضرورة له ولا يفيد نطقا - ومن أراد الاطّلاع عليه فليراجع آخر (باب العدد) فى (شرح الأشمونى) .

• • •

كنايات العدد

كم - كأيّن - كذا

١ - الفرق بين كنايات العدد وأسماء الأعداد .

٢ - وصف جملة « كم » الاستفهامية نحويًّا .

٣ - وصف جملة « كم » الخبرية نحويًّا .

٤ - وصف جملة « كأيّن » نحويًّا .

٥ - وصف جملة « كذا » نحويًّا .

* * *

كنايات العدد :

المقصود بكنايات العدد : ألفاظ جاءت بها اللغة تدل على عدد غير محدد قل أو كثر ا.هـ . فأسماء العدد التى سبقت دراستها محدودة الدلالة على العدد مثل (خمسة - عشرون - مائة) .

أما كنايات العدد مثل (كم - كأيّن) فتدل على عدد حقا ، لكن أىّ عدد ؟ إنه غير محدد ، ولذلك أطلق عليها اسم « كنايات العدد » أو « رموز العدد » فحين تقول لصديقك : (كم يومًا بقيت فى المصيف ؟) فإن معنى « كم » السؤال عن عدد مجهول المقدار من الأيام ، قد تكون الإجابة عنه من الصديق « يوما أو يومين أو عشرات الأيام » .

والألفاظ التى جاءت بها اللغة للكناية عن العدد ثلاثة هى (كم - كأيّن - كذا) وسيدرس كل واحد منها فى جملته لوصفها بما يشمل اللفظ نفسه وتمييزه .

كَمْ : الاستفهامية :

كم كتابًا موجود بمكتبتك بالمنزل ؟!

وكم مرجعًا مقررٌ عليك فى دراستك هذا العام ؟

كم هدفا عظيما تحقق لك فى حياتك ؟

وكم أملاً غاليًا عزّ عليك تحقيقه ؟

وكم فرصةً اغتنمتها فغيَّرتْ مجرى حياتك ؟

وكم فرصةً أضعْتَ ، ثم ندمت ؟

مع كم زميلاً تتعاونُ فى مذاكرتك ؟

وعلى كم مبدإٍ راقٍ تنظم هذه المذاكرة ؟

تتكون جملة (كم : الاستفهامية) إجمالا مما يلى :

(أ) كم : وهى اسم استفهام مبنى على السكون ، ويقصد بها السؤال عن عدد مجهول المقدار ، بمعنى (أىّ عدد ؟) - وتقع فى موضع رفع أو نصب أو جر بالفهم الآتى :

١ - تكون مبتدأ فى محل رفع إذا جاء بعدها خبر مفرد ، أو جاء بعدها فعل لازم أو فعل استوفى مفعوله .

٢ - تكون مفعولا به فى محل نصب إذا جاء بعدها فعل متعدٍّ ولم يستوف مفعوله ، حـــينئذ يتجه إليها ، وتكون (كم) مفعولا به مقدما لهذا الفعل المتعدّى .

٣ - تكون فى محل جر إذا سبقها حرف جر أو اسم تضاف هى إليه .

(ب) تمييز (كم) وهو الاسم الذى يجىء بعدها للسؤال عن مقداره العددىّ ، ويكون منصوبا أو مجرورا بالفهم الآتى :

١ - يكون مفردًا منصوبا فى حالة رفع (كم) أو نصبها أو جرها .

٢ - يجوز أن يكون مفردا مجرورا فى حالة جرها بحرف الجر فقط .

(جـ) بقية الجملة بعد (كم) وتمييزها : وهذه البقية قد تكون اسما مفردا أو فعلا لازما أو متعديا على ما سبق بيانه فى إعراب (كم) .

حاول إذن - بعد هذا الشرح - معاودة النظر للأمثلة الثمانية السابقة لتحليلها نحويا تطبيقا على هذا الفهم .

كَمْ : الخبريَّة :

كم عالِمٍ شقيٌّ بعلمه ، وكم جاهلٍ سعيدٌ مع جهله

كم فقيرٍ عفَّتْ نفسُه ، وكم غنيٍّ زاد جَشَعُه

كم صادقٍ كذَّبَ الناس قولَه ، وكم كاذبٍ صدّق الناسُ إفْكَه

كم ظَلَمةٍ عَظَّمَ الغوغاء ، وكم مظلومين أهانَ اللؤماء

يا صاحبى : من كم خطإٍ يجيء الصّواب ، وعلى كم تجربةٍ يصحّ الحكم

تتكون جملة (كم : الخبرية) إجمالا مما يلى :

(أ) كم : وهى اسم مبنى على الكون تفيد الإخبار عن الكثرة ، بمعنى (كثيرٌ مِنْ) – وتقع فى موضع رفع أو نصب أو جر بالطريقة نفسها التى سبق شرحها فى (كم : الاستفهامية) فتكون مبتدأ أو مفعولا به أو مجرورة بالحرف أو بالإضافة .

(ب) تمييز (كم) وهو الاسم الذى يجىء بعدها للإخبار عن كثرته وهو مجرور غالبا بالإضافة ، ويكون مفردا بكثرة وجمعا بقلة .

جاء فى الأشمونى : إفراد تمييز (كم الخبرية) أكثر وأفصح من جمعه وليس الجمع بشاذ كما زعم بعضهم ا.هـ .

(جـ) بقية الجملة بعد (كم) وتمييزها ، وتأتى بالطريقة نفسها التى تأتى بها مع (كم) الاستفهامية .

حاول بعد هذا الشرح النظر للأمثلة السابقة لتحليلها تطبيقا على هذا الفهم .

كأيِّنْ :

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الآية ١٠٥ من سورة يوسف] .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الآية ١٤٦ من سورة آل عمران] .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الآية ٦٠ من سورة العنكبوت] .

هذه الكلمة مكونة من ثلاثة أحرف هى الكاف والهمزة والياء المشددة المكسورة المنونة تنوين التنكير (كأيٍّ) ولأن هذا التنوين لازم لها رسم أحيانا نونا ساكنة فى آخرها ، فكتبت (كأيِّن) وكلا الرسمين قد جاء فى كتب النحو .

وبصرف النظر عن الكلام الكثير حول تحليل أجزاء جملتها ، فإن الذى خرجتُ به من تأمل استعمالها فى القرآن - كما ترى فى الآيات - ما يلى :

(أ) كأين : وهى اسم مبنى على الكون ، يفيد الإخبار عن الكثرة فهى بمعنى (كثيرٌ مِن) وتعرب مبتدأ فى محل رفع .

(ب) تمييز (كأين) : وهو الكلمة التى تأتى بعدها ، ويكون مفردًا مجرورا بحرف الجر (مِنْ) .

(جـ) بقية الجملة : وهى عادة جملة فعلية تقع فى محل رفع خبرا لكلمة (كأيِّن) .

كَذَا :

وصف أحد الجنود غارة جوّية بقوله :

فجأة ، هاجمتْنا كذَا طائرةً معادية

وظلت تحومُ حولنا كذَا دقيقة

ثم ألقت فوق مواقعنا كذَا وكذَا طنًّا من المتفجرات

أولا : الأصل فى كلمة (كذا) أنها مكونة من حرف الجر (الكاف) ومن اسم الإشارة (ذا) فهى كلها جار ومجرور ، تقول : (كثيرٌ من أهل مصر يتكلمون اللغة الفصحى ويفهمونها وكذا كلُّ البلاد العربية) .

ثانيا : قد ينسى هذا الأصل ، فيستخدم المركَّب كله كنايةً عن غير العدد من الأفعال والأشياء سواء استعملت وحدها (كذا) أو جاءت مكررة (كذا كذا) أو معطوفا عليها (كذا وكذا) .

● جاء فى الحديث : (يُقالُ للعبد يوم القيامة : أتذكرُ يومَ كذَا وكذا فعلتَ كذَا وكذَا) .

فقدت وردت فى الحديث كناية عن أيام معينة أولا وعن أفعال معينة ثانيا .

● جاء فى تعليق لأحد الصحفيين : (بعض الأطباء يقولون للمريض : عندك كذا وكذا بصراحة تامة) .

فهى فى المثال كناية عن الأمراض والآلام التى لدى المريض .

وفى هذا الاستعمال يكون لجملتها الخواص الآتية :

(أ) يسبقها كلام ، فلا تأتى فى صدارة الجملة ، بل داخلها .

(ب) تبنى فى كل صورها على السكون ، وتحتل الوظائف النحوية المختلفة بحسب سياق الكلام ، فتكون مبتدأ أو مفعولا به أو غيرهما .

ثالثا : قد ينسى الأصل أيضًا فيستخدم المركب كله كناية عن العدد سواء استعملت وحدها (كذا) أو مكررة (كذا كذا) أو معطوفة (كذا وكذا) وهذه هى المقصودة بالدراسة هنا كما ترى فى الأمثلة التى بدأ بها الموضوع (فى الصفحة السابقة) .

وحين يُكْنَى بها عن العدد يكون لجملتها الخواص التالية :

(أ) يسبقها كلام ، فلا تأتى فى صدارة الجملة ، بل داخلها .

(ب) تبنى فى كل صورها على السكون ، وتحتل الوظائف النحوية المختلفة بحسب سياق الكلام ، ففى الأمثلة السابقة جاءت فى المثال الأول فاعلا - وفى الثانى نائبا عن ظرف الزمان - وفى الأخير مفعولا به .

(جـ) تحتاج إلى تمييز بعدها ، ويكون غالبا مفردا منصوبا .

ومن شواهدها قول الشاعر :

عِدِ النفسَ نُعْمَى بعد بُؤْسَاكَ ذاكِرًا كَذَا وكَذَا لُطْفًا به نُسِيَ الجُهْدُ (١)

● ● ●

(١) الشاهد فى البيت (ذاكرا كذا وكذا لطفا) فإن (كذا) استخدمت معطوفة كناية عن العدد ، وتمييزها مفرد منصوب هو (لطفًا) .

الفهرس

القسم الثانى

الجملة الاسمية

القسم الثالث

الجملة الفعلية

القسم الرابع

ما يتعلق بالجملتين الاسمية والفعلية

القسم الخامس

دراسة لأبواب خاصة فى النحو